

عسير

من ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م - ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م

دراسة تاريخية

تأليف
علي أحمد عيسى عسيري

مطبوعات نادي أبها الأدبي
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

عسير

من ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م - ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م

«دراسة تاريخية»

تأليف
علي أحمد عيسى عسيري

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمـــــة

وبعـــــد:

الحمـد لله نحمده ونستعينـه، ونصلي ونسلم عـلى خير خلقـه، وصفوة رسله، فيظلّ البحث والاستقصاء في تاريخ عسير مرهونـاً بهمّة الباحثين القادرين من أبنائنا الذين يقـدّرون مسئوليّـاتهم كمؤرخين من هذا الجيل..

ونحن في نادي أبها الأدبي نستحثّ الخُـطَى،ونؤكّد عـلى ضرورة أبراز الوجـه الحقيقي لتراثنـا الثقافي والتـاريخي والإنساني... في هـذا الجزء الغالي من بلادنا العربيّة السعوديّة المسلمة..

وحين نقدّم هذا المؤلَّف القيّم إلى المكتبة السعـوديّة فـانّما نعتقـد أننا ومن واقع رسالة النادي ـ ننظم حَلقـة في السلسلة الزمنيـة لتاريـخ هذه المنطقة.. مقدّرين للمؤلِف الكريم جهده وعناءه ودقّته في البحث والاستقصاء رغم قلّة المصادر، وتباين آراء المؤرخين قبله..

على أن النادي يمدّ يده دائماً لكلّ المخلصـين وسيظلّ عـوناً بعـد الله للباحثين والمفكرين والأدباء.. من أجل خدمة ديننا وأمتنـا وتحقيق توجيهات قادتنا في هذا البلد الغالي..

والله المستعـــان

إدارة النادي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

لاتزال شبهُ الجزيرةِ العربية بحاجةٍ إلى جهودِ الباحثين لدراسة تاريخها سواءً، في الماضي البعيد أو القريب، ولما كانت نجدُ والحجازُ وعَسيرُ والأحساء قد مرت بظروف متفاوتة، فإن افراد دراسات مستقلةٍ عنِ كل منطقةٍ على حدة يوجد لنا مجموعة من البحوثِ التي نستطيعُ من خلالهاِ أن نعرف تاريخ تلك المناطقِ التي تكونُ البلاد السعوديةِ اليوم.

وعندما قضى محمد علي على الدولةِ السعودية الأولى التي وحَّدت معظم أجزاءِ شبهِ الجزيرة العربية، قامت الأمارات المختلفة التي كانت منضوية تحت لواءِ الدولةِ السعودية الأولى بثوراتٍ متعدّدةٍ في محاولة للاستقلال عن حكمِ محمد علي والدولة العثمانية. وكانت عسيرُ من أشدِّ مناطقِ شبهِ الجزيرة العربية أصراراً على الإستقلال، وقد تحقق لها ذلك بعد حروب مريرةٍ مع قوات محمد علي. وفي الفترة الممتدة من ١٢٤٩ ـ ١٢٨٩ قامت في عسير إمارة مستقلة عن سلطة محمد علي والدولةِ العثمانية، وظلت هذه الإمارة تحافظُ على استقلالِها عن الدولةِ العثمانية، وفي الوقت نفسه تحتفظُ بعلاقات مميزةٍ مع الدولةِ السعودية الثانية في نجدٍ والأحساء، إلى أن تمكنت الدولةُ العثمانية من القضاء على تلك الإمارة عام ١٢٨٩ هـ/ ١٨٧٢م، وضمت عسير إلى ولايات الدولة العثمانية.

ونظراً لأهمية هذه الفترة من تاريخ شبهِ الجزيرة عامة، فقد قمت بـدراسـةِ تـاريـخ عسـير من ١٢٤٩ ـ ١٢٨٩ هـ، وقسمّتُ مـوضـوعَ الدراسةِ إلى ثمانية فصول.

تحدثت في الفصل الأول عن تطوّرِ مفهوم حدودِ عسيرِ الجغرافية والتـاريخية، حيث قمت بـاستعـراض آراءِ الجغـرافيـينَ المسلَمـين عنَ حدودِ عسير، ثم قدّمتُ لمحةً موجزة عن كتابات الجغـرافيينَ الغـربيَين عن عسير، كما تحدّثت عن حدود عسير في الكتابات المحلية، وفي آخر هذا الفصل قدمتُ فكرةً موجزة عن مظاهرِ السطح في عسير.

أمـا الفصل الثـاني فقـد خصّصْتُـه للحـديث عن قبـائـل اقليمِ عسير، وقد تحدّثت في هذا الفصل عن قبائل عسير السراة وقبائل عسير تهامة والتنظيمات القبلية في عسير ويعتبر هذا الفصل أساسـاً هامـاً لأي دراسة تاريخية عن هذه المنطقة لكثرةِ القبائـل في أقليم عسير، ووجـودِ نـظامٍ قبليٍّ قـوي يُعَدّ الأسـاس في حياةِ الأفـرادِ والجـماعـات في ذلـك الوقت.

وفي الفصل الثالث تحدّثت عن نشأة إمارةِ آلِ عائض وحُكمِهـا في عسير، حيث قمت بتقديم دراسـةٍ موجـزةٍ عن عسير تحت حُكْم آل المتحمي، ثم تحـدّثتُ عن عسـير من سقـوطِ إمـارةِ آلِ المتحمي حتى قيام إمارة آلِ عـائض، ثم وصلَت إلى الحديث عن ظهـورِ آل عائض عـلى مسرح الأحداث في عسـير، فقدمت دراسـة عن أمـراء عسـير في الفترة من ١٢٤٩ ـ ١٢٨٩ هـ.

أَما الفصل الرابع فقـد خصّصتُه عن محمـد علي بـاشا وعسـير، حيث تحـدثتُ فيه عن قـواتِ محمد عـلي في عسير، وعن حـروبِ تلك القوات، وموقفهـا بعد حـروبِها في عسـير إلى أن تمّ انسحابُهـا من شبهِ الجـزيرة العـربية. بـالاضافـة إلى الحديث عن سكـان عسير بخـاصـة

وسكان شبه الجزيرة العربية بعامة، وعن موقف شيوخ القبائل من قوات محمد علي. وقد اعتمدت على الوثائق بشكل رئيسي في هذه الدراسة.

وفي الفصل الخامس تحدّثتُ عن علاقة إمارة عسير بكل من نجدٍ والحجاز، حيث بدأْتُه بعلاقة إمارة عسير بالدولة السعودية الثانية في نجد، وموقف عسير من الخلاف الذي وقع بين أَبناءِ الإمام فيصل بن تركي. ثم تحدّثتُ عن علاقةِ إمارة عسير بأشراف الحجاز خلال تلك الفترة.

أما الفصل السادس فقد خصّصتُه لدراسة علاقةِ إمارة عسير بأشراف المخلاف السليماني، تلك العلاقة التي كانت غنيّةً بالأحداثِ والتناقضات الكثيرة، مما جعلها جديرةً بأن يُخصصَ فصلاً مستقلاً نظراً لحيويّتِها وأهميتها، ولما يربط بين الاقليمين من علاقات الجوار والمصير المشترك، حيث ظل المخلاف السليماني خلال فتراتٍ طويلةٍ يعتبُر جزءاً من عسير.

وتحدّثت في الفصل السابع عن الدولةِ العثمانيةِ وعسير، ومهدت له بالقاء نظرة على الحياةِ السياسية في عسير بعد رحيل قوات محمد علي، ثم دراسة الاستراتيجية العثمانية في عسير بعد معاهدة لندن، ثم تحدّثتُ عن هجوم الأمير محمد بن عائض على الحديدة أَسبابه ونتائجُه، وفي آخرِ الفصل قمتُ بدراسةٍ تفصيليةٍ عن القضاء على إمارة عسير عام ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م.

أما الفصل الثامن فقد ركّزتُ فيه على دراسةِ الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والعلمية، التي كانت سائدةً أثناءَ فترةِ الدراسةِ في عسير، ويعتبرُ هذا الفصل من أهمِّ فصولِ الرسالة، ويستحق أن ينفرد برسالةٍ مستقلةٍ لما للحالةِ الاجتماعية من أهمية في الدراسات

التاريخية، ولم يَعْدُ ماذكرتهُ أن يكون ملامح من الحياة الاجتماعية في عسير خلال فترة الدراسة.

وقد اعتمدتُ خلال هذه الدراسة على عددٍ كبيرٍ من الوثائقِ المنشورةِ وغير المنشورة العربيةِ والتركية، وأهمُّها الوثائقُ المحفوظة بدارِ الوثائق القوميةِ بالقاهرة. كما اعتمدتُ على عددٍ من المخطوطاتِ العربيةِ والمصادرِ العربية والتركية والانجليزية بالاضافة إلى المراجع الثانوية والدوريات التي عالجت موضوعات تتعلق بهذه الدراسة.

ولا يسعني هنا إلا أن أقدّم جزيلَ شكري للمسئولين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وعلى رأسهم معالي مديرِ الجامعة على ماقدّموه لنا من دعم وتشجيع، وعلى تهيئتهم كلِّ الوسائل التي تمكننا من مواصلةِ دراستِنا.

كما لا يفوتني أن أقدمِ جزيلَ شُكري للمسئولين بكليةِ العلوم الاجتماعية، وعلى رأسهم عميدُ الكلية ووكيلُها ورئيسُ قسم التاريخِ، على ماقدموه لنا من مساعدةٍ وعلى تعاونِهم معنا ومعايشتِهم لنا في كلِّ مرحلةٍ من مراحل أبحاثِنا فجزاهم الله خيرَ الجزاء.

كما أتقدم بخالص شكري للدكتور/ عبد الفتاح أبو علية الذي كان لتوجيهاته السديدة وأرشاداته القيمة أثرٌ كبيرٌ وباعث قوي في اقبالي على البحث والدراسة، وما هذه الرسالة التي أقدمها اليومَ إلّا ثمرةً من غرسه الذي أولاه الكثير من وقته وتشجيعهِ ورعايتهِ، كما أشكر الدكتور/ محمد جمال الدين المسدّي الذي تولى الإشراف على هذه الرسالة لمدةَ عامٍ دراسي كامل والذي كان لنصائحه القيمة أثر كبير في نفسي. كما أقدم جزيل شكري للأستاذين/ محمد محمود السروجي واسماعيل أحمد ياغي اللذين تفضّلا مشكورين بالموافقة على الإشتراك في هذه المناقشة رغم مشاغلهما الكثيرة فجزاهما الله خير الجزاء.

ولا يفوتني أن أقدم عظيم شكري للأستاذ/ محمود شاكر الذي قدّم لي مساعدة جليلة في كل مرحلة من مراحل الرسالة، والذي جعل مكتبته الخاصة تحت تصرّفي مما وفرّ علي الكثير من الجهد والوقت فجزاه الله خير الجزاء.

ويسرني أن أَقدِّم شكري وتقديري إلى جميع الهيئات العلمية ودور المكتبات التي اعانتني على إخراج هذا البحث، وأخص بالذكر العاملين في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ودارة الملك عبد العزيز بالرياض، ودار الوثائق القومية بالقاهرة، ومكتبة جامعة الملك سعود المركزية، وإلى كل من قدّم لي يد العون والمساعدة من الأصدقاء والزملاء أقدم جزيل شكري وعرفاني بالجميل.

وأخيراً فإن هذه مبلغي من العلم فإن اخطأت فمن نفسي، وإن أصبت فمنَ الله، والله ولي التوفيق.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة عن مصادر البحث:

لعل أهم مشكلة تواجه الباحث هي مشكلة جمع المصادر الأصلية والثانوية، لأن الباحث يقضي وقتا ليس باليسير في جمع المعلومات التي تتعلق ببحثه من مصادرها الأصلية. ولما كان موضوع بحثي يتعلق بدراسة تاريخ عسير خلال الفترة من ١٢٤٩-١٢٨٩هـ/ ١٨٣٣-١٨٧٢م. وهي فترة تعرضت خلالها المنطقة لعدة حملات من جهات مختلفة، فقد عملت جاهداً للحصول على بعض الكتب الحديثة التي كتبت عن الموضوع لعلي استنير بها في الحصول على بعض المصادر الهامة في بحثي، ولكني لم اجد أي مؤلف كتب عن هذه المنطقة الهامة باسلوب علمي حديث، وهذا ما دفعني الى الاعتماد على جهودي الذاتية في البحث عن كل ما يتعلق بموضوع بحثي.

والآن وبعد أن أكملت كتابة رسالتي فإني ساقدم عرضا موجزا لأهم المصادر الأصلية التي اعتمدت عليها في كتابة رسالتي وهي كالآتي:

أولاً: المصادر العربية، وتنقسم الى عدة أقسام:

- الوثائق العربية والتركية المترجمة الى اللغة العربية.
- المصادر العربية الأصلية التي ألفها مؤرخون معاصرون للحوادث.

- المصادر العربيـة التي ألفها مؤلفـون عاشـوا في فترة قـريبة من تلك الحوادث ونقلوا معلوماتهم عن طريق الرواية.
- المصادر العربية التي تذكر بين صفحاتها اشارات عن موضوع البحث.
- الكتب الثانوية التي كتبت عن الموضوع معتمدة عـلى المصادر الاصلية.

ثانياً: المصادر الأجنبية، ويمكن تقسيمها الى قسيمن:

أ) المصادر العثمانية وهي كالآتي:
- الوثائق العثمانية.
- المؤلفـات العثمانيـة التي كتبها قـادة عثمانيـون شـاركـوا في حملات عثمانية قامت ضد عسير.
- المذكرات التي ألفها عثمانيون.

ب) المصادر الأروبية وتنقسم الى:
- المؤلفات التي كتبها مؤلفون زاروا المنطقة.
- المؤلفات الثانوية التي كتبت عن المنطقة في فترة متأخرة.

واليـك شرحاً مـوجزاً عن مصـادر هـذا البحث حسب التقسيم السابق:

أولاً: المصادر العربية:-

- الوثـائــق:

اعتمدت كثيراً على الوثائق في هذه الدراسة، وكان جل اعتمادي على وثائق حصلت عليها من دار الوثائق القومية بالقـاهرة، ومعـظمها باللغة التركية تمت ترجمتها بواسطة الدار الى اللغة العربية. بـالإضافـة

الى وجود عدد من الوثائق كتبت أصلا باللغة العربية، وهي مرسلة إما من أمـراء عسـير أو من أشراف الحجـاز أو المخـلاف السليـماني. وقـد جمعت وثـائق تغـطي الفـترة التـاريخيـة من ١٣٣٨هـ/١٨٢٣م - ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، وتم الاستفـادة من معـظمهـا في معـظم فصـول الـرسالـة، وقـد أشرت الى كـافـة المعلومـات المتعلقـة بكـل وثيقـة في الهوامش.

كـما اعتمدت عـلى بعض الوثـائق العربيـة التي وردت في بعض المصادر الأصلية وهي في معظمها رسائل لأمراء عسير، توضح الـوضع القائم بينهم وبين الإمارات المجاورة لهم في تلك الفترة.

- المصادر العربية الأصلية:

يأتي في مقدمة المصادر العربية الخاصة بهذا البحث كتاب المؤرخ اليمني المعـاصر حسن بن أحمد اليمني الملقب بعـاكش، المـولـود عـام ١٢٢١هـ في ضمد في أسرة عرفت بالعلم. ويسمى كتابه «الدرّ الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمـين محمد بن عـائض» ويعتبر هـذا المؤلف من المؤيـدين لآل عائض. وكـانت جـل كتـابتـه عن محمـد بن عائض، ولكنه ابتدأ من عام ١٢٤٩هـ أي مع بدايـة حكم عائض بن مرعي، مع إشارته الى وضـع عسير قبـل ذلك بشكـل موجـز. وينهي حوادثه عـام ١٢٨٣هـ. وكانت وفـاته عـام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م. وقد كتب بشكـل مفصل عن الأمـير عائض بن مـرعي، ثم أسهب عندمـا كتب عن محمد بن عائض. وأكثر من مدحـه، مما جعلنـا نصنفه ضمن المصادر المؤيدة لآل عائض.

ويأتي في المرتبة الثانيـة كتاب نفـح العود في سـيرة دولة الشريـف حمـود، تأليف العـلامة الشيـخ عبد الـرحمن بن أحمد البهكـلي، تكملة

العلامة الشيخ الحسن بن أحمد عاكش، وقد تحدث المؤلف عن تاريخ المخلاف السليماني خلال الفترة الممتدة من ١٢١٣ - ١٢٢٥هـ/ ١٨٩٨ - ١٨١٠م، وتوفي قبل أن يكمل مؤلفه عام ١٢٢٥هـ، فقام العلامة الحسن بن أحمد عاكش باكمال حوادثه الى عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م. وقد أعتمدت على أصله المخطوط المحفوظة بدارة الملك عبد العزيز، وهو مهم عند الحديث عن امتداد الدعوة السلفية الى عسير والمخلاف السليماني.

ومن الجدير بالذكر أن دارة الملك عبد العزيز قد قامت بطبعه على نفقتها بعد أن حققه وعلق عليه محمد أحمد العقيلي، ولم أعتمد على طبعته الجديدة بل أعتمدت على أصله المخطوط، مع العلم بأن معلومات الكتاب واضحة ولا تحتاج إلّا الى تعريف ببعض المواقع والأعلام. ولكن محقق الكتاب قد أسهب كثيرا في تعليقاته مما يجعل الباحث يعيش بعيدا عن المعلومات الأصلية التي توردها المخطوطة. ويعتبر الكتاب من المصادر الاصلية الهامة، ولكنه يتحامل بعض الشيء على الدعوة السلفية. ويشيد بأشراف المخلاف السليماني الذين وقفوا ضد الدعوة السلفية في تلك الفترة.

وهناك مؤلف مخطوط بعنوان «اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية» وهو من تأليف العلامة بدر الدين محمد بن اسماعيل الكبسي. وهو موجود بجامعة الملك سعود قسم المخطوطات. ويتحدث عن وصول الدعوة السلفية الى عسير والمخلاف السليماني. بالإضافة الى أنه أورد معلومات قيمة عن الأمير العسيري علي بن مجثل وقضائه على تركجة بيلمز، كما أفادنا عند الحديث عن علاقة الأمير عائض وابنه محمد بالمخلاف السليماني ووصل بحوادثه الى ما بعد القضاء على امارة عسير عام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م. ويتميز المؤلف بأنه غير منحاز لأي جهة، كما أنه يورد الحوادث الرئيسية دون التعرض للحوادث الجانبية،

ولكنه يهتم باليمن أكثر من اهتمامه بعسير، وأهميته تأتي من كـون مؤلفه معاصر للأحداث.

ثم يـأتي كتـاب المؤلف النجـدي عثمان بن بشر المتـوفي عـام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧١م، وقد اعتمدت عليـه في بعض فصول الـرسالـة، لأنـه تحدث عن دخـول عسير تحت سيادة الدولـة السعـوديـة الأولى، بالإضـافة الى ذكره لانتصـارات امراء عسـير على قـوات محمد عـلي، بالاضافة الى فائدته عند الحديث عن عـلاقة عسـير بالـدولة السعـودية الثانية.

وبـالإضـافـة الى ما سبق يـوجـد عـدد لا بـأس بـه من المصـادر اعتمـدت عليها في معـظم فصول الـرسـالـة، وهي مصـادر معـاصرة للأحداث، أذكر منها:

- كتاب الحسن بن أحمد عاكش المسمى «عقود الـدرر في تراجم علماء القـرن الثالث عشر الهجـري» وهو مخـطوط موجـود بجـامعـة الملك سعود.
- كتـاب مقبل الـذكير المسمى «تـاريخ نجـد» مخطوط مصـور موجـود بمعمل كلية العلوم الاجتماعية.
- كتاب لمع الشهاب تحقيق وتعليق الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ.
- كتـاب أحمد زيني دحـلان «تاريـخ الـدولـة الاسـلاميـة بـالجـداول المرضية».
- كتاب ابراهيم بن صالح بن عيسى المسمى «تـاريخ بعض الحـوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيـان».
- كتاب الشيخ عبد الرحمن الجبرتي.
- «تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار».
- كتاب محمد محمد زبارة.
- «نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر للهجرة».

بالإضافة الى عدد من المصادر لم يتسع المجال لذكرها هنا وهي موجودة في أسماء المصادر والمراجع في آخر الرسالة.

المصادر العربية التي ألفها مؤلفون عاشوا في فترة قريبة من تاريخ تلك الحوادث، ونقلوا معظم معلوماتهم عن طريق الرواية وأهم تلك المصادر:

كتاب «أخبار عسير» تأليف الشيخ عبد الله بن مسفر، وقد اعتمدت عليه في معظم فصول رسالتي، ومؤلفه ثقة، اعتمد على الرواية وعلى بعض الرسائل التي عثر عليها لأمراء آل عائض ومعظم ما ذكره في كتابه يتفق مع الوثائق التي وجدتها مما يؤكد لنا صحة روايته.

وهناك كتاب «تاريخ عسير في الماضي والحاضر» ومؤلفه الشيخ هاشم النعمي، وقد اعتمد كذلك على الرواية وعلى بعض المخطوطات التي كانت موجودة أثناء تأليف كتابه، وهو كتاب قيم كتبت معلوماته بعناية ودون تعصب وحوادثه صحيحة. وينفرد بكتابه فصل خاص بقبائل أقليم عسير.

بالإضافة الى كتابات فؤاد حمزة «في بلاد عسير». ومحمد عمر رفيع «في ربوع عسير». وأمين الريحاني «ملوك العرب» ومحمد احمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني».

أما المصادر العربية التي ذكرت في ثناياها معلومات عن البحث واعتمدت عليها باقتضاب فمنها بعض المصادر اليمنية والحجازية والنجدية وكلها مذكورة في فهرس المصادر والمراجع. كذلك المراجع الثانوية مذكورة في نفس الفهرس.

ثانياً: المصادر الأجنبية:

أ ـ المصادر العثمانية:

ـ الوثائق العثمانية:

وهي وثائق تتعلق بالعلاقة بين عسير وبين الدولة العثمانية والحجاز. وقد اعتمدت على عدد من تلك الوثائق التي تحدثت عن دور عسير في أحداث الحجاز، وقد أعطتنا تلك الوثائق صورة واضحة عن تلك العلاقة وقد ركزت تلك الوثائق على الحديث عن خطر عسير على الحجاز، وكانت عبارة عن رسائل متبادلة بين والى الحجاز العثماني وبين أمير عسير عائض بن مرعي، وهذه الوثائق منشورة في بحث للأستاذ: محمد بن عبد الله آل زلفة تحت عنوان (دور عسير في أحداث الحجاز في الفترة ما بين ١٢٦٧ ـ ١٢٧٢).

ـ المؤلفات العثمانية:

وأهم تلك المصادر مؤلف كتبه الفريق المتقاعد عاطف باشا بعنوان «يمن تاريخي» وهو باللغة التركية ويقع في مجلدين، يتحدث في المجلد الأول عن دور الدولة العثمانية في اليمن. ويشير الى ثورات قام بها الأمير عائض بن مرعي باقتضاب شديد. ولكنه في المجلد الثاني يتحدث عن ثورة الأمير محمد بن عائض عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، وقد قدم فيه عرضا مفصلا للثورة منذ بدايتها وأسباب قيام الأمير محمد بن عائض بها، وكيفية مواجهة الدولة العثمانية لتلك الثورة، وعدد القوات وأسماء القواد الذين كلفتهم بالتوجه الى عسير، وقد تحدث عن مراحل المعارك التي دارت بينهم وبين العسيريين حتى تم القضاء على محمد بن عائض واتبعه بحديث مفصل عن عمليات المقاومة والثورات التي حدثت بعد ذلك، ويمتد بحوادثه حتى عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م ويعتبر هذا المصدر من أهم

المصادر الأصلية التي تحدّثت عن نهاية إمارة عسير على يد قوات رديف باشا، وعن الأحوال في عسير بعد سقوط ريدة. ومع أن مؤلفه كان قائدا في الجيش العثماني الذي هاجم عسير. إلاّ أنه قد تحرى الصدق والموضوعية الا في بعض الشطحات القليلة التي حاول أن يبرر فيها المجازر التي ارتكبت ضد العسيريين، ومع ذلك فقد أخذت معلوماته بكل حذر. وقد قمت بترجمة الأقسام التي تهمني من هذا الكتاب الى اللغة العربية.

وهناك مؤلف آخر بعنوان «مرآت الحرمين» ألفة ايوب صبري وقد تحدّث في بعض صفحاته عن ثورات عسير ضد الدولة العثمانية منذ عهد عائض بن مرعي الى القضاء على امارة عسير في عهد محمد ابن عائض، كما تحدث عن بعض الثورات التي حدثت بعد ذلك، وقد قمت بترجمة ما يهمني من هذا الكتاب.

- المذكرات التي كتبها قادة عثمانيون، وأهم تلك المذكرات مذكرات سليمان شفيق كمالي باشا، الذي تولى متصرفية عسير أيام ثورة الإدريسي، وقد نشرت تلك المذكرات في مجلة العرب. وتحوي حوالي سبعا وعشرين حلقة تحدث فيها عن عسير وأهميتها والصعوبات التي واجهها فيها وهي من المصادر الهامة عن تاريخ المنطقة.

ب: المصادر الأوروبية:

ومنها مصادر ذات أهمية كبيرة خاصة عند الحديث عن القبائل وحدودها، وقد اعتمدت على عدد لا بأس به من تلك المصادر والمراجع، وكان اعتمادي عليها كبيرا عند الحديث عن حدود عسير، وكذلك عند الحديث عن قبائل اقليم عسير، وأحسن من كتب عن عسير هو «Cornwallis, Sir Kinahan» حيث تحدث عن عسير قبل الحرب

العالمية الأولى، فكتب عن التاريخ الحديث لعسير، وعن القوى التي كانت تتنازع السيطرة في عسير قبل الحرب العالمية الأولى. ثم تحدث باسهاب عن قبائل اقليم عسير، وقد تحدث عن موقع كل قبيلة وحدودها، وثرواتها وعدد سكانها، وطاقتهم الحربية، وأعداء القبيلة وأصدقائها. وقد قدم لنا صورة عامة عن وضع قبائل المنطقة آنذاك، ومعلوماته ليست دقيقة ومع ذلك فإنّه يعتبر مصدرا هاماً بالنسبة للحالة الاجتماعية والاقتصادية في اقليم عسير قبل الحرب العالمية الأولى، ومن المآخذ على هذا المؤلف انه يركز بشكل كبير على العداوات القديمة بين القبائل، ويحاول ابرازها وتصويرها بأكثر مما هي عليه في الواقع وهذا ما يؤكد لنا أن الكاتب يمثل وجهة النظر الانجليزية التي كانت تعتمد على سياسة «فرق تسد» فكان ذلك التقرير عبارة عن معلومات متكاملة عن المنطقة حتى يكون الانجليز على علم بأحوال المنطقة فيما لو احتاجوا الى السيطرة عليها.

كما يعتبر كتاب «A Hand Book of Arabia» من أحسن الكتب التي القت الضوء على منطقة عسير، وقد أعده القسم الجغرافي في البحرية البريطانية، ويتكلم في الفصل الخامس من هذا الكتاب عن عسير تعريفها ومساحتها، ثم يتحدث عن السطح والتضاريس، والخصائص الطبيعية والمناخ، ثم يتحدث عن سكان الاقليم وأماكن تجمعهم والظروف التي كانوا يعيشون فيها، ثم يقدم لنا وصفا عاما للحياة الاجتماعية والعمارة والصناعة في عسير آنذاك، ثم يتحدث عن الموازين والمكاييل والعملة في عسير، ويعتبر الكتاب مصدرا هاما عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية في عسير قبيل الحرب العالمية الأولى. ولا شك أن قرب تلك الفترة من سقوط إمارة آل عائض يجعلنا نعتمد عليه في بحثنا عن الحياة الاجتماعية في عسير نظرا لندرة المصادر التي تحدثت عن الحالة العامة في إقليم عسير خلال فترة

دراستنا، بالإضافة إلى عدد من المصادر والمـراجع التي أشرت إليهـا في فهرس المراجع الإنجليزية في الرِّسالة.

الفصـــل الأول

تطور مفهوم حدود عسير الجغرافية والتاريخية

محتوياتـــه

- آراء الجغرافيين المسلمين عن حدود عسير.
- عسير في كتابات الغربيين في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي
- حدود عسير في الكتابات المحلية
- مظاهر السطح في عسيـــر.

تطور مفهوم حدود عسير الجغرافية والتاريخية

آراء الجغرافيين المسلمين عن حدود عسير:

سنحاول هنا التعرف على هوية حدود عسير من خلال ما كتبه عنها الجغرافيون المسلمون. ومن هنا لا بد لنا أن نجد اجابات علمية لعدد من الأسئلة حول هذا الموضوع، هل كانت عسير معروفة عند الجغرافيين المسلمين بمسمّاها اليوم؟ وما هو مفهوم تطوّرها من وجهة نظرهم هذه؟ ثم هل كان لها الاعتناء نفسه في حدودها كما هي الحال في حدود الأقاليم الأخرى في شبه الجزيرة العربية كاليمن والحجاز ونجد وغيرها؟.

في الواقع أن كتابات الجغرافيين المسلمين تكاد تخلو من ذكر عسير كمنطقة مستقلة عن الحجاز واليمن ونجد. بل ان كتاباتهم عن اقسام شبه جزيرة العرب وحدودها تقسّم عسير بين المناطق الثلاث المذكورة، وأن أقدم ذكر لعسير جاء في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني، يقول الهمداني[1] عن عسير ما نصه: «ويصالي قصبة

(١) الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الأكوع، منشورات دار اليمامة الرياض ١٣٩٤/١٩٧٤. ص٢٥٦.

جرش أوطان حزيمة من عنز. ثم يواطن حزيمة من شاميّها عسير قبائل من عنز. وعسير يمانية تنزرت ودخلت في عنز فأوطان عسير الى رأس تيّة[1]، وهي عقبة من أشراف تهامة، وهي أبها وبها قبر ذي القرنين فيما يقال عثر عليه على رأس ثلاثمائة من تاريخ الهجرة، والدارة والفتيحا واللصبة والملحة وطبب وأتانة والمغوث وجرشه والحدبه هذه أودية عسير كلها».

ويقول في موضع آخر[2] «والدّارة، وأبها: والحللة، والفتيحا، فحمرة، وطبب فأتانة، والمغوث، فجرشة، فالايداع أوطان عسير من عنز وتسمى هذه أرض طود».

ويعدّ ما ذكره الهمداني عن أوطان عسير وامتدادها هو أول مفهوم لحدود عسير عند الجغرافيين المسلمين[3]. وأن كل ما أورده الجغرافيون المسلمون عن عسير جاء من خلال ما كتبوه عن أقسام شبه الجزيرة العربية.

فعلى سبيل المثال لا الحصر أورد البكري مايلي[4] : «ذكر ابن وهب عن مالك قال: أرض العرب مكة والمدينة واليمن، وقال أحمد ابن المعذّل حدثني يعقوب بن محمد بن عيسى الزهري قال: قال

(١) تيّة: هو جبل مشهور يقع في شمال قبيلة عسر، وعن طريقه يتم الاتصال بين أبها عاصمة عسير السراة وبين محايل في تهامة، ولهذه العقبة واد مشهور اسمه وادي تيّة.

(٢) الحسن بن أحمد الهمداني، المصدر السابق، ص ٢٥٧.

(٣) من الجغرافيين المسلمين الذين كتبوا عن أقسام شبه الجزيرة العربية نذكر البكري في كتابه «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع».
والمقدسي في كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» وابن حوقل في كتابه «صورة الأرض» والاصطخري في كتابه «مسالك الممالك» والإدريسي في كتابه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق».

(٤) عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، معجم ماستعجم من اسماء البلاد والمواضع حققه مصطفى السقا، جـ١، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ١٣٦٤هـ، ص١، ٢.

مالك بن أنس: جزيرة العرب المدينة، ومكة، واليمامة، واليمن. وقال المغيرة بن عبد الرحمن: جزيرة العرب مكة، والمدينة واليمن وقرياتها». وقد أورد البكري بعض أقسام عسير على أنها من نجد فيقول[1]: «وأعراض نجد هي: بيشه، وترج، وتبالة، والمراغة، ورنية، وصار الجبل نفسه سراته ـ وهو الحجاز ـ وما احتجز به في شرقيه من الجبال وانحاز الى ناحية قيد والجبلين الى المدينة، ومن بلاد مذحج: تثليث ومادونها الى ناحية قيد فذلك كلها حجاز وصار ما خلف تثليث وما قاربها الى صنعاء وماوالاها من البلاد الى حضرموت والشحر وعمان ومابينها اليمن وفيها التهائم، والنجود، واليمن يجمع ذلك كله».

وهكذا نرى أن عسير عد بعضها من نجد، والبعض الآخر من الحجاز واليمن. ومن هنا نلاحظ أن الجغرافيين المسلمين لم يذكروا عسير كجزء مستقل بل ضمت مناطقها الى نجد والحجاز واليمن، ويمكن تفسير ذلك بظاهرة الامتداد الطبيعي للمناطق، فعدّوا إجزاء عسير على أنها توابع ذات امتدادات طبيعية وجغرافية لكل من نجد والحجاز واليمن. فاعتبروا مناطق عسير الشمالية الشرقية توابع لنجد، ومناطقها الشمالية توابع للحجاز ومناطقها الجنوبية توابع لليمن.

ويصوّر لنا المقدسي جزيرة العرب في صورة طريفة تنم عن ادراك سليم ومعرفة جغرافية فهو يتخيّلها صُفَّة[2] مستطيلة تمتد من قعر اليمن الى بادية السماوة وبابها الى بادية السماوة وظهرها الى

---

(١) البكري، المصدر السابق، ص٨، ٩.

(٢) الصفّة: هي اسم بيت صيفي، وقيل الصفة في المسجد النبوي كانت مسقوفة بجريد النخل. انظر: محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين جـ٥، ط٣، بيروت، ١٩٧١، ص٥٢٢.

عدن[1]. ومما قاله المقدسي[2] ما يلي: «واعلم أن مثل هذه الجزيرة كمثل صفة فيها أدنى طول، قد وضع فيها سرير من صدرها الى بابها بينه وبين الحائطين من يمين وشمال فضاء والسرير قصعتان فالسرير الداخل هو نجد اليمن، وهي جبال تقع فيها صنعاء، وصعدة، وجرش، وبلد قحطان. وعدن في الصدر في آخر الجبل لأن ثالث الحيطان هو بحر الصين، وهذه السروات عامرة بها الأعناب والمزارع، والفضاء الذي عن يمين السرير تهامة تقع فيها زبيد وبلدانها والفضاء الذي عن يساره يسمّى نجد اليمن تقع فيه الأحقاف ومهرة الى تخوم تهامة، ومنهم من يدخلها وعمان في هذه الخطة. وهذا السرير مع الفضائين هي اليمن والسرير المؤخر الى باب الصفّة يسمّى الحرة من تخوم اليمن الى قرح جبال كلها يابسة. . . إلى أن يقول: - ويسمّى هذا السرير مع فضائيّة الحجاز».

ومن هنا نلاحظ أن المقدسي يدخل عسير كجزء من اليمن، فجرش وما حولها هي قلب عسير، ومع ذلك فقد ذكرها من اليمن وأدخل أجزاء أخرى منها في الحجاز حسب تقسيمه السابق وعليه فلم تكن عسير كقسم جغرافي مستقل معروفة عند المقدسي.

وقد أورد كل من ابن حوقل والاصطخري[3] تقسيما لجزيرة العرب على اساس خطوط عرضية تخترق الجزيرة العربية من غربها الى شرقها وتكاد تكون متوازنة تقريبا وقاعدة هذه الخطوط هو الخط الذي

---

(١) مجلة آداب جامعة الاسكندرية، مقال لعبد المحسن الحسيني بعنوان: «الأقسام الجغرافية لجزيرة العرب»، المجلدان ٦، ٧، ١٩٥٢ - ١٩٥٣، ص١٠٦.

(٢) محمد بن أحمد بن ابي بكر المقدسي ويقال له البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثانية، ليدن ١٩٠٩م، ص٩٤، ٩٥.

(٣) ابي القاسم محمد بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة بيروت ص٢٩، ٣٠.

يمتد من السرين[1] على البحر الأحمر ويتجه نحو الشمال الشرقي حتى يلملم[2]، ثم شرقا الى الطائف ومنها الى الخليج الى آخر هذا التقسيم، وبناء عليه فإن المنطقة الواقعة جنوب هذا الخط هي اليمن وهي تشكل ثلثي جزيرة العرب، وهكذا فإنهما يمدّان حدود اليمن الى يلملم والطائف ثم الى الخليج العربي. وعلى هذا فإن عسير وجزءا من الحجاز ونجد قد دخلت جغرافيا في اليمن.

ويجعل ابن خرداذبة حدّ الحجاز الجنوبي مع اليمن عند موضع يقال له (طلحة الملك)[3] حيث يقول[4]: «ثم إلى سروم راح (منازل الطريق من مكة إلى صنعاء) قرية عظيمة فيها عيون وكروم وجرش منها على ثمانية أميال، ثم إلى المهجرة قرية عظيمة فيها عيون. وفيما بين سروم راح والمهجرة طلحة الملك شجرة عظيمة تشبه الغرب وهي الحد ما بين عمل مكة وعمل اليمن».

---

(١) السرين: تثنية سر: بليد قريب من مكة على ساحل البحر، قرب جدة، . وكانت السرين تعتبر آخر اعمال تهامة من جهة اليمن وذلك عام ٦٥٠هـ، وكان ملكها آنذاك راجح بن قتادة.
- انظر صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع، حققه علي محمد البجاوي، جـ٢، دار المعرفة للطباعة، بيروت، ١٣٧٣هـ، ١٩٥٤م، ص٧١٣.
- انظر نجم الدين عمارة بن ابي الحسن الحكمي، تاريخ اليمن، دار الثناء للطباعة، مصر (بدون ت)، ص١٤٩.

(٢) يلملم: ويقال الملم موضع على بعد ليلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن وفيه مسجد لمعاذ بل جبل.
- انظر صفي الدين البغدادي، المصدر السابق، جـ٣ ص ١٤٨٢.

(٣) طلحة الملك: اسم واد باليمن.
- صفي الدين البغدادي، نفسه، جـ٢، ص ٨٩٠.

(٤) ابي القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة، المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد (بدون تاريخ)، ص ١٣٥.

ويـذكـر الإدريسي[1] هـذا الحـد في منـازل الـطريق بـين مكـة وصنعاء مع وضعه طلحة الملك في قرية المهجـرة نفسها فيقـول: «ومن سروم الى المهجرة وهي قرية عظيمة فيها عيـون وفيها بئـر بعيدة القعـر غزيرة الماء، وبهذه القـرية شجـرة عظيمـة تسمى «طلحة الملك» تشبـه شجرة الخـلاف غـير أنّها أعـظم منهـا وهي حـد مـا بـين عمـل مكـة واليمن».

أمـا الهمداني فيـذكر أن بلدة كتنـة[2] هي أولى حدّ الحجـاز، ويـذكر أنها تقـع على خط عـرض واحـد مـع جـرش[3] التي تقـع الى الغـرب منها عـلى مسافـة أقل من يـوم، أمـا تثليث والهجـيرة[4] فخط طـولها يقـع الى الشرق من كتنة عـلى مسيرة يـوم كـذلـك، اذن فحـد الحجاز الجنوبي على رأي الهمداني هو كتنة في الـوسط والى الغرب منهـا تعتـبر جرش حـدا بين الحجـاز واليمن أما الى الشـمال الشرقي فيوجـد الهجـيرة وتثليث[5]، وتعتـبران حـدا بـين الحجـاز واليمن من الجهـة النجدية أي الى الشمال الشرقي من كتنة، وأمـامنا الآن رأيـان عن حدّ

---

(١) محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الإقـليم الثـاني، الجزء الخامس (بدون سنة ومكان طبع)، ص١٤٦.

(٢) كتنـة. يذكـر محمد الأكـوع انها لا تزال قـائمة تحمـل اسمهـا الحـالي. ونفهم من كـلام الهمداني عنها أنها داخل حدود المملكة العربية السعودية حاليا لكونها تقع الى الشرق من جـرش وعلى خط عـرض واحد معهـا وتبعد مسـافة يـوم مشيا عن جـرش. الهمـداني: المصدر السابق ص٢٥٣.

(٣) جرش: مدينة تاريخية تقع في بـلاد رفيدة بجـوار خميس مشيط ولا تزال آثـارها التـاريخية مـاثلة للعيان بجـوار جبل حمـومـة حـول خميس مشيط. انـظر: يحيى إبراهيم الألمعي، رحـلات في عسـير، الجـزء الأول. مـطابـع دار اصفهـاني، جـدة (بـدون تـاريـخ)، ص ٣٤، ٣٥.

(٤) الهجيرة: قاعة عامرة لآل الرصاص. الهمداني، المصدر السابق، ص١٨٢.

(٥) تثليث: واد مشهور يقع جنوب المملكة العربية السعودية وتسكنه قبيلة قحطان.

ـ انـظر: فـؤاد حمـزة، في بـلاد عسـير، الـطبـعـة الـثـانـيـة، الـريـاض، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص١٤٥.

الحجاز الجنوبي فابن خرداذبة والإدريسي يذكـران المهجرة[1] التي عنـد طلحة الملك كحد بين الحجاز واليمن بينما يذكر الهمداني كتنة التي تقع على خط عرض واحد مع جرش ويجعلها هي الحد الفاصل بين الحجاز واليمن، وتبلغ المسافة بين الموضعـين حسب ما ذكـره الهمداني حـوالي ثلاثة وستين ميلا[2]. أي أن الحد الذي ذكره ابن خرداذبـة والإدريسي يبعد عن الحد الذي ذكر الهمداني بحوالي ثلاثة وستين ميلا جنوباً.

وإني أميل الى ترجيح رأي الهمداني للأسباب الآتية :ـ

١ـ لأن الهمـداني ابن المنطقـة وعارف لـدروبهـا وبلدانها ـ أهـل مكـة أدرى بشعابها.

٢ـ أنه ذكر في كتـابه صفـة جزيـرة العرب كـل المواضـع وبعدهـا عن صنعاء بدقة متناهية فهو ملمّ بالمواضع وله خبرة ومعرفة بالمسـافات وخطوط الطول والعرض عن المنطقة.

٣ـ دقة روايته الجغرافية عن المواضع تشجّـع على تـرجيح رأينـا هذا، ومما يدلـل على دقـة روايته أنـه فرّق بن الهجـيرة والمهجرة في حـين خلط الآخرون بينهما، فذكروا المهجرة ولم يذكروا الهجيرة اطلاقا، بينما الهمداني ذكر المهجرة وبيّن لنا مسافتها عن صنعاء ثم ذكر كتنة والهجيرة وتثليث وبيّن لنا مواضعها وخطوط الطول والعرض فيها، مما يدل على معرفته التامة بالموضعين وتفريقه بينهما.

ومن هنا فإن كل ما سبق يـظهر فيـه تداخـل الحدود بـين اليمن والحجـاز فبينما تصـل أملاك تهـامـة الى مينـاء السّرين نجـد أن حـدود

---

(١) المهجرة: بلد في أول اعمال اليمن، بينها وبين صعدة نحو عشرين فرسخا.
ـ انظر: صفي الدين البغدادي، المصدر السابق، جـ٣ ص٣٣٧.
(٢) الحسن الهمداني، المصدر السابق، ص ٣٣٩.

الحجاز تمتد من الجهة الجبلية الى حدود الهجيرة وتثليث وكتنة وجرش منحدرا إفي السراة الى شعف عنز الى تهامة الى البحر محاذاة جبل يقال له كدمّل[1] بالقرب من حمضة[2]. وبالتالي فإن حدود الحجاز في السراة تمتد الى جرش وما حولها ومناطقها هذه لها ميناء على البحر هو حمضة[3]. أي أن ما يعرف بعسير اليوم لم تكن تعرف على زمن هؤلاء الجغرافيين المسلمين بل كانت مجزأة بين اليمن والحجاز ونجد، لأن تثليث، وبيشة، وجرش، والسروات جنوب سراة عقيل وحلى[4]، وحمضة، والسرّين، كلها تعد من عسير الحالية، ومن هنا يأتي السؤال هل أن تقسيمات هؤلاء الجغرافيين هي تقسيمات جغرافية أم أنها قائمة عل أساس تاريخي؟، واذا كانت سياسية فهل هي تخضع لحكام اليمن أم لحكام الحجاز؟.

الواقع أن ما جاء من تقسيمات عند الجغرافيين المسلمين ما هي الا تقسيمات جغرافية، وأن اليمن مثلا لم تكن تمثّل وحدة سياسية اعتمد عليها هؤلاء الجغرافيون بدليل أن هناك موانىء ساحلية عدّها هؤلاء الجغرافيون من اليمن مع اشارتهم الى إنها كانت تتبع أميرا مستقلا يسمى (صاحب تهامة) ومن هذه الموانىء السرّين وحلى[5].

---

(١) كدمّل: ذكر، الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» باسم «كدمّل» وقد يكون كتبه بلهجته المحلية فان اهل جهته ينطقون التاء دالا، وقد يكون اسمه في عصر الهمداني كما كتبه، واسمه الآن (كتمبل) بضم الكاف والتاء المثناة الفوقية بعدها ميم ساكنة، جبل معروف جنوب ميناء القحمة. راجع محمد العقيلي، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية مقاطعة جازان، الطبعة الثانية، الرياض، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م ص ٣٦٣.

(٢) حمضة: بفتح الحاء المهملة وسكون الميم، واد وقرية تنسب الى الوادي في بلاد المنجحة جنوب بلدة القحمة، انظر محمد العقيلي، المصدر السابق ص ١٥٥.

(٣) الحسن الهمداني، المصدر السابق، ص ٦٥.

(٤) حلى: ميناء قديم يقع على ساحل البحر الأحمر بين القنفذة والبرك، ويقع قرب محائل.
- انظر: محمد بن عبد الله الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٣٨.

(٥) محمد بن عبد الله الإدريسي، نفسه، ص ١٣٨.

ونستنتج مما ذكره الإدريسي هنا أن تقسيمات هؤلاء الجغرافيين لم تكن تعتمد على الحدود السياسية بأي شكل من الأشكال بل كانت تعتمد على المفهوم الجغرافي فقط. فعسير كوحدة جغرافية مستقلة لم تكن معروفة في ذلك الحين ولكن هذا لا يعني أنها لم تكن تتمتع بوضع مستقل عن اليمن والحجاز لأن الوحدة الجغرافية لا تعني بالضرورة وحدة سياسية أو ادارية.

ومن المعروف أن لموقع عسير استراتيجية جغرافية هامة سواء بالنسبة لليمن أم بالنسبة للحجاز فهو بمثابة جسر قوي تتحطم دونه مطامع ولاة اليمن في الحجاز وولاة الحجاز في اليمن لأن اجتيازه الى احدى المنطقتين ليس بالأمر السهل بسبب كثافة سكانة ووعورة مسالكه، وشدة بأس أهله وشجاعتهم وتفانيهم في الذود عن حياض بلادهم، ووقوفهم في وجه عدوهم متماسكين ببسالة وصمود وأنفة. لذلك نجد الحملات العسكرية المتجهة الى اليمن تبتعد عن طريق عسير متخذة طريق الساحل ممرا آمنا لسهولته، ولأن مسالكه واضحة لا عناء فيها ولا مشقة، وقد سلك الجراكسة (المماليك) والعثمانيون هذا الطريق، فبقيت عسير في مأمن منهم لوقوعها في أطراف اليمن وأطراف الحجاز طيلة مدة ليست بالقصيرة من الزمن بالنسبة الى تاريخ عسير السياسي فهي أشبه ما تكون منزوية، لا تطمع في التوسع ولا تسمح لأحد بالتدخل في شئونها[١].

---

(١) محمود شاكر، شبه جزيرة العرب ـ عسير ـ ط ٣، المكتب الإسلامي، بيروت دمشق ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ص ١٤٢.

عسير في كتابات الغربيين في القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي :-

رغم كبر مساحة عسير وكثرة سكانها إلا أن اسمها لم يكن معروفاً عند معظم من كتب عن جزيرة العرب في القرن الثالث عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي تقول[1] جاكلين بيرين مايلي :-
«كان على بك[2] يجهل إمارة أبي نقطة. وكان بوركهارت[3] «John Burckhart» الذي يعرف أن اسمها عسير يظن أنها مدينة أما نيبور[4] «Carster Niebuhr» فقد جهل حتى اسمها. وقد ترك اسم عسير أبيض على الخريطة الآسيوية التي وضعها الجغرافي الألماني هنرى برغوس «Henrry Bargous» سنة ١٨٣٥ م.

على أن قنصل فرنسا في جدة الذي كان من المقدّر له أن يلعب دوراً عظيماً في تنمية المعارف عن جنوبي الجزيرة العربية، علم أن هذه البلاد عامرة في الحقيقة بالقرى والمناطق المأهولة غنية بالمزروعات[5].

---

(١) جاكلين بيرين، اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدرى قلعجي، دار الكاتب العربي، بيروت (بدون ت)، ص ٢٥٢.

(٢) على بك العباسي وهو دومينغو باديا اي لبخ « Domiryo Badia y Ledich » اليهودي الأسباني الأصل الذي جاء من قادش عن طريق الجزائرة إلى الحجاز وكان رسولاً لنابليون في جزيرة العرب أنظر مؤلفه :
Ali Bey, Travels of Ali Bey, 2 Vols., London 1816
انظر : د. عبد الفتاح أبو علية، مصادر تاريخ البلاد السعودية، ط ١ دار المريخ للنشر، الرياض ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٤٠٣.

(٣) Burchhardt, Travets ir Aradia, 2 Vol, London, 1829
انظر. عبد الفتاح ابو علية مصادر تاريخ البلاد السعودية، ص ٤٠١

(٤) Niebuhr, Varsten, Travels Throuyh Arabia, 2 Vols, Ediburyh, 1792.

(٥) جاكلين بيرين، المصدر السابق، ص ٢٦٩.

وقد وضع تاميزيه[1] « Tamisier » كتاباً من جزأين ضمّنه وصفاً لحملة قام بها أحمد باشا يكن - قائد محمد علي في الحجاز - ضد عائض بن مرعي في عسير، وكان تاميزيه أميناً لسر رئيس أطباء الحملة، وقد قدم وصفاً مفيداً لمختلف الأقاليم التي مرت عليها حملة أحمد باشا، ابتداء من جدة ومروراً بالطائف، وبيشه، وخميس مشيط، ومناظر[2]، وللمشتركين في هذه الحرب، أحمد باشا وعائض بن مرعي وحاكم أبو عريش، كما وصف جيوشهم وأشار إلى القسوة التي كانت تتبعها قوات محمد علي ضد أهل عسير.

بالاستناد إلى المعلومات السابقة مضافاً إليها تقريران كان قنصل فرنسا في جدة قد حصل عليهما من أحد رفاق أبي نقطة في القتال، بذل جومار « Jamard » قصارى جهده لوضع خريطة لعسير، وكتب بحثاً عن تلك البلاد، أورد فيه قائمة بأسماء جميع الأقاليم والقبائل والمدن والقرى والينابيع والسيول والجبال في عسير مرتبة ترتيباً هجائياً[3].

وفي عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م وصل إلى جدة ضابطان من هيئة أركاب الحرب الفرنسية، كانت الحكومة قد أرسلتهما إلى بلاد الحبشة، فقدّرا أن من المفيد لهما أن يمكثا لمدة شهر في جدة حتى يتكمنا من الاستفادة من بعض الفرنسيين الموجودين فيها، والذين تمكنوا من جمع

---

(١) أنظر: د. عبد الفتاح أبو علية، مصادر تاريخ البلاد السعودية، ص ٤٢٧.

(٢) مناظر: هي مدينة أبها حالياً، كانت أسمها في السابق مناظر: وهو اسم حي من أحياء أبها القديمة، ومن الجدير بالذكر أن تسمية أبها قديمة جداً حيث ذكرها الهمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب، مما يدل على أن تسمية أبها هي المعروفة منذ القرن الثالث الهجري ».
أنظر، الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٥٧

(٣) جاكلين بيرين، المصدر السابق، ص ٢٦٩

معلومات عن منطقة عسير خلال اقامتهم في جدة. وقد تحقق لهما ذلك وتمكنا في عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م من نشر خريطة لعسير ودراسة تحليلية ممتازة عن الأماكن والقبائل فيها، وذلك في مؤلفهما عن بلاد الحبشة[١]. وتعد جاكلين[٢] بيرين كتابات الأوربيين عن عسير بأنها اكتشافات جديدة وترى أن جهودهم تلك قد أدت إلى اكتشاف منطقة جهلها الجغرافيون القدماء والمعاصرون.

ومما قام به المؤلفون الأجانب من جهود علمية تخص عسير تلك الخريطة التي وضعها لاروك[٣] « Laroque » في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي، حيث رسم خريطة تقريبية لحدود اليمن يمر خط الحدود فيها إلى الجنوب من «حلى» وفيها أصبحت حلى و«السرين» خارج حدود اليمن. وبناء على هذه الخريطة فإنه لا يوجد أي أقليم يفصل بين اليمن والحجاز.

ولم يستطع نيبور أن يرسم خطاً حدودياً تقريبياً بين الحجاز واليمن في المنطقة الجبلية، أما أقليم أبو عريش المستقل والذي يتبع أمام صنعاء اسميا فقد ذكر نيبور أن حدوده تمتد في الشمال إلى عتود، وتبدأ حدود الحجاز من حلى، أما المنطقة الواقعة بين عتود وحلى فهى تتكون من أمارة صغيرة شبه مستقلة[٤].

وفي النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي دلت كتابات تاميسيه على أن الحدود بين الحجاز وبين

---

(١) جاكلين بيرين، المصدر السابق، ص ٢٧٠.

(٢) جاكلين بيرين، نفسه، ٢٧١.

(٣) La royue: Voyaye de L'Aradie Heurease, Amsterdam

انظر، محمد أبو العلا، أقليم عسير، من منشورات معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة، ص ٩١.

(٤) محمد أبو العلا، المرجع السابق، ص ٨٩.

اليمن تختلف بين السراة وتهامة، ففي تهامة تعد حلي هي الحد بين الحجاز وبين اليمن، وفي الجبال إلى الشمال من قبيلة بلسمر مباشرة، أما بيشه فلم تدخل لا في الحجاز ولا في اليمن بل ظلت أقليماً منفرداً بذاته(١).

أما الحكومة البريطانية فقد أهتمت بعسير إهتماماً كبيراً، يوازى إهتمامها بكل مناطق الجزيرة العربية، وبلغ إهتمامها ذروته عندما كلفت القسم الجغرافي في المخابرات البحرية البريطانية بإعداد بحث عن عسير، يشمل موقعها وتضاريسها وسكانها والحالة الاجتماعية فيها ليخرج ولأول مرة بحث دقيق شامل عن منطقة عسير. وكان أكثر مايلفت النظر في ذلك البحث تلك الخريطة التي رسمت لقبائل عسير، والتي كانت في غاية الدقة والشمول، حيث كانت حدود القبائل وامتداد منطقة عسير دقيقة بشكل كبير(٢).

ومن الملفت للنظر في ذلك البحث أنه يوضح حدود قبيلة عسير بالنسبة لبقية قبائل أقليم عسير، كما يوضح الامتداد الطبيعي والتاريخي لأقليم عسير. ويشير المصدر إلى أن عسير كانت تعرف آنذاك بالمنطقة الغربية من الجزيرة العربية جنوبي الحجاز، وتقع بين الحجاز واليمن. مع التنبيه إلى أن أسم عسير يقتصر على التلال الرئيسية والمنطقة التي تنتشر فيها أربع قبائل رئيسية هي : بني مغيد، وبنى مالك، وعلكم وربيعة ورفيدة. يسكن جميعهم حول العاصمة أبها بمسافات متفاوتة، وحتى ذلك الحين لا تعرف تلك القبائل حدوداً معروفة وثابتة لعسير(٣).

---

(١) Tamisir, M. 1800, op. Cit, p. 135.

(٢) Geoyrphical Section of the naval. Tntelliyerce Division, Naval staff,Admiralty, Ahand booh of Arabia, Vol. L., p. 130

(٣) Ibid., p. 128

لكن المصدر يرى أنه من الأنسب والأسهل تحديد عسير بالمنطقة الـواقعة بـين الحجاز وبـين اليمن. من الخط الـواصـل الليث جنـوب الحجـاز إلى الخط الشمالي لحـدود أمام اليمن (حـوالي خط عـرض ١٥ ١٧ شمـالاً). بالإضافة إلى النـطاق البحـري حتى خط عـرض ١٦° شمـالاً. وفي نفس الوقت يصعب تمييـز حدودهـا إلى الشرق من نطاق البحر الأحمر. كـما يصعب تمييز حـدودها بـين الحجاز ونجـد، وأما في الجنوب فتتطابق حدودها مع الحدود الجنوبية لقبائل يام تقريباً[١].

حدود عسير في الكتابات المحلية :

يطلق اسم « عسير » على الجهة الغربية من بلاد العرب الـواقعة إلى جنـوب الحجـاز وشـمال اليمن. وقـد كـان هـذا القسم في العهـد العثماني غير محدد تحديداً واضحاً. فمع أن العثمانيين قد كوّنوا متصرفية عسير وجعلوها تـابعة لـولاية اليمن في تنـظيماتهم الادارية في الجزيـرة العربية فقد كان أشراف الحجاز يدّعون تبعية بعض المنـاطق العسيريـة المجـاورة للحجاز، كـما كان أمـراء نجد أيضـاً يـدّعـون ملكيـة بعض المناطق العسيرية من الجهة الشرقية[٢].

وقد اختلفت الروايات المحلية في تحديد عسير. فمنها ما اكتفت بحدود القبيلة الأصلية، فهناك رواية فؤاد حمزة التي تقول[٣] : إن بلاد القبيلة المعـروفة بـاسم عسـير تتـألف من الجبـال والأوديـة والسهـوب الـواقعة بـين أعلى السراة (سراة الأزد) في الغـرب وبـلاد شهـران في الشرق وبلاد قحطان في الجنوب، وبلحمر وبلسمر في الشمال، وبعبارة

---

(١) Ibid., p. 128.

(٢) حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، الطبعة الخامسة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٦٧م، ص ٣٣

(٣) فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٩.

أخرى هي بلاد واقعة بين جبل تمنية وعقبة القرون ووادي ركان الممتد إلى الحقو فالبحر من جهة الجنوب، وبلاد بنى شعبة وربيعة اليمن ورجال ألمع ووادى حلى من جهة الغرب، وعقبة شعار ووادى تية والسهب الممتد إلى بلاد بلحمر من الشمال، وسلسلة الهضاب والسهوب المتصلة ببلاد شهران من الشرق[1] ». ونلاحظ مما أورده أن تحديده لعسير مبنى على أساس حدود قبيلة عسير ولم يدخل بقية الأقليم في حدودها.

ويقترب من رأى فؤاد حمزة، هاشم النعمي حيث يقول[2]: « يطلق أسم عسير على مجموعة جبال شامخة الذرا مترامية الأطراف تتخللها أودية وشعاب وعرة المسالك ملتوية المآتى خصبة التربة مملوءة السكان يحدها شمالاً بلاد بلحمر ومحايل وجنوباً بلاد قحطان، ودرب بنى شعبة، وشرقاً بلاد شهران وغربا ساحل البحر الأحمر ». ثم يستطرد قائلاً[3]: « وتشكل مجموعة هذه القبائل في حدودها الجغرافية مسافة تمتد من بلاد بنى عمرو وبنى شهر حتى ظهران فنجران جنوباً المحاذية للمملكة اليمنية، ومن الغرب إلى الشرق مابين تهامة كنانة المحاذية للبحر الأحمر فسواحل القحمة حتّى تثليث فرمال الربع الخالي ». فهاشم النعمي يحدّد أولاً عسير القبيلة، ثم يضيف إليها مناطق يرى أنها تتبعها إدارياً وليست من عسير ولكنها متحالفة مع عسير وتشترك معها في السرّاء والضرّاء، ولم يحاول النعمي أن يحدد عسير تحديداً جغرافياً ثابتاً، بل حدّدها تحديداً إدارياً وقبلياً.

---

(١) كل المواضع التي ذكرها فؤاد حمزة معروفة معرفة تامة وتقع على حدود قبيلة عسير، ونظراً لكثرتها فإننا نكتفي بكلام فؤاد حمزة ونعتبره تعريفاً لها لكونه ذكر موقعها من قبيلة عسير.

(٢) هاشم سعيد النعمي، تاريخ في عسير في الماضي والحاضر، الجزء الأول، والثاني والثالث (بدون ت)، ص ٤.

(٣) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٤.

ومما يدعم الرأي القائل بأن هناك تحديدين لعسير ماذكره الشيخ محمد بن عبدالله بن عبدالقادر الأحسائى حيث يقول:[1] «مقاطعة عسير تمتد من زهران إلى ظهران، وقيل إنها من التيّة ـ وهي عقبة مشهورة ـ شمالا إلى تمنية جنوبا ـ وهو جبل عظيم ـ». فقد ذكر أولا تحديد إقليم عسير بينما ذكر ثانيا حدود قبيلة عسير التي أطلق اسمها على الاقليم بكامله فيما بعد.

وهناك مؤلفات أخرى تذهب بعيداً بحدود عسير، فحدّدها البركاتى[2] كالآتي: « يحدّها من جهة الجبل جنوبا صعدة[3]، ومن جهة الشمال بالجبل زهران. ومن جهة تهامة يحدها جنوبا وادي أبو عريش وشمالا وادى دوقة[4] بالقرب من الليث. ومن الشرق قبائل قحطان شرقي صعداً. ومن جهة الشمال شرقاً وادى بيشة ومن جهة الغرب البحر الأحمر». وعلى الرغم من أن البركاتي من أشراف مكة وألف كتابه لحساب شريفها وممجدا لأعماله، الا أنه ذهب بحدود عسير بعيدا في ناحية الشمال فأدخل مناطق كان أمير مكة يعتبرها من الحجاز، أدخلها في عسير واعتبرها من ضمن حدودها، وعدّد مناطق عسير كالاتي[5]: «قضاء النماص» قضاء غامد، قضاء رجال ألمع،

---

(١) محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر الإحسائى، تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء في القديم والجديد، أشرف على طبعه وعلّق عليه حمد الجاسر، القسم الأول، الطبعة الأولى، الرياض ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م، ص ٢١٩، ٢٢٠.

(٢) شرف بن عبدالمحسن البركاتي، الرحلة اليمانية، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت (بدون تاريخ)، ص ١٢٨.

(٣) صعدة: بلدة في اليمن تقع في بلاد خولان وكانت تسمى في الجاهلية جماع ـ الهمداني، المصدر السابق، ص ٩٨.

(٤) دوقة: هو واد مشهور وهو سابع مرحلة من مكة، وهو واد خصب التربة يزرع فيه الذرة والدخن والسمسم والقطن، وله مرفا باسمه ترسل عن طريقه البضائع ـ البركاتى، المصدر السابق، ص ١٩.

(٥) شرف بن عبدالمحسن البركاتي، نفسه. ص ١٢٢ ـ ١٢٦.

قضاء محايل، قضاء القنفذة، قضاء صبيا» فنلاحظ أنّ البركاتي يدخل بلاد غامد وزهران ضمن عسير رغم اهتمام الحجاز بها، على الرغم من قيام عدد من المنازعات بين عسير وبين الحجاز في عهد الأتراك. وعلى كل فسنستعرض كافة الآراء التي دارت حول حدود عسير الشمالية عند حديثنا عن الحدود الشمالية لعسير، كما سنذكر المنازعات بين عسير وبين الحجاز حول بلاد غامد وزهران عند الحديث عن العلاقة بين عسير وبين الحجاز ـ ان شاء الله ـ.

ويذهب ابن مسفر[1] في تحديد حدود عسير بعيدا حيث يقول: «تبتدىء بلاد عسير شمالا من الليث فبلاد زهران وشمران إلى حدود وادى رنية. وجنوبا من ميناء الحديدة والمخا فبلاد رزاح ووادعة إلى سحار الشام فبلاد همدان وصعدة وحاشد، وتنتهي في الجنوب الشرقي بوادى الفرع ووادى صلة، وشرقاً وادى الدواسر إلى ماء عقيلان فحدود بيشة، وغربا البحر الأحمر».

ويحدد حسن بن أحمد اليمني[2] عسير بقوله: «هي منتهى غامد وزهران إلى غاية بيشة إلى أطراف صبيا إلى حلى بن يعقوب وتلك النواحي». وتحديده هذا يقوم على أساس المناطق التي كانت خاضعة لمحمد بن عايض آنذاك، أي على أساس تاريخي لا جغرافي.

وكل ما سلف ذكره يعد أمثلة تبين كيف اختلفت الآراء أشد الاختلاف حول تعريف «عسير» وتحديده كقسم من أقسام شبه الجزيرة العربية حيث تباينت وجهات النظر فيه، كما اختلفت أهدافها، فقد

---

(١) عبدالله بن علي بن مسفر، أخبار عسير، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص ١٣.

(٢) حسن بن أحمد اليمني، الدُّر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين محمد بن عايض، تحقيق عبدالله بن حميد، دار الفكر بدمشق، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨، ص ٦٢.

جاء بعضها يعبر عن وجهة نظر توزيع السكان والقبائل والأنساب، وجاء بعضها مبني على أساس تاريخي، وكان لوجهة النظر الجغرافية نصيبها أيضا منها سواء من ناحية تحديد الموقع العام أو بناء على التمايز الطبيعي للمنطقة عن غيرها أو تميزها في حدّ ذاتها. لكننا نرى اتجاهين عامين يطغيان على غيرهما عند الحديث عن حدود عسير هما:

الاتجاه الأول: هو تحديد عسير القبيلة وهذا ما ذهب إليه فؤاد حمزة وهاشم النعمى، وعلى هذا فحدود عسير لا تتعدى بلاد بلحمر وبلسمر شمالا.

الاتجاه الثاني: هو تحديد عسير على أساس تاريخي، وفي هذه الحالة تختلف الحدود تبعا لا تساع رقعة هذه المنطقة في الماضي أو إنكماشها تبعا للظروف القائمة آنذاك. ويشترك في تحديد عسير على أساس تاريخي مجموعة من المؤرخين كابن مسفر والحسن بن أحمد اليمني والبركاتي، والخريطة التي أعدّها قسم الاستخبارات البريطانية والخريطة التركية التي رسمها عاطف باشا.

وإني أميل إلى الرأي الثاني الذي يعتبر عسير منطقة واقليماً واسعاً قامت في البداية عن طريق وحدة سياسية ثم احتفظت بتسمية شاملة لكل المناطق التي تم توحيدها في فترة من فترات التاريخ، وذلك للأسباب التالية:

١ ـ الطبيعة الجغرافية الواحدة في الإقليم، وهذا ما جعله إقليماً متميّزاً عن غيره من أجزاء الجزيرة العربية عموما. وسيأتي الحديث عن الناحية الجغرافية لعسير.

٢ ـ كون هذا الإقليم قد أثبت أهميته واستقلاليته أثناء خضوع الجزيرة العربية للدولة العثمانية، فلم يسع الدولة العثمانية إلا تصنيفه كاقليم مستقل عن الحجاز وعن اليمن، بل جعلت مناطق كانت

تابعة للحجاز تابعة لعسير مثل مناطق غامد وزهران. ويعود ذلك إلى ادراك الأتراك لتميز هـذا الإقليم وانسجامـه كوحـدة واحدة، بدلا من تجزئته بين الحجاز واليمن.

٣ - كون عسير عاشت فترة تاريخية ليست بالقصير تتمتع بوحدة شاملة لهذه الحدود فقد حكمها أمـراء آل عائض من عـام ١٢٤٩هـ إلى عام ١٢٨٩هـ دون أن يواجهـوا أية مقـاومة داخليـة مما يـدل على وجود انسجام بين كافـة أجزاء هـذا الإقليم وسيأتي الحـديث عن ذلك أثناء حديثنا عن القسم السياسى من هذا البحث.

٤ - لأن هـذا الرأي رأي أغلبيـة المؤرخين المحليّين الـذين كتبـوا عن عسـير سواء أكـانوا أتـراكا[١] أم أوربيـين[٢] ولا شك أن آراءهم هذه لم تأت من فراغ وانما كانت ترجمـة لواقـع شاهـدوه وعايشـوه فهى الحقيقة التي لا يمكننا تجاهلها.

ومـع ذلك فنحن نجـد من يحـاول أن يـوجـد تسمية جـديـدة للمنطقة تكون بدلا عن عسير ومن ذلك ماذكره الدكتور عمـر الفاروق السيد[٣] رجب من أن هناك دراسـة صدرت عن قسم السراة الجنـوبي عام ١٩٧٣م، ومؤلف هذه الدراسة يدخل السراة كلهـا في عسير مميـزاً الأخـيرة عامـة عن الحجاز، ثم يحـدد أصـل تسميـة عسـير بـأنها اسم القبـائـل التي كـانت تعيش - ومـا تـزال - في وحـول أبهـا مـع انتشـار لا يتجاوز ٥٠ كم في أي اتجاه منها. ومن الناحية الإدارية فـإن منطقـة

---

(١) يظهر رأي الأتراك جليا من خلال الخريـطة التي رسمها عـاطف باشـا عن اليمن وعسير والحجاز.

(٢) انظر الخريطة التي رسمتها الاستخبارات البحرية البريطانية. وقـد أوردت رسما لهـا نقلا عن: عبدالفتاح أبو علية، الاصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز، ص ٨١.

(٣) عمر الفاروق السيد رجب، الحجاز المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية. الطبعـة الأولى، دار الشروق، جدة، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص ٦٧، ٦٨.

عسير قد تجاوزت حدودها بكثير، ويرى أن اطلاق تسمية عسير على تلك المنطقة الجغرافية المعروفة بها الآن ما هى إلا نوع من التعميم الخاطىء للتسمية الإدارية، ويضيف المؤلف إلى ذلك أن خريطة أرامكو الواسعة الانتشار للمملكة قد وقعت في الخطأ نفسه مما ساهم في ذيوعه وانتشاره عالميا وبالتالي إلى حجب التسمية الأصلية للمنطقة جغرافيا وهي السراة تمييزاً لها عن الحجاز. ويقرر مغرم أنه في كثير من الكتابات المعاصرة عن شبه الجزيرة عامة والمملكة خاصة يشيع اطلاق تسمية عسير على منطقة الجبال جنوبي الطائف، غير أنه يرى أن تسمية «السراة» أدق من عسير لهذه المنطقة.

ولكننا لا نوافق الدكتور مغرم على تسمية منطقة عسير بالسراة لأسباب منها ما تقدم ذكره ومنها ما سنذكره الآن ويمكن تلخيصها في:

١ ـ لأن السراة تشمل أقساما متعددة ذكرها الجغرافيون المسلمون وتلك الأقسام هي: «سراة عنز وسراة الحجر بن الهنو بن الأزد ثم يتلوها سراة غامد ثم سراة دوس ثم سراة فهم وعدوان ثم سراة الطائف[١]».
وبما أن أقصى امتداد لعسير هو سراة دوس ـ كما سيأتي الحديث عن ذلك ـ فإنه يبقى بعدها شمالاً سراتان هما: سراة فهم وعدوان وسراة الطائف وهما من الحجاز فمن هذه الناحية لم تكن تسمية عسير بالسراة تسمية دقيقة وعلمية لأنها تدخل مناطق ليست من عسير وتعتبرها منها حسب هذه التسمية.

٢ ـ ثم ان لفظ السراة لغة «سراة كل شيء أعلاه وظهره ووسطه ومنه الحديث «فمسح سراة البعير وذفراه». وسراة النهار وغيرها

(١) الحسن الهمداني، المصدر السابق، ص ٢٥٨.

ارتفاعه. والسراة جبل بناحية الطائف قال حمد الجاسر[1]: «الطود الجبل المشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء، يقال له السراة فأوله سراة ثقيف ثم سراة فهم وعدوان ثم الازد ثم الحجر آخر ذلك - وفي معجم البلدان: السراة سراة الفرس أعلى متنه جمعه سروات، وقال الأصمعي: الطود جبل مشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء يقال له السراة، وإنما سمى بذلك لعلوه وسراة كل شيء ظهره». فمما سبق يظهر لنا جليا أن السراة تعني المرتفعات الممتدة من اليمن إلى الشام دون تمييز لإقليم دون آخر فتشمل أجزاء من اليمن وعسير والحجاز، ومن هنا فهى لا تصلح تسمية لمنطقة عسير الحالية.

٣ - ثم أن الهمداني يقول ما نصه[2]: «وبلاد العرب على خمس أقسام: تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن، وذلك أن جبل السراة وهو أعظم جبال العرب وأذكرها أقبل من قعرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادى الشام فسمّته العرب حجازا لأنه حجز بين نجد وهو ظاهر فصار ماخلف ذلك الجبل في غربيه إلى أسياف البحر تهامة وصار الجبل نفسه سراته وهو الحجاز». ويظهر لنا من كلام الهمداني أن السروات لا تعني سوى الجبل الممتد من اليمن حتى بوادى الشام دون ما احتجز في غربى الجبل ويكون تهامة، واحتجز في شرقية ويكّون نجد. فالسراة تعني الجبل فقط ولا تشمل تهامة عسير التي تمتد من الليث إلى الحديدة على أرجح الأقوال. كما أنها لا تشمل المناطق الشرقية من اقليم عسير الممتدة شرقاً إلى بيشة وتثليث ووادي الدواسر ورنية، بناء عليه فإن

---

(١) حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران، دار اليمامة، الرياض، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م ص ٣٥٤.

(٢) الحسن الهمداني، نفسه، ٣٥٧.

تسمية السروات لا تغطي المنطقة التي يطلق عليها اسم عسير في الوقت الحاضر أو عبر القرن الماضي.

٤ ـ إن هذه السروات التي سبق ذكرها تغيّرت أسماؤها الآن وتداخل سكانها وأصبح المشهور المعروف منها: سراة ثقيف، وسراة بني مالك، وسراة غامد وزهران، وسراة الحجر، وسراة عسير[١].
ومن هنا فإنه نظراً لهذا الأقسام الحديثة للسروات التي ذكرها الشيخ حمد الجاسر وامتدادها الحالي فإنها لا تصلح أن يسمّى بها إقليم عسير لأن جزءاً كبيراً منها يدخل ضمن حدود إقليم الحجاز، فليس من الدقة بمكان أن نتجاهل سراة ثقيف وسراة بني مالك من بجلية وهما حجازيتان. كما أن الحجاز وعسير لا تقتصران على السلسلة الجبلية بل إنهما يشملان مناطق تقع إلى الشرق إضافة إلى السهل الساحلي الممتد إلى الغرب من جبال السروات.

ويبدو أن هذا التحديد لكل من الحجاز وعسير وما اعتراه من تمييز قد استند أساساً على ماجاء في التقسيمات العثمانية القديمة في المنطقة والتى أستمرت شائعة حتى عقود متفاوتة خلال النصف الأول من هذا القرن، تلك التقسيمات التي أوجدت تسميات ادارية لمناطق معيّنة لم تكن شائعة في كتابات الجغرافيين المسلمين وغيرهم. ومن المعروف أن التقسيم الإداري عادة لا يصدر من فراغ بل هو يأتي غالباً تعبيراً عن حقائق سكانية واقتصادية وأحياناً طبيعية واضحة أو كامنة ولابدَ أن هذه الحقائق قد فرضت ضروراتها وقتذاك ومازالت حتى وقتنا الحاضر ومن هنا فإن مفهوم هذا التقسيم الإداري ورسوخه يعد بعداً لا يمكننا تجاهله.

---

(١) حمد الجاسر، المرجع السابق، ص ٣٥٧.

حدود عسير الشمالية :

إن المدقق في ماجاء في المصادر المحلية عن حدود عسير يجد كثيراً من جوانب الاختلاف فيها. وسنتناول هنا معرفة حدود عسير الشمالية وماعترى ذلك من اختلافات في المصادر التي تناولت هذا التحديد.

فقد اكتفى فؤاد[1] حمزة بتحديد عسير بناء على حدود قبيلة عسير فقط، ومن هنا جاءت حدودها الشمالية منتهية ببلاد بلحمر وبلسمر شمالاً. وحسب هذا الرأى فليست رجال أَلمع من قبيلة عسير ولذلك فلا حدود لعسير من جهة تهامة، لأنه حسب رأيه لا يوجد شيء من عسير في تهامة بل تنتهي حدودها رأس عقبة تيّة.

أما هاشم النعمي فيتفق مع هذا الاتجاه ولكنه يزيد عليه في أنه يضيف إلى قبيلة عسير بلاد رجال ألمع من جهة تهامة ولذلك فيحددها شمالاً ببلاد بلحمر وبلسمر من جهة الجبل، وبمحائل من جهة تهامة[2]. ثم يعود النعمي فيضيف إلى عسير مناطق تتبعها إداريا ولكنها ليست من أراضي قبيلة عسير، وعلى هذا فحدود عسير الشمالية نهاية بلاد بنى عمرو من جهة الجبل ونهاية بلاد بارق من جهة تهامة[3].

أما البركاتي[4] فيحدّد عسير شمالاً بجبل زهران من جهة السراة ووادي دوقة في تهامة وبيشة شمالاً من جهة الشرق، وهو يذكر هذه الحدود على أساس جغرافية عسير.

وفي الواقع أن تقسيمه هذا إنما كان أعتماداً على مايتبع عسير فعلا من قائمقاميات وهي شمالاً غامد وزهران من جهة الجبل، ومن

(١) فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص ٨٨.

(٢) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٤.

(٣) هاشم النعمي، نفسه، ص ٤.

(٤) شرف البركاتي، المصدر السابق، ص ١٢٨.

جهة الساحل قائمقامية القنفذة وذلك هم التقسيم الذي كان سائداً أيام الدولة العثمانية[1].

أما ابن مسفر[2] فانه يذهب قريباً من البركاتي حيث يحددها شمالاً بالليث من جهة تهامة وبلاد زهران وشمران من جهة الجبل إلى حدود وادي رنية من جهة الشمال الشرقي. وابن مسفر في تحديده هذا إنما يسير وفقاً لما وصلت إليه امارة آل عائض أيام قوتهم في عهدى عائض بن مرعى ومحمد بن عائض.

ويحدّد المؤرخ حسن بن أحمد اليمني[3] الذي كتب عن عهد محمد بن عائض عسير شمالاً بنهاية حدود غامد وزهران. ولاشك أن تقسيمه هذا يقوم على أساس ماوصلت إليه حدود عسير أيام محمد بن عائض.

وإذا ألقينا نظرة على خريطة قبائل عسير كما وزعتها السلطات البريطانية[4] عام ١٩١٦م نلاحظ أن أراضي قبائل عسير تمتد شمالاً إلى حدود أوسع مما أشار إليه هاشم سعيد النعمي. ونلاحظ من تحديد السلطات البريطانية للاقليم أنه يمتد إلى قبائل زهران وغامد وشمران وخثعم وبلقرن. وأن إعداد هذه الخريطة كان في أوائل القرن العشرين وهي الفترة الزمنية التي يدور حولها البحث. فيحدد كتاب دليل عسير الأقليم شمالاً من أراضي قبائل بني حسن وبني بركات

---

(١) عبد الواسع اليمني، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم، ط ٢، القاهرة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م، ص ٩٩

(٢) عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ٦٢

(٣) الحسن بن أحمد اليمني، المصدر السابق، ص ٦٢.

(٤) د. عبد الفتاح ابو علية، الاصلاح الإجتماعي في عهد الملك عبد العزيز طبع على نفقة وزراة التعليم العالي ـ المطابع الأهلية للأوفست، الرياض المملكة العربية السعودية ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص ٧٨.

وزهران وبلقرن، وإلى ديار بنى حسن وبني عبس وبني مروان عند بلدة حرض. وإلى وادي تثليث والربع الخالي والدواسر شرقاً وإلى البحر الأحمر غرباً.

يتضح لنا مما سبق ذكره مدى الإختلاف بين الكتاب المحليين حول حدود عسير مع الحجاز. وقد اختلف الذين كتبوا عن الحجاز أشد الاختلاف بالنسبة لحدود الحجاز الجنوبية، أي حدودها مع عسير فنجد الاختلاف والبون الشاسع في الآراء التي دارت حول هذا الموضوع يمكن تلخيص تلك الآراء في إتجاهين :-

الاتجاه الأول : يرى أصحاب هذا الاتجاه أن حدود الحجاز الجنوبية تتفق مع حدود هضبة اليمن الشمالية.

الاتجاه الثاني : يرى أنها لا تتجاوز خطاً يمتد جنوب الطائف فوق السلسلة إلى ساحل البحر الأحمر[1]. ولقد أستند الاتجاه الأول على الظاهرة الطبيعية وحدها في تحديده للحجاز، وذلك بغض النظر عن الاختلافات الأخرى المتصلة بالاختلافات العديدة من سكانية وإنتاجيّة وعمرانية. بينما أقام الرأى الثاني تحديده هذا على عدة اعتبارات أخرى تجاهلها أصحاب الاتجاه الأول وأستند على حقيقة وجود إختلافات أساسية إنتاجية وسكانية على طول السلسلة، هذه الاختلافات التي تبدأ في الوضوح بالاتجاه جنوباً مع السلسلة حيث يتجلى بوضوح الاختلاف بين ذلك القسم من السلسلة شمال الطائف عنه في جنوبها[2].

(١) عمر الفاروق السيد رجب، المرجع السابق، ص ٣٧، ٣٨

(٢) عمر الفاروق السيد رجب، نفسه، ص ٣٨، ٣٩.

وأستناداً على ماسبق ذكره بالنسبة لحدود عسير الشمالية فإنّنا نتوصل إلى الأمور الآتية :-

١ - إذا أخذنا حدود عسير بالمعنى الذي يعني عسير القبيلة عندها تكون حدود عسير من جهة الجبل بلسمر وبلحمر ومن جهة تهامة محايل. وهذا هو حد قبيلة عسير من جهة الشمال وليس حد أقليم عسير الواسع.

٢ - أما إن كان يعني تحديد عسير المنطقة فإن أقصى ماوصلت إليه شمالاً نهاية غامد وزهران من جهة الجبل، وعلى الساحل وتهامة الليث وربما شمالها قليلاً، وفي الشمال الشرقي وادي رنية. تلك هي حدود منطقة عسير من جهة الشمال، ولاشك أنها حدود منطقة عسير الواسعة وليس حدوداً لقبيلة عسير التي لا تحتل إلا مساحة محدودة تقع في الجنوب الغربي من منطقة عسير.

حدود عسير الجنوبية :

وكما وجدنا اختلافات حول حدود عسير الشمالية فإن خلافات حدودية أخرى بالنسبة لحدودها الجنوبية. فالذين يحدّدون عسير على أساس حدود القبيلة فقط يحددونها جنوباً ببلاد قحطان[1]. وهذا التحديد بناء على أن عسير لا تشمل سوى عسير السراة.

وهناك من يحدد عسير على أساس حدود القبيلة ولكنه يضيف إليها رجال ألمع الذين يمثلون نصف عسير، وعلى هذا تكون حدود عسير الجنوبية بلاد قحطان من جهة الجبل ودرب بني شعبة من جهة تهامة. ولكنه مع تحديده هذا للقبيلة يضيف لها مناطق تتبعها اداريا فيحددها جنوباً بظهران الجنوب ونجران الواقعتان على حدود

(١) فؤاد حمزه، المصدر السابق، ص ٨٨.

الجمهورية العربية اليمنية هذا من جهة الجبل، وسواحل القحمة من جهة تهامة [1].

أما البركاتي [2] فهو يدخل صبيا وقبائلها ضمن عسير، وكذلك يذهب بحدود عسير جنوباً من جهة الجبل حتى يصل بها إلى صعدة. فيحددها من جهة الجبل بصعدة ومن جهة تهامة وادي أبو عريش.

وهناك من يذهب بحدود عسير جنوباً مذهباً بعيداً حيث يحددها جنوباً مبتدئاً من جهة الساحل بـ (الحديدة والمخا فبلاد رزاح ووادعة إلى سحار الشام فبلاد همدان وصعدة وحاشد وتنتهي في الجنوب الشرقي بوادي الفرع ووادي صلة [3]).

أما أحمد اليمني [4] فأنه يحدد عسير جنوباً بأطراف صبيا. فيقوم تحديده هذا على أساس ماوصل إليه امتداد نفوذ محمد بن عائض في ابان قوته التي انتهت بقضاء الدولة العثمانية عليه عام ١٢٨٩ هـ.

ومما سبق نصل إلى الإستنتاج نفسه الذي وصلنا إليه عند الحديث عن الحدود الشمالية فحدود قبيلة عسير من الجنوب الشرقي لا تتعدى درب بني شعبة من جهة تهامة وحدود قبيلة قحطان من جهة السراة. أما حدود منطقة عسير أو أقليم عسير فهناك بعض الخلاف بين الكتّاب المحليّين فيها، ولكن على أي حال فاقصى ماذكر جنوباً هو الحديدة والمخا فبلاد رزاح ووادعة إلى سحار الشام فبلاد همدان وصعدة وحاشد. وقد يتوافق هذا التحديد مع ماجاء في الخريطة التي وضعتها السلطات البريطانية لاقليم عسير [5]. وهذا التحديد يتطابق

(١) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٤

(٢) شرف بن عبد المحسن البركاتي، المصدر السابق، ص ١٢٨

(٣) عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١١.

(٤) الحسن بن أحمد اليمني، المصدر السابق، ص ٦٢.

(٥) انظر عبد الفتاح ابو علية، المرجع السابق، ص ٨١.

تقريباً مع حدود اليمن والمملكة العربية السعودية حالياً ماعدا جهة الساحل حيث تنتهي الحدود السعودية قبل الحديدة، بينما يذهب بعض الكتاب المحليين بحدود عسير إلى جنوب الحديدة[١].

حدود عسير الشرقية والغربية :

لا يقل الخلاف على مسألة الحدود الشرقية لعسير عن الخلاف على مسألة الحدود الشمالية والجنوبية بحال من الأحوال، بخاصة وأنها لا توجد أية حدود واضحة تفصل عسير عن استبس وصحارى نجد[٢]. ومع ذلك فنحن حين نحاول تحديد الحدود الشرقية لعسير لا يسعنا إلا أن ننظر إلى المصادر المحلية التي تحدد عسير على أنها قبيلة، أو التي تحدد عسير على أنها منطقة وأقليم مستقل.

فأما من حدد عسير على أنها قبيلة فيحدّها شرقاً ببلاد شهران[٣].

أما من يحدد عسير كاقليم فأنهم يختلفون بعض الشيء عند حدودها الشرقية، فيحددها كل من البركاتي والحسن بن أحمد اليمني بوادي بيشة من جهة الشرق[٤]. أما ابن مسفر[٥] فيقول : « وتنتهي في الجنوب الشرقي بوادي الفرع ووادي صلة وشرقاً وادي الدواسر إلى

---

(١) انظر مجموعة الخرائط التي وردت في آخر الرسالة ص ٣٥٧.

(٢) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الرابع والعشرون، السنة السادسة، ذو القعدة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، تحت عنوان « عسير قبل الحرب العالمية الأولى، تأليف سير كناهان كورنوليس » عرض وتحليل د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، ص ١٦٩.

(٣) فؤاد حمزه، المصدر السابق، ص ٨٨.

(٤) شرف بن عبد المحسن البركاتي، المصدر السابق، ص ١٢٨.
- الحسن بن أحمد اليمني، المصدر السابق، ص ٦٢.

(٥) عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١١.

ماء (عقيلان[١]) فحدود بيشة .

أما خريطة السلطات البريطانية فتذهب في حدود عسير إلى أبعد من ذلك حيث تحدد شرقاً بتثليث ووادي الدواسر وبيشه[٢] .

وعلى كل فحدود عسير ليست واضحة بخاصة من جهة الشرق بسبب وجود صحراء الربع الخالي التي تقع إلى الشرق من عسير، والتحديدات السابقة معظمها يقوم على الناحية التاريخية سواء بالنسبة لامتداد نفوذ أمراء عسير في الماضي أو المتصرف العثماني في عسير في أواخر القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي .

أما حدود عسير الغربية فهي أكثر الجهات وضوحاً حيث معظم المصادر المحليّة تحدد عسير غربا بالبحر الأحمر سواء طالت هذه الحدود أم قصرت على حسب تحديد المصدر لها من الشمال إلى الجنوب، كما سبق توضيح مواقف تلك المصادر عند الحديث عن الحدود الشمالية والجنوبية[٣] . ما عدا فؤاد[٤] حمزه فإنه عند تحديده لعسير يقتصر على حدود قبيلة عسير السراة. فيحددها غربا ببلاد رجال ألمع التي هي في الواقع تمثل أكثر من نصف عسير، ولكن فؤاد حمزه لا يعتبرها من عسير. وبذلك لا يكون لقبيلة عسير في رأيه ـ أية موانيء على البحر الأحمر.

ومهما تكن الإختلافات حول حدود عسير، فإنّ عسير كأي جزء من أجزاء الجزيرة العربية توجد لها نقاط محددة تنتهي عندها حدودها

---

(١) ماء عقيلان : من موارد العقالية من مطير، بمنطقة عفيف.
أنظر : حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ق ٢ منشورات دار اليمامة، الرياض (بدون ت) ص ٨٤١.

(٢) Hard book of Asir, Arad Bureau, Cairo, 1916, India office No. T. 21500 .p. 8.

(٣) انظر هاشم النعمى، المصدر السابق، ص٤ .

(٤) فؤاد حمزة، المصدر السابق ص٨٨.

إلا من الجهة الغربية حيث البحر الأحمر، أما جهات الشمال والشرق فإنها توجد مناطق واسعة تعتبر إنتقالية بين عسير وكل من اليمن والحجاز ونجد نظرا لتشابه الظروف المناخية والسكانية والإنتاجية والطبيعية، في تلك المنطقة التي تقع بين عسير ونجد وكذلك بين عسير والحجاز أو عسير واليمن فالحدود لا تنتهي بشكل صارم عند نقطة من النقط، بل لابد من وجود تلك المنطقة الإنتقالية نظراً لتشابه الظروف على حدود الإقليمين.

مظاهر السطح في عسير:

الآن وبعد أن تحدثنا عن حدود عسير وامتدادها الجغرافي لابد أن نعرف شيئاً عن مظاهر السطح في تلك المنطقة التي هي مدار الدراسة. ودراستنا عن السطح الغرض منها عرض فكرة عامة عن سطح المنطقة التي دارت عليها الأحداث.

تنقسم عسير إلى قسمين كبيرين هما:

١ ـ تهامة عسير.

٢ ـ جبال السراة، والمنطقة الداخلية.

أولاً: تهامة عسير:

هي المنطقة الساحلية الواقعة بين جبال السروات العالية وبين البحر الأحمر وتهامة عسير وإن كانت تتميّز بسطحها المنخفض خاصة بالقرب من الساحل فإنها في الداخل أي في المناطقة البعيدة عن الساحل توجد بها جبال مرتفعة عرفت بجبال تهامة، وإن كان الكثير منها عالياً، إلا أنها لا تصل في ارتفاعها إلى جبال السراة، كما أنها

تختلف عن جبال السراة[1] في أنها غير متصلة لكثرة الأودية العميقة التي تفصل بينها.

وتتوزّع مظاهر السطح في تهامة عسير إلى:

(أ) جبال تهامة:

تكونت هذه الجبال نتيجة لأن الحائط الجبلي لا يتشكل من إنكسار واحد في كلّ الجهات، بل أحيانا من عدة انكسارات متتالية تجعل الجبال ترتفع نحو الداخل على شكل درجات. وتبدو هذه الظاهرة بوضوح في جنوب عسير إلى الشرق من صبيا حيث تكثر القمم الجبلية عنها في الشمال[2].

ففي الجزء الجنوبي من تهامة ترتفع قمم جبال رئيسية ثلاثة هي: فيفا وبني مالك والريث، هذا إلى جانب الكثير من القمم الجبلية الأخرى التي تقترب منها وأبعد هذه الجبال الثلاثة جنوباً هي جبال فيفا، وإلى الشمال منها تقع جبال بني مالك وهي أكثر ارتفاعاً من فيفا، وإلى الشمال من جبال بني مالك تمتد المجموعة الجبلية الثالثة التي تكمل النطاق الجبلي بالمنطقة. وكل هذه الجبال من المناطق السكنية المزدحمة والمليئة بالمدرجات الزراعية[3].

وإلى الشمال من القمم الجبليّة الثلاث السابقة، توجد منطقة رجال ألمع، وتوجد بها عدة جبال عالية أهمها: جبل قيس، ويقع مابين وادي كسان ووادي حسوة وهو ذلك الجبل المترامي الأطراف الكثير السكان الخصب التربة الوعر المسالك. يمتد طولا من الشمال من رأس

---

(١) انظر هاشم النعمى، المصدر السابق، ص٣٠، ٣١.
عبدالله بن مسفر، المصدر السابق، ص١١.

(٢) محمد أبو العلا، المرجع السابق، ص١٠٦.

(٣) The Sigar, Walter, A Jowney through the Tihama, the Aair and the Hijas Mountains, Geag. Jour., vol. 110, April, 1948, pp. 188-200.

قمة الشرفة[1] متجها جنوبا حتى ينتهي برأس قمة صلب المطلة على وادي العائنة. [2] وتبلغ مساحته طولاً حوالي خمسة وعشرين كيلو متراً، ويبلغ ارتفاعه حوالي ألفي قدم. وأغلب سكانه من قيس بن مسعود وبني جونة وبني بكر. ولأهله عناية فائقة ببناء البيوت وتنسيقها، وتصل إلى خمسة أدوار[3].

ويقابل جبل قيس في الإتجاه الشمالي الغربي، جبل يمتد من الجنوب من رأس فقوة حتى ينتهي بقمة فخر المطلة على رقعاء[4] من الشمال، وأعلى قمة فيه تسمى (غمرة) ويبلغ ارتفاعها حوالي ألفين وخمسمائة قدم عن سطح البحر، وساكنوه من ألمع من قحطان ويطلق عليهم شحب، وتقوم على قمته وفي سفوحه ما يقرب من خمسة وعشرين قرية عامرة[5].

ويوجد إلى الشمال من منطقة رجال ألمع وجبالها مناطق سهلية ذات أراض زراعية وغنية، وذلك جهات بني ثوعة، ومحائل، وتيّة وشمالها[6].

وإلى الشمال من المناطق السهلية الخصبة توجد عدة جبال أهمها: جبل هادا: ويقع في تهامة بلسمر ويسكنه بنو منبح تهامة. ويدعون بنو معتب، وهم ست عشائر، ويزرع فيه مختلف أنواع

---

(١) الشرفة: جبل مشهور يقع في بلاد رجال ألمع، وعند سفحه تقع الشعبين حاضرة تلك المنطقة.

(٢) العائنة: منطقة في ألمع اليمن، تشتهر بوجود المراعي الطبيعية للأبقار والأغنام.

(٣) هشام النعمى، المصدر السابق، ص٣٠.

(٤) فخر، وفقوة، ورقعاء كلها أسماء مواضع في بلاد رجال ألمع عسير.

(٥) هاشم النعمى، المصدر السابق، ص٣١.

(٦) هاشم النعمى، نفسه، ص٣١.

المزروعات والرياحين والفواكه[1].

وإلى الشمال من هادا جبل (ضرم)، الذي يقع في تهامة بلسمر، ويسكنه آل سعد من بلسمر تهامة، ويقع في غربه مركز خميس مطير الإداري، ويبلغ إرتفاعه حوالي ٢٢٠٠ متراً وهو وعر المسالك كثير الحاصلات الزراعية والأشجار المنوعة والفواكه والرياحين[2]. وإلى الشمال يوجد جبل (أثرب)، وهو من جبال تهامة بني شهر، ويقع في شمال بلاد بارق، ويسكن هذا الجبال أعداد كبيرة من السكان ويرتفع عن سطح البحر بنحو ١٨٥٠ متراً. وإلى الشمال منه يوجد جبل (ثربان)، وهو من أعظم الجبال في المملكة العربية السعودية، من حيث الاتساع والإرتفاع وكثرة السكان. ويقع في شماله وغربه بعض قبائل بالقرن تهامة، وفي شرقه وجنوبه بعض قبائل بني شهر تهامة. ويقع في الشمال الغربي لبلاد بني شهر تهامة، ويشتهر بكثرة العيون الجارية، والمزارع والكهوف التي يستخدمها السكان منازل لهم[3].

(ب) أوديــة تهامــة:

تعتمد حياة المزارعين على الأودية التي تجرى في سهول تهامة الكثيرة، فإذا لم يفض واد من الأودية تحوّل سكانه إلى واد آخر تكثرفيه المياه. وأودية تهامة كثيرة ومنتشرة من الجنوب إلى الشمال، وتصب كلها في البحر الأحمر. وأهم أودية تهامة عسير وادي بيش الذي تجرى المياه في واديه مرتين في العام مرة في الخريف وأواخر الصيف، ومرة في الشتاء، إلا أن مثل هذا الفيضان كثيرة التذبذب ولا يمكن الاعتماد

---

(١) عمر غرامة العمروى، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، جـ٣، دار اليمامة للطباعة، الرياض ١٣٩٧هـ، ص٦.

(٢) عمر غرامة العمروى، المرجع السابق، ص١٢.

(٣) عمر غرامة العمروى، نفسه، ص٦، ٨.

عليه. وفي الأراضي الفيضية تزرع الذرة وهي الغذاء الرئيسي للسكان، كما أن سيقان الذرة تستخدم علفا للحيوان[1]. كما يوجد وادي ضلع، ووادي عتود، ووادي بيض، وكلها أودية هامة وكبيرة وتقع إلى الجنوب من بلاد رجال ألمع[2].

وإلى الشمال من وادي بيش توجد منطقة رجال ألمع وبها أودية كثيرة أهمها: وادي حسوة، ويمتد من رأس عقبة القرون ويصب في وادي مربة ثم منه إلى وادي عتود ويليه من الشمال الغربي أودية كسان وريم وما فيها من رجال ألمع وتمتد إلى الجنوب الغربي حتى تصب بميناء الشقيق فالبحر الأحمر وتقوم عليها الكثير من القرى المأهولة بالسكان[3]. ويلي وادي كسان من الشمال وادي حلى ومآتيه من قمة جبال تهلل حتى ينتهي بوادي حلى بن يعقوب ثم منه إلى البحر الأحمر، ويرفده ما يزيد على ثلاثين وادياً دونه في الإتساع. وتقوم على ضفافه أكثر من ثمان وأربعين قرية عامرة[4].

ويلي وادي حلى من الشمال وادي تيّه، وتقع على رأسه عقبة شعار وقلعتها ومآتيه من قمم جبال عسير السراة منحدراً إلى تهامة حتى يصب في أعلى وادي حلى وترفده روافد عديدة وهامة، وعلى ضفتيه الكثير من القرى العامرة. وإلى الشمال من وادي تيّه وادي مرة، ومآتيه من قمم جبال بلسمر وبلحمر. وإلى الشمال من وادي مرّه وادي نعص ويأتي من قمم جبال تنومة منحدراً إلى تهامة حتى يصب في وادي بقرة. ويليه من الشمال وادي بقرة، ومآتيه من رأس عقبة ساقين المطلة على

---

(١) د. محمود طه، جغرافية شبه جزيرة العرب، الجزء الثاني، ط٣ مؤسسة سجل العرب، ١٩٧٥م، ص٥٦، ٥٧.

(٢) فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص٨٩.

(٣) هاشم النعمى، المصدر السابق، ص٢٦.

(٤) هاشم النعمى، نفسه، ص٢٦ - ٢٧.

باحة تنومة. ويليه من الشمال وادي بارق ومآتيه من جبال أثرب وريدان منحدراً إلى الغرب، وتقوم على ضفافه عدد كبير من القرى. وإلى الشمال من بارق عدة أودية منها: وادي خاط، ووادي جريه، والخطوة، ووادي يبه، وكلها أودية مأهولة بالسكان وصالحة للزراعة لخصوبة تربتها[1].

وتقع بعض الأودية الكبيرة في الإتجاه الغربي من تهامة عسير وفيما يلي نذكر أهمها: وادي ريم، ويمتد من قمم عقبة نطع المطلة على وادي روام متجها إلى الجنوب الغربي حتى يصب في ميناء الشقيق. ويليه من الشمال وادي عرموم، ومآتيه من رأس عقبة قدران المطلة على قنا والبحر من الجنوب متجهاً إلى الجنوب الغربي حتى يجتمع بوادي ريم عند ميناء الشقيق ويعيش على ضفّتية أقوام من المنجحة والمطامية والمخلوطة والحدرة وآل النعمى. ثم يليه من الشمال وادي قنا. ثم يلي وادي قنا من الغرب أودية تقصر عنه منها: وادي حمضة فوادي ذهبان، وتصب هذه الأودية في البحر الأحمر في مسافة تقع ما بين ميناء القحمة وميناء البرك[2].

كان ما سبق شرحا مفصلاً لأودية تهامة عسير الرئيسية[3]، والأودية في تهامة عسير هي شريان الحياة لسكان هذه المنطقة. وتتركز القرى بشكل رئيسى حول هذه الأودية التي توجد بها أراض زراعية خصبة. وفي السنة الواحدة يفيض الوادي عدة مرات عند سقوط الأمطار، وفي حالة عدم سقوط الأمطار فإنه لا مجال للزراعة، ولابد

(١) هاشم النعمى، المصدر السابق، ص٢٧ ـ ٢٩.

(٢) هاشم النعمى، نفسه، ص٣٠.

(٣) كان اعتمادنا الرئيسي عند تعداد أودية تهامة عسير على هاشم النعمى، ويعود ذلك إلى أن كتابه يعتبر مصدراً أساسياً عن المنطقة، باعتباره يعرف منطقة عسير معرفة تامة. ومما ساعده على ذلك أنه عمل قاضياً مدة طويلة قضاها ما بين عسير السراة وتهامة.

لكثير من سكانه من الإنتقال إلى مكان آخر أكثر أمطاراً وأكثر خيراً .

(جـ) سهـل تهامـة الساحلـي :

تترك جبال تهامة بينها وبين البحر سهلاً ساحلياً منخفضاً يمكن تقسيمه إلى نطاقات طويلة هي : السهل، الكثبان الرملية، نطاق المد الساحلي.[1] وتنتشر في هذه السهول مراكز الاستقرار في خطين متوازيين الأول قريب من سفوح المرتفعات ويعتمد السكان في هذه القرى على الزراعة وتربية الحيوان، والثاني قريب من الساحل ويعتمد السكان في هذه على صيد السمك وعلى النشاط التجاري[2] ويعتبر هذا السهل أحسن من نظيره في الحجاز، حيث تنبت المزروعات في أجزاء كثيرة منه ويستقر فيها السكان[3] .

وتوجد الجبال والأودية الزراعية ذات التربة الخصبة في المناطق الداخلية من تهامة أي البعيدة عن الساحل[4] . وفي إتجاه الساحل تنتشر الكثبان الرملية على نطاق واسع في سائر تهامة، لكنها تقل في الجنوب عنها في الشمال، فهي في الجنوب تنحصر قرب الساحل فقط. وتحصر الكثبان الرملية بينها وبين الساحل وهو نطاق مستو عار من الأرض المالحة والسبخات، يختلف عرضه من الضيق جدا إلى أكثر من أربعة كيلو مترات نحو الداخل، وكثيراً ما يغمر البحر هذه الأرض ثم تتبخر المياه فتتسرب فيها الأملاح، وقد تأتيها بعض الرواسب من

---

(١) محمد أبو العلا : المرجع السابق، ص١٠٧ .
ـ محمود شاكر، المرجع السابق، ص ١٣ ، ١٤ .
(٢) د. محمود طه، المرجع السابق، ص٥٦ .
(٣) حافظ وهبه : جزيرةالعرب في القرن العشرين، ط٥، القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ص٣٤ .
(٤) سبق الحديث عن تلك المنطقة أثناء الحديث عن جبال تهامة وأودية تهامة .

الجبال تحملها إليها الأودية[١].

أما الساحل فيسير على وتيرة واحدة تشغله الشعاب المرجانية، كما تمتد الشعاب في شكل جزر موازية للساحل، تترك بينها وبينه محار ضحلة تكفي لملاحة القوارب والسفن الصغيرة. وتكثر الخلجان في المنطقة الساحلية جنوب حلي، وهي صالحة لإنشاء مراس للسفن الصغيرة. وتكثر الجزر المرجانية بالقرب من سواحل تهامة. ففي مواجهة حلي توجد جزيرة صبايا، وعلى بعد ميلين منها جنوبا توجد جزيرة قطنة، وفي مواجهة البرك توجد جزيرة مركة. وبالقرب منها جزيرة حصر التي تبعد عن الساحل ميلاً واحداً فقط. وبالقرب من القحمة تقع جزيرة وسم البركانية، وإلى الجنوب منها جزيرة قطمبل. وإلى الغرب منها تقع جزيرة سمير. وتقع جزيرة فيران إلى الشمال من جزر فرسان، وإلى الجنوب منها جزيرة أم الكرب، ثم جزيرة أمينة إلى الجنوب الغربي من جيزان[٢].

وتعد جزر فرسان من أهم وأكبر الجزر التي تواجه ساحل تُهامة بالقرب من جيزان. وقد وضع الألمان أعينهم عليها في وقت من الأوقات لتكون محطة لتموين سفنهم بالفحم، لكن بريطانيا سبقتهم إليها واحتلتها[٣]. وجزر فرسان قليلة الارتفاع وأكبرها جزيرة فرسان الكبير، ثم فرسان الصغيرة، وتنبت في هذه الجزر أشجار النخيل، وفيها بعض الحقول المزروعة والينابيع العذبة، كما يعمل بعض

---

(١) Philby (Jahn), Axabia High Lands, New York, 1952, p. 580.

(٢) Admiralty (Hudragraphic office) the Red Sea and Culf of Ader Pilat, London 1892, p. 312.

(٣) Geographical Section of the Naval. Intelligerce Divisien, Naval staff Admiralty, A Hand book of Axabia, vol. 1. p. 199.

السكان في صيد اللؤلؤ والسلاحف[1].

ثانياً: جبال السراة والمنطقة الداخلية:

يرتفع الحائط الجبلي في عسير مكوّنا الحافة الغربية لجبال السراة التي تمتد في غرب شبه الجزيرة العربية عبر اليمن وعسير والحجاز وتنحدر هذه الجبال إلى تهامة في شدة جعلتها أشبه بالحائط. فهي جزء من الإنكسار الكبير الذي يكوّن البحر الأحمر، وقد تكوّنت فيه الكثير من الخطوط المتكسرة التي انبثقت على طولها اللافا البازلتية. وبينما تنحدر جبال السراة بشدة نحو الغرب، فإنها تنحدر في تدرج نحو الشرق، ويقل ارتفاعها عن تسعة آلاف قدم بالقرب من الحائط الجبلي في الغرب تجاه السودة وتهلل. ويتناقص هذا الإرتفاع كلما اتجهنا شرقاً حتى يبلغ ثلاثة آلاف وستمائة قدم في بيشة، ويصل إلى ثلاثة آلاف وخمسمائة قدم عند حافة الربع الخالي.[2].

وقد قامت سلسلة جبال السراة سداً منيعاً من جهة الغرب، فلا يمكن ارتقاؤها والعبور منها إلا من فجوات محدّدة، وتسمى تلك الفجوات بالعقبات، وهي بطبيعتها واد منحدر من أعلى الهضبة إلى سطحها ثم يمتد الوادي إلى ساحل البحر في تهامة[3]. والجزء الجنوبي من جبال عسير يتكوّن من قمم مسطحة من البازلت يتداخل فيها بعض الجرانيت، وتشكل الجبال البركانية قوسا جبلياً يمتد من الحدود اليمنية السعودية حتى مرتفعات أبها، تتخلله مرتفعات عميقة تنحدر إلى تهامة. وواجهة هذا القوس نحو الجنوب الغربي لتحتضن القمم

---

(١) عمر رضا كحالة، جغرافية شبه جزيرة العرب، دمشق ١٩٤٤، ص٢٧٨.

(٢) Twitchell (k.sh), water resources of Saudi Arabia, Geog. Review vol. 34, July, 1944, p.65.

(٣) فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص٩٠ - ٩٢.

الجبلية العاليـة في جنوب تهـامة، وإلى الشرق منـه نحو الـداخل تمتـد الصخـور الرمليـة التي تنتشر فيها الخـزانات الصخـرية الـطبيعيـة التي تمتليء بالمياه عقب سقوط الأمطار[١].

والسلسلة الجبلية الجنوبية وعرة المسـالك ولا يمكن اجتيـازها إلا عن طريق ممرات أو عقبات، أما السلسلة الشـمالية فهي أقـل وعورة، وفي سطوحها هضاب منبسطة تصلح لرعي الماشية ولذا يسميها الأهالي الصحن[٢].

وتبدأ الأودية التي تتجه إلى الشمال الشرقي، من جبال تمنية التي تقع إلى شمال القوس الجبلي البركاني. ويقل ارتفاع الجبال تدريجياً حتى قرب بيشة حيث تبدو الجبال منخفضة ومتباعدة، وأكثر الجبال ارتفاعاً على العموم هي الجبال التي تمتد بـالقرب من الحـافة المطلة على تهـامة فإلى الشمال من جبال تمنية تمتـد سلسلة من التلال العـالية حتى جبـل السودة إلى الغرب من أبها، ويعتبر جبل السودة أعـلى جهات عسـير إذ يبلغ ارتفاعه تسعة آلاف وخمسمائة وخمسين قـدماً فـوق سطح البحـر، ويبـدو جبل السـودة على شكـل هضبة مسـطحة تعلوهـا قريـة السودة وأراضيها الزراعية، وتنحدر هذه الهضبة بشدة في اتجاه تهامة وتـدريجياً في اتجاه جهة الشرق. وإلى الشـمال من جبل السـودة يرتفـع جبل تهلل ويقل ارتفاعه قليلاً عن السودة[٣].

وإلى الشـمال من عقبة شعـار تبدأ الجبـال في الارتفـاع ويصبـح إجتيـازها أكـثر صعوبـة، وتتكّون من قمم كثـيرة متتاليـة من الصخور

---

(١) Philby (John), op. cit, New York, 1952. p. 370.

(٢) فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص١٨١.

(٣) Philby, H., John, op. cit. pp. 1 - 21.

الجرداء، عدا القليل من أشجار الطلح، أما جهاتها المطلة على تهامة فتكسوها أشجار العرعر الخضراء. ومن أبرز الجبال الموجودة هنا جبل مانعة بالقرب من تنومة، ويتكون من كتلة من الجرانيت تنبع منها عين مائية جارية وأعلى جهات جبال عسير الشمالية هي جبال النّماص التي تبدو على شكل هضبة كبيرة واسعة(١).

ويقل إرتفاع الجبال تدريجيا نحو الشرق حتى تصبح على شكل هضاب وتلال تحيط بها الرمال، وهي بمثابة منطقة إنتقال بين المنطقة الجبلية والربع الخالي(٢). ويمتد في المنطقة الانتقالية هضبة كبيرة تبدأ من نجران حتى قرب وادي الدواسر وتوجد بها فتحات يمر خلالها وادي نجران ووادي حبونا. ونظرا لا نخفاضها فإن الرمال تغطيها في جهات كثيرة، وتبدو الجهات المرتفعة منها على شكل تلال وجبال قليلة الارتفاع أهمها جبل القارة ويبلغ أرتفاعة ٣٨٨٥ قدما. وتتفتت في الشرق إلى منطقة من الهضاب الصغيرة والكتل الصخرية ارتفاعها إلى أقل من ثلاثة آلاف قدم(٣).

الأودية الشرقية في عسير:

سبق أن تحدثنا عن الأودية الغربية لعسير التي تصب في البحر الأحمر، وسيكون حديثنا الآن عن أودية عسير الشرقية، أو أودية عسير السراة. وتلك الأودية كثيرة ومتعددة، أن تمتد من نجران جنوبا، ثم قحطان فشهران فعسير فبلحمر وبلسمر ثم بنى عمرو وبنى شهر، ثم بلقرن وخثعم وشمران ثم بلاد غامد وزهران شمالاً. وكل القبائل

---

(١) The Sigar, W., op. cit., pp. 188 - 200

(٢) د. محمود طه، المرجع ص ٣٨.

(٣) Bunker, D.C., Thesouth - west broderlands of the Rub Al Khali Geog. Jour, vol. 119, PP. 220 - 230.

التي سبق ذكرها توجد لها أودية كثيرة تتجه شرقا، ونظرا لكثرة هذه الأودية فسنركّز على الأودية الرئيسية التي تصب فيها الأودية الصغيرة. وسنبدأ من الجنوب نحو الشمال حتى نهاية بلاد غامد وزهران.

١ ـ **وادي نجران**: يعتبر وادي نجران من أكثر الأودية في المملكة. ومجرى الوادي ملك لقبيلة يام من همدان، وأكثر مياه الوادي تأتيه من جهة الغرب لا من الجنوب. ومياه الأمطار التي تأتى إلى وادي نجران من جهة الغرب تتجمع من السيول والروافد الكثيرة القادمة من بلاد قبيلة سحار، وبعض قبيلة بنى جماعة[١].

٢ ـ **وادي حبونة**: ويقع إلى الشمال من نجران. والواديان يسيران متوازيان تقريبا ويبعد أحدهما عن الآخر مسافة يوم للجمال المحمّلة، ومصبهما عند رمال الربع الخالى. ووادي حبونة أقل أهمية من نجران وأقل عمرانا وقرى بالرغم من أن هنال أودية كثيرة تصب فيه، منها بدر والخانق وهدادة والحرشيف. ويستقبل المياه التي تنحدر إلى الجهة الشرق من القسم الشمالي من بلاد بنى جماعة اليمانيين، كما أنه يستقبل مياه بلاد وادعة من همدان والقسم الجنوبي من بلاد قبيلة قحطان[٢].

٣ ـ **وادي تثليث**: وتصب فيه الأودية التي تتجه إلى الشرق من بلاد بطون قبيلة قحطان، كما أنه منتهى عدة أودية مهمة تصفى قسما من بلاد قبيلة شهران. وهذا الوادي أطول من الواديين السابقين، وأكثر اعوجاجا منها. وهو في اتجاهه مختلف عنهما نوعا لأنه منحرف إلى الشمال الشرقي[٣]. والأودية التي تصب فيه

---

(١) فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص ١٦٨.

(٢) فؤاد حمزة، نفسه، ص ١٦٨.

(٣) فؤاد حمزة، نفسه، ص ١٦٩.

كثيرة، منها كل من وادي راحة سنحان فوادي بنى بشر فوادي يعوض. وكل الأودية الثلاثة تأتى من قسم الأغوار الغربية المطلة على مآتى وادي بيش ـ ويرفد هذه الأودية روافد عديدة أهمها : العقدة فسروح والشقرة وغيرها من الروافد وتسقى هذه الأودية أكثر من مئة وأربعين قرية. ثم يلى هذه الأودية من الشمال وادي جوف، وينحدر من قسم عبيدة ويمتد شمالاً حتى ينتهى بوادي تثليث، ويقع على جانبيه أكثر من أثنين وسبعين قرية[1].

٤ ـ **وادي بيشة**: وهو أطول الأودية وأهمها. وينقسم إلى ثلاثة أقسام، يسمونها بيشة ابن سالم من قحطان، وبيشة ابن مشيط، وبيشة النخل. وهو يصفى مياه الأمطار التي تتجه إلى الشرق والشمال من ديار بطين رفيدة وعبيدة من قبائل قحطان، وديار قبيلة عسير كلها، وديار شهران عدا ما يصب في تثليث، وديار بلحمر وبلسمر وبنى شهر وبنى عمرو كلها. وأهم الأودية الكبيرة التي تصب فيه: وادي تندحة، ووادي أبها وادي عتود، وادي الحمرة، وادي هرجاب، وادي ترج، وادي تبالة، وادي بطنة الحبيب. وينبع وادي بيشة في علوه من بلاد عبيدة ورفيدة من قحطان. وبعد أن يمر في بلاد ابن مشيط يجتمع به وادي تندحة قادما من جهته اليمنى، ووادي عتود وأبها من جهة الغرب، ووادي الحمرة، إلى أن تلتقى في بلاد ابن هشبل فيصبح اسم الوادي اعتباراً من هذا المكان وادي شهران ، ثم يصبح اسمه وادي بيشة عند وصوله بيشة، ويستمر حتى يغور في رمال الربع الخالى[2].

---

(١) هاشم النعمى، المصدر السابق، ص ١٤ ـ ١٧ ـ حافظ وهبة، المصدر السابق، ص ٣٣.

(٢) فؤاد حمزة المصدر السابق، ص ١٧٠.

٥ - وادي رنية: ومنبعه الأصلي في بلاد غامد الـواقعة إلى الشـمال من بلاد بني شهر، من موضع اسمه ثراد. وبعد أن يصفى ديار قبيلة غامد وبعض زهران وبالحارث عمرو، ويبدأ العمران عنـد نخيل اسمـه (الأملح)، ويسقى القرى الكثـيرة الموجـودة على أطـرافه والتي آخرها من جهة مصبه بلدة(العماير) ويصب في هذا الوادي أودية فرعية كثيرة أهمها: غتران، الهجرة قرّة[1].

٦ - وادى تربه: وأصل منبعه في علوه بلاد زهران وبنى مالك، ولكن أكثر مياهه تأتى من ديرة البقوم في حضن، وأطرافه من حـرّة سبيع الواقعة إلى الشرق والجنوب من الخرمة، وينتهى الوادي في عـرق سبيع الرملى، فيه ويصب فيه عدة أودية هامّة[2].

وكما كانت الأودية هي شريان الحياة في الجزء الغربي من عسير، فأنها كذلـك في الجزء الشرقي من عسـير. وكما رأينـا فإن قـرى قبائـل عسير تقوم على جوانب أوديتهـا، وتعيش على ميـاه الأمطار التي تسيـل بهـا الأوديـة فتسقى مــزارعهم، وتنبت مـراعيهم التي تعيش عليهـا مواشيهم.

وهنـاك مـدن رئيسيــة في عسـير السراة أهمهـا: أبهـا، وخميس مشيط، ونجـران، وبيشة، والنّماص، وبلجـرشي والبـاحـة. وسيـأتى الحديث عنها في الفصل الثاني إن نشاء الله.

---

(١) حافظ وهبه، المصدر السابق، ص ٣٣، ٣٤.

(٢) فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص ١٧٠.

الفصـــل الثـــاني
قبائـل عسيـــر وديـــارها

محتـــوياته

* قبائل عسير الســـراة.
* قبائل عسير تهامــــة.
* التنظيمات القبلية في عسير.
* العلاقات القبلية بين قبائل عسير.

الفصل الثاني
قبائل عسير وديارها

تمهيد :ـ

سنتحدث هنا عن قبائل أقليم عسير، ويشمل حديثنا هذا قبائل عسير في السراة وفي تهامة، بالإضافة إلى الأجزاء الأخرى من إقليم عسير، في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي. وأن القبائل المعنيّة بالدراسة وديارها ظلت في وقتنا الحاضر كما كانت عليه في السابق ـ أعني الفترة الزمنيّة التي نتناولها في الدراسة ـ، وذلك لقرب الفترة الزمنية التي يتناولها البحث من جهة، ونتيجة لاستقرار القبائل في العصر الحديث من جهة ثانية.

وتعد عسير كاسم جغرافي لإقليم واسع اصطلاحاً حديثاً، يرجع تاريخه إلى النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي. لأن التسمية الحقيقية لعسير لا تعني الإقليم الواسع الذي يمتد من الطائف شمالاً إلى نجران جنوباً، وإنما تقتصر على قبيلة عسير التي تقطن المناطق الواقعة حول أبها، وعندما استطاعت هذه القبيلة أن تؤسس إمارة شملت مناطق واسعة من تلك المنطقة، عرفت هذه المنطقة فيما بعد بعسير وأصبحت هذه التسمية

تطلق على الإقليم كله[1].

وسميّت عسير نسبة إلى أحد ساكنيه القدماء وأسمه عسير من العدنانيين[2]. وهناك من يقول أن تسمية عسير مشتق من العسر لصعوبة مسالكها وكثرة تعاريجها[3]. وفي الواقع أن طبيعة أرض عسير تجعل الكثيرين يرجّحون التسمية الثانية. مع أن الرأى الأول أقرب إلى الصحّة لأن جد عسير كان يعرف بهذا الاسم، وقبيلة عسير المعروفة اليوم هي من نسله، ولذلك فقد احتفظت بهذا الاسم[4].

ويقع معظم هذه المنطقة في متوسط سلسلة جبال السراة، الممتدة من الطائف شمالاً إلى تخوم اليمن. وتنقسم من حيث حالتها الطبيعية إلى قسمين سراة وتهامة، وترتفع جبال السراة عن سطح البحر بحوالي الفين وثمانمائة متر. وترتفع في هذه المنطقة الكثافة السكّانية، ولا يوجد فيها بقعة إلا وهي مليئة بالقرى والسكان. ويقدّر سكان هذا الإقليم بحوالي مليون ونصف المليون نسمة، وهذا العدد ليس بكثير على هذا الإقليم الذي تكثر فيه القبائل والقرى والأودية[5]. وسنعرف ذلك خلال دراستنا لهذا الفصل.

ولكى نسهّل الحديث عن هذه القبائل فإننا سنتبع ترتيباً جغرافياً، ونبدأ من الشمال إلى الجنوب، مبتدئين بقبائل السراة، ولا

---

(١) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ط ٢، الرياض ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص ٨٧، ٨٨.

(٢) هاشم سعيد النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر (بدون معلومات طبع)، ص ٤، ٥.

(٣) عبد الله بن مسفر، أخبار عسير، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م، ص ١٩.

(٤) الحسن بن أحمد الهمداني، كتاب الاكليل، جـ ١، تحقيق محمد بن على الأكوع، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، ص ٢٩٢، ٢٩٣.

(٥) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٤.

مانع من الإشارة إلى فروعها في تهامـة . ثم نتحدث عن قبـائل السهـل البحري مبتدئين من الشمال إلى الجنـوب أيضاً. وسيكـون حديثنـا عن كل قبائل الإقليم بما فيها قبيلة عسير الأصلية .

قبائل عسير السـراة :

سنتناول بالدراسة هنا قبائل عسير الـداخلية ، أي تلك القبـائل التي تقطن جبال السروات وهي من الشمال إلى الجنوب كالآتي :-

قبيلــة زهــران :

زهران قبيلة أزديّة قحطانية تنتسب إلى جـدها الأكـبر زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغـوث ، وقد أنجب زهـران بن كعب ستة أولاد ومن نسلهم تكـوّنت قبائل زهران[1] . يقول السـويدي[2] عنهم : « هم بـطن من مزيقيـاء من الأزد » . كـما ورد ذكر سراة زهـران في كتاب صفـة جزيـرة العرب حيث يقـول الهمداني[3] : « ثم سراة زهـران من الأزد، دوس وغامـد والحر، نجدهم بنو سواءة بن عامر وغورهم لهب وعويل من الأزد وبنو عمرو » .

وتعتبر قبيلة زهران قبيلة قوية ومحـاربة ، تتمـركز في أقصى شـمال عسـير، ويحدهـا من الشمال ديـار بني مالـك الحجازيـة ، ويحـدهـا من الشرق غـامد، ومن الجنـوب قبائـل زبيد، ومن الغـرب ذوى بركـات

---

(١) محمـد مسفر الـزهـراني، بـلاد زهـران في مـاضيهـا وحـاضرهـا، ط ١ ، مكـة المكـرمـة ١٣٩٠ هـ، ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) محمد أمين البغدادي السويدي، سبائـك الذهب في أنسـاب العرب، طبـع في الآستانـة (بدون تاريخ)، ص ٦٥ .

(٣) الحسن بن أحمـد الهمداني، صفـة جزيـرة العرب، تحقيق محمـد على الأكـوع منشورات اليمامة، الرياض ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٢٦٠ .

وذوي حسن. وتمتد منطقتهم غرباً عدة أميال باتجاه الساحل، وتمتد في الداخل إلى منطقة الجبال الرئيسية حتى الطريق الموصل بين أبها والطائف. ولخصوبة الأرض الزراعية فقد ارتفعت الكثافة السكانية في هذه القبيلة[1].

وتنقسم قبيلة زهران إلى بطون كثيرة: البطن الأول بنو منهب وبنو فهم. والبطن الثاني بنو عمرو. والبطن الثالث بنويوس. والبطن الرابع بطيل، والبطن الخامس بنو سليم. والبطن السادس الأحلاف. وتنقسم كل بطن إلى عدة أفخاذ[2].

وتنقسم قبيلة زهران إلى قسمين كبيرين هما: المستقرون والبدو. ويقدر عدد المستقرين بخمسة عشر ألف نسمة. وتكرّس قبيلة زهران كل قوتها للحروب والاستعداد للقتال، ويحتقرون أي عمل يدوي باستثناء الزراعة. وأهم قراهم الدوس في منطقة جبال دوس، وبها قلعة راشد بن جمعان وبها سوق زهران الرئيسي[3].

قبيلة غامد:

هي بطن من الأزد من قحطان، قال محمد الحقيل: « وهم بنو عامر واسمه عمر بن عبد الله بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن نصر » وهم أزد شنوءة[4] وكانت تعرف في كتب الأقدمين

---

(١) Cornwallis, Sir Kirahan. Aser before Warld War I. a hardbooh, Cambridye, Enyland, p. 44.

(٢) حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران، منشورات اليمامة الرياض ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ص ٨٩.

(٣) Cornwallis, Sir Kinahar, op. cit, p. 44.

(٤) حمد بن إبراهيم الحقيل، كنز الأنساب ومجمع الآداب، مطبعة ومكتبة التحرير القاهرة، ١٤٠٠هـ/ ص ١٤٣.

بسراة غامد[1] » .

وتعتبر قبيلة **غامد** قبيلة قوية، تمتد أرضها لتحوى نطاقاً واسعاً من المرتفعات بين خطي عرض ٣٠ ١٩° و ١٥ ٢٠°، وبين خطي طول ٣٠ ٤١° و ٤٢°، ويحدهم من الشمال قبيلة شلاوة، ومن الشرق شمران، ومن الجنوب بالقرن وبلعرين ومن الغرب بلاد زهران وبلاد زبيد[2].

وتنقسم قبيلة غامد إلى ثلاثة أقسام : غامد الحاضرة بالسراة، وغامد البادية بسفوح السراة. وغامد الحاضرة والبادية بتهامة[3].

أولاً : قبيلة غامد البادية بالسراة وتشمل : رفاعة، والزهران، والحلة، وآل طالب، والقنازعة، وبنى كبير، والهجاهجة، وآل مسلم، والزوايع.

ثانياً : قبيلة غامد الحاضرة بالسراة وتشمل سبعة أقسام هي : بني عبد الله، وبلجرشي، وبنو خثيم، وبالشهم، والرهوة وبنو كبير، وبن ظبيان.

ثالثاً : قبيلة غامد في تهامة وتشمل : الزناد، وبني عبد الله[4].

وتشتهر قبيلة غامد بالتجارة حيث يذهب عدد كبير من القبيلة إلى مكة وجدة والطائف للتجارة أثناء موسم الحج. وأهم القبائل الصديقة لغامد بنو مالك وزبيد[5].

---

(١) على بن صالح الزهراني، بلاد غامد وزهران، ط ١ منشورات اليمامة، الرياض ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ص ٤.

(٢) Cornwallis, Sir Kirahan, Ibid, p. 45.

(٣) على بن صالح الزهراني، المرجع السابق، ص ٤.

(٤) على بن صالح الزهراني، نفسه، ص ٤ ـ ٦.

(٥) Cornwallis, Sir Kirahan, op. cit, p.45.

وتنقسم أَراضي بلاد غامد وزهران إلى أربعة أقسام :-

١ ـ المنطقة المرتفعة في السراة وتقع في أقصى الشمال الغربي، وفي الغرب وفي الجنوب، والجنوب الغربي من المنطقة : يصل ارتفاع بعض القمم إلى ثلاثة آلاف متر، وخصوصاً في جبال دوس، وبيضان، وقرن ظبي، وجبال بني ظبيان وجنوب غرب بلجرشي.
وتتخلل هذه المرتفعات أودية زراعية تقع علي جوانبها القرى.

٢ ـ المنطقة المتوسطة الارتفاع في السراة وأرتفاعها من ١٨٠٠م - ٢٢٠٠م. تتخللها الأودية الزراعية[١].

٣ ـ منطقة منخفضة نسبياً (شبه السراة)، وتقطنها بادية غامد، ارتفاعها لا يزيد عن ١٦٠٠ متر، وهي غنية بالمراعي.

٤ ـ منطقة الاصدار، وهي بين السراة وتهامة، وتقع في أواسط الجبال المنحدرة إلى تهامة، وهي التي تزوّد المنطقة بالموز والبن والليمون وأنواع الرياحين.

٥ ـ منطقة تهامة وهي تشمل مناطق ساحلية، ومنطقة موازية للمنطقة الساحلية ومنطقة جبلية[٢].

أهم قرى غامد : رغدان : وكانت قائمقامية يتبعها قبائل : غامد، وزهران وشمران، وبنى سليم، وقبائل وادي بيشه. وكان هذا في العهد العثماني[٣]. ويبلغ عدد سكان غامد حوالي مائة وعشرين ألف نسمة[٤].

---

(١) على بن صالح الزهراني، المرجع السابق، ص ١١، ١٢.
(٢) على بن صالح الزهراني، نفسه، ص ١٢.
(٣) شرف بن عبد المحسن البركاتي، الرحلة اليمانية، ط ٢، المكتب الإسلامي بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٧٩
(٤) حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران، ص ١٠٩.

قبيلـــة شمـــران :

يقـول حمد الحقيـل[١] عن شمران مـايـلي : « عـدّهم صـاحب عشائر[٢] العـراق من عبيدة من قحـطان، وقال في تـاج العروس[٣] : بنو شمر بن عبد الله بن جذيمة بطن من طي. وعـدّهم ابن دريد[٤] في الاشتقاق من طي ورفعهم إلى كهلان ».

تقع شمران جنوب بلاد غامد في جبـال السروات، ويحدهم من الشمـال والغـرب غـامـد ومن الشرق شهـران، ومن الجنـوب خثعم وبلقرن[٥]. وتنقسم شمران إلى قسمين :-

أولاً : شمران الشام : ومنهم المستقرون ويقدرون بالفى نسمة، وفي منطقتهم الكثير من الجداول الجارية » وتزرع بها كميات وفيرة من البن . أما البدو فيتنقلون داخل منطقـة شمران في فصـل الشتـاء، ويتجهـون إلى وادي بيشـه في الصيف لمـوسم جمـع التمور، يملكون أعداداً كبيرة من الأغنـام والماعـز. وقليل من الإبـل[٦]. ويـوجـد قسم منهم في بيشـة وهم : العبـوس وسحاب وآل مبارك[٧].

---

(١) حمد الحقيل، المرجع السابق، ص ١٨٨.

(٢) انظر : عباس العزاوي، عشائر العراق، جـ٣، شركة التجارة والطباعة المحدودة بغداد (بدون تاريخ)، ص ٢٠٣.

(٣) محمـد مـرتضى الـزبيـدي، تـاج العـروس، المجلد الثـالث، دار ليبيـا للنشر بنغـازى ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص ٣١٦.

(٤) ابي بكر محمد بن الحسن بن دريد، الاشتقاق، تحقيق عبد السلام هـارون مطبعـة السنة المحمدية، مصر ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، ص ٣٩٠، ٤٠٥.

(٥) Cornwalis, Sir Kirahar, op. cit, p. 46.

(٦) Cornwallis, Sir, Kirahar, Ibid. p.46.

(٧) فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص ٦١.

ثانياً : شمران اليمن : ويقدر عـددهم بألفي نسمـة أيضاً، وجميعهم مستقـرون، وينتقل منهم فـروع في فصل الصيف فقط. وكـل فـروع شمران تتـوحد في حـالة الحـرب، ويشتهرون بـالكـرم والشجاعة[1].

قبيلة خثعـم :

خثعم قبيلة في السروات، نسبة إلى خثعم بن أنمار بن أراش بن عمرو ابن الغوث بن النبت بن مالك بن زيـد بن كهلان بن حمـير[2]، قال القلقشندي عن خثعم[3] مـايلي : « بنـو خثعم بطن من أغـار من أراش من القحطانية ». وكان لخثعم من الولد حلف وأمه عـاتكة بنت ربيعـة بن نزار، قـال في العبر[4] : « وبـلاد خثعم من أخـوتهم بجيلة بسروات اليمن والحجاز إلى تبالة[5] ». وقال أيضاً[6] : « وقدا افترقوا في الآفـاق أيام الفتـح فلم يبق منهم في مـواطنهم إلا القليـل، ويقـدم الحجـاج منهم بمكة في كـل سنة، وهـم المعـروفـون بـين أهـل المـوسم بالسروات ».

وخثعم قبيلة صغيرة ومستقرة، تنتشر عـلى طريق أبهـا الطائف، ويحـدهـم من الشمال والغـرب شمران، ومن الشرق والجنـوب بلقرن.

---

(١) Cornwallis, Sir Kirahan, op. cit. ,p. 46.

(٢) محمد أمين البغدادي السويدي، المصدر السابق، ص ٦٦.

(٣) أبى العبـاس أحمد القلقشنـدي، نهاية الأرب في معـرفة أنسـاب العرب، تحقيق إبراهيم الابياري، ط ١، القاهرة ١٩٥٩م، ص ٢٤٣.

(٤) الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان، العبر في خبر من غـبر، صلاح الـدين المنجد، فؤاد سيد، الكويت، دائرة المطبوعات والنشر ١٩٦٠ - ١٩٦٦.

(٥) تبالة : واد فيه قرى ومركز يلحق به عدد من القرى والمناهل للبادية، ويقع بمنطقة بيشة. أنظر : حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد السعوديـة، القسم الأول، ط ١، الريـاض ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ١٩٣.

(٦) ابي العباس القلقشندي، المصدر السابق، ص ٢٤٣.

لهم خبرة حربية ممتازة، وأهم شيوخهم جحيش بن عقاد، وهو شيخ على القبيلة بقسميها[1]. وأهم فروع خثعم : بنوميمون، وأهل الفوقة، وأهل الهبطة، وبنو داس، والفزع، ومنهم أقسام في تهامة هم : المنتشر والعوامر وبنو سهم[2]. وتقدر قوتها الحربية بحوالي ألف وخمسمائة رجل فقط[3]، أي أن عدد السكان حوالي عشرة آلاف نسمة.

قبيلة بَلعُرْيَان :

قبيلة غير معروفة كثيراً، من عشائر تهامة، منازلهم وادي حلى في تهامة[4] يحدهم شمالاً غامد، وشرقاً بلقرن تهامة، وجنوباً بنو شهر وغرباً زبيد. وقد تميزوا بالشجاعة الفائقة. وكانوا في حالة ثأر مع جيرانهم، ويعيشون في مستوى من الفقر لا مثيل له في كل منطقة عسير[5]. وتنحدر قبيلة بَلعُرْيان من أصل سوداني، أقامت في الإقليم واختلطت بالسكان، وأمتلكت الأراضي وأصبح لها ديار خاصة بها[6].

قبيلة بلقرن :

ينتشرون في الغرب من بيشة عبر السلاسل الجبلية الرئيسية وفي اتجاه الإنحدار المؤدي إلى البحر. ويحدهم شمالاً شمران وخثعم

---

(١) Cornwallis, Sir Kiraham, op. cit., p.46.

(٢) فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص ٤٦.

(٣) Cornwallis, Sir Kirahan, Ibid,. p.47.

(٤) حمد الجاسر، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، القسم الثاني، ط ١، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٥٢٢.

(٥) Cornwallis, Sir Kirahar, Ibid, p.47.

(٦) Lipshy (Georye), Saudi Arabia, Its People, Its Society, Its Culture, New Yorh, 1959, pp. 70-71.

وشرقاً شهران وبني شهر وجنوباً بني عمرو بني شهر، وغرباً بالعُريان وغامد. وأهم قراهم سبت العلايا، وهي المركز الرئيسي ومدينة هامة من مدن السروات[1].

أغلب سكان بلقرن أهل قرى عدا الصهب بن دحيم فإنهم على البداوة، وأقسامهم ستة: دحيم، وآل مشيب، وبنو رزق، وآل سليمان، وآل الحميد وآل كثير[2].

رجال الحجر:

ورد ذكر بلاد الحجر في صفة جزيرة العرب حيث يقول الهمداني[3]. « ثم يتلو سراة عنز سراة الحجر بن الهنو ابن الأزد، ومدنها الجهوة ومنها تنومة والشرع بن باحان، ثم يتلوها سراة غامد، ثم سراة دوس ثم سراة فهم وعدوان »، ويقول[4] في موضع آخر « وتنومة والاشجان وغيان ثم الجهوة قرى لبني ربيعة بن الحجر وعاشرة العرق وأيد وحضر، ووراؤه قرى لبني ربيعة من أقصى الحجر أيضاً، وحلباً قرية لبني مالك بن شهر قبلة الحجر على هذا يمانيها مصال لعنز ومن شاميها بلد ألوس من خثعم وشرقيها ما جاور بيشة من بلد خثعم وأكلب وغوريها بلد بارق فآل عيدة من الأزد حلالهم حرام بن كنانة » ثم يستمر الهمداني واصفاً قرى بلاد الحجر ووديانها وجبالها وحدودها وجيرانها. ويعتبر كلام الهمداني عن بني شهر أدق وأوسع ماكتبه عن جبال السروات، بل ومنطقة عسير قاطبة، وذلك لكونه بسط القول عن بلاد الحجر قاطبة وبني شهر خاصة. ويعود

---

(١) Cornwallis, Sir, op. cit., p. 47

(٢) فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص ٦١.

(٣) الحسن بن أحمد الهمداني، المصدر السابق، ص ٢٥٨.

(٤) الحسن بن أحمد الهمداني، نفسه، ص ٢٦٠، ٢٦١.

ذلك إلى كون تلك البلاد كانت في أقصى ازدهارها وقوتها. ويظهر ذلك من أعداد القرى التي كانت موجودة، وكثرة فروع القبائل.

ويطلق اسم (رجال الحجر) على أربع قبائل هم: بنو شهر وبنو عمرو بلحمر وبلسمر، وكلهم أولاد للحجر بن الهنو بن الأزد بن كهلان، وقد سميت هذه البلاد التي يسكنونها باسم جدّهم حجر، ويقدر عدد سكانها بحوالي ثلاثمائة ألف نسمة[1].

قبيلة بني عمرو:

ينتسبون إلى جدهم عمرو بن حجر بن الهنو بن الأزد[2]. ويحدّهم من الشمال بلقرن ومن الغرب عمارة والنواشر ومن الشرق بيشة ومن الجنوب بنو شهر[3].

وتنقسم بلاد بني عمرو إلى ثلاثة أقسام: بنو عمرو السراة، وبنو عمرو البادية، وبنو عمرو تهامة. وينقسم بنو عمرو السراة إلى قسمين، عمرو الشام، وعمرو اليمن حسب الموقع[4].

أما بنو عمرو البادية فينقسمون إلى ثلاثة أقسام رئيسيةٌ هم. بالحارث وآل جمعة وكعب البدو. وهم بادية رحل ليس لهم أي حاضرة إلا قرية واحدة اسمها (معراة)، ويتنقلون على المنحدرات الشرقية من قريتهم إلى موقع يقال له خشيم الذئب يقع إلى الغرب من بيشة، وتسمى المناطق التي يتنقلون فيها: ماسرة وبطحان الشامي وبطحان اليماني[5].

---

(١) عمر غرامة العمروي، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، بلاد الحجر جـ ٣، ط ١، منشورات اليمامة، الرياض ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م، ص ٥١.

(٢) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٦١.

(٣) عمر غرامة العمروي، المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٤) عمر غرامة العمروي، المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٥) عمر غرامة العمروى، نفسه ص ١٦٢، ٢٦٣.

أما بنو عمرو تهامة فينقسمون إلى ستة أفخاذ، لهم عشرون قرية تنتشر على جوانب وادي الغيل ووادي لحف ووادي خاط، وعلى جبل تهوى، وهو من أشهر جبال الجزيرة العربية بالكهوف. وتقع تهامة بني عمرو غرب النماص، وتشتهر بخصوبة أوديتها الثلاثة وبنباتاتها ومنها البن والكاذى والرياحين والورود والفواكة ويقدر عدد سكان هذه القبيلة بسبعين ألف نسمة[1].

قبيلة بني شهر :

تقع قبيلة بني شهر على جبال السروات، وما إنحدر منها إلى تهامة حتى بارق. ويحدها من الجنوب بلسمر والريش، ومن الشمال بن عمرو، ومن الشرق بيشة وشهران ومن الغرب بارق وبيه[2].

وينقسم سكان بني شهر إلى ثلاثة أقسام : قسم يسكن السراة، وقسم يسكن تهامة، وقسم يسكن البادية، أما الذين يسكنون السراة فينقسمون إلى خمسة أقسام رئيسيّة هي : بنو النعيم، وبالحارث، وشهر ثرامين، وشهر الشام، والعوامر، وينقسم كل قسم إلى عدد من القبائل. أما تهامة بني شهر فَينقسمون إلى أربعة عشر قسماً، وكل قسم ينقسم إلى عدد من الأفخاذ[3]. وتنقسم بادية بني شهر إلى خمسة أقسام رئيسية هي : بنو أثلة، وآل برياع، بنو بكر، والعمرة، وبنو قشير، والكلائمة (المفوادعة). وبادية بني شهر وبني عمرو مختلطون حيث ينتشرون على أودية ترجس وترج إلى بيشة ووادي بن هشبل ويتنقلون

(١) عمر غرامة العمروى، المرجع السابق، ص ١٦٢.
هاشم النعمي، المصدر السابق ص ٥١.
(٢) هاشم النعمي. نفسه، ص ٤٨.
(٣) نظراً لكثرة تلك التقسيمات فان المجال لا يتسع لذكرها. ولمزيد من التفاصيل أرجع إلى : عمر غرامة، نفسه، ص ١٠٩

في منطقة يبلغ طولها ٢٥٠ كيلومتراً وعرضها ٦٠ كيلومتراً[١].

وكل القبيلة بشقّيها المستقر والبدوى غنية ومسلحة وذات سمعة حربية جيدة ولكن لا يوجد هناك ترابط بين فروع القبيلة إلا في حالة وجود خطر يداهم القبيلة بأكملها[٢].

وتنقسم القبيلة إلى قسمين كبيرين هما: سلامان، وبنو أثلة، ويتبع كل منهما فروع كثيرة. وعلى الاجمال فسكان القبيلة يبلغون مائتى ألف نسمة[٣]. وأهم مدن القبيلة النماص: وكانت قائمقامية يتبعها قبائل بنى شهر وبنى عمر وبلقرن وبلسمر[٤].

تنومة: وهي مبنية من الحجر، وكانت في السابق مركزاً للعثمانيين وهذه القرية هي من مجموعة قرى تقع في وادي تنومة المشهور. ويجري في هذا الوادي الكبير نهر يتفرع إلى عدة فروع، ويزرع عندهم الحنطة والشعير والعدس بكثرة وثمنها رخيص جدا لكثرتها، وكانت مصدر الحبوب لأهل المشرق من بيشة ونجد[٥]. وكان يوجد في هذا الوادي ستون قرية عامرة على أيام الهمداني[٦].

وكان يتنازع الزعامة في بنى شهر شخصيتين، كل واحد منهما ينتمى لأسرة هامة في بنى شهر. الأول هو سعيد بن غرم، والثاني هو عبد الله بن ظافر. وكانت الأسرتان تتقاسم الزعامة في بنى شهر،

---

(١) عمر غرامة العمروى، نفسه، ص ١٠٢ ـ ١١٦.

(٢) Cornwallis, Sir Kirahan, op. cit.,p. 50.

(٣) شرف بن عبد المحسن البركاتي، المصدر السابق، ص ٥٥ ـ ٦٦.

(٤) شرف بن عبد المحسن البركاتي، المصدر السابق، ص ٧٨.

(٥) Cowauis Sir Kinahan, op.cit,p.50.

(٦) انظر صفة جزيرة العرب، ص ٢٦١.

وغالباً ما يراعي الأمير القائم ذلك التنافس فيوزع السلطة بين الأسرتين [1].

قبيلة بلسمر :

تنسب هذه القبيلة إلى أسمر بن حجر بن الهنو بن الأزد بن كهلان بن يشجب بن يعرب بن قحطان[2]. وتقع منازل هذه القبيلة على سلاسل جبال السراة الممتدة من قمة شعف بيجان حتى مشارف تنومة شمالاً، ويحدها من الشمال بنو شهر ومن الجنوب بلحمر ومن الغرب الريش ومن الشرق شهران[3].

تتقسم بلاد بلسمر إلى قسمين هما: بنو منبح، وبالعذمة. وينقسم هذان القسمان إلى ثلاثة أقسام بحسب موقع البلاد هي : بلسمر السراة، وبلسمر البادية، وبلسمر تهامه[4].

وتتكون بلسمر السراة من : بني منبح الشام، وبني منبح اليمن، وبالعذمة وكذلك بلسمر البادية وبلسمر تهامة يتكون كل منهم من ثلاثة فروع[5]. وتنقسم بلسمر تهامة إلى عدة أقسام صغيرة بلغ عددها سبعة وثلاثون قسماً[6]. ويستقر أغلب تهامة بلسمر في جبل (هادا) وما حوله[7]. وبلاد بلسمر جميلة وغنية بالزراعة ومن منتجاتها: البر والشعير والذرة وجبالها مملوءة بأشجار العرعر واللوز

---

(١) مذكرات سليمان باشا، مجلة العرب، مج ٦، جـ ٦، ذي الحجة ١٣٩١ هـ، ص ٤١٧.

(٢) عمر غرامة العمروى، المرجع السابق، ص ٧٠.

(٣) هاشم النعمى، المصدر السابق، ص ٤٧.

(٤) عمر غرامة العمروى، المصدر السابق، ص ٧٠.

(٥) عمر غرامة العمروى، نفسه، ص ٧٣، ٧٤.

(٦) فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص ١٥٩

(٧) Cornwauis Sir Kinahan, op. cit.p. 56

والتين والعنب والخوخ وغير ذلك من الفواكة. ويوجد بهذه البلاد ينابيع طبيعية خارجة من جوف الصخور، وبها عيون ماء تجري على وجه الأرض[1]. وأهم قرى بلسمر: قرية المصفي: وبها منزل شيخ القبيلة. وقرية البطن لبني قاعد ويقدر عدد سكان هذه القبيلة بحوالى أربعين ألف نسمة[2].

قبيلة بلحمر:

تقع منازل قبيلة بلحمر على ضفاف وادي عبل وبيجان والماوين. ويحدّها من الجنوب عسير وشهران، ومن الشرق شهران، ومن الشمال بلسمر، ومن الغرب بنى ثوعة وآل مشول وآل الحارث[3]. وتنتسب قبيلة بلحمر إلى جدّ القبيلة وهو: أحمر بن حجر بن الهنوبن الأزد بن كهلان يشجب من سبأ من يعرب بن قحطان وقد سميت هذه البلاد التي يسكنها بنوه باسمه[4].

تمتد أراضي بلحمر من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي، وتبدأ من الشمال الشرقي لعقبة شعار وهي أراضٍ جبليّة منيعة وجميلة، مملؤة بالغابات ويمتد طولها خمسة وثلاثون كيلو متراً. ويمتاز أهلها بطول القامة، وكثافة الشعر، ويمكن تمييزهم بسهولة عن سائر أفراد القبائل[5] الأخرى. وتعد منطقتهم أخصب بقعة في عسير، وتنتج الحبوب والفواكة بكميات وفيرة[6].

---

(١) شرف بن المحسن البركاتي، المصدر السابق، ص ٦٢.

(٢) مذكرات سليمان باشا، التي نشرتها، مجلة العرب، نقلا عن جريدة الأهرام، القاهرة، الحلقة ١٨ مجلد ٧، جـ ٤، شوال ١٣٩٢ هـ، ص ٣٠٤.

(٣) هاشم النعمى، نفسه، ص ٣٦

(٤) عمر غرامة العمروي، المرجع السابق، ص ٥٢

(٥) مذكرات سليمان باشا: مجلة العرب، مجلد ٧، جـ ٤ شوال ١٣٩٢ ص ٣٠٣.

(٦) Cornwuis Sir Kinahan, op. cit, p. 57.

تنقسم بلاد بلحمر إلى ثلاثة أقسام رئيسية: بلحمر السراة، وبلحمر البادية، وبلحمر تهامة. وينقسم أهل السراة إلى: آل المجنب آل محمد ونازلة، والبادية إلى بادية المجنب وبادية آل محمد وبادية نازلة. والبادية عبارة عن أقسام لأهل السراة[١]. ويتبعهم في تهامة فريق يسكن قرية فرشاط الواقعة في آخر مايمتد إليه بصر الواقف في أعلى عقبة شعار، إلى جهة مجرى الوادي عن طريق محائل[٢].

وأهم المدن في قبيلة بلحمر هي: عبل وهي مركز بلحمر الرئيسي. إضافة إلى ثلاثين قرية أخرى. ويقدر عدد سكان هذه القبيلة بثلاثين ألف نسمة[٣].

قبيلة شهران:

وتسمى شهران العريضة لا تساعها وكبر مساحتها، وهي تمثل أكبر قبيلة في المساحة في إقليم عسير كما أنها أكبرها من الناحية العددية[٤]. ويحدها من الجنوب قحطان، ومن الغرب عسير وبلحمر وبنو شهر وبنو عمرو، ومن الشمال الشلاوة وبلقرن ومن الشرق تثليث[٥]. أضف إلى ذلك أن حدودهم الشرقية والغربية من وادي بيشة غير ثابتة وتتبع قوة البدو من شهران. قال الهمداني[٦] عن موقع شهران: «شهران في سراة بيشة وترج وتبالة، فيما بين جرش وأول

---

(١) عمر غرامة العمروي، المصدر السابق، ص ٥٢ ـ ٥٦.

(٢) فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص ١٥٨.

(٣) مذكرات سليمان باشا، مجلة العرب، حلقة ١٨، مجلد ٧، جـ ٤ شوال ١٣٩٢ ص ٣٠٤.

هاشم النعمى المصدر السابق، ص ٤٧.

(٤) شرف بن عبد المحسن البركاتي، المصدر السابق، ص ٦٧.

(٥) هاشم النعمى، المصدر السابق، ص ٤٥.

(٦) Cornwauis, Sir Kinahan, op. Cit. p. 68.

سراة الأزد »[1].

تنتسب شهران إلى زيد بن كهلان، وقد أورد نسب شهران الهمداني[2] في الاكليل حيث قال: "أولد مالك بن زيد كهلان نبتا والخيار، فأولد نبت الغوث، فأولد الغوث الأزد وعمرا وقدار ومقطعان، فأولد عمرو بن الغوث أراشة، فأولد أراشة أنمارا، فأولد أنمار بجيلة وخثعم، فأولد خثعم خلف بن خثعم، فأولد خلف عفرسا فأولد عفرس شهران العريضة وناهبا ونهشا وكودا وربيعة أبا كلب (بطون كلها)".

وتنقسم قبيلة شهران إلى قبائل كثيرة ومتعددة أهمّها:
آل رشيد، وآل الغمر، وبنو منبه، وبنو بجاد، وناهس، وبنو واهب[3]، كما يتبعها: بنو مالك الشعف، وآل سرحان، وبنو جابرة، وأهل المسقى، والجهرة، وبنو ماجور، وأهل تندحة. وقد دخل فيها قبائل (الحباب) من (سنحان)، ومنهم آل رشيد الذين تنتسب اليهم أسرة آل مشيط شيخ مشايخ شهران اليوم[4]. يزيد بعضهم: كود، وبنو رشيحة، وآل ينفع[5].

أرض قبيلة شهران واسعة تشمل معظم وادي بيشة، كما أنها تمتد حتى شعب تمنية والمسقى. وتشمل مناطق من أجود أرض عسير وأكثرها خيرات، بها أودية ذات أراض زراعية غاية في الجودة، مثل

(١) الحسن بن أحمد الهمداني، المصدر السابق، ص ٦٢.
(٢) الحسن بن أحمد الهمداني، الاكليل، تحقيق محب الدين الخطيب، جـ ١٠، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٦٨ هـ، ص ٥.
(٣) هاشم النعمى، المصدر السابق، ص ٤٥.
(٤) عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١٥.
(٥) فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص ٦٠

أوديـة خيبر وتنـدحه والمسـيرق ووادي الخميس، وتلتقي كلها في وادي بيشة الرئيسي، كما أن فيها مناطق ذات مراع طبيعية ممتازة، يتنقـل فيها البدو الذين يرعون أجـود أنواع الغنم والابـل ويسكنون في بيـوت من الشعر[١].

شيـخ شمل شهـران هو عبـد العزيـز بن مشيط، وهو مسمـوع الكلمة عند كافة فروع القبيلة. وكان يعتبر عبد العزيز بن مشيط وابنـه من أميـز وأقدر شيـوخ القبائـل في عسير كلهـا[٢]. ويقدر عـدد سكان قبيلة شهران بحوالي مائتين وخمسين ألف نسمة[٣].

وأهم مدن شهران:

خميس مشيط: تقع على مسافة ثلاثة عشر ميلا شرق أبها. وتقع في سهل خصيب كثيف السكان، وتعتـبر أهم مركـز تجاري في منـطقة عسير حيث تمر بها كل منتجات منطقـة بيشة من التمـور، كذلـك البن من اليمن، إلى جـانب الجلود والسمن والخيـول والصمـغ[٤]. ويقـام فيها سوق أسبوعي كل يوم خميس تنشط فيه الحـركة التجـارية وتتعهـد قبيلة شهـران بحفظ الأمن فيه، ويعتـبر هذا السـوق من أشهر أسـواق المنـطقة بـوجه عـام. وكان سـوق الخميس قديمـاً عبارة عن عشش من الجريد وهو نوع قوى من النباتات، وتظلل بـأشياء من العشب ويجلس في هذه العشش البائعـون. ويمتاز السـوق بوجـود تخطيط معـين لجميع المحاصيل والمنتجات والملابس[٥].

---

(١) شرف البركاتي، المصدر السابق، ص ٨١ ـ ٨٣.
فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص ٦٠.

(٢) Cornwauis Sir Kinahan, op. cit,p. 68.

(٣) هاشم حمزة، المصدر السابق، ص ٤٦.

(٤) فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص ٧٣ ـ ٧٦.

(٥) جريدة الجزيرة، عدد ٣٩٠٩، ٢٢ شعبان ١٤٠٣هـ موضوع بعنـوان حديث وذكـريات مع عبد العزيز بن مشيط، بقلم محمد الوعيل.

وهناك قري هامة[1] في شهـران أهمها: قـرية ذهبـان. وتقع قـرب خميس مشيط وبها منزل ابن مشيط شيخ شهران، وهـو قصر فخم مبنى من الحجارة[2].

قبيلة عسير:

يحسن هنا أن أشير إلى أن هـذه القبيلة التي سنتحدث عنهـا هي تلك القبيلة التي أشتهـرت حتى شمل أسمهـا كل القبـائل القـاطنة في المنـطقة الممتـدة من غامـد وزهـران شمـالاً حتي اليمن جنـوبـاً، ومن الدواسر شرقاً حتى البحر الأحمر غرباً[3]، وأصبحت اليوم إقليماً متميزاً من أقاليم المملكة العربية السعـودية، وهـذا الشمول للتسميـة حكمته ضرورات تاريخية وطبيعية، وتشابـه الظروف الاجتـماعية والاقتصـادية والثقافية في تلك المنطقة الـواسعة التي شملتهـا هذه التسميـة. لذلـك فمن الضروري أن تكـون تلك المنطقـة الـواسعـة تحـوى قبـائـل ذات أصول مختلفة، فعيشهـا في منطقـة واحدة لا يعني بـالضرورة أنها ذات أصـل واحد وإنمـا أطلقت هذه التسميـة من باب إطـلاق الجـزء عـلى الكل.

تنتسب عسـير إلى عنـز بن وائـل حيث يقـول الهمـداني: « ثم يواطن حزيمـة من شاميّها عسير قبـائل من عنـز وعسير يمـانية تنـزرت ودخلت في عنـز، فأوطـان عسير إلى رأس تيـة وهي عقبـة من أشراف تهـامة ». ويتكلم الهمـداني[4] عن نسب عسير بتفصيـل أكثر في كتـابه

---

(١) ذكر لنا هاشم النعمى تسعا وثمانين قـرية هـامة من قـري قبيلة شهران انـظر. النعمى، نفسه، ص ٤٥، ٤٦.

(٢) مـذكرات سليـمان باشـا، مجلة العرب، مجلد ٦، الاجـزاء ٨، ٩، ١٠، ١١، للاشهـر صفر وربيع اول وربيع ثاني وجمادي اولى عام ١٣٩٢ هـ.

(٣) انظر: صفة جزيرة العرب، ص ٢٦٠.

(٤) كتاب الاكليل، جـ ١، تحقيق مع بن على الأكوع، ص ٢٩٢. ٢٩٣.

الإكليل حيث يقول « أولد عنز بن وائل على ماخبرني بعض من يصاليهم من جنب رفيدة وأراشة ، فأولد رفيدة ربيعة ومعاوية وعامرا وعبد الله وعمرا وحماراً ، فأولد ربيعة مالكاً ، فولد مالك خريهة وتولبا وسلامان . وولد عامر بن رفيدة : عبد الله ووهباً واياساً ، وولد عمرو بن رفيدة : سلمة وشقيقاً وتميماً وعبد الله ، وأولد أراشة بن عنز : عسيراً وقناناً وحندله ، فولد عسير : مالكاً وتميماً ، فولد مالك : غنما وحارمة وجدبلاً وتيماً ، فولد تيم بن مالك زهيراً وسلمة ـ وفيها بنو شيبة ـ وعضاضة ، من نهم بن ربيعة أيضاً » .

ويتضح لنا من كلام الهمداني أن عسير تنتسب إلى عدنان . وهذا لا ينفي وجود عشائر من الأزد القحطانية مختلطة بعسير، وأصبح يطلق عليهم هذه التسمية ، وذلك عن طريق الحلف والمصاهرة والموالاة فغلب عليهم إسم عسير كما هو الواقع في كثير من القبائل[1] .

وهناك من يرى أن قبيلة عسير تنتسب إلى (أزد شنوءة) وهي قبائل بأطراف اليمن من جهته الشمالية . وقبيلة الأزد هم حي من كهلان من أصل قحطان وهو من أعظم الأحياء وأكثرها بطوناً[2] .

وتتكون قبيلة عسير من أربع قبائل هي : بني مغيد ، وعلكم ، وبني مالك ، وربيعة ورفيدة[3] . ويحدّها من الغرب رجال ألمع ، ومن الشرق بلاد شهران ، ومن الجنوب قحطان ، ومن الشمال بلحمر وبلسمر[4] .

---

(١) هاشم النعمي ، المصدر السابق ، ص ٥ .
(٢) عبد الله بن مسفر ، المصدر السابق ، ص ١٧ ، ١٨ .
(٣) محمد عمر رفيع ، في ربوع عسير ، دار العهد الجديد للطباعة ، القاهرة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م ، ص ٥٠ .
(٤) فؤاد حمزة ، المصدر السابق ، ص ٨٨ .

تعتبر قبيلة بني مغيد أقوى قبائل عسير وأكثرها شهرة، ومنهم تنحدر أسرة آل عائض ويقوم بنو مغيد بحمل لواء عسير في أية مناسبة، ويعود ذلك إلى كون آخر أمراء المنطقة منهم [١]. وتنتشر قرى هذه القبيلة على طول وادي أبها وروافده وتنقسم قبيلة بني مغيد إلى عدد من الفروع من أهمها : آل الوازع، وآل ناجح، وآل عبد العزيز، وآل على بن الغريب، وآل ويمن، وبنو جعفري [٢].

وتأتي في المرتبة الثانية بعد بني مغيد قبيلة علكم. وتنتشر قرى هذه القبيلة على طول وادي حمرة وروافده، وتنقسم إلى عدة فروع أهمها : بنو مازن، وبنو شَبلي، وآل سعيدي، وآل عطا، وآل القاسم، وعضاضة، وبنو مقرن. وتقع إلى الشمال من مدينة أبها، على مسافة لا تتجاوز ثلاثة عشر كيلومتراً، وأصلهم من العدنانيين [٣].

ثم قبيلة بني مالك، وتقع منازل هذه القبيلة إلى الشمال الشرقي عن مدينة أبها، وتنقسم إلى عدة فروع أهمها : بنو رزام، وآل مجمل، وآل يعلا، وبنو ربيعة، وبنو منبه، وآل الحبشي، وآل رميان [٤]. وكان شيخ بني مالك أيام حملة الشريف حسين على عسير هو الشيخ على بن معدّى، ورئاسة القبيلة في أسرته بالوراثة [٥]. ويذكر كنياهان كورنواليس أن بني مالك كانوا يميلون إلى السلم أكثر من بقية قبائل عسير [٦].

---

(١) محمود شاكر، شبه جزيرة العرب ـ عسير ـ ط ٣. المكتب الإسلامي، دمشق ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م، ص ٥٦.

(٢) Cornwallis, Sir Kirahan, op. cit., p.65.

(٣) هاشم النعمي، المصدر السابق، ٣٤، ٣٥

(٤) هاشم النعمي، نفسه، ص ٣٦.

(٥) شرف البركاتي بن عبد المحسن البركاتي، المصدر السابق، ص ٧٣.

(٦) Cornwallis, Sir Kirahan, op. cit.p. 69.

وكـذلك قبيلة ربيعـة ورفيـدة، وتقـع منـازل هـذه القبيلة عـلى ضفـاف وادي طبب وروافده، وهي إلى الشـمال الغـربي، من مـدينـة أبهـا، وتنقسم إلى عدة فـروع أهمها : امتـلادة، وآل شدادي، وأهـل الغـال، والـرفقتـين، وآل الحـارث، وبنـو حسن، وبنـوثـوعـة، وآل عاصم[١].

ويتبع قبيلة عسير فروع في تهامة أهمها :

١ ـ المضيّبون : وينتسبون إلى قبيلة بني مغيد

٢ ـ امنقلة : وينتسبون إلى علكم.

٣ ـ أهل وادي قربة : ويتبعون علكم وبني مغيد.

٤ ـ ربيعة اليمن : وتعتبر من ملحقات بني مغيد، وتقيم ربيعـة اليمن في وادي ضلع[٢].

وقبـائل ربيعـة والجهرة النـازلـين في وادي ضلع ووادي الـردوم يتكلمـون اللغة العـربية الفصحى، ولمنطِقهـم سلاسـة ونغمة لـطيفة كأنها الشعر المنـظوم، ويبلغ عددهم خمسـة آلاف أو ستة آلاف نسمـة فقط. ووديانهم غزيرة بالماء غير أنهم لا يمارسون الفـلاحة بـل يعيشون عـلى تربيـة الأبل والمـاعز، ودأبهم التنقـل في وديـانهم الخـاصـة بهم، فيتحـوّلون من مكـان إلى آخر بمنـازلهم المصنـوعـة من الحصـير، حتى يسهل نقلها[٣]. ويتبع قبيلة ربيعة ورفيدة عدة فروع في تهامـة أهمها : آل عـاصم تهامـة، ويقطنـون وادي وسـانب، ووادي صـارة، ووادي قضى، ومعمل السحر. وبني ثوعة وتقع شمال السحـر والبناء وجنـوب

---

(١) هاشم النعمي، نفسه، ص ٣٥.

(٢) فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص ١٠٦.

(٣) مـذكـرات سليـمان بـاشـا، مجلة العـرب، الحلقـة ٢، مجلد ٥، جـ ١٠، ربيـع الثـاني ١٣٩١ هـ، ص ٩٠٩.

آل موسى[1]. وآل الحارث : ويقطنون في وادي تية، ومعظمهم من رعاة الأغنام، ويعملون في نقل البضائع بين محايل ورجال ألمع [2].

ومع أن عسير تشتهر بكثرة القرى فيها، إلا أنه كان يوجد لها حواضر يتركز فيها بعض السكان مثل :-

أبها : وهى حاضرة بني مغيد وعاصمة عسير كلها. وتقع في الجانب الشرقي من بلاد عسير، في وهدة بين جبال جرداء. وهناك قرى أقل أهمية من أبها مثل : السقا، وطبب، وتيهان، والسوّدة[3].

قبيلة رجال ألمع :

بنو ألمع، بفتح الهمزة وسكون اللام، بطن من الأزد من القحطانية، وهم بنو ألمع بن عمرو، من بنى على ابن مزيقياء[4] - وكانت هجرة الأزد إلى بلاد رجال ألمع قد حصلت عقب إنهيار سد مأرب الشهير، مما دفع الأزد إلى التفرق في بقاع الأرض، وكان منهم قسم أستقّر في ألمع وبارق ونواحيها وسمّوا أزد شنوءة[5].

وتعد رجال ألمع حالياً تابعة لقبيلة عسير فهي تكّون نصف عسير من حيث المساحة ومن حيث السكان. وأري أن اعتبار رجال ألمع جزءاً

---

(١) حصلت على هذه المعلومات من الروايات المحلية المنقولة عن عدد من كبار السن في المنطقة.

(٢) Cornwallis, Sir Kinahan, op. cit,p.57.

(٣) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ٧٢.

(٤) محمد أمين البغدادي السويدي، المصدر السابق، ص ٦٦
- أبي العباس، القلقشندي، المصدر السابق، ص ٧٤، ص ٦٦
- أبي محمد علي بن أحمد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢هـ/ ١٩٦٢م، ص ٣٧٥.

(٥) أحمد حسين شرف الدين، دراسات في أنساب قبائل اليمن، ط ٢، الرياض ١٤٠١ هـ، ص ٤٤.

من عسير قد حدث في وقت متأخر، ويرجح أنه تم بعد قيام حلف بين قبائل عسير السراة وبين قبائل رجال ألمع، وهو نتيجة حتمية تقتضيها الظروف بخاصة أثناء حملات محمد علي على عسير، ثم أثناء الحملات العثمانية المتوالية عليها. والذي يجعلني أرجح هذا الرأى الأسباب الآتية :-

١ - لأن عسير السراة تنتسب إلى عنز، فهي قبيلة عدنانية. بينما رجال ألمع ينتسبون إلى الأزد فهم قبيلة يمنية قحطانية.

٢ - كانت إشارات الهمداني[١] إلى عسير، تقتصر على قبيلة عنز التي تسكن حول أبها، وأشار إلى رجال ألمع على أنهم من المجاورين لعنز فقط. وهذا يؤكد أن التسمية التي جعلت رجال ألمع من عسير كانت تسمية متأخرة ولم تعتمد على النسب.

ويحد رجال ألمع من الجنوب درب بني شعبة، ومن الشمال آل موسى وبني ثوعة، ومن الشرق عسير السراة بقبائلها الأربع، ومن الغرب قبائل المنجحة وبني هلال وبحر ابن سكينة[٢].

وتقع منطقة رجال ألمع في سفوح الجبال الغربية لعسير السراة. وليست أرضها سهلية ولكنها جبلية تتخللها أودية خصبة التربة، وجبالها مكسوّة بالأشجار بمختلف أنواعها، وتنقسم إلى قسمين : ألمع الشام، وألمع اليمن. وترجع هذه التسمية إلى وجود جبل يفصل بين القسمين فألمع الشام تقع شمال هذا الجبل، بينما تقع ألمع اليمن إلى الجنوب منه[٣].

---

(١) الحسن الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٥٦، ٢٦٠.

(٢) فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص ١٥٢.

(٣) يحيى إبراهيم الألمعي، رحلات في عسير، الجزء الأول، مطابع الأصفهاني، جدة (بدون ت) ص ٦٨.

وتنقسم رجال ألمع إلى عشر قبائل هي : قيس، وبنو ظالم والبنا، وبنو جونه وبنو بكر (أهل صلب)، وبنو عبد شحب، وشديدة، وبنو زيد، وبنو قطبة، وبنو عبد العوص[١].

يشتغل سكان منطقة رجال ألمع في مهن مختلفة، أما مهنهم الرئيسية فهي : الزراعة والرعي والتجارة. فبالنسبة للزراعة فإن غالبية السكان يمارسونها، وهي تأتي في المقام الأول، ثم بعد ذلك يمارس السكان مهنتي التجارة أو الرعي وعلى العموم فقد تكون الزراعة ذات مردود جيد إذا هطلت الأمطار، ولكنها تتأثر إذا لم تهطل الأمطار. ويعوضون ذلك بقيامهم بنشاط تجارى اشتهروا به منذ القدم، حيث كانوا تجاراً مهمّين في المنطقة، فكانوا يستوردون البضائع من عدن ثم يقومون بتوزيعها في مناطق عسير الداخلية ومناطق شهران وقحطان[٢]. كما تشتهر رجال ألمع بانتاج العسل الجيّد، وهو ثلاثة أنواع عسل الشوكة وعسل المجرة وعسل القيضة وهو خفيف يميل إلى الصفرة[٣].

ويوجد في رجال ألمع قرى كثيرة، ولكل قبيلة حاضرة أو أكثر، وأهم حواضر رجال المع :

١ ـ الشعبين : وهي عاصمة رجال ألمع الإدارية، وقد تأسست بعد أن دخل القائد العثماني عسير عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م[٤]. ومنذ ذلك التاريخ ظلت الشعبين تشكل مركزاً مهما من مراكز

---

(١) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٣٦ ـ ٤٠.
(٢) يحيى إبراهيم الألمعي، المرجع السابق، ص ٦٨. ٦٩.
(٣) يحيى إبراهيم الألمعي. نفسه، ص ٦٨.
(٤) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ١١.

العثمانيين، وكانت تتكون من ثلاثمائة منزل في أيام الحرب العالمية الأولى[1].

٢ ـ رجال : وتقع على مسافة أربعين ميلاً من أبها، وهي مدينة مبنية من الحجر بها أكثر من ألف منزل معظمها مبنى من طابقين أو ثلاثة طوابق، وهي من المراكز الهامة لتصدير السمن والجلود والصمغ وإستيراد بضائع من الخارج وهي تقع في وادٍ زراعي صغير، وهي محاطة بالجبال التي يزرع فيها البن[2].

قبيلة قحطان :

يطلق اسم قبيلة قحطان المقصودة هنا على مجموعة قبائل من خولان وهمدان تسكن مابين ظهران الجنوب حتى وادي شهران، وفي الحقيقة أن تسمية هذه القبيلة بقحطان يثير الالتباس بينها وبين قحطان الذين يشكلون نصف العرب. ومما لاشك فيه أن هذه القبيلة هي احدى القبائل الكبيرة التي تنتسب إلى قحطان، وتقع منازلها على طول وادي ظهران ووادي تثليث ووادي الجوف. وتحد من الشمال بشهران وعسير ومن الجنوب ببني صحار ويام، ومن الغرب بقبائل وادي بيش، ومن الشرق بحافة الربع الخالي[3].

وتقسم قبيلة قحطان إلى ستة أقسام كبيرة تكّون كل قحطان هي :

١ ـ قبيلة وادعة : وتقع منازل هذه القبيلة على ضفاف وادي ظهران.

---

(١) Cornwallis, Sir Kirahan, op. cit.p. 60.

(٢) Cornwallis Sir Kinahan, Ibid., p. 60

(٣) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٤١.
ـ حمد بن إبراهيم الحقيل، المرجع السابق، ص ٣٣، ٧٢.

وبلادهم جبلية ذات أودية كثيرة وخصبة أهمها : وادي الحاجر، ووادي قثام، ووادي العرين، ووادي طلحة، ووادي رشا، وكانت بلادهم تنتج كميات كبيرة من العنب حيث يتم تصديرها إلى أبها ورجال ألمع. وكانوا يستوردون البن من جبال رزاح وخولان الشام في اليمن. وأهم مدنهم ظهران، التي كانت تمثل عاصمتهم، ويعقد بها عادة السوق الرئيسي للقبيلة[1].

٢ - قبيلة سنحان : تقع هذه القبيلة على ضفاف وادي راحة وروافده. ويقطنون في السراة وفي تهامة، حيث يوجد لهم أتباع كثيرون في تهامة[2]. وينقسمون إلى قسمين، قسم متحضر وقسم بدوي، ويملكون ثروة كبيرة من الأبل التي يعتمدون عليها في حياتهم. ويشتهرون بالشجاعة وإجادتهم للقتال[3].

٣ - قبيلة بني بشر : وتقع منازلهم على ضفاف وادي راحة ووادي يعوظ. وينقسمون إلى عدد كبير من العشائر، يقطنون في السراة وفي تهامة[4]. ومنطقة بني بشر قاحلة في الشرق، ولكنها أكثر أمطاراً وخصوبة ونباتات وغابات في اتجاه البحر. وتشتهر القبيلة بالكرم والشهامة والثروة. ويملك البدو أعداداً كبيرة من المواشي[5].

٤ - قبيلة شريف : وتقع مع قبيلة بني بشر على ضفاف وادي راحة، ووادي يعوظ. وشيخ القبيلة هو محمد بن دليم، الذي يعتبر في

---

(١) فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص ١٣٨ - ٨١٤٠

(٢) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٤١.

(٣) Cornwallis, Sir Kirahan, op. cit.,p. 77.

(٤) هاشم النعمي، نفسه، ص ٤٢.

(٥) Cornwallis, Sir Kirahan, Ibid., p. 76.

الوقت نفسه شيخ قحطان كلها[1]. ومنطقة شريف متعرجة السطح، تقل فيها الأشجار وتكثر الحشائش الموسمية، ونتيجة لقلة الأمطار فإن زراعتهم تعتمد على الرى من الآبار. ولكن إهتمامهم بالزراعة محدود بالمقارنة مع التجارة التي تعد من أهم أنشطتهم الاقتصادية، وتعد شريف من القبائل المسالمة التي لا تحب الحروب والقتال. أهم قراهم : حرجة : وبها حوالي مائتي منزل بنيت من الحجر والطين، وبها قلعة الشيخ محمد بن دليم[2].

٥ - قبيلة عبيدة : وتقع شمال وادي يعوظ. وتنقسم إلى قسمين كبيرين هما : آل الصقر، وآل الحارث، وفيها مايزيد على ثلاث وعشرين عشيرة[3]. وتشتهر عبيدة بأنها أكثر قبائل قحطان ثراء ونشاطاً ومقدرة تجارية. وأهم مراكزهم : سراة عبيدة التي تعد من أهم مراكز البيع والشراء في منطقة عسير، حيث يقام فيها سوق أسبوعي، وأهم البضائع التي ترد إليها : السمن والجلود والبن والمواشي، ويصل عدد بيوتها إلى مئتى بيت. ومعظم سكانها يهتمون بالتجارة، ويستقر البعض من تجارهم بصفة دائمة في كل من رجال ألمع، وأبها، والنماص، وجزء منهم له أعمال تجارية في جدة. ومما يميزهم في المجال التجاري المعرفة بالأساليب التجارية، ولهم رغبة قوية في الثراء، ولذلك فقراهم كثيرة العدد ومعمرة ومنظمة جيداً. وقد اشتهروا بجانب ذلك بفنون البناء، وقد تخصصوا في ذلك ومارسوه في كل منطقة عسير[4].

---

(١) هاشم النعمي، نفسه، ص ٤٢.

(٢) Cornwallis, Sir Kirahan, Ibod.,p. 77.

(٣) فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص ١٤٢.

(٤) Cornwallis, Sir Kirahan, op. cit., p. 75.

ويشتهر البدو من عبيدة بالخيول العربية الأصيلة التي يفخرون بها. ونادراً مايبيعونها. كما يملكون ثروة كبيرة من المواشي. وقد اشتهروا بين قبائل أقليم عسير بأنهم كثيراً ما يحاربون على ظهور الخيل والجمال حاملين البنادق والحراب بجانب الجنابا[1].

٦ ـ قبيلة رفيدة وجارمة : تقع هذه القبيلة على مسافة من مشارف وادي يعوظ في الجنوب حتى بلاد شهران في الشمال[2]. وتتكون هذه القبيلة من مجموعتين : المستقرون والبدو. ويشتهر المستقرون بالزراعة، وبكرههم للحروب والقتال. أما البدو فتميزوا بالمقدرة الحربية المتازة، ويملكون أعداداً كبيرة من المواشي، ومهنتهم الرئيسية الرعي[3].

وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد فرع من قحطان في نجد يعرفون بقحطان نجد، وهم قسمين : آل الجمل، وآل محمد أو آل سليمان[4]. ويقول الألوسي[5] عن القبائل الساكنة في نجد مانصه : « ومنها قحطان وهم من أهل النجدة والقوة والعدة والعدد، وينقسمون إلى بطون : (الحمالين) و(العرينات) و(النُبطة) و(الصحلة) و(مليح) و(القرينات) و(العزة)، وهم من بنى عامر بن صعصعة من العدنانية ».

أما عن العلاقة بين قحطان الشمال والجنوب فقد انفصلت تماماً، ولا علاقة بينهم إلا في أوقات الجفاف والقحط حيث تأتي

---

(١) Cornwallis, Sir Kinahan, Ibod., p. 76.

(٢) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٤٣.

(٣) Cornwallis, Sir Kinahan, Ibid., p. 73.

(٤) حمد بن إبراهيم الحقيل، المرجع السابق، ص ٧٤.

(٥) محمود شكري الالوسي، تاريخ نجد، حققه محمد بهجت الأثري، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م ـ ص ٨٩.

مجموعة قحطانية من الشمال إلى المنطقة الجنوبية، ويجدون الترحيب من قبائل قحطان الجنوب، ولكن العلاقة بين قحطان في الشمال والجنوب تنتهي عند هذا الحد فقط ولا يوجد هناك أية رابطة أخرى تربط بينهم[١].

قبائل تهامة :

نعني بقبائل تهامة، القبائل الواقعة في المنطقة التي تمتد من جبال السروات شرقاً حتى البحر الأحمر غرباً، وتمتد من بلاد بارق شمالاً إلى حدود اليمن جنوباً، وسيكون حديثنا عنها مختصراً، بهدف القاء بعض الضوء على قبائل تلك المنطقة التي تشملها الدراسة، وسنبدأ أيضاً من الشمال إلى الجنوب :

قبيلة بارق :

بارق بطن من خزاعة من بني عمرو مزيقيا، من الأزد من القحطانية، وهم بنو بارق بن عدى بن حارثة بن مزيقياء بن عامر (ماء السماء)[٢]. وقد ورد ذكر بارق في صفة جزيرة العرب للهمداني[٣] حيث قال : « ثم سراة بجيلة والأزد بن سلامان بن مفرح وألمع وبارق » إلى أن يقول : « وحلبا قرية لبنى مالك بن شهر قبيلة الحجر على هذا يمانيّها مصال لعنز، ومن شاميها بلد ألوس والغز من ختعم وشرقيها ماجاور بيشة من بلد خثعم وأكلب، وغوريها بلد بارق فآل عبيدة من الأزد ».

تقع منازل هذه القبيلة في الأغوار الغربية من تهامة بني شهر، ويحدها من الشمال بنو شهر وبنو عمر، ومن الغرب ربيعة المقاطرة

---

(١) Cornwallis, Sir Kinahan, op. cit., p. 73.

(٢) عمر رضا كحاله، معجم قبائل العرب، جـ ١، ص ٥٨.

(٣) الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٦٠، ٢٦١.

وربيعة الطحاحين، وفي الشرق بنو شهر، ومن الجنوب المعرية وآل خليف وآل دريب(١).

تنقسم بلاد بارق إلى قسمين أساسيين : آل علي، وآل حميضة. وينقسم آل علي إلى ثلاثة أقسام هم : آل جبلي وآل سباعي، وقبيلة آل موسى بن علي. أما آل حميضة فينقسمون إلى خمسة أقسام هم : آل حجري، وآل سالم، وآل عرام، وآل فيصل والمهاملة(٢).

ووادي بارق من أعظم الأودية اتساعاً خصب التربة، خيراته كثيرة، يزرع فيه السمسم والذرة والشعير والدخن. وتبلغ قرى وادي بارق خمسون قرية كلها مبنية بالحجر المنحوت الجميل. وهناك قرية في سوق آل موسى تسمى سوق الأحد، يعقد بها سوق أسبوعي(٣).

قبائل حلي :

لابد من الإشارة هنا إلى الصعوبات التي واجهتني عند جمع المعلومات عن هذه القبائل، فهي كثير ومتعددة، وتختلف المصادر في تصنيفها وتقسيمها. وعلى العموم فأهل حلي تعبير عام يشمل أربع قبائل مختلفة الأصول وهم : عبد الأمير والغوانمة، وأولاد العلاونة، وكنانة(٤).

تمتد منطقة هذه القبائل أربعة أميال شمال حلي، وثمانية عشر ميلا جنوبها، وتمتد من الساحل إلى مسافة عشرين ميلا للداخل. ويحدهم من الشمال بنو يعلا وأبو العير وربيعة الطحاحين، ومن الشرق

---

(١) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٥١.

(٢) عمر غرامة العمروى، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، بلاد بارق، ط١، جدة ١٣٩٨هـ ص ٤٩ - ٥٤.

(٣) شرف البركاتي، المصدر السابق، ص ٥٤.

(٤) Coenallis, Sir Kirahan, op. ci, p. 36.

ربيعة الطحاحين وبنو هلال، ومن الجنوب بنو هلال وغرباً البحر الأحمر(١).

وتتميز هذه القبائل بالشجاعة وحب الحروب، ولهم عداوة، وثأر مع جميع جيرانهم باستثناء رجال ألمع الذين لهم معهم صلات وثيقة. وعلى الرغم من توتر العلاقات من بين القبائل المكونة لهذا التجمع إلا أنها سرعان ماتتضامن وتتوحد في حالة وجود خطر يهدد منطقتهم ويستوجب الدفاع عنها(٢).

قبائل محائل :

تقع منطقة هذه القبائل على وادي تيه وماجاورها من ضاحية جوزان والحماطة ويقع قسم منها على الساحل الجنوبي من حلى بن يعقوب. ويحدها من الشمال آل دريب ووادي يبه، ومن الغرب آل ختارش وساحل البحر الأحمر ومن الشرق بني ثوعة والريش. ومن الجنوب رجال ألمع وقنا والبحر(٣).

وتسمى مجموعة القبائل القاطنة حول محائل بآل موسى، وتحوى عدة قبائل أهمها : بنو يزيد، والجرمان، وآل فاهمة، وبنو دارس، وبنو ذئب، والنعب، وآل عيسى، وآل عمير، والصحوالحة، وربيعة الطحاحين، وربيعة المقاطرة، وآل خليفة وآل قايد، وآل عامر، والزعبة، وآل مسعود(٤).

وآل موسى خليط من العرب الخلص ومن مجموعات ذات أصول أفريقية ولا يوجد تزاوج بين المجموعتين عى الرغم من أن

---

(١) Coenwallis, Sir Kirahan, op. cit., p. 36.

(٢) Cornwallis, Sir Rirahan, Ibid. p. 36.

(٣) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٥٢.

(٤) عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١٣.

المجموعات الافريقية قد تساوت مع العرب من ناحية القيم الاجتماعية والشجاعة. وآل موسى قبيلة غنية، إذ تملك ثروة كبيرة من المواشي. ومنطقتهم بالرغم من أنها لا تقارن بالمنطقة الجبلية من ناحية الخصوبة إلا أنها تنتج محاصيل وفيرة[١].

أهم مدن آل موسى: محائل: وتقع على مسافة أربعة وستين ميلا إلى الشمال الغربي من أبها وهي في سهل خصيب ينتج كافة المحاصيل الزراعية. وبيوت محائل من طابق واحد في غالبيتها، كما يوجد فيها بعض العشاش والأكواخ[٢]. وأهمية محائل في موقعها، فهي تقع في منتصف الطريق الواصل بين أبها والقنفذة، ولذلك كان الأتراك يحرصون على بقاء محائل تحت سيطرتهم لكي يؤمنوا الاتصال بين أبها عاصمة عسير، وبين القنفذة الميناء الرئيسي لعسير[٣].

تعتبر ربيعة الطحاحين من أهم القبائل في محائل، ويسيطرون على طريق محايل القنفذة ومنطقتهم جبلية تغطيها الغابات، وتملك ربيعة الطحاحين ثروة كبيرة من الابل والماعز والأبقار، جميعهم يعيشون حياة بدوية، يمقتون ويحقترون أي نشاط غيره. وكانوا في تحالف مع ربيعة مقاطرة وآل دريب، وكان لهم ثأر قديم مع حميضة وآل موسى[٤].

وهناك ربيعة المقاطرة، وهي قبيلة بدوية منعزلة تنتشر في الجبال حول محائل «كانت هذه القبيلة في عداء دائم مع كل من في المنطقة باستثناء ربيعة الطحاحين جيرانهم الأقربين ويخترق طريق بارق القنفذة

(١) Cornwallis, Sir Kirahan, op. cit., p. 54.

(٢) محمد عمر رفيع، المصدر السابق، ص ١٠٠ ـ ١٠٢.

(٣) مذكرات سليمان باشا، مجلة العرب، الحلقة ٣، مجلد ٥، جـ ١١ جماد الأولى ١٣٩١.

(٤) Cornwallis, Sir Kinahan., p.52.

أراضيهم لمسافة عشرين ميلا، وقد كانت عصاباتهم تهاجم القوافل العابرة في هذه المنطقة[1]، ولهذه القبيلة سوق أسبوعي اسمه سوق (الجمعة). ويبلغ عدد من يحضره نحو عشرين ألف نسمة[2].

قبيلة الريش :

تقع منازل هذه القبيلة على ضفاف وادي الريش وروافده. يحدها من الشمال بارق والشهارية، ومن الجنوب آل موسى وبني ثوعة، ومن الشرق بلسمر وبلحمر، ومن الغرب آل موسى. وتنقسم إلى أفخاذ أهمها : السادة، والمشائخ، والشعثا، وآل مشول، وآل معشر، والكدسي، وآل دريب، وآل المصبح، والعين[3]. منطقتهم خصبة، ويملكون ثروة كبيرة من المواشي، وقد اشتهروا بالكرم، ويمكن للمسافر التنقل في أرضهم بأمان تام، مهارتهم الحربية محدودة، وضح ذلك عند مهاجمة شريف مكة لأراضيهم عام ١٣٢٩ هـ[4].

قبائل قنا والبحر :

تقع هذه القبيلة على ضفاف وادي قنا، ويسكن قسم منها جهة بحر بن سكينة يحدها من الشمال قبائل محائل، ومن الجنوب رجال ألمع، ومن الغرب المنجحة وآل ختارش[5].

أهم قبائل قنا والبحر، ولد أسلم، وآل ختارش، وبنو حوثرة، وبنو جندب، والمعيوف، وبنو سكينة. وكانت قبائل قنا والبحر تختلف من ناحية حب النظام وعدم قطع الطرق من جهة إلى أخرى. فبعض

---

(١) Cornwallis Sir Kianhan, op., p.51.

(٢) شرف البركاتي، المصدر السابق، ص ٥٠.

(٣) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٥٣.

(٤) Coenwallis Sir Kinahan, Ibid., p.53.

(٥) هاشم النعمي، نفسه، ص ٥٢.

تلك القبائل كانت تلتزم النظام والقانون ويعتمدون على النشاط الاقتصادي مثل الزراعة وجمع الملح. وهناك قسم من تلك القبائل فوضويون وفي عداوة مستمرة مع جيرانهم، ويحبون الحرب ويعيشون على قطع الطرقات لدرجة أنه لا يتمكن من اجتياز أراضيهم إلا القوافل المسلحة، وأشهر تلك القبائل آل ختارش[١].

أهم مدنهم: البرك وتتكون من حوالي مائة وخمسين منزلاً من الحجر وقليل من بيوت القش، ويحيط بها سور شبه مهدّم، وتتوفر فيها المياه بكميات كبيرة. وهي ميناء محمى من الرياح، وتعتبر من الموانى الهامة للصادرات والواردات للجزء الداخلي من جنوب عسير، كما كانت المركز الرئيسي لتحركات الجيوش بالمنطقة أثناء الحرب العالمية الأولى. وكانت البرك أثناء حملة الشريف على عسير من أهم الموانى التابعة للادريسى، وكانت مصدراً رئيسياً للسلاح الأوربي الذي يرد من مصوع وجيبوتي وعدن باسم الادريسي، وكان شيخ القبائل المقيمة حول البرك آنذاك الشيخ على عبده وهو مقيم بالبرك. وكان من أشد أعداء شريف مكة، ومن أخلص المخلصين للادريسى. ولذلك توجهت البواخر العثمانية للبرك وضربتها حتى خرّبتها وهرب شيخها على بن عبده إلى الادريسى[٢].

قبيلة بني هلال:

تمتد أراضي بني هلال من حدود ربيعة التهم وأهل حلي ومحايل شمالاً إلى قرب البرك على ساحل البحر الأحمر جنوباً. وأهم أقسامها: آل الجمعة وآل مسيحر، وآل خرفش، وأهل البرك، وبنو

---

(١) Cornwallis Sir Kinaha, op., p.38.

(٢) Cornwallis Sir Kinahan, op.p.38.

هلال بطن من عامر بن صعصعة من هوازن من العدنانية، منهم زينب بنت خزيمة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، وميمونة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم[1].

منطقة بني هلال منطقة جبلية تغطيها النباتات والغابات الكثيفة التي توفر مراعي غنية لأعداد كبيرة من الابل والماعز. ويعتبرون من أقوى القبائل البدوية، وقد أستطاعوا أن يقفلوا الطرق المارة من أراضيهم إلا أمام القوافل الكبيرة المسلحة[2].

قبيلة المنجحة:

تقع أراضي هذه القبيلة على ضفاف وادي عسلان، وقدران، من أغوار قنا والبحر، ويوجد قسم كبير منها في محائل وقنا والبحر. وتنقسم إلى عدة أقسام أهمها: آل معوض، وآل معيوف، والمقبعة. والروس، وتشتهر هذه القبيلة بالسرقة وقطع الطرقات[3].

تنقسم القبيلة إلى قسمين: المستقرون، ويتمركزون في الموانى مثل القحمة والموسّم، ويمارسون قليلا من الزراعة أهمها زراعة النخيل. ولكنهم يعتمدون إلى حد كبير على عمليات الشحن والتفريغ في الموانىء، وعلى الرغم من صغر حجم هذه الموانىء، إلا أنها اكتسبت أهمية كبرى كمدخل لنقل السلاح والذخيرة إلى بلدان عسير الداخلية. أما القسم الثاني فهم البدو، وهم في وضع اقتصادي جيد، إذ يملكون أعداداً كبيرة من الماشية والابل، كما أنهم يتاجرون في السمك المجفف مع مناطق عسير، وفي الدوم مع مصوّع. ويحبون الانتقال خارج

---

(١) حمد الحقيل، المصدر السابق، ص ١٨٥.

(٢) Cornwuis Sir Kinahan, op. cit, p, 37.

(٣) هاشم النعمى، المصدر السابق، ص ٥٣.

ديـــارهم في الـظروف العـــاديـة فيصلون حتى بحـــر بن سكينـة وبنى هلال[1].

قبيـــلة بـنى شعبــــة:

تقع هذه القبيلة إلى الشمال من رجال ألمع. ومنهم من هو مستقـر يعتمد على الزراعة، ومنهم البـدو الذين يملكـون ثروة كبـيرة من الابل والغنم والأبقـار والخيـل. وقبـائـل هــذه المنـطقــة خليط من العـرب والسـودانيين الذين تحـرّروا منذ أجيـال سابقـة. وهم محاربـون أشداء وأقوياء، حتى أنهم يلقبون بالعسكر. من أهم القري في هذه المنطقـة: الدرب التي هي المركـز الرئيسي لهم. والشقيق، التي تعتـبر منياء هـام لهم، والتجارة فيها مفتوحة ومتنـوعة أهمهـا: تجارة الجلود والسمن مـع مصوع[2].
ويزرع في الدرب الذرة والدخن. وأرضهـا جيدة خصبـة، حيث يبلغ طول ساق الذرة سبعة أذرع. وإذا سال الوادي سيلاً قويا أمكن زراعة الأرض ثـلاث أو أربـع مـرات سنـويـا، ويعـود ذلـك لجـودة الأرض وخصوبة التربة[3].

التنظيمـــات القبيـــلة في عســـير:

المقصود بالتنظيمات القبيلة هنا، هو دراسة جهاز القبيلة. الـذي يعتمد غالبا على التسلسل الهرمى، بحيث يكون الشيخ عادة على رأس ذلك الهرم. ونهدف من هـذه الدراسـة، الوصـول إلى معرفـة التنظيم الذي كانت تتبعة قبائـل هذه المنـطقة، ودون شـك أن معرفتنـا لسلطة شيخ القبيلة ونوعية نظام القبيلة في عسير سيقودنـا إلى معرفـة العوامـل

---

(١) Corwauis Sir Kinahan, Ibid, p. 39.

(٢) Cornwuis Sir Kinahan, op. cit., p, 40

(٣) محمد عمر رفيع، المصدر السابق، ص ١٢٣

التي أثرت على استعدادات قبائـل عسير، ومـواقفها في وجـه الحملات الخارجية إضافة إلى كونها تقودنا إلى طبيعة اتصال الأمير القائم في عسير بالقبائـل على اختـلاف فئاتهـا. وسيقودنـا أيضاً إلى معـرفة قـوة النظام الداخلي في القبيلة، وبالتالي فـإن هذا يؤدي إلى معـرفة القـوة الحقيقية للمنطقة بأسرها.

(أ) شيــخ القبيــلة:

درجت القبائل العربية في أنحـاء الجزيـرة على اختيـار رئيس لها يكون مصدر الأمر والنهى فيها، وتكون رئاسته على أسـاس من القيم المتـوارثة لـدى العشيرة التي ينتمى إليهـا، وعلى أسـاس من البطولات والتضحيات التي قدّمهـا، والآراء السديـدة التي عرف بهـا[١]. فلكل قبيلة أو فخذ كبير أو عشيرة، شيخ عرف برجاحة العقل وسمو الخلق، والأصالة في القبيلة. وهذا الشيخ هو الذي يتولى حل جميـع المشكلات التي قد تنشأ بين أفراد جماعته. وهـو الذي يقـوم بدور الاتصـال بينها وبين الحكومة، يعرض حاجات القبيلة ومختلف شئونها العامـة. وتنقاد عادة القبيلة أو العشيرة لشيخها وتخضع لرأيه، وبخاصة عنـدما تعـرف فيه الحرص على القيام بشئونها قياماً نافعا[٢].

ويؤكد هاشم النعمى[٣] أن الشيـخ لا يقبل التنـازل عن منصبه مهما بلغ تذمر القبيلة منه، حتى أن تعنت بعض الشيوخ، في عسير قـد أدي إلى اغتيـاله، بعـد أن فشلت القبيلة في اقناعـه بترك منصبـه. وفي الوقت نفسه الذي لا يقبل فيـه الشيخ التنـازل عن منصبه فـإنه كثيـراً ما تسلط على أموال الضعفاء والأيتـام فيضع يـده على بعض أمـلاكهم

---

(١) عبد الرحمن العبيد، قبيلة العوازم، بيروت ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م، ص ٤٥.

(٢) حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران، ص ١٠٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٦٠.

بحجة أن هذا حق الأمير عليهم، إلى غير ذلك من صنوف الاستغلال التي يمارسها المشائخ.

ويرى سليمان[1] شفيق باشا رأيا مخالفا للرأي السابق، حين يذكر أنه لا يوجد تسلط لشيخ القبيلة، وأن الأراضي مقسمة على العائلات قسمه التساوي بقدر الإمكان، فلا يوجد شيخ يملك ألوف الفدادين، ولا يوجد فقير معدم لا يجد له ملجأ يأوي إليه.

وأري أنه لا يمكن تحديد هذا الموقف بشكل ثابت لجميع الشيوخ، بخاصة من ناحية استغلالهم لمناصبهم فيما يعود عليهم بالمصلحة دون مراعاة لحقوق الناس. وفي الغالب فإن الشيخ لا يستطيع أن يمارس ظلما وتعسفا على قبيلته وذلك لعدة أسباب: -

١ - لأن قبيلته هي التي انتخبته لهذه المهمة، ومع أنه عادة يكون للشيخ قوة وهيبة، إلا أن رأي أغلبية القبيلة سيكون له أثر بالغ عليه، بخاصة إذا جاهر بظلمه لأفراد قبيلته ولذلك فإن الشيخ سيراعي مشاعر من انتخبوه بالدرجة الأولى.

٢ - يشتهر أبناء القبائل العربية الأصيلة بالاباء والشمم، مما يجعلهم يأنفون من الظلم والذل ويعملون ما في وسعهم للجهر بالحقيقة ومعارضة الشيخ فيما يعتقدون أنه باطل.

وعلى العموم فقد أشتهر أبناء القبائل باخلاصهم وتقديرهم لشيوخهم، وعادة يقوم أفراد القبيلة بتقديم الهدايا العينية لشيخ القبيلة تقديراً له واحتراما لمكانته. ويكون الشيوخ في العادةمن الأغنياء. وذلك عن طريق ما يغدقة عليهم رعاياهم، إلى جانب أموالهم الخاصة بهم، مما يجعلهم في غنى عن أموال الآخرين وأراضيهم.

---

(١) مجلة العرب، الحلقة الأولى، مجلد ٥، جـ ٩، ربيع الأول ١٣٩١ هـ، ص ٨٦٢.

(ب) مجلس القبيلة:

من المعروف أن الشيخ هو رأس الهرم القبلي، ودونه النواب الذين يرأسون كل عشيرة من عشائر القبيلة. ويختلف النواب في الأهمية، فهناك نائب عام لكل عشيرة، ويساعده مجموعة من نواب الفخوذ. فعندما تقع مشكلة داخل أحد الفخوذ فأنها تحل بواسطة نائب الفخذ، الذي يتفاهم مع أفراد فخذه مباشرة، ويتدارسون القضية الموجودة ويعملون على حلها، ويكون ذلك أما بواسطة اقتراح يتقدم به نائب العمدة، أو بواسطة حكمين يختارهما الطرفان المتخاصمان. وإن استعصت المشكلة على الحل رفعت إلى نائب العشيرة الذي يبذل جهده لحلها وغالبا ما يوفق في ذلك، فإن لم يتمكن من حلها رفعها بدوره لشيخ القبيلة الذي يطلب الخصمين ويقوم بمناقشة القضية معهما ثم يحلها حلا مناسبا[1].

ويحدد مكان مجلس القبيلة حسب الطوارىء، وغالبا ما يكون في السوق الأسبوعي للقبيلة، فيعقدون مجلس القبيلة في ذلك السوق ويتدارسون القضايا المطروحة على بساط البحث، ويتخذون القرارات المناسبة حسب رأي الأغلبية في المجلس. ويعقد مجلس القبيلة بحضور جميع النواب في القبيلة، وجميع أعيان القبيلة، ويحق لأفراد القبيلة الحضور إذا أرادوا ذلك، وتكون المناقشات علنية، مع القيام ببعض المشاورات الجانبية التي يرى الشيخ ضرورة اجرائها حتى يصل إلى اتفاق حول قضية من القضايا.

ويعرض مجلس القبيلة كل القضايا العامة والخاصة، فمثلا هناك قضية تتعلق بحدود القبيلة أو في نزاعها مع قبيلة أخرى، أو أن

---

(١) حصلت على المعلومات السابقة أثناء رحلتي العلمية إلى عسير، وذلك من بعض كبار السن في المنطقة.

شكوى مقدمة ضد القبيلة ككل، فإن شيخ القبيلة يضع كل هذه القضايا أمام مجلس القبيلة ليبت فيها بروح من المساواة والعدالة مما يحقق رضى الجميع واقتناعهم. كما يتم عرض القضايا المتعلقة بالقتل والدية في هذا المجلس لأن القبيلة تقوم بتحمل دية المقتول إذا كان القاتل من القبيلة والمقتول من قبيلة أخرى[1].

(جـ) الأفراد وولاؤهم للقبيلة:

يعتبر الفرد نفسه جنديا مدافعا عن قبيلته، يهب حياته لها ويخضع لأنظمتها وقوانينها وأعرافها. ويطيع أولى الأمر فيها مالم يمسّه ظلم فادح تأبى نفسه الكريمة السكوت عليه. وما أن يبلغ الشاب سن البلوغ حتى يلقنه أهلة عوائد القبيلة،

ويخبرونه عن أعدائها وحلفائها، وعن حدودهم التي ربما تعرضت للغزو من قبيلة أخرى، وقبل هذا كله يعلّمونه حمل السلاح واستعماله للدفاع عن أرض قبيلته.

ويحرص الفرد على أن يكون لبنة صالحة في مجتمعه يحبه الجميع ويقدرونه مادام يتمسك بقوانين القبيلة وعاداتها. ويستفيد الفرد من اخلاصه لقبيلته حين ينكب أو يصيبه أمر جلل، لأن القبيلة عندها تهب لمساعدته وانتشاله من محنته. كما أن التكاتف القبلي قد أوجد في عسير نظام العشر، يعطى كل مزارع عشر محصوله الزراعي إلى هيئة قبلية تتكون من أربعة أمناء أو خمسة، ثم يحتفظ به لمواجهة النوائب على اختلافها . . . وعندما يتخلف الفرد عن دفع هذا العشر، فأنه يغرم بدفع مبلغ نقدى يقدر بخمسين ريالا، ويلزم باحضار كفيل

---

(١) حصلت على هذه المعلومات من كبار السن في عسير، ممن لهم خبرة ودراية عن عادات القبائل التي كانت متبعة، ولا زالت معظم القبائل تحافظ عليها حتى اليوم.

يتولى الوفاء بالعشر ولا يصرف من العشر شيء إلا بحضور أمنائه الذين يشرفون على انفاقه في أوجه الخير ومساعدة الفقراء وأبناء السبيل[1].

ومن مظاهر التعاون في أمور الضيافة انه إذا حل في إحدى القبائل ضيف فإن القبيلة ترتب ضيافته بحسب اتفاق مدروس يعرف بالنائبة، ويخضع لتداول مستمر بين أفراد القبيلة. وإذا تقاعس أي فرد من أفراد القبيلة عن الوفاء بأي التزام عليه، أو نقض أي صلح أو اتفاق سبق الاتفاق عليه، فإن أعيان العشيرة يجتمعون ويداهمون بيته فيما يسمى (برهة[2]) حيث يغرمونه بأن يذبح لهم خروفاً أو خروفين ثم يلزمونه بالوفاء بما تعهد به فلا يجد بدا من الاذعان لرأى جماعته[3].

وهكذا نجد الفرد متمكساً بقبيلته لا يستطيع مخالفة مايجمع عليه غالبية أفرادها، فهو معهم في الخير والشر لأنه يشعر في النهاية إنما هي التي تحميه وتساعده علي مواجهة المحن والنوائب. ومما لاشك فيه أن هذا السلوك ليس سلوكاً خاصاً بقبائل عسير دون غيرها، بل هو سلوك شامل لكل القبائل العربية التي عرفت بالكرم والوفاء والشجاعة، وتمسكت بكل القيم الكريمة، وعلى مر العصور استمر اعتزازها بقيمها تلك وتمسكها بها.

---

(١) يحيى ابراهيم الالمعى، المصدر السابق، ص ٥٣.

(٢) برهة: يقصد بها في عسير أن يقوم خمسة أنفار أو عشرة أنفار أو أكثر بالتوجه إلى منزل الشخص المخالف ليكونوا ضيوفا لديه، تاديباً له على تقصيره في أمر من الأمور، وعادة تقرر البرهة بناء على ذنب ذلك الشخص، فإذا كان الخطا كبيرا فيكون عدد الضيوف عشرة فما فوق، أما إذا كان بسيطا فخمسة رجال.

(٣) حصلت على هذه المعلومات من بعض كبار السن، ولا زالت هذه العادة متبعة حتى اليوم.

والعسيريّون عـامة أصفيـاء السريرة، اكتسبـوا الشيء الكثير من التسامح والأخلاق من طبيعة بلادهم، وهم كرام حريصون على حسن السمعة شجعان تتأصل فيهم كل السجايا العربيـة بكل وضـوح. ومما يدل على حسن أخلاقهم اطلاقهم اسم الجـار والجارة عـلى العامـل أو الخادم تكريماً واعزازاً له عن كلمة خادم[1].

(د) قـوات القبيـلة :

تتكون قوات القبيلة من جميع الرجال البالغـين في القبيلة، فكل فرد في القبيلة يكون عليـه واجب الدفـاع عن أرض قبيلته وعـرضها، وهو ملزم بالقتال في أي وقت يدعـوه فيه داعي الحـرب. والعسيريـون يتكونون من قبائل متعددة وكلهم وحتى أطفالهم مقاتلون[2].

وكـان العسيريّـون حـريصـون عـلى تـطويـر أسلحتهم بشكـل مستمـر. فبينما كـانوا مسلحـين في البدايـة بالبنـادق ذات الفتيـل فـإن غالبيتهم أصبح بعد ذلك مسلح بالبنادق الحديثة ذات المدى الطويـل، وقد سبب ذلك أرباكاً كبيراً للعثمانيين[3].

ويقـوم تنظيم الجيش في عسـير على أسـاس انضـمام كـل أفـراد القبيلة عند كل حـرب تقوم، بحيث تكـون كل قبيلة عبـارة عن كتيبة واحـدة، لها علمهـا الخاص بهـا ويتمركـزون في جهة معيّنـة من جبهة القتال، وأكبر دليـل على ذلـك أن قوات رجـال ألمع قـد خسرت عدداً كبيراً من رجالها، وقعوا أسرى في أيدي قوات أحمـد باشـا أثناء معـركة وقعت في بلاد غامد وزهران، وهذا دليل قاطع على أن تمركـز كل قبيلة

---

(١) محمد عمر رفيع، المصدر السابق، ص ١١٥.

(٢) اللواء أيوب صبري، مـرآت الحرمـين، جـ ٣، ط ١، القسطنـطينية ١٣٠٦، مـترجم، ص ١٦٦.

(٣) الفريق عاطف باشا، يمن تاريخي، دار السعادة، ١٣٢٦ هـ (مترجم، ص ١٥٠).

كان في جهة محددة مما أدى إلى وقوع معظم الأسرى من قبيلة واحـدة، وذلـك دليل عـلى أن حصار قـوات أحمد بـاشا وقـع على المنـطقـة التي تتمركز فيها هذه القبيلة بالذات[1].

ومن الـواضح أن هـذا التنـظيم يتمشى مـع الأوضـاع الأصليـة للمجتمع العربي، ويضمن الانسجـام والتكاتف بـين أفراد المجمـوعة الواحدة، يقطع الطريق على أية فرصة للتفـاخر أو التنـافس، أو تذكـر العداوات القديمة داخل المجموعة الواحدة[2].

ولم يكن الشيخ هو المسئول عن تسليح المواطنين، إنمـا كان عـلى المـواطن نفسه أن يشتـري السلاح الـذي يكـون في العـادة عبـارة عن بنـدقية، اضـافة إلى السـلاح الأبيض مثل: السيف والجنبيـة والخنجر والشفرة.

وقد خرج عن هذا النمط المعروف الادريسي عندما قام بتوزيـع السلاح على المـواطنين ليكّـون منهم جيشاً شعبيـاً مواليـاً له من جهـة، وليستميل القبائل ويؤلف قلوبهم معه من جهة ثانية[3].

وقد حاول الكثير من الكتاب والمؤرخين تقدير عدد مقاتلى قبائل عسير. ومن ذلك مـاقام بـه صاحب كتـاب عسير قبـل الحرب العـالمية الأولى[4] الذي بالغ كثيراً في تقديراته لعدد المقـاتلين في عسير، ويعـود ذلك إلى اعتماده على التقديرات التي أعطاها له المواطنون في عسـير، مما

(١) محفظة ٢٦٣ عابدين، وثيقة رقم ١٢٣ حمراء. من أحمد باشا إلى حضرة صاحب الدولة، مؤرخة في ٦ ربيع الأول ١٢٥٤هـ، دار الوثائق القومية، بالقاهرة.

(٢) عبد الله خورشيد البرى، القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثـة الأولى للهجرة، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٢٢٩.

(٣) حصلت عـلى هذه المعلومـات من بعض كبار السن في المنـطقة، وكـانوا ممن تعـاون مـع الادريسى.

(٤) Cotrwsllis Sir Kinahan, op. p. 30-70.

جعل تلك التقديرات غير دقيقة لأن العسيريين يحاولون تضخيم عدد قبائلهم ظنا منهم أن ذلك يزيد من هيبة القبيلة واحترامها لدى القبائل الأخرى. وتجدر الإشارة هنا إلى أن تقديراته كانت مقتصرة على كل قبيلة على حدة ولم يحاول أن يعطينا تقديراً شاملاً لعدد المقاتلين في إقليم عسير.

كما قام صاحب[1]كتاب الرحلة اليمانية بتقدير مقاتلي قبائل عسير، وقد عمد إلى تقدير مقاتلي كل قبيلة على حدة. وقد بالغ مبالغة كبيرة عند ذكره لعدد المقاتلين من بعض القبائل، فمثلاً ذكر أن عدد مقاتلي بني شهر نحو ستين ألف مقاتل. ومن الواضح أن هذا الرقم مبالغ فيه بشكل كبير، ويعود ذلك إلى محاولة مؤلف الكتاب تضخيم انتصار شريف مكة على كل قبائل عسير التي وقفت في طريقة أثناء توجهه إلى أبها لنصرة سليمان شفيق باشا والقوات العثمانية هناك.

وهناك بعض المؤلفين الذين ابتعدوا عن المبالغة عند تقديرهم لقوات قبيلة عسير مثل : هاشم النعمي[2]، الذي عمد إلى تقدير أعداد سكان القبائل بشكل كامل ولكن يستنتج من احصائياته تلك أنه يجعل عدد المقاتلين يتراوح مابين عشرة آلاف وخمسة عشر ألف رجل. أما فؤاد[3] حمزة فإنه يقدر عدد مقاتلي عسير السراة بألفي مقاتل. مع تقديره عدد السكان بأربعين ألف نسمة. ولكنه يشير إلى أنه يتم استبدال هؤلاء الرجال بغيرهم بعد كل فترة حتى لا يتسرب الملل إلى نفوسهم.

---

(١) شرف البركاتي، المصدر السابق، ص ٥٧.
(٢) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٣٣ ـ ٥٤.
(٣) فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص ١٠٠.

وأرى أن عدد المقاتلين في عسير يتراوح مابين خمسة عشر ألف وعشرين ألف رجل مسلح يمكنهم الحرب خارج أرضهم، ويعود هذا التقدير إلى كون عدد المقاتلين العسيريين الذين هاجموا الحديدة تحت قيادة أميرهم محمد بن عايض قد بلغ أكثر من عشرين ألف مقاتل[1]. بينما بلغ عدد الذين اجتمعوا لمحمد بن عايض عند مواجهته لرديف باشا نحو خمسة عشر ألف نسمة، ويعود النقص في عدد القوات إلى الوهن والتخاذل اللذين انتشرا بين قبائل عسير بسبب علمهم بانتصارات رديف باشا وضخامة جيشه[2].

ويظهر لنا من كل ماسبق أن كل أفراد القبيلة يعتبرون مقاتلين، وهم جيش القبيلة الذي يدافع عنها ضد أي عدو يحاول النيل منها، ومن الصعب أن يتخلف أي رجل عن القتال مع قبيلته عند أية ملحمة. ولنا ملاحظات على قوات عسير أهمها:

١ - أن عدد قوات قبائل عسير كبيرة للغاية، ولكن تنظيمهم وتجميعهم عند النفير العام يكون أمراً صعباً، وذلك لأن كل قوات قبيلة عسير من المتطوعين، وهم من قبائل متفرقة فلاشك أن اجتماعهم يعد أمراً في غاية الصعوبة.

٢ - كثيراً ما يتخاذل معظم قبائل عسير عن نصرة أمرائهم عندما يقترب غزو من المنطقة، بل أنهم يقفون موقف المتفرج في أحيان كثيرة، وذلك عندما يدركون أن الأمير القائم لا محالة سينهزم. وأكبر دليل على ذلك ماحدث من قبيلة شهران عندما تخلت عن نصرة محمد بن عايض وتركته يواجه عدوّه وحيدا مع أعداد قليلة من رجال قبائله الأوفياء. مما حدا بمحمد بن عائض إلى أرسال

(١) عاطف باشا، المصدر السابق، ص ١٢٢.

(٢) عاطف باشا، نفسه، جـ ٢، استانبول، شركت طبيعية ١٣٢٦هـ، ص ٥٠.

كتاب استنجاد واستغاثة إلى ابن مشيط أمير قبائل شهران[1].

٣ ـ من الملاحظ أن عدد المقاتلين من قبائل عسير يـزداد عندمـا يكون الأمير القائم في عنفوان قوته وسطوته، ولكن ذلك العـدد يتضاءل عندما يضعف موقف ذلك الأمير ويصبح الخطر محدقاً به من كـل جانب، وهذا دليل على أن الـذين يجتمعون في حـالة القـوة ليسوا من الأوفياء للأمير القائم. ولاشك أن ذلك يعود بالـدرجة الأولى إلى كـون المقـاتلين كلهم من المتـطوعـين، وقـد ثبت أنهم غـير صـالحين للجنـدية اطـلاقاً رغم شجـاعتهم وخبرتهم في الحـروب الصغـيرة، وذلك لكسلهم وعـدم انضباطهم لـلأوامر العسكـرية لعدم تعوّدهم على النظام العسكري الصارم[2].

ومهـما يكن من شيء فقـد أثبت رجـال عسـير أنهم من أصلب القبـائل العـربية في القتـال، واستطاعـوا أن يتصدوا في مـرات مختلفـة لقوات محمد على ثم لقوات الدولة العثمانية، ورغم ضآلة مـالديهم من أسلحـة وإمكانـات قتاليـة فقد ظلت الحـرب سجالاً بينهم وبـين تلك القـوات. ومما لاشـك فيه أنـه لابد أن تكـون هناك سلبيـات كثـيرة في قـوات قبلية يتم أعـدادها وتسليحهـا بطريقـة بسيطة ومـرتجلة، ولكن قبائل المنطقة بـذلت مافي وسعهـا واستطاعت النجـاح في مرات كثـيرة مقابل بعض الهزائم التي لابد من حدوثها.

العلاقـات القبليّـة :

كـانت هـذه البـلاد إلى مـاقبـل انضـوائهـا تحت حكم الـدولـة السعودية تنتشر فيها الحزازات، وتسودها روح العدواة، بحيث أن كل

(١) عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١٢٢.

(٢) محفظة ٢٦٣، عابدين، وثيقة رقم ٦٨ حمراء، من أحمد شكرى إلى المعية السنية، مؤرخة في ٢٣ رجب ١٢٥٤هـ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

قبيلة وعشيرة قلّ أن تتحكم فيها روح التآخي. يشاهد أثر ذلك في كثرة الحصون التي تحيط بقرى كل قبيلة وتنتشر فيها، وهي حصون متينة مبنية من الصخر في قمم الجبال. ومن هذه الحصون ما أقيم لصد غارات عدو خارجي، إلا أنها كثيراً ما استعملت أثناء الحروب بين قبلتين متجاورتين ولاتفه الأسباب، ومما يدل على ذلك وجود قصائد للإصلاح بين قبيلتين من قبائل غامد حدثت بينهما مشاحنات وحروب، وكان الباعث لها أمراً شريفاً يتعلق بحماية الجار، غير أن احتدام الغضب كان سبباً في ازهاق بعض الأرواح، ولئن كانت الغاية شريفة إلا أن العقل لو حكم في مثل هذه الأمور لكان حسناً[١].

وإن القاء نظرة سريعة على احدى القبائل الصغيرة في المنطقة وهي ربيعة الطحاحين، يعطينا فكرة واضحة لما كانت عليه قبائل المنطقة من تقاتل وتناحر، وكيف كان الأمن مختلاً بدرجة كبيرة، فقد كانت في تحالف مع ربيعة مقاطرة وآل دريب، وقبائل محائل، بينما كان لهم ثأر قديم مع حميضة وآل جبلى[٢].

ونلاحظ في عموم عسير أن الفوضى وقطع الطرقات ينتشر بين القبائل البدوية أكثر من الحضرية أو التي تعيش على الفلاحة. فمثلاً قبائل المنجحة ـ وهم في أغلبهم بدو رحل ـ أشتهروا بالفوضى وقطع الطرقات أكثر من غيرهم من القبائل التي تحترف الزراعة والتجارة[٣]. وأرى أن ذلك يعود إلى كون حياتهم غير مستقرة مما جعلهم لا يتمكنون من التفرّغ ولو لبعض الوقت لمراجعة أنفسهم ومعرفة مايلزمهم لتنظيم حياتهم، كما أن الوعي عندهم يكاد يكون معدوماً لعدم انتشار التعليم

---

(١) حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران، ص ١٠٢.

(٢) Cornwallis, Sir Kirahan, op. cit., p. 52.

(٣) هشام النعمي، المصدر السابق، ص ٥٣.

بينهم بالإضافة إلى أن تعاليم الإسلام لم تجد طريقاً إلى هـذه الجماعـات لكونها دائماً في حالة تنقل مستمر. كـما أن تنقلهم المستمر كـان سبباً في عدم ولائهم لأرض معينة يحاولون فرض النظام عليها.

وقـد يسمح في حـالة الحـرب أو السلم لأفراد القبيلة نفسهـا أو بطونها باختراق منطقـة فرع أو بـطن من بطون القبيلة، عـلى أن يكون هناك خبير أو دليل يسمى (الخوى). ولكنه غير مسموح بين القبائل أن يستقـر أفراد قبيلة مـا في ديار قبيلة أخـرى إلا بعـد إذن وتعـاهـد بـين الطرفين يحافظ على حقوق طرف منهما وواجباته تجاه الطرف الآخر[1]. ومع هذا التشدد في تمسك كل قبيلة بسيادتها على أرضها وحرصهـا على أن يكون جميع المقيمين فيها من القبيلة نفسها، فإن هذه القوانين تلغى عند الضرورة، ففي مواسم الثـمار الزراعيـة يتنقل أغلب أفـراد القبيلة التي لم تزرع بلادهم لقلة الأمطار إلى القبائـل المجاورة الـذين أنعم الله عليهم بـالامطار. فيستقبلهم أصحـابهـا ويسكنـون بجـوارهم، حيث يعمل الوافدون في الحصاد وقطف الثمار مقابل أجر يفوق استحقاقهم، وبـالنسبة للعـاجـزين فلهم نصيب يقـدمـه الأفـراد عن طيب خـاطـر مساعدة لهم على القحط والجوع الذي انتشر في بلادهم الأصلية[2].

ولا يسمـح لأي قبيلة أن تقوم بمهـاجمة قبيلة أخـرى عبر أراضي قبيلة مجاورة كما لا يسمح لها بالمرور بأية مواشي أو غنائم أخـذتها عنـوة من قبيلة أخرى. فالقبائل تحرص على بسط سيادتها على أرضها سيـادة مطلقة لا ينازعها فيهـا أحد، وتعتـبر تلك السيادة ضرورة ملحـة لبقاء القبيلة محترمة مهابة الجانب بين القبائل الأخرى[3].

---

(١) Geoyraphical. section of the Navaf Intelliyence Division, Naval staff, Admiralty, A Hand Booh of Arabia, Vol.I.p. 130.

(٢) يحي إبراهيم الألمعي، المصدر السابق، ص ٧٥.

(٣) حصلت على هذه المعلومات من بعض كبار السن في عسير.

وكانت الخلافات كثيراً ماتحتدم على بعض مناطق الحدود الواقعة بين القبائل، ومن تلك المشكلات فتنة البناء وآل عاصم على منطقة تقع على الحدود وعندما تولى محمد بن عايض الامارة في عسير كان القتال قائماً على أشده بين القبيلتين على مناطق الحدود، وفيما يروى أن القتال لم ينته إلا عام ١٣٣٤ هـ، عندما تمكن الادريسى من الإصلاح بين القبيلتين المتخاصمتين[١]. واستمرت الحرب بين قحطان وشهران على منطقة تقع على الحدود بين القبيلتين مدة مائة عام[٢].

وبطبيعة الحال فإن الخلافات بين القبائل شيء طبيعي بخاصة وأنها تشترك في الحدود، وعلى طول هذه الحدود توجد مناطق تثير أطماع قبيلة على أخرى، أما لكونها غير مأهولة بالسكان، أو لكون تلك القبيلة قليلة العدد مما يثير أطماع جيرانها فيها. وتتأكد هذه الظاهرة عندما لا توجد سلطة محلية قوية تكبح جماح تلك القبائل التي تتغلب فيها العصبية القبلية على أي وازع أخلاقي أو ديني.

ومما يجمع بين سكان عسير أن معظمهم سواء في السراة أو في تهامة شافعيو المذهب، إلا قليلاً منهم في الجنوب حيث تنتشر الزيدية في بعض المناطق القريبة من الحدود اليمنية، كما تنتشر الاسماعيلية في نجران منذ وقت بعيد، إلا أن حدة قوتها قد فلت بعد ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[٣].

وتجدر الإشارة هنا أن أكثر القبائل عدداً تلك التي تنتشر من الشمال إلى الجنوب، حيث نجد المجموعات القبلية الرئيسية، مثل

---

(١) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ١٨٠.

(٢) Cornwallis, Sir Kirahan, op. cit.,p. 75.

(٣) Philby, John, Arabia Hiyh Lands. New yorh, 1952,p. 279.

زهران وغامد وشمران وبلحمر، بجانب رجال ألمع وبني مغيد التي تعتبر أكثر قبائل عسير تنظيماً وشهرة. كذلك يوجد حول أبها قبائل علكم، وبني مالك، وربيعة ورفيدة، أما إلى الداخل فتوجد قبيلة شهران، وقبيلة قحطان وهما أكبر قبائل الاقليم(١).

وتحرص القبائل في عسير على أن يكون لها أحلاف من القبائل المجاورة. ويكفي لوقوع الحلف أن يكون هناك سمى لاحدى القبائل في قبيلة أخرى، فهذا يعتبر بمثابة اتصال في النسب، وتبدأ أواصر القربى تراعي بين القبيلتين حتى تصبح كل منهما حليفة للأخرى(٢). ومن أهم ما يراعي عند الزواج أن يكون من داخل القبيلة، أو من قبيلة حليفة، ولا يستطيع الشخص مهما كانت الدوافع أن يتزوج من قبيلة يوجد بينها وبين قبيلته عداء حتى لو كان ذلك منذ زمن بعيد فإن العداوات تظل محفوظة، يرثها الخلف عن السلف، ما لم يعقد صلح يرضى به الطرفان، ومن ثم يبدآن في إزالة الحواجز النفسية بينهما(٣).

---

(١) Geoyaphical Section. op. cit., p. 131.

(٢) مذكرات سليمان باشا، مجلة العرب، حلقة ٢، مجلد ٥، جـ ١٠، ربيع الثاني ١٣٩١ هـ، ص ٩١٠.

(٣) حصلت على هذه المعلومات من بعض كبار السن في المنطقة.

الفصـــل الثالـــث
نشأة إمـــارة آل عائض وحكمها في عسير
١٢٤٩ - ١٢٨٩هـ / ١٨٣٣ - ١٨٧٢م

محتـــوياته

* عسير تحت إمارة آل المتحمي
* عسير من سقوط إمارة آل المتحمي حتى قيام إمارة آل عائض
* ظهور آل عائض على مسرح الأحداث في عسير.

نشأة إمارة آل عائض وحكمها في عسير
١٢٤٩ ـ ١٢٨٩هـ / ١٨٣٣ ـ ١٨٧٢م

تمهيـــد :

ارتبط تاريخ عسير الحديث إلى حـد كبير بـالدعـوة السلفية التي قامت في نجد. إذ كان لها دور كبير في قيام إمارة قوية في عسير، التفّت حولها قبـائل عسـير، واستطاعت تلك الإمـارة أن تلعب دوراً كبيراً في الحوادث التاريخيـة خلال القـرن الثالث عشر الهجـري. ويشاء الله أن تظل تلك المنطقة هي الحاملة للواء الدعوة السلفية أثناء محنـة الدرعيـة وبعد سقوطها على يد إبراهيم باشا عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م.

لقد توارث آل يزيد حكم عسـير قبل أسرة آل المتحمي، وظـل الوضع كذلك حتى قدوم محمد بن عامر أبو نقطة ومعـه جنود من نجـد للإستيلاء على عسير وإخضاعها للدولـة السعوديـة الأولى، وعلى يـديه تم القضاء على إمارة آل يزيد ـ لفترة قصيرة ـ ليكوّن إمارة آل المتحمي التي كـانت تابعـة للدولـة السعـوديـة الأولى[1]. واستمـرت إمـارة آل المتحمي قائمة حتى قدوم محمد على باشا إلى الحجاز ثم إلى عسير حيث قضى على تلك الإمارة، وأخذ أميرهـا طامى بن شعيب أسيـراً معه إلى القاهرة.

---

(١) هاشم سعيد النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، (بدون)، ص ١٣١.

عسير في عهد إمارة آل المتحمي :

تلقت عسير الدعوة السلفية عن طريق الرسائل التي بعثها أئمة آل سعود إلى أهالي منطقة عسير وأمرائها، يدعونهم فيها إلى إتباع الدعوة السلفية. وكان من نتيجة تلك الرسائل أن توجه إلى الدرعية كل من محمد بن عامر أبو نقطة وعبد الوهاب أبو نقطة، لتعلم مبادىء الدعوة السلفية، التي عمت أخبارها الآفاق، ولم يمكثا طويلاً حتى اقتنعا بتلك الدعوة، وتحمسا لها حماساً كبيراً، وعند عودتهما إلى عسير جهّز معهما الإمام عبد العزيز جيشاً بقيادة زيد بن ربيع لمساعدتهما في نشر الدعوة السلفية في عسير ونواحيها، وتحقق لذلك الجيش انتصارات سريعة وذلك نتيجة لمساعدة قبيلتي شهران وقحطان له، فتمكن من الإستيلاء على عسير والقضاء على الإمارة القائمة هناك. وبعد أن استتبت الأمور لهذا الجيش عاد أدراجه إلى الدرعية[1].

ومما يلفت الانتباه هنا سرعة استجابة العسيريين لهذه الدعوة وسهولة انضوائهم تحت لوائها دون حروب طويلة ومريرة. ويعود ذلك إلى أقتناعهم بوجاهة تلك الدعوة وشرعيتها، وأنها تجلب لهم الخير والتضامن بدلاً عن الفرقة والجهل بتعليمات الإسلام الخالصة، إضافة إلى أن أخبار تلك الدعوة ومبادئها السامية سبق وأن انتقلت إلى العسيريين عن طريق الرسائل التي حملها الدعاة مما جعلها مقبولة لديهم، ومعروفة لدى علمائهم ورجالهم.

---

(١) عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، نفح العود في سيرة أيام الشريف حمود، مكتوب بالآلة الكاتبة، دارة الملك عبد العزيز، قسم المخطوطات، رقم ١٥، ٦١ ـ عبد الله بن مسفر، أخبار عسير، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت / دمشق ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م، ص ٣٣.

وبعد تحقيق الانتصار السابق للدعوة السلفية في عسير، توجه محمد بن عامر أبو نقطة على رأس وفد من مشائخ عسير إلى الدرعية عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م لمقابلة الإمام عبد العزيز بن محمد، وفي الدرعية أعلنوا بيعتهم للإمام عبد العزيز وقبولهم مبادىء الدعوة السلفية والجهاد في سبيل الله، والتزموا بتوضيح هذه المبادىء إلى أهالي عسير، وعيّن الإمام عبد العزيز محمد بن عامر أميراً على عسير السراة وما يتبعها من بلاد. وطلب منه الجهاد لنشر الدعوة السلفية فيما يجاور عسير من بلاد. ولكن القدر لم يمهله حيث توفي في طريق عودته إلى عسير، فخلفه أخوه عبد الوهاب بن عامر في إمارة عسير، وقد أمره الإمام عبد العزيز بفتح تهامة[1].

وقد كان العسيريّون جنوداً أوفياء لأميرهم الجديد، ويتضح هذا من تجاوب العسيريين مع أميرهم حين دعاهم إلى الحرب فهبوا جميعاً للجهاد في سبيل الله، وتوجهت جموعهم إلى تهامة المخلاف السليماني، وكانت الدعوة السلفية قد سبقتهم إلى تهامة عن طريق الداعية الفلقي، وعن طريق الشريف منصور صاحب صبيا، وعرار صاحب الدرب، وكانوا قد نشروا الدعوة السلفية في المناطق المجاورة لـ (أبي عريش) بينما استعصت عليهم (أبي عريش) لتمسك الشريف حمود أبو مسمار بها واستماتته في الدفاع عنها. فتوجه عبد الوهاب المتحمي من السراة إلى تهامة على رأس جيش كبير، وبعد حصاره لـ (أبي عريش) جرت معكرمة ضارية بين الجيشين تمكن عبد الوهاب بعدها من الإستيلاء على (أبي عريش) ودخل أميرها حمود أبو مسمار تحت سيادة الدولة السعودية، فأبقاه عبد الوهاب أميراً على (أبي عريش) وجهاتها، وطلب منه الجهاد في سبيل الله[2].

---

(١) عبد الرحمن البهلكي، المخطوط السابق، من ورقة ١٥ ـ ٢٣.

(٢) بدر الدين بن محمد بن إسماعيل الكبسي، اللطايف السنية في أخبار الممالك اليمنية، =

أرسل الشريف حمود وفداً إلى الدرعية ليعلن ولاءه للدولة السعودية، ويطلب من إمامها أن تكون إمارة (أبي عريش) مستقلة عن إمارة عبد الوهاب المتحمي، فوافق الأمير سعود على أن تبقي (أبي عريش) مرتبطة بعبد الوهاب في النفير العام[1].

وقد ابتدأت الخلافات بين الشريف حمود أبو مسمار وبين عبد الوهاب المتحمي، بعد قيام الشريف حمود باستصدار أمر من الإمام سعود بن عبد العزيز باستقلاله عن إمارة عسير، واستمرت هذه الخلافات تكبر يوماً بعد يوم، وتعود تلك الخلافات لعدة أسباب أهمها :ـ

١ ـ ماقام به الشريف حمود أبو مسمار من طلب الاستقلال عن عبد الوهاب حتى عيّنه الإمام سعود أميراً على (أبي عريش)، وأعطاه استقلالاً تاماً عدا أعلان النفير العام، مما أثار غضب عبد الوهاب وجعله يتربص بحمود أبو مسمار[2].

٢ ـ عندما استولت جيوش عسير على (أبي عريش)، تم الاستيلاء على أموال أهل هذه البلاد وقسمت غنائم بين جند عبد الوهاب بعد أن أرسل خمسها إلى الدرعية، مما أغضب حمود أبو مسمار لكونه يعلم أن هذه الأعمال لا تجوز إلا ضد الكفار، أما المسلم فإنه لا يباح لا ماله ولا عرضه ولا دمه[3].

= مخطوط بجامعة الرياض قسم المخطوطات رقم ف ٢٢٢٧ بدون أرقام للصفحات. عبد الرحمن آل الشيخ، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض (بدون تاريخ) ص ١٣٨ ـ ١٤٢.

(١) مؤلف مجهول، كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق وتعليق الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، (بدون تاريخ)، ص ١٣٨ ـ ١٤٢.

(٢) أنظر عبد الرحمن البهكلي، المصدر السابق، ورقة ١٥ ـ ٢٥

(٣) عبد الرحمن البهكلي، المصدر والسابق، ورقة ٣٥.

٣ ـ وقع خلاف بين عبد الوهاب المتحمي وعرار بن شار أمير درب بني شعبة، وذلك لأن عبد الوهاب المتحمي أخذ خيول درب بني شعبة بسبب تأخرهم عن غزو الحجاز بصحبته. مما دفع عرار بن شار إلى الفرار إلى (أبي عريش) وطلب حماية حمود أبو مسمار، وكان هذا السبب من أهم الأسباب التي أثارت الفتنة بين الفريقين [١].

٤ ـ كان عبد الوهاب يبعث الشكاوي إلى الدرعية ضد حمود أبو مسمار مبيناً لها أنه يعمل لصالحه الخاص، وأنه يحاول تقوية موقفه من خلال الإستيلاء على بعض المناطق المجاورة لامارته حتى تحين له الفرصة للخروج على سلطة الدرعية، وعندما مابعث الإمام سعود يطلب حضور الشريف حمود وعبد الوهاب المتحمي إلى الدرعية، حضر عبد الوهاب وأرسل حمود من ينوب عنه، ورغم تكرار الرسائل التي تطلب منه الحضور فإنه كان ينتحل الأعذار في كل مرة، مما دفع الإمام سعود إلى إرسال مندوبين عنه لإستجلاء الموقف فكان رأيهم أن عبد الوهاب على حق وأن حمود أبو مسمار كان يعمل لنفسه، عند ذلك أذن الإمام سعود لعبد الوهاب بمهاجمة حمود أبو مسمار لرفضه الحضور [٢].

وقد أدت تلك الخلافات القائمة بين عسير وعلى رأسهم عبد الوهاب المتحمي، وبين سكان المخلاف السليماني، وعلى رأسهم الشريف حمود إلى نشوب معركة كبيرة في وادي بيش بالمخلاف السليماني، وكان عدد الجيشين كبيراً مما أدى إلى وقوع خسائر كبيرة في صفوف الجانبين، وأسفرت المعركة عن انتصار الجيش العسيري وانهزم

---

(١) انظر محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، جـ ١، ط ٢ منشورات دار اليمامة، الرياض ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٢م، ص ٤٥٧ ـ ٤٦٠.

(٢) محمد العقيلي، المصدر السابق، ص ٤٦٠ ـ ٤٦٩.

جيش حمود أبو مسمار، ولكن قائد العسيريين عبد الوهاب المتحمي سقط قتيلاً أثناء المعركة مما أكسب حمود أبو مسمار نصراً معنوياً لكون عدوّه اللدود قد سقط في معركة كان يريد بها القضاء على حمود أبو مسمار، مما أعتبر ثأراً لهزيمته السابقة عندما دخلت قوات عبد الوهاب (أبي عريش) عنوة عند بداية نشر الدعوة السلفية في المخلاف السليماني [1].

وكان عبد الوهاب أبو نقطة الساعد الأيمن للدولة السعودية الأولى مما جعل استشهاده خسارة كبيرة عليها وذلك لاخلاصه وتفانيه في خدمة الدعوة السلفية، وعمله على نشرها في عسير والحجاز وبعض مناطق اليمن [2].

ومن خلال دراستى لهذا الخلاف الذي نشب بين عبدالوهاب المتحمي وبين حمود أبو مسمار، خرجت باستنتاج هو أن الخلاف بين الرجلين كان خلافا على الزعامة أكثر منه على أسلوب الدعوة إلى الله. وأن كليهما كانت له أخطاء، ومن مجموع تلك الأخطاء وتراكماتها كبرت الأزمة بينهما حتى وقع الصدام بين إمارتين تابعتين للدولة السعودية الأولى. فلقد كان عبدالوهاب المتحمى شديدا لا يخاف في الله لومة لائم، لذلك كانت معاملته للشريف حمود في البداية فيها نوع من الجفاء لاعتقاده بأنه ليس مؤيداً للدعوة، ولا هو من اتباعها، ومع هذه

---

(١) عثمان بن بشر النجدي الحنبلي، عنوان المجد في تاريخ نجد، جـ ١، الناشر مكتبة الرياض الحديثة (بدون تاريخ)، ص ١٤٦ج
- إبراهيم بن صالح بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، ط ١، دار اليمامة للطباعة الرياض، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦م، ص ١٣١.

(٢) سنت هارى جون قلبي، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ترجمة عمر الديراوي، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت (بدون تاريخ). ص ١١٢ ـ ١١٧.

فقد أخطأ عبدالوهاب حين أعاد حمود إلى ولايتـه في (أبو عـريش)، مما مكنه من الاستقلال وتجميع قواتـه مرّة أخـرى باسم الـدولة السعـودية والـدعوة السلفيـة، وهكذا تمكن من تـوسيع رقعـة إمارتـه، بينما كـان عبدالوهـاب يرقب تـوسعه وهـو يتقطع غيـظا لعلمه بـأنه يعمـل ذلك لمواجهته في المستقبل، ولكن حمود أبو مسمار ظل مستتراً بستـار الدعـوة السلفيــة. حتى ثبت للدولـة السعــوديــة بــطلان دعــواه فسمحت لعبدالوهاب أبو نقطة بالهجوم عليه، فكان تصفية الحساب عسيراً بـين شخصيتين متنافرتين، وانجلى الموقف، وبقيت (أبو عريش) في يد حمود أبـو مسمار، عـلى الرغم من أنـه خسر المعركـة، بينما خسر أهـل عسير أميرهم عبدالوهاب المتحمى.

وعـلى أثر مصرع عبـدالوهـاب المتحمى في بيش وعـودة الجيش العسيري إلى بلاده، عيّنت الدرعية طامي بن شعيب أميراً على عسير، خلفـا لعبدالـوهاب المتحمي. وبعـدما تـولى طـامي بن شعيب إمـارة عســير، تقـدّم بقــواتـه داخــل المخـلاف السليــماني، حتى وصــل اللحية[1]فاستولى عليها ونهب أموال أهلها، وقد حاول الأمير حمود أبو مسمار اعتراضه أثناء عودته ولكن طامي تمكن من هزيمتـه. وذهب حمود أبو مسمار إلى (أبي عـريش) فلم يحاول طـامي بن شعيب مهاجمتهـا بل عاد بقواته إلى عسير[2]، ثم عاد طامي بن شعيب إلى مهاجمة المخـلاف السليـماني وتوغـل فيه حتى وصـل اللحية، الحـديدة، ولكنـه لم يحاول تثبيت حكمه في تلك المناطق بل عاد مرة أخرى إلى عسير[3].

---

(١) اللّحية: ميناء صغير يقع شـمال الحديـدة، وبجواره مـاء مشهورة يسمى (مـاء اللحية). انظر هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ١٤٦ ـ ١٤٧.

(٢) محمد أحمد العقيلي، المصدر السابق، جـ ١ ص ٤٦٩.

(٣) عثمان بن بشر، المصدر السابق، ص ١٥١، ١٥٢.

وعند وصول قوات محمد علي إلى الحجاز كان طامي بن شعيب ومعه قبائل عسير من أشد الجيوش السعودية التي واجهت تلك القوات. وقد برزت بطولة طامي بن شعيب وحسن قيادته لقبائل عسير أثناء معارك القنفذة، ففي عام ١٢٢٩هـ/١٨١٤م نزلت قوات محمد علي في ميناء القنفذة وعاثت فيها فساداً تقطع رؤوس أهلها ثم تقطع آذانهم وترسلها إلى مصر دليلا على انتصارها في عسير، فتصدى لهم طامي بن شعيب ومعه قبائل عسير، فقام طامي في بداية الأمر بالاستيلاء على آبار الماء، وعندما حاولت قوات محمد علي الوصول إليها بالقوة حدثت معركة فاصلة انتهت بهزيمة قوات محمد علي ولم ينج منهم الا القليل، قد حاول محمد علي تلافي تلك الهزيمة فأرسل لنجدتهم فرقة من الخيّالة ولكن تلك الفرقة هزمت كذلك[1].

وقد أثرت هذه الهزيمة على موقف محمد علي في الحجاز مما جعله بحاجة إلى إعادة حساباته بالنسبة لتصفية السعوديين، فقام بطلب الامدادات من مصر، كما قام باجراء مصالحة عامة مع أهالي الحجاز، ومحالفات مع قبائلها[2].

ولم تكن الهزيمة السابقة في القنفذة كافية لاقناع محمد علي بأنه لا جدوى من تلك المحاولات لضرب العسيريين وابعادهم عن مشاركة اخوانهم وأمرائهم في نجد، فقامت قوات محمد علي بالاستيلاء على القنفذة عن طريق قوة جاءت محمولة عن طريق البحر، ولكن طامي بن شعيب كان لها بالمرصاد حيث اشتبك معها وهزمها هزيمة شنيعة، حيث عادت فلولها إلى جدة بعد أن تمكنت قبائل عسير من

---

(١) عبدالرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، جـ ٣، دار الفارس، بيروت (بدون تاريخ)، ص ٤٦٣.

(٢) د. عبدالرحيم عبدالرحمن، الدولة السعودية الأولى، جـ ١، ط ٣، دار الكتاب الجامعي، القاهرة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص ٣١٦، ٣١٧.

استعادة القنفذة[1].

ونلاحظ هنا توالي المحاولات التي قام بها محمد علي للاستيلاء على القنفذة، ولم تكن محاولات محمد علي هذه بهدف السيطرة الجزئية على المنطقة، وإنما كان الهدف منها القضاء على إمارة آل المتحمي التابعة لآل سعود، والتي كان أميرها طامي بن شعيب من أشد أعداء محمد علي في الحجاز، فقد تصدى طامي لقوات محمد علي مرات عديدة، ومما لا شك فيه أن محمد علي قرر التخلص منه لكي يتفرغ لحرب السعوديين في نجد بعد أن يصفّي حساباته في مناطق الحجاز وعسير.

وبعد أن تمكنت قبائل عسير بقيادة طامي بن شعيب من القضاء علي محاولات قوات محمد علي في بسط نفوذها على مناطق الساحل، توجه طامي بن شعيب على رأس عشرة آلاف جندي من عسير السراة ورجال ألمع إلى بلاد غامد وزهران، لمواجهة حركة جديدة قام بها محمد علي عن طريق الشمال. وفي الطريق التف حوله عدد كبير من القبائل، حيث جرت معركة كبيرة في بلاد زهران، أسفرت عن هزيمة قوات محمد علي وانسحابها إلى الحجاز[2].

وبعد هذه المعركة اشترك طامي بن شعيب على رأس قبائل عسير في موقعة بسل، تلك الموقعة التي دارت رحاها بين القوات السعودية بقيادة فيصل بن سعود وبين قوات محمد علي، وقد اجتمع فيها للقوات السعودية أكثر من ثلاثين ألف رجل، وكادت تسفر عن نصر مؤزر للسعوديين لولا وصول نجدات جديدة كانت بقيادة محمد علي نفسه، مما أدى إلى تغيير الموقف تجاه قوات محمد علي، حين تأثرت

---

(١) عثمان بن بشر، المصدر السابق، ص ١٧٩.
(٢) عثمان بن بشر، نفسه، ص ١٨٠.

بعض جبهات الجيش السعودي[1]. ولم يلبث ذلك الجيش الكبير أن تشتت شمله وهزم، واتجه كل قوم إلى بلادهم لينظموا الدفاع عنها ضد أي هجوم مرتقب[2].

وقد دلت الهزيمة القاسية التي تلقاها ذلك الجيش السعودي الكبير، على أن خللا حدث في صفوف القوات السعودية، مما أدى إلى عدم خوضها معركة حقيقية بنفس القوة التي كانت تقاتل بها في المعارك السابقة. ويعود ذلك إلى عدم التنسيق في الجبهة السعودية، وبالتالي إلى عدم الانضباط العسكري بين صفوفها، إضافة إلى ضعف التدريب والتسليح، ودخولها المعركة بشكل ارتجالي مما أدى إلى وقوع الهزيمة. وعلى كل فقد كانت معركة بسل من أهمّ المعارك التي خاضتها الدولة السعودية ضد قوات محمد علي، فبعدها تمكن محمد علي من احراز انتصارات سهلة ومتوالية. ولم يحاول محمد علي التوجه صوب الشرق باتجاه الدرعية عاصمة الدولة السعودية، بل توجه إلى عسير لمتابعة قوات طامي بن شعيب، ويعود ذلك إلى عدة أسباب من أهمها:

١ ـ بعد معركة بسل وصلت إلى محمد علي أوامر من الباب العالي تحثه على قتال القبائل اليمنية الخاضعة لنفوذ آل سعود، ليسهل عليه بعد ذلك مهاجمة الدرعية وهو مأمون الظهر[3].

٢ ـ كان محمد علي يدرك مدى قوة طامي بن شعيب وخطورته على مؤخرة جيشه، بخاصة بعد الهزائم التي الحقها طامي بجيشه في القنفذة وبلاد زهران، ومن هنا فإن محمد علي كان يحس بخطورة

---

(١) يذكر ابن بشر أن سبب هذه الهزيمة وقوع تفكك في جهات غامد وزهران، مما أدى إلى تشتت الجيش دون أن يخوض معركة قوية، ويضيف ابن بشر أن عدد القتلى لم يتعد مئة نفر، مما يدل على عدم المقاومة وسرعة تفكك هذا الجيش.

(٢) عثمان بن بشر، المصدر السابق، ص ١٧٩.

(٣) د. عبدالرحيم عبدالرحمن، الدولة السعودية الأولى، ص ٣١٩

هذا القائد وقواته، فتعمد أن يتكبد الصعاب وأن يتوجه إلى عسير لتصفية حسابه مع طامي بن شعيب وقواته.

ولم تكن مهمة محمد علي هذه المرة سهلة في عسير، فقد واجه عدداً من القوى المعارضة كما أن القبائل التي قاتلته في تربة لن تتهاون عند مواجهته عندما تهاجم قواته بلادها، وقد مرّ في طريقه إلى عسير بعدد من المدن والقرى مثل: بيشه وتباله ورنية وخميس مشيط، حيث استسلمت جميعا، وتوجه بعد ذلك إلى بلاد عسير فلم يسالمه الا قبيلة ربيعة ورفيدة وهي قبيلة طامي نفسه، وظل طامي صامدا مع بقية قبائل عسير السراة ورجال ألمع وبلحمر وبلسمر، وبعد قتال شديد ومعارك ضارية انتصر محمد علي على قوات طامي بعد أن دمّر معظم حصونه وانسحب طامي إلى المخلاف السليماني، فاستدعاه الحسن بن خالد الحازمي بحجة ايوائه فركن إليه وصدّق وعوده، ولكن الحسن بن خالد كان من أعداء طامي فقام بتسليمه إلى قوات محمد علي، حيث قاموا بارساله إلى مصر[1].

ويذكر الجبرتي[2] أنه عند وصول طامي بن شعيب إلى مصر تم التشهير به في ميادين القاهرة وأزقتها على مرأى من الناس، ومما قاله الجبرتي في وصف وصوله إلى القاهرة: «وبعد مرورهم دخلوا بطامي المذكور وهو راكب على هجين، وفي رقبته الحديد والجنزير مربوط في عنق الهجين، وصورته رجل شهم عظيم اللحية، وهو لابس عباءة عبدانية ويقرأ وهو راكب».

(١) Hogarth, David Ceorge, Arabia, Oxhord, 1922,p. 106

عثمان بن بشر، المصدر السابق، ص ١٨١ ـ ١٨٣.

(٢) عبدالرحمن الجبرتي، المصدر السابق، جـ٣، ص ٤٧٦ ـ ٤٧٧.

وتختلف المصادر التاريخية في المكان الذي تم فيه تنفيذ حكم الإعدام بطامي بن شعيب، فيذكر ابن بشر[1] أنه قد أعدم في القاهرة. بينما يذكر آخرون[2] أنه أعدم في الأستانة. والرأي الثاني أرجح، لأن أحكام الإعدام التي نفذت في أقطاب الدولة السعودية تمت كلها في الآستانة عاصمة العثمانيين، ولم يتم أي منها في مصر، فلم تكن مصر إلا محطة عبور، حيث يرسل الأسرى بعد ذلك إلى عاصمة الدولة العثمانية ليتم البت في أمرهم هناك.

ومن خلال المعارك التي خاضها الأمير طامي بن شعيب ومدى ما بذله من جهد عسكري وحنكة قيادية، فإنه يعد بحق من أقوى قواد الدولة السعودية الأولى.

وعلى الرغم من قضاء محمد علي باشا على إمارة طامي بن شعيب، إلا أنه لم يتمكن من القضاء على القبائل العسيرية المناوئة لحكمه في المنطقة، لأن ثورتهم لم تكن مرتبطة بشخص واحد مهما كانت قوته وشجاعته، ولكن الأمير نفسه هو الذي كان يكسب المعارك بفضل هؤلاء الأبطال من أبناء عسير الأوفياء. ولذلك فإنه لم يكد محمد علي يغادر عسير حتى قام العسيرّيون بثورة جديدة، حيث قاموا بتولية أمير آخر من آل المتحمى بقى في عسير، وهو محمد بن أحمد المتحمى، وقد تولي الأمر في عسير وتمكن من إخراج الحامية التي تركها محمد علي في عسير، وقام باعادة سيطرته على بعض القبائل التي حاولت الخروج على سلطته[3].

---

(١) عثمان بن بشر، المصدر السابق، ص ١٨٣.

(٢) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ١٥٦ ـ ١٥٨.
ـ عبدالله بن مسفر، المصدر السابق، ص ٧٣.
ـ أحمد علي، آل سعود، مكة المكرمة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م، ص ٦٥.

(٣) هاشم النعمي، السابق، ص ١٥٨ ـ ١٦٠.

وقد واجه محمد بن أحمد المتحمى صعوبات جمّة في اعادة سيطرته، فقد تكالبت عليه القوى الداخلية والخارجية، ففي أول ولايته اصطدم بحمود أبو مسمار في (أبي عريش) وقد انهزم في تلك المعركة. ولم يلبث طويلاً أن جمع شتات قواته حتي هزم على يد حملة عثمانية أرسلت لاسترداد بلاد عسير، وقد حاول جاهداً جمع قبائل عسير لإخراج القوات العثمانية مرة أخرى، ولكنهم تخلوا عنه في أحلك الظروف فهزم من الحامية الموجودة في طبب[1].

وأمام المصاعب التي واجهها محمد بن أحمد المتحمي اضطر إلى التعاون مع حمود أبو مسمار أمير المخلاف السليماني بهدف إخراج العثمانيين من عسير. وكان يهدف من هذا التعاون مع حمود أبو مسمار إضعاف العثمانيين عن طريق ضرب أحدهما بالآخر، وقد لبى حمود أبو مسمار طلب محمد المتحمي هذا، وتوجه على رأس قواته وقوات عسير إلى عسير واستولى عليها، وقام بطرد الحامية العثمانية منها وقد تصدى لعدة محاولات من قبل قوات محمد على لإستردادها حتى توفى عام ١٢٣٣هـ، وكانت وفاته في بلاد عسير[2].

وبعد وفاة حمود أبو مسمار بقيت جيوشه تحت قيادة ابنه أحمد بن حمود والحسن بن خالد الحازمي، وظل محمد بن أحمد المتحمي متحالفاً مع هذه القوات بهدف الوقوف في وجه قوات محمد على، حتى وجهت إليهم حملة بقيادة خليل آغا، وتمكنت هذه الحملة من أسر أحمد بن حمود الموجود في (أبي عريش) وسفّرته إلى مصر، كما أجبرته على أن يكتب إلى عماله وحامياته في أرجاء البلاد يطلب منهم التسليم وذلك

---

(١) عبدالله بن مسفر، المصدر السابق، ص ٧٤.

(٢) عثمان بن بشر، المصدر السابق، ص ٢١٣.

عام ١٢٣٤هـ وكانت هذه الحملة عن طريق تهامة[1].

ثم جاءت حملة أخرى عن طريق السراة بقيادة محمد بن عون وتمكنت من هزيمة محمد بن أحمد المتحمي، الذي كان على رأس قبائل عسير في مواجهتها، وأخذته هو وابنه مداوى، حيث أرسلا إلى القاهرة أسيرين[2]. وبأسر محمد بن أحمد المتحمي كانت نهاية إمارة آل المتحمي في عسير التي استمرت من ١٢١٥ - ١٢٣٤هـ/ ١٨٠٠م - ١٨١٨م.

وبعد . . . فلقد كان أمراء آل المتحمي في عسير من أقوى أمراء آل سعود في الجزيرة العربية وقد عملوا مافي وسعهم لترسيخ مبادىء الدعوة السلفية في عسير والحجاز واليمن، حتى أصبحت تلك المناطق تدين بالولاء للإمام السعودي في الدرعية. أضف إلى ذلك ماقام به أمراء هذه الأسر من مقارعة لنفوذ الدولة العثمانية ممثلة بمحمد علي. وكان أمراء آل المتحمي على رأس قواتهم في مواجهة حملات محمد علي على الحجاز وعسير، واستمروا في المقاومة حتى سقطوا الواحد تلو الآخر مدافعين عن بلادهم، ومؤازرين للدولة السعودية.

عسير من سقوط إمارة آل المتحمي حتى قيام إمارة آل عايض :

بعد إستشهاد محمد بن أحمد المتحمي توالت غارات أحمد باشا والي محمد علي على الحجاز بمساعدة شريف مكة محمد بن عون،

---

(١) بدر الدين محمد بن إسماعيل الكبسي، اللطايف السنية في أخبار الممالك اليمنية (مخطوطة) (بدون ص).
فاروق عثمان أباظة، الحكم العثماني في اليمن، ص ٣٤. الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ٣٤.

(٢) عثمان بن بشر، المصدر السابق، ص ٢١٣.

واستمرت أحوال عسير في فوضى واضطراب مابين فتن قبلية وحروب متلاحقة من جانب قوات محمد علي في الحجاز، وكانت عسير تعتبر خلال هذه الفترة تابعة لإمارة مكة المكرمة، وكان محمد بن عون يعتبر نفسه أميراً على الحجاز وعسير، فقام بوضع حاميه في طبب[1]، وعين أميراً من قبله على عسير هو الشريف هزاع[2].

وفي عام ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٣م قرر شريف مكة أن يقوم بغزوة لوادي الدواسر، وقد جند لهذه الغزوة رجال القبائل ومن جملتهم قبائل عسير، وكان على رأس قبائل عسير الأمير سعيد بن مسلط، ولكنه تأخر هو وبعض قبائل عسير السراة ورجال ألمع، وعندما لحق بشريف مكة ألحق به بعض الاهانة فرجع ابن مسلط غاضباً ومعه قبائل عسير، وهجم على حامية الشريف في طبب فطردهم منها وأحرق المركز الرئيسي في طبب، وقام بالسيطرة على عسير[3].

وتشير احدى الوثائق[4] إلى أن السبب الحقيقي للثورة يعود إلى أن الشريف على مجسمي غضب من الشريف محمد بن عون، مما أدى به إلى الثورة وقيامه بطرد الحامية التابعة لمحمد علي في طبب، ومما ورد في الوثيقة: «بلغ وحرِّر في مكاتبة رستم أفندي أمير جمرك جدة، الواردة أخيراً أنه بينما كان حضرة محافظ مكة في وادي الدواسر، بلغ جمعة آغا، حاكم القنفذة وحسن أفندي، كاتب ديوانكم، بأنه قد

(١) طبب: هي مدينة صغيرة في ربيعة ورفيدة ببلاد عسير، وكانت عاصمة عسير أيام آل المتحمي.
أنظر: عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ٢٩.
(٢) محمد أحمد العقيلي، المصدر السابق، جـ ١، ص ٥٣٢.
(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر ١٤ معية تركي، رقم الوثيقة ٢٠، من محمد على إلى أحمد يكن بشأن الثورة في عسير، مؤرخة في ١٢ رجب، ١٢٣٨هـ.
(٤) الوثيقة السابقة، رقم ٢٠، دفتر ١٤ معية تركي.

التحق لمعيتكم الشريف محمد بن عون، أمير عسير، الذي غضب من علي مجسمى، أحد أقربائه، لأنه لم يحضر عندما أراد احضاره معه، فاتخذ الشيخ المذكور غضب الشريف المومي ذريعة للفتنة، وحرك قاسماً شيخ رجال ألمع، وأشقياء عسير، وبدو تهامة، وهجموا ليلاً في الخامس عشر من جمادي الأولى على عساكر المشاة الموجودين في عسير، وقتلوا وجرحوا مقدار مائة منهم . . . الخ ».

ولكن المصادر[1] المحلية تشير إلى أن السبب الحقيقي للثورة يعود إلى غضب سعيد بن مسلط من الشريف محمد بن عون عندما وبّخه لتأخره عن الغزو معه مما دفع سعيد بن مسلط إلى العودة إلى عسير والثورة على الشريف محمد بن عون.

وإني أرجح الرأى الثاني للأسباب الآتيـــة :-

١ - لأنه لم يرد اسم هذا الشريف، وهو علي مجسمي في أيّ من الوثائق أو المصادر بعد هذه الحادثة مما يدل على أن هذا الإسم ورد خطأ، والمقصود هو علي بن مجثل أخو سعيد بن مسلط، والقائد العسكري لجميع العمليات التي تمت ضد قوات محمد علي في عسير.

٢ - جميع الوثائق والمصادر تجمع على أن قائدي الثورة في عسير منذ عام ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٣م إلى عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م هما سعيد بن مسلط وعلي ابن مجثل، مع أن الحوادث التي تشير إليها

---

(١) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ١٧١، ١٧٢.
- عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ٩٧.
- محمود شاكر، شبة جزيرة العرب - ١ - عسير، ط ٣، المكتب الإسلامي ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ١٧٤، ١٧٥.

الوثائق تتطابق مع ماذكر في المصادر، مما يدل على أن المعلومات صحيحة ولا غبار عليها، وإنما الخطأ في الأسماء فقط.

ومهما يكن من شيء فقد ثار سعيد بن مسلط ومعه قبائل عسير ضد قوات محمد على وضد أشراف الحجاز وتمكن من بسط سيطرته على عسير، وقام بنقل عاصمته من طبب إلى السقا[1]، وكان إيذانا ببدء فترة جديدة من فترات المقاومة المحلية لقوات محمد علي في الحجاز وعسير[2].

ولم تكن ثورة عسير على قوات محمد علي مجرد نزوة غضب أدت إلى الاستقلال بل إن الوثائق[3] تشير إلى أن على بن مجثل كان يراسل الكثير من الأعيان والأصدقاء في الحجاز والمخلاف السليماني، شارحاً لهم موقفه من قوات محمد علي، واستقلاله عنها، ونقتطع هنا نبذة من تلك الوثيقة فنقول: «سلام الله الأتم . . . وبعد وصلت خطوطك، وفهمنا مضمون الجميع، وتعلم أن القومة[4] لله لا لغرض من الأغراض، ولا يخفاك مع وصول خطك الأول، أنا قد جوّبنا عليك، بما في خواطرنا بمحضر كبار عسير وشهران، ورفيدة، وبني الأسمر وبني الأحمر، وبني شهر، وبلقرن وبني عمرو، ومن حضر من أكابر عبيدة، وسنحان، ومن حضر من دراعيه، ورجال همدان، وصدرنا الخط يواجهك في القنفذة، وأما الباشا فلا نرى الخط عنده وجه، لأنا مانعلم

---

(١) السقا: قرية صغيرة من قرى بني معيد، من بلاد عسير، وقد اتخذها سعيد بن مسلط عاصمة له أثناء حكمه لعسير، وبها عدة حصون تاريخية هامة منها: حصن زهران، وحصن شهران، وحصن مسمار، أنظر: محمود شاكر، المرجع السابق، ص ٧٧.
- كذلك انظر، هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٢٠٢.

(٢) عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ٨٦.

(٣) محفظة ٨ بحر برا، الوثيقة بدون رقم، مؤرخة في ٤ ربيع ثاني ١٢٣٨هـ، من على بن مجثل إلى السيد محمد بن عقيل.

(٤) القومة: أي القيام، ويقصد بذلك أن قيامه بمقاومة قوات محمد على إنما هو لوجه الله.

له عندنا من المطالب شيء، فإن أراد العافية والسكون، فيخلينا ويخلي سبيلنا وأن يدور الفتن، ومراده يوازينا عند طوارفنا[1]. فنستعين عليه بقاصم الجبابر».

وتؤكد لنا الوثيقة السابقة أن الثورة كانت قد تمت عام ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٣م، وأن قبائل عسير قاطبة التفت حول أمراء عسير بهدف إنهاء وجود قوات محمد علي في عسير، كما تؤكد الوثيقة أنه لا يوجد أي سبيل للتفاهم مع أحمد باشا ما لم يكف عن محاولاته الرامية إلى التدخل في شئون عسير الداخلية.

ولم يقف أشراف الحجاز ومن ورائهم محمد علي مكتوفي الأيدي أمام خروج عسير عن تبعيتها للحجاز، فقد وردت الأوامر إلى أحمد باشا يكن في الحجاز بضرورة القيام برد مناسب على العسيريين، وأوصت الوثيقة بتحري الدقة، وضرورة التنسيق مع أشراف الحجاز قبل القيام بهذه العملية[2].

وقد توجهت حملة إلى عسير عام ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٣، وقد تمكنت قبائل عسير من هزيمة تلك الحملة بعد معارك عنيفة، وأسفرت تلك المعارك عن سقوط الشريف راجح قتيلاً في المعركة، وإنسحاب القوات المهاجمة من عسير[3].

ومن الملاحظ أن هذه الثورة لم تقتصر على القبائل المحيطة بأبها بل شملت كل قبائل عسير، حيث ثارت قبائل بيشة وقاموا بمحاصرة

---

(١) يوازينا عند طوارفنا: أي يضايقنا على حدود بلادنا.

(٢) دار الوثائق القومية، القاهرة، دفتر ١٤ معية تركي، رقم الوثيقة ٢٠، مؤرخة في ١٢ رجب ١٢٣٨هـ، من محمد علي إلى أحمد يكن.

(٣) محمد بن إبراهيم الحفظي، نفحات من عسير (ديوان شعر). نسقه عبد الرحمن الحفظي، ص ١٢٣، مطابع عسير، أبها ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م ص ١٢٣.

الحامية الموجودة فيها، وتعذر إيصال الذخيرة إلى المحاصرين بسبب ثورة غامد وزهران وشمران وبلقرن، وكل هذه القبائل تسيطر على الطريق الممتد بين بيشة والحجاز وقد اضطرّ محمد علي إلى إرسال الأوامر لوالي جدة باتخاذ السبل الكفيلة بإنهاء حالة الحصار على قواته الموجودة في بيشة[1].

ومما يدل على أن ثورة عسير كانت ثورة شعبية، هو كون أهالي بيشة بعثوا برسائل إلى القبائل المجاورة لهم يحرضونهم على الثورة مما دفع جميع القبائل من غامد وزهران شمالاً حتى بلقرن ورنية[2] ونواحيها، إلى القيام بتلك الثورة استجابة لنداء اخوانهم في بيشة[3].

ولم تمض فترة بسيطة حتى قام محمد علي بتجهيز حملة جديدة توجهت إلى عسير بهدف إخضاعها مرة أخرى لنفوذ محمد علي، ونظراً لضخامة تلك الحملة فقد قرر سعيد بن مسلط إتخاذ حرب العصابات وسيلة لمواجهتها، وقد تمكنت تلك الحملة من التوغل داخل عسير واستولت على طبب والسقا، ولكن عسير لم تدخل في الطاعة، لأن رجال القبائل لم يلقوا السلاح بل ظلوا يواصلون المقاومة لقوات أحمد باشا المهاجمة. وقد أدت حرب العصابات التي اتبعها العسيريون إلى إلحاق أفدح الأضرار بقوات محمد علي، وتأزم الموقف على قوات محمد علي نتيجة لموت الجمال ونفاذ الذخيرة، مع استمرار المقاومة في عسير

---

(١) دار الوثائق القومية، القاهرة، دفتر رقم ١٦ معية تركي، ترجمة الوثيقة رقم ٤٥، مؤرخة في ٨ محرم ١٢٣٩هـ، مرسلة من الجناب العالي إلى حضرة وإلى جدة.

(٢) رنية : هو واد مشهور يقع في بلاد قبيلة سبيع، وتقوم على أطراف الوادي القرى والمزارع الكثيرة.
انظر، فؤاد حمزة، في بلاد عسير، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م ص ٤٦ ـ ٥٠.

(٣) الوثيقة السابقة، رقم ٤٥، دفتر رقم ١٦ معية تركي.

ضد تلك القوات[1].

وتفيد الوثائق[2] أن الموقف بين عسير وبين قوات محمد علي ظل موقفاً حربياً متفجراً، فرغم قوة الحملات التي أرسلها محمد علي إلى عسير إلا أنها اصتدمت برجال القبائل الأشداء الذين مارسوا ضدها حرباً شرسة، معتمدين على طبيعة المنطقة الجبلية، وعلى حرية الحركة لكونهم يتبعون أسلوب حرب العصابات، ذلك الأسلوب الذي أدى إلى إلحاق أفدح الأضرار بقوات محمد علي المهاجمة لعسير.

وبعد أن تمكن أحمد باشا من تحقيق انتصار جزئي في عسير حاول أن يقوم بجمع أسلحة رجال القبائل هناك، بهدف القضاء على وسيلة المقاومة التي تمكنهم من مواجهة قواته المهاجمة، ولكي يفرض سيطرته الكاملة على عسير، ولكن أهل عسير رفضوا هذا الابتزاز، وأخبروه أن الموت أهون عليهم من تسليم أسلحتهم ثم انفضوا من حوله، ومما ورد في الوثيقة[3] : « فلا يقتضى بعد الآن أن يوجد بيدكم بنادق، فلتذهبوا بأدبكم وشرفكم لتسلموها، وعندما فهم كل منهم هذه الكلمات الشديدة أجابوا جميعهم نرضى بقتلنا ولا نعطى بنادقنا، وفر كل منهم إلى اتجاه في الجبال ».

ولم يكن أهل عسير من السذاجة بدرجة تجعلهم يركنون إلى وعود أحمد باشا، وإنما كانوا يتحيّنون الفرص المناسبة للانقضاض على قوات أحمد باشا، وقد واتهم الفرصة عندما انسحب أحمد باشا إلى

---

(١) دار الوثائق القومية، القاهرة، محفظة ٩ بحر برا، ترجمة الوثيقة نمر (١٠) مؤرخة في ٢١ ١٢٣٩هـ/ ٢٢ مارس ١٨٢٤، من أحمد محافظ مكة إلى المعية السنية.

(٢) دار الوثائق القومية، القاهرة، محفظة ٩٠ بحر برا، ترجمة الوثيقة رقم ١٣، مؤرخة في ٢١ رجب ١٢٣٩هـ. من الميرالاى الثاني محمد إلى المعية السنية.

(٣) دار الوثائق القومية، القاهرة محفظة ٩ بحر برا، رقمها ١٢، مؤرخة في ٢١ رجب ١٢٣٩هـ، رسالة من أحمد يكن إلى المعية السنية.

الحجاز وأبقى محمد بن عـون على رأس حـامية في عسـير ولكن قبائـل عسـير قـامت بحصـار محمـد بن عـون في طبب وأسفـر الحصــار عن انسحاب محمد بن عـون من عسير مع جميـع قوات محمـد علي هنـاك، مقابل توقيعه على اتفاق يتنازل بموجبه عن منطقة عسير، ويعترف فيهـا بحـدود معلومـة لعسـير تمتـد من بــارق شمـالاً حتى صبيــا والشقيق جنوباً[1] .

ولقـد كان العسـيريون حـريصون عـلى قيام الصلح بينهم وبـين أشراف الحجاز ومحمد علي وفي سبيل ذلك الصلح قاموا بإرسال الهدايا إلى أحمد باشا يكن وإلى محمد بن عون، وكانت تلك الهدايا عبـارة عن ثلاث خيول ومعها رسائل وديّة تتعلق بالاتفاقية المبرمـة بين الجـانبين. وفي ذلك دليل على النوايا الحسنة لأهل عسير. ولكن ومـع وجود هـذه النــوايا الحسنـة، فلقد كـانـوا متيقـظين لأيـة محـاولـة لـلاخـلال بتلك الاتفـاقية، ومـا ورد في الـوثيقـة[2] : « فـإن كـان الصلح استتم عـلى مظمون ما راح عليه الربع فعرفونا وإن كنتم خالفتم عنه فعرفونا والنقا بقا »[3] .

ويظهر أن القيـادة في عسير كـانت خلال هـذه الفترة شبـه قيادة جماعية، بدليل أن تلك الرسالـة المرسلة إلى محمـد بن عون مـوقعة من سعيد بن مسلط وعلى بن مجثل، ولاشك أن أهل عسير كانوا عبارة عن

(١) دار الوثائق القومية، محفظة ٩ بحر برا، ترجمة الوثيقـة رقم ١٧، مؤرخة في ٢٧ رمضـان ١٢٣٩هـ من أحمد محافظ مكة إلى وليّ النعم.

(٢) دار الوثائق القومية، القاهرة، محفظة ١٢٧/٦ بحر برا، صورة أصلية بدون تاريخ، من سعيد بن مسلط وعلى بن مجثل إلى محمد بن عون.

(٣) النقابقا: أي التحدى باقي: ومن الجمـل الدارجـة في عسير (طقـك الله بالنقـا) أي أني أتحداك، والمقصود أنه لا يبالي بقوة ذلك الشخص ولذلك فإنه نقا عليه.

ثوار على الدولة العثمانية، ولذلك فإنه لم يكن مهما لديهم من سيكون الأمير إنما كان الأهم هو أن تنجح الثورة أولاً.

ولم يلبث الموقف أن انفجر بين عسير وبين قوات محمد علي في الحجاز، ويعود ذلك إلى الأسباب الآتية :-

١ - عدم موافقة سعيد بن مسلط على إحضار مشائخ عسير إلى مكة لمقابلة أحمد باشا، وكان أحمد باشا يهدف إلى إستدراج أولئك المشائخ إلى جانبه، في حين كان سعيد بن مسلط يخشى غدر أحمد باشا، بأولئك المشائخ(١).

٢ - وصلت الأخبار إلى أحمد باشا بأن أهل عسير يقومون بإجراء تحصينات واستعدادات حربية تحسباً لأي هجوم تشنه قوات محمد علي في الحجاز اضافة إلى قيام سعيد بن مسلط بإرسال كتاب إلى تركي بن عبد الله آل سعود، فرد عليه تركي بأن أرسل شيخاً من كبار مشائخ آل سعود، مما أثار أحمد باشا حيث قال: «وأنه بعث خفية خطاباً لتركي بن عبد الله من جماعة السعود فأرسل هو إليه شيخاً من المشائخ النبهاء المرعى الخواطر في أيام السعود، وأنه وإن كان يتظاهر بمظهر الطاعة لكن مراده التمكن من تقوية نفسه . . . فحرر ورقة إلى الدويش(٢) فتلطف فيها معه ليغزو جماعة تركي بن عبد الله»(٣).

وهكذا اتخذ أحمد باشا اتصال أهالي عسير بأمرائهم السابقين، وقيامهم بتحصين بلادهم ذريعة لطلب الإمدادات من محمد علي حتى

---

(١) محفظة ٩ بحر برا، ترجمة الوثيقة رقم ٦٦، مؤرخة في ٧ ربيع الأول ١٢٤٠هـ من أحمد باشا محافظ مكة إلى صاحب الدولة والعناية ومزيد المرحمة وليّ النعم.

(٢) الدويش: هو شيخ قبيلة مطير.

(٣) الوثيقة السابقة، رقم ٦٦.

يقوم بهجوم جديد على عسير، ناكثا بذلك العهود والمواثيق التي وقعها مع العسيريين قبل ذلك. وفي سبيل تنفيذ مخطط أحمد باشا شن على عسير هجوماً من إتجاهين: فالهجوم الأول عن طريق القنفذة والهجوم الثاني عن طريق الحجاز وذلك بهدف تشتيت قوات عسير(١).

وأمام إصرار أحمد باشا على مهاجمة عسير مرة أخرى انقسم أهالي عسير إلى فريقين :-

فريق يرى أنه لا مناص من الصمود والوقوف في وجه القوات المهاجمة بكل شجاعة وثبات.

وفريق آخر يرى أنّ أعلان الخضوع والموافقة على السلام مع أحمد باشا يجنب البلاد ويلات الحروب وأضرارها(٢).

ولكن في النهاية تغلب الجانب المتشدد وقرر أهل عسير مواصلة التصدى لقوات محمد علي، وتوجهت حملة كبيرة إلى عسير، وتمكنت من التوغل داخل عسير حتى وصلت إلى مناظر، وقام كثير من قبائل عسير بطلب الأمان من أحمد باشا، أما ابن مجثل وسعيد بن مسلط فقد طلبا الأمان على أساس استقلال رجال ألمع تحت حكمهما فقط، ولكن أحمد باشا رفض هذا العرض ظنا منه أنه سيتمكن من تحطيم ذلك المعقل الأخير(٣).

نلاحظ من خلال دراسة الوثائق السابقة أن أحمد باشا يحاول التقليل من قوة العسيريين. فقد رفض أحمد باشا الموافقة على

---

(١) محفظة رقم ٩ بحر برا، ترجمة الوثيقة رقم ٨٧، مؤرخة في ١١ شعبان ١٢٤٠هـ من رستم إلى حضرة صاحب الدولة.

(٢) الوثيقة السابقة، رقم ٨٧.

(٣) محفظة رقم ٩ بحر برا تركى، ترجمة الوثيقة رقم ١٠٦، رقم ١٠٦، مؤرخة في ٣ ذي القعدة ١٢٤٠هـ مرسلة من أحمد باشا محافظ مكة إلى حضرة صاحب الدولة ولي النعم.

التنازلات التي قدمها ابن مجثل، ظنا منه أن سيتمكن من القضاء عليه بسهولة، وكان هدف أحمد باشا الغدر بأمير عسير والقاء القبض عليه، حيث تقول الوثيقة[1] : « ولما كانت مطالبهم هذه غير لائقة فقد أجبتهم وأفهمتهم أنه لا يعطي من قبلنا أماناً مثل هذا، فإذا رغب الشقي المذكور أعطى الأمان لنفسه، وقد أعيدوا بهذا الجواب وإلى الآن لم يعد الرجال المذكورين إلى طرف عبدكم. وان مراد عبدكم أنه إذا قبل بمثل هذا الأمان أعطى إليه على أمل القبض عليه بعد ذلك ».

وكان من نتيجة تعنت أحمد باشا واستهتاره بقوة العسيريين أن وقع في مأزق حقيقي، حيث وصل إلى أبها بقواته، ثم انقطعت الإتصالات بينه وبين السواحل. بسبب سيطرة ثوار عسير على المناطق الواقعة بين أبها وبين الموانىء الرئيسية لعسير مثل القنفذة وعتود. وقد بلغ من تأزّم الموقف أن رسولاً بعث إلى أحمد باشا عجز عن الوصول إليه في أبها، على الرغم من محاولته التنكر بزي أعرابي إلا أنه أخبر في الطريق أنه سيقع في يد العسيريين إنْ آجلا أو عاجلاً لذا فقد قرر العودة إلى جدة مرة أخرى دون أن يتمكن من مقابلة أحمد باشا المحاصر في أبها[2]. ومما ورد في تلك الوثيقة : « فذهبت من جدة إلى القنفذة ومنها إلى مرفأ عتود[3] » الذي هو تحت مأمورية الشريف على بن حيدر فطلبت من الشريف المذكور استحصال وسيلة للمسير بهجان في طريق مسلوك يوصل إلى طرف ولدكم المحافظ المشار إليه

---

(١) الوثيقة السابقة، رقم ١٠٦.

(٢) محفظة رقم ٩ بحر برا، ترجمة الوثيقة رقم ١٢١، مؤرخة في ١٣ ذي الحجة ١٢٤٠هـ، مرسلة من أحمد أغا إلى صاحب الدولة والعناية ولي النعم.

(٣) عتود: هو واد بالمخلاف السليماني، ويصب في البحر الأحمر، وكان يوجد له ميناء باسمه.

انظر: محمد أحمد العقيلي، المعجم الجغرافي، مقاطعة جازان، ط ٢ منشورات اليمامة، الرياض ١٣٩٩هـ، ص ٢٨٤.

ومعسكر جيشه، لكن لم نتمكن من استحصال طريق للمسير حيث أجابني الشريف قائلاً : إن أشقياء عسير الذين لم يدخلوا في الطاعة يتجولون في الطريق من مرفأ عتود إلى عقبة المناظر »[1].

وازداد الأمر سوءاً عندما قام أحمد باشا بمحاولة للهجوم على السقا عاصمة عسير، ومن ثم النزول إلى رجال ألمع بهدف القضاء على القوة الموجودة لعسير هناك. وعلى الرغم من أن أحمد باشا قد تمكن من استقطاب بعض ضعاف النفوس من قبائل عسير التي استولى عليها وضمهم إلى جيشه، الا أن ذلك لم يجد شيئاً، حيث حاول انزال هؤلاء العسكر العرب إلى رجال ألمع لمهاجمة قوات عسير المتحصنة هناك، فلقيت تلك القوات هزيمة شنيعة ووقع قائدها أغا مانع أبو نقطة المتحمى أسيراً في أيدى رجال ألمع. وقد أدى هذا التغير إلى ارتفاع الروح المعنوية بين رجال عسير، فتقدموا من رجال ألمع إلى السقا حيث كان يتمركز أحمد باشا وقاموا بمهاجمة قواته، فحاول الانسحاب إلى طبب ولكن العسيريين أخذوا في ملاحقته أثناء الانسحاب، مما ألحق أقدح الخسائر بقواته إضافة إلى الاستيلاء على معظم المؤن والعتاد الحربي الذي كان في معسكر أحمد باشا، وقد اضطرت هذه الهزيمة أحمد باشا إلى توقيع صلح مع عسير، يعترف بموجبه باستقلال مناطق عسير الممتدة من بلسمر وبارق شمالاً إلى حدود أبو عريش جنوبا، وفي نفس الوقت سمح العسيريون لأحمد باشا بالجلاء بقواته نهائياً عن عسير، حيث اتجه بقواته إلى القنفذة ومنها إلى الحجاز[2].

---

(١) مناظر: هو اسم مدينة أبها الحالية. وهو اليوم اسم حي قديم من أحياء أبها. وفي الواقع أنه لا توجد عقبة باسم عقبة مناظر، ولكن ربما كان اطلاق تلك التسمية من باب الخطأ.

(٢) محفظة رقم ١٠ بحربرا، ترجمة الوثيقة رقم ١٤، مؤرخة في ١١ محرم ١٢٤١هـ مرسل من أحمد باشا إلى ولىّ النعم.
انظر عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ٢، ص ١٩.

ويعتبر الانتصار السابق لعسير أكبر انتصار عسكري تحقق على قوات محمد علي حتى ذلك الوقت، فالهزيمة بتلك الصورة تعد نكسة خطيرة لقوات محمد علي في عسير، فقد فقدت نفوذها نهائياً، مع أن العسيريين كانوا قد طلبوا استقلال رجال ألمع واجزاء صغيرة من عسير السراة، ولكن أحمد باشا كابر ورفض ذلك العرض ظناً منه أن الإنتصار على عسير سيكون في غاية السهولة، مما أدى إلى فقدانه السيطرة على الجزء الأكبر من عسير، وانسحب باتفاق في غير صالحه، وكان ذلك في شهر محرم عام ١٢٤١هـ.

وتشير الوثائق[1] إلى أنّ الاستقرار في عسير قد استتب بعد هزيمة أحمد باشا في عسير، مما دفع سكان المخلاف السليماني إلى مطالبة أمير عسير سعيد بن مسلط بالتدخل ضد الشريف علي بن حيدر، الذي اتخذ له عساكر من قبائل يام وتركهم يلحقون بالأهالي ألوانا من الأذى والهوان، وقد استجاب العسيريون لذلك الطلب وتوجهت مجموعات منهم إلى المخلاف السليماني لصد يام وأبعاد خطرها عن تلك المناطق. وقد أثار هذا التصرف من أمير عسير أحمد باشا، ولفت نظر الباب العالي إلى ذلك، بحجة أن أمير عسير يطمع في ضم المخلاف السليماني إلى بلاده.

ولم يمكث أمير عسير آنذاك طويلا بعد هذا الإنتصار الكبير، حيث وافته المنية في شهر صفر عام ١٢٤١هـ / ١٨٢٦م، فتولى بعده ابن عمه علي بن مجثل، وكان بمنزلة أمير عسير أثناء حياته، وكانت

---

(١) محفظة رقم ١٠ بحربرا، ترجمة الوثيقة نمرة ٤٩، مؤرخة في ١٩ ربيع الأول ١٢٤١هـ، من رستم أفندى محافظ جدة إلى وليّ النعم.
- محفظة رقم ١٠ بحربرا، ترجمة الوثيقة نمرة ٦٨، مؤرخة في ٩ ربيع الآخر ١٢٤١هـ. مرسلة من مجهول إلى ولي النعهم.

ولايته قد حظيت بموافقة أهل عسير جميعاً[1].

وقد ظلت عسير صامدة في وجه محاولات محمد علي للاستيلاء عليها طوال فترة حكم علي بن مجثل، الذي تولى الإمارة من عام ١٢٤١هـ / ١٨٢٦م إلى ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م. وكان موقف عسير قد أصبح أكثر قوة في أيامه مما كان عليه الحال أيام سعيد بن مسلط، لأن عسير خلال حكم سعيد بن مسلط امتصت كل الهجمات والمحاولات التي قام بها محمد علي وأشراف الحجاز لاستعادتها، بل أخذت تعمل على توسيع حدودها في المناطق المجاورة لها من الحجاز وتهامة مستغلة الظروف الصعبة التي كان يمر بها حكم محمد علي في الحجاز وأهم تلك الظروف:

١ - قيام ثورة بين أشراف الحجاز ضد حكم محمد علي، مما أدى إلى القاء القبض على عدد كبير منهم وعلى رأسهم الشريف يحيى بن سرور ونجله الشريف حسن، والشريف محمد ونجل أخيه الشريف سعد والشريف عطاس، وغيرهم كثير. بينما هرب إلى عسير الشريف عبدالمطلب وأخيه علي واستجار بأمير عسير علي بن مجثل[2]. ومما أوردته إحدى الوثائق[3] عن هذا الشأن ما يلي: «إن ما يؤخر الأشراف الموجودون في مكة عن الذهاب لمصر هو تعذر القاء القبض على عبدالمطلب وأخيه علي وأنهما مستمران في ارسال مكاتبات الفساد إلى الشرفاء الموجودين بمكة من جهة العسير. وأن أولئك الأشراف يتكتمون على مضمون الرسائل».

---

(١) عبدالله بن مسفر، المصدر السابق، ٨٨.
- هاشم النعمي، المصدر السابق، ١٧٥.

(٢) دفتر رقم ٣١ معية تركى، ترجمة الوثيقة رقم ١٨٥، مؤرخة في ٢٠ شوال ١٢٤٣هـ، مرسلة من الجناب العالي إلى محافظة مكة. محافظة الحجاز دار الوثائق القومية، القاهرة.

(٣) محفظة ١٢ بحربرا، ترجمة المكاتبة ٦٣، مؤرخة في ١٥ شوال ١٢٤٣هـ، مرسلة من مصطفى إلى الجناب العالي، محافظ الحجاز، دار الوثائق القومية، القاهرة.

ورغم توجيه التهديدات من محمد علي لعلي بن مجثل على موقفه ذلك إلا أن علي بن مجثل استمر في اجارته لهؤلاء الأشراف، غير عابىء بتهديدات محمد علي ووعيده[1] ومما لا شك فيه أن الاستمرار في عملية الهرب التي يقوم بها الأشراف كانت قد أدت إلى ارباك محمد علي وقواته. في الوقت الذي تزيد فيه معنويات العسيريين وقوتهم.

٢ ـ قيام الحرب بين الدولة العثمانية وبين محمد علي، تلك الحرب التي انشغل بها محمد علي عن متابعة الوضع في الحجاز وعسير، ففي عام ١٢٤٧هـ تقدمت جيوشه في بلاد الشام، وحدثت معارك عنيفة بينها وبين قوات الدولة العثمانية، انتهت بانتصار قوات محمد علي، مع العلم أن محمد علي كان لا يزال اسميا يخضع للدولة العثمانية[2].

٣ ـ ومن العوامل التي ساعدت علي بن مجثل على استتباب الهدوء في عسير وعدم تعرضها لأي حملات خارجية، أن ثورة قوية نشبت في جدة بقيادة (تركجة بيلمز) وزنار أغا ومعهما مجموعة من القواد الموجودين في الحجاز وكانوا يتذمرون من عدم دفع العلوفات لهم[3] ورغم محاولة محمد علي استدراجهم عن طريق دعوته

---

(١) دفتر رقم ٣١ معية تركي، ترجمة الوثيقة رقم ٢٥٦، مؤرخة في ١٦ محرم ١٢٤٤هـ من الجناب العالي إلى محافظة مكة ـ محافظ أبحاث الحجاز دار الوثائق القومية، القاهرة.

(٢) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق احسان حقى، ط ١، دار النفائس، بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٤٤٩.

(٣) دفتر ٤١ معية تركي، ورقة ١٠٤، نمرة الأمرة ٥٩٩، مؤرخة في ٧ رمضان ١٢٤٧هـ، مرسلة من الجناب العالي إلى حسن آغا، محافظ أبحاث الحجاز دار الوثائق القومية بالقاهرة.

لمزيد من التفاصيل انظر د. عبدالفتاح أبو علية، الدولة السعودية الثانية، ط ٢، ص ٣٧ ـ ٣٩.

لرؤساء الفتنة إلى مصر بحيث يقدمان مع المحمل الشريف، مع الاشارة إلى ضرورة احضارهما ولو بالقوة[١].

ولم يكتف محمد علي بذلك بل أرسل رسائل خاصة لكل من تركجة[٢] بيلمز، وخورشيد باشا[٣]، يدعوهما فيه بالحضور إلى مصر حتى يحكم بينهما في النزاع الذي حصل في الحرمين الشريفين[٤]. ومما زاد الموقف صعوبة هو أن الدولة العثمانية قد أصدرت فرمانا وأرسلته إلى تركجة بيلمز، ويقضي بتعيينه واليا على الحجاز، نكاية بمحمد علي الذي يقوم بعملية انفصال عن الدولة العثمانية[٥].

وقد قام محمد علي بإجراء سريع لتلافى ذلك الموقف الصعب الذي وصلت إليه قواته في الحجاز، حيث قام بتعيين الشريف محمد بن عون محافظاً لمكة، كما طلب منه التعاون مع إسماعيل بك لصد أي هجوم يقوم به تركجه بيلمز على مكة المكرمة، وفي الوقت نفسه طلب من إسماعيل بك التعاون مع شريف مكة والاستمرار في الصمود حتى وصول أحمد باشا يكن على رأس قوات جديدة بهدف القضاء على هذه الثورة[٦]. ومما ورد في الوثيقة مايلي[٧]: « من الجناب

---

(١) الوثيقة السابقة، ورقة ١٠٤، رقم الأمر ٥٥٩.

(٢) دفتر رقم ٤٤ معية تركي، الوثيقة نمرة ١٥٩، مؤرخة في ٢٥ صفر ١٢٤٨هـ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) دفتر رقم ٤٠ معية تركي، الوثيقة نمرة ٨٢٧٠، ورقة ١٣٠، مؤرخة في ٩ صفر ١٢٤٨هـ، مرسلة من الجناب العالي إلى خورشيد باشا، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٤) الوثيقتين السابقتين رقم ١٥٩، ٨٢٧٠.

(٥) أحمد فضل بن عبدالمحسن العبدلى، هدية الزمن في اختبار ملوك لحج وعدن، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٥١هـ، ص ١٤٢.

(٦) سجل معية تركي، نمرة ٤٤، ورقة ٣٤، مكاتبة ١٥٧، مؤرخة في ٢٤ صفر ١٢٤٨هـ، مرسلة من محمد علي إلى إسماعيل بك مكة، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٧) ترجمة الوثيقة نمرة ١٥٥، دفتر رقم ٤٤ معية تركي، ورقة ٣٢، مؤرخة في ٢٥ صفر =

العـالي إلى حضرة الشريف محـافظ مكـة. كنت أسنـدت محـافـظة إلى ذاتكم الشريفة، حينما علمت من التقـرير الـوارد من حسن أغا وكيـل الحرمين تفصيل القتال الذي كان حـدث بمكة بـين الميرالاى إسـماعيل بك وبين محمد آغا (تركجه بيلمز)، واعلموا أنى قد علمت من التقرير الآخر الذي جاء أخيراً من وكيل الحرمين الشريفين أن تركجه بيلمز قد أخذ جنودا ومدافع من جـدة وزحـف على مكـة المكرمـة بحكم الفساد المكنون في طبيعته الخبيثة، فأعددت العدة لسـوق ولدنـا ويكننا حضرة صاحب السعادة أحمد باشا، إلى تلك الديار لقمع هـذه الفتنة وابـادتها معـززاً بالألايـين من مشاة جنـودنا الجهـاديـة المنصـورين، وآلاى من فرسانهم وألف خيّال من العربان».

وعـلى الرغم من تـوجه أحمـد باشـا خصيصاً للقضـاء على ثـورة بيلمز إلا أن إسماعيـل بك تمكن من هـزيمة بيلمـز في بحره، وانسحب بيلمز إلى جدة تمهيداً للفرار منها إلى اليمن، وكان بإمكان إسماعيل بك محاصرته في جدة لولا نقص النقود الضرورية لتلك الحملة[1].

ولم يمكث تركجة بيلمز بعد تلك الهزيمة فترة طويلة في جـدة، إذ سرعان ماعلم بوصول أحمـد باشـا إلى ميناء ينبـع حتى قام بـالفرار إلى جهة اليمن[2]. وتذكـر الوثـائق أنه قـد قسم قواتـه إلى قسمين: قسم توجه عن طريق البحر ومعه المدافـع والمؤن. والقسم الآخر تـوجه عن طريق البر، وكان على رأسهم تركجه بيلمز نفسه.

= ١٢٤٨هـ، من محمـد علي إلى حضرة الشريف محمـد بن عون محـافظ مكة، دار الـوثائق القومية بالقاهرة.

(١) سجـل معية تـركي، نمـرة ٤٤، ورقـة ٤٧، مكـاتبـة ٢٣٤، مؤرخـة في ١٥ ربيـع أول ١٢٤٨هـ مرسلة من الجناب العالي إلى إسماعيل به. دار الوثائق القومية بالقاهرة.
- كذلك سجل معية تركي، نمرة ٤٤، ورقة ٤٧، مكاتبة ٢٣٣، مؤرخة في ١٥ ربيع أول ١٢٤٨هـ، مرسلة من الجناب العالي إلى شريف مكة دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) أحمد فضل بن عبد المحسن العبدلي، المصدر السابق، ص ١٤٢.

أما الوضع في عسير أثناء انسحاب تركجه بيلمز من جدة، فقد كان على بن مجثل قد استغل هذه الفوضى والتمزق التي حدثت بين قوات محمد علي في الحجاز، وقام بالتوجه إلى أبي عريش بهدف إخراج حامية محمد علي منها[١]، وضمها إلى ماتحت يده من بلاد عسير، ولكن الحامية الموجودة في المدينة نجحت في صد هجوم رجال عسير وأجبرتهم على التراجع وفك الحصار عن أبي عريش[٢].

وأثناء توجه قوات تركجه إلى الجنوب حاولت الإستيلاء على ميناء القنفذة ولكنها فشلت في ذلك، لكون أحمد باشا قد قام بإرسال تعزيزات إلى الحامية الموجودة لتتمكن من صد الهجمات التي قام بها تركجه بيلمز، وبذلك فشل بيلمز في الإستيلاء على القنفذة، ثم واصل مسيره جنوباً حتى وصل إلى موانىء اليمن[٣]. ولقد كانت قوات محمد علي منتبهة إلى محاولات تركجه بيلمز التعاون مع العسيريين، حيث ورد في احدى الوثائق مانصه[٤]: «كنا بسطنا وبينا في عريضتنا السابق تقديمها مع عبدكم قبو جو قدار ناحس أفندي، أن العساكر الطاغية الذين تحصنوا في جدة فروّا إلى جهة اليمن براً وبحراً بعد مرور أربعة أيام من وصولنا إلى ينبع، وأنه عند هجوم علي بن مجثل شيخ عسير قبل الآن على قلعة أبي عريش مع عربان كثيرين وشروعه

---

(١) محفظة ١٧ بحر برا، ترجمة الوثيقة ٥٦، مؤرخة في ٢١ ربيع آخر ١٢٤٨هـ، مرسلة من أحمد يكن إلى الجناب العالي، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) ترجمة أفادة من محفوظات المعية ٥٣٧، محفظة ١٧/٥٦، مؤرخة في ٢١ ربيع آخر ١٢٤٨هـ، مرسلة من أحمد باشا إلى أعتاب الجناب العالي دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) د. جاد طه. سياسة بريطانيا في جوب اليمن، دار الفكر العربي ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠م، ص ٥٨.

Marston, T.E. Britain's Imperial Role in the Red Sea Area 1800-1878,pp. 34, 44.

(٤) الوثيقة السابقة من محفوظات المعية ٥٣٧، محفظة ١٧/٥٦.

ـ وثيقة دفتر ٧٤، معية تركي، رقم ٤٨٩، ص ٨٠ مؤرخة في ٢٩ صفر ١٢٥٢هـ، من الجناب العالي إلى حبيب أفندي ـ محافظ الحجاز ـ، دار الوثائق القومية بعابدين.

في الحرب ومقابلة عبيدكم الجنود الموجودين في معية الشريف علي بن حيدر لهم وجهاً لوجه قد انهزم أشقياء عسير، وتقهقروا إلى الوراء وأنه نظراً لأنهم ينوون الحرب مرة أخرى بعد أن يجمعوا العربان سيرسل عبدكم الميرلوا إسماعيل بك مع ثلاث أورط إلى جهة قنفذة لأجل الإخلال باتفاق عساكر الأتراك الفارين مع أشقياء عسير، وربما أن جماعة توركجه بيلمز الفارين ينوون المرور من العقبة المسمّاة ببركة المتصلة بعسير، والوصول إلى ابن مجثل في جهة اليمن، وأنه نظراً إلى أن هؤلاء المفسدين أفكارهم السيئة متجهة إلى تقوية أنفسهم، بالاتفاق والاتحاد بأي وجه كان والإستيلاء على الجهات التي يرغبون فيها . . . الخ ».

وقد نجح بيلمز في الإستيلاء على الحديدة، ومخا وزبيد، وتمكن من بسط سيطرته على ساحل اليمن كله، وأعاده إلى السلطة الاسمية للباب العالي[1]. وعندما علم علي بن مجثل بوصول بيلمز وما حققه من انتصارات، رأى أن في وجود هذا الثائر الذي يملك السفن والأسلحة والعساكر النظامية فائدة كبيرة له ولقوات عسير إذا حدث اتفاق بينه وبين الأمير، وعندما جرت المفاوضات تم الاتفاق بين الفريقين عسير وجماعة تركجه بيلمز على التعاون في المجال الحربي مع مراعاة الله في جميع الأعمال، وعلى أن تكون كل الفتوحات باسم أمير عسير، فوافق تركجة بيلمز على ذلك وبالتعاون بين الفريقين ثم الإستيلاء على أبي عريش[2].

ويبدو أن بيلمز كان يبحث عن الشرعية لوجوده فقط فبعد تعاونه مع ابن مجثل، لم يرع حرمة للاتفاق القائم بينه وبين عسير، بل

---

(١) د. جاد طه، المرجع السابق، ص ٥٨ ـ ٥٩.
(٢) محمد العقلي، تاريخ المخلاف السليماني، جـ ١، ص ٥٠٨.

أخذ يعيث في بلاد اليمن فساداً، ثم أعلن استقلاله عن علي بن مجثل، الذي لم يقبل أعماله الهمجية بل قرر محاربته والقضاء عليه[١]، وفي نفس الوقت الذي قرر فيه أمير عسير القضاء على بيلمز، كانت الإستعدادات تجري في الحجاز لإعداد جيش يقوم بالقضاء على بيلمز، وقد تمكن أحمد باشا من الحصول على السفن اللازمة لسفر الجند إلى اليمن[٢].

ومهما قيل عن درجة العداء بين محمد علي وبين الأمير العسيري علي بن مجثل، فقد اتفقا بطريقة غير مباشرة على القضاء على تركجة بيلمز فبالنسبة للأمير العسيري فقد كان قد أزمع القضاء عليه نتيجة للأعمال الوحشية التي أرتكبها في البلاد التي استولى عليها باسمه. أما محمد علي فقد كان يصر على ضرورة مطاردته والقضاء عليه خوفاً من أن تتطور قوّته حتى يتمكن من تهديد الحجاز، بخاصة وأنه قد أشيع أن هناك خطة للإستيلاء على الحجاز بالتعاون مع أمير عسير، أضف إلى ذلك الخطورة الكبيرة التي كان يمثلها أثناء سيطرته على موانىء اليمن وعسير[٣].

وكانت نهاية تركجة على يد قوات علي بن مجثل التي كانت تزحف عن طريق البر، حيث أصر علي بن مجثل على ضرورة إستسلام بيلمز دون قيد أو شرط بينما قامت سفن محمد علي بالإجهاز على بيلمز عن طريق البحر حتى تمكن الفريقان من القضاء عليه عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م[٤].

---

(١) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ١٨٣.

(٢) Playfair, R.L.A History of Arabia filex or yemer, selectons from the Records of the Boboy, New series, XIIX, p. 143.

(٣) أحمد فضل العبدلي، المصدر السابق، ص ١٤٣.

(٤) ـ فاروق عثمان أباظة، المرجع السابق، ص ١١٤. Playfair, R,L. op. cit, p. 144.

وفي الواقع أن مصدراً معاصراً للأحداث يذكر أن الذي قضى على بيلمز هي قوات علي بن مجثل، لا يورد أي دور لمحمد علي في القضاء على هذا الثائر ومما قاله في فتنة بيلمز[1]: «إلى سنة ست وأربعين واثنى عشر ماية، ونجم ناجم من الأتراك يقال له تركي بلماز، خرج مغاضبا للسلطان معه قدر ألف نفر من طائفة الأرنوط فوصل جدة وعاث فيها وغرّق المدافع التي كانت فيها وأخذ كل سفينة غصباً ثم خرج إلى اليمن واستولى على التهايم، وقتل الولاة التي من صاحب صنعاء. . . وأخذ زبيد والمخا وساير مدن تهامة وبنادرها وبقى في المخا يعوث ويفسد، فلما بلغ العسيري وهو حيئنذ علي بن مجثل من آل مغيط[2] هذا الأمر. وكان في تلك الأزمان في قوة وإمكان حشر الجنود وأعد البنود، ونهض في جيوش تملأ الفضاء، وتترك مامرت عليه كأمس الذي مضى، إلى أن هبط إلى تهامة وضرب فيها أعلامه، أخذ مدينة زبيد في ساعة من النهار، ثم ارتفع عنها إلى بنود المخا المحفوف بالخير والرخا، وقد جمع تركى بلماز جنده هنالك واستعد لعظيم المهالك وصار لسان حاله قول من قال: اقتلوني ومالكا، فرحل العسيري في تلك الجنود التي ملأت الأغوار والنجود حتى قرب من المخا وبكّرها صباحاً فحصلت هنالك معركة الحرب وقيام سوق الطعن والضرب، فحملت رجال عسير على البندر فتلقاهم ذلك الغضنفر وأصلى حميم الحرب العبوس حتى ملأت الأرض من مهج النفوس فقتل من أصحاب العسيري فوق الألف بالمدافع والبنادق فلم يلههم ذلك عن اقتحام الدوابر، ولم يردعهم القتل الذي أتى على معظم العساكر بل دخلوها والعيون تشهد وأعملوا فيها كل صارم

---

(١) بدر الدين محمد بن إسماعيل الكبسي، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية (مخطوطة)، (بدون ص).

(٢) آل مغيط: أي بني مغيد، وهي قبيلة عسيرية، تنسب إليها أسرة آل عائض أمراء عسير سابقاً.

مستبد، فلما عرف تلك الغلبة طارت به الحلبة وفرّ إلى ما لا يعلم جهته ولا يدري توجهته، وقد قتل جنده وفل حدّه واستولت قبيلة عسير على هذه المملكة التهامية.

وعلى الرغم من الدور الرئيسي الذي لعبه على بن مجثل ومعه عسير في القضاء علي بيلمز إلا أن محمد علي اعتبر أن قواته هي صاحب الفضل في ذلك، ولم تشر الوثائق إلى وجود أي نوع من التعاون بين قوات محمد علي وبين العسيريين في القضاء على بيلمز، بل تعتبر أن قوات محمد علي هي صاحبة الدور الوحيد في القضاء على بيلمز(١).

وأرى أن الرأي الذي يذكر أن على بن مجثل هو الذي قضى على بيلمز هو الأرجح، وذلك لأن المصادر المحلية المعاصرة تجمع على ذلك، ولم تتعرض لذكر قوات محمد علي آنذاك، بل أنها تذكر أن محمد علي تدخل في سواحل اليمن بعدما بلغه أن قوات عسير قد سيطرت عليها. ومعنى هذا أن التعاون لم يتم بين محمد علي وبين علي بن مجثل في هذا المجال بل أن محمد علي أرسل قواته إلى موانىء اليمن لإستخلاصها من العسيريين فقط.

وبعدما تمكن علي بن مجثل من القضاء على بيلمز وقواته، عاد إلى عسير بعد أن أبقى حامية في موانىء اليمن، وعند عودته إلى عسير وافته المنية عام ١٢٤٩هـ(٢).

---

(١) دفتر ٥٣ معية تركي، وثيقة ٤٨٨، صفحة ٧٧، مؤرخة في ٢٢ جماد الثانية ١٢٤٩هـ، من الجناب العالي إلى بقوض بك. محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) محمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، جـ ١، ص ٥٣٦.

ظهور آل عائض على مسرح الأحداث في عسير:

يختلف المؤرخون عند ذكر نسب آل عائض، أمراء منطقة عسير من عام ١٢٤٩هـ - ١٢٨٩هـ فيذكر هاشم النعمي[١]، أن آل عائض ينحدرون من عشيرة آل يزيد من قبيلة بني مغيد إحدى قبائل عسير الكبيرة. ويستبعد أن يكون آل عائض ينتسبون إلى بني أمية، معللا ذلك بأنه من المستحيل أن ينتقل فرع من بني أمية إلى عسير دون أن يعرف عنه شيئاً إلا في القرن الثالث عشر الهجري.

أما ابن مسفر[٢] فيذكر أن آل عائض ينتسبون إلى بني أمية، ويورد نسب آل عائض إلى أن يصل إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. ويؤيده في هذا الرأي الأستاذ محمود شاكر[٣]، حيث أرجع نسب آل عائض إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان[٤]، كما يؤيد الرأيين السابقين الأستاذ عبدالله بن علي بن حميد، الذي يذكر أن آل عائض ينتمون إلى آل يزيد، ويضيف أن علي بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن معاوية، استطاع أن يتسلم زعامة منطقة عسير، وأن يؤسس أسرة بقيت تسيّر شئون عسير حتى بداية القرن الثالث عشر الهجرى. وحسب كلامه السابق، فإن اتصال نسب هذه الأسرة ببني أمية لم يكن في القرن الثالث عشر الهجري، بل ان ذلك معروف منذ زمن بعيد[٥].

---

(١) هاشم سعيد النعمي، المصدر السابق، ص ١٨٥.

(٢) عبدالله بن علي بن مسفر، المصدر السابق، ص ٨٣.

(٣) محمود شاكر، شبه جزيرة العرب - عسير - ط الثالثة، ص ١٨٨.

(٤) حسن أحمد اليمني، الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين تحقيق عبدالله بن علي حميد، دمشق ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص ١٤.

(٥) يذكر عبدالله بن حميد أنه حصل على المعلومات السابقة من مخطوط لموسى بن جعفر الحفظي، وللأسف فإني لم اتمكن من الاطلاع على هذا المخطوط رغم اتصالي بآل الحفظى، ومحاولتي الحصول على تلك النسخة أو غيرها، إلا أنهم كانوا يخفونها على الباحثين، ويدعون أنهم لا يعرفون عنها شيئاً.

ومهما يكن من شيء فإن أجداد آل عائض كـانوا حكـاماً لعسـير قبل انضمام عسير للدولة السعودية الأولى، وعندما سقطت عسير في يد قوات محمد عـلي عام ١٢٣٤هـ، وقضى عـلى إمارة آل المتحمى، حمـل لواء المقاومة ضد قوات محمد علي الأميران سعيـد بن مسلط، وعلي بن مجثـل أبناء عم عـايض بن مرعى، وتمكنـا من الاستقلال في عسـير في الفـترة مـابـين ١٢٣٤ هـ/ ١٨١٩ م ـ ١٢٤٩ هـ/ ١٨٣٣م[1]، وقـد أوصى الأمير علي بن مجثل لابن عمه عائض بن مرعى في تسلم مقـاليد حكم عسير، ووافق علي ذلك أهل الحل والعقد فيها[2].

كان عايض بن مرعى من أشجع وأَنبل رجال عسير وأشدهم في الحروب، توسم فيه ابن عمه علي بن مجثل الشجاعة والإقـدام، ورأى أنـه أهل لمـواجهة المـوقف العصيب الذي تمـر به عسـير. حيث كانت حدودها الشمالية والجنوبية تتعرض لهجمات قوات محمد علي المرابطة في المنطقة[3]. ويمكن تقسيم حكم عائض بن مرعى إلى فترتين متميـزتين هما:

الفـترة الأولى : وتشمل الفـترة الممتدة من ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م وهي السنـة التي تسلم فيهـا عـائض الحكم في عسـير حتى ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م وهي السنـة التي خـرجت فيهـا قوات محمد علي من الجزيرة العربية.

الفترة الثانية : وتمتد من خروج قوات محمد علي من الجـزيرة العـربية إلى نهاية حكم عائض بن مرعى، أي من ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م إلى ١٢٧٣هـ / ١٨٥٧م.

---

(١) محمود شاكر، المرجع السابق، ١٨٧ ـ ١٨٩.

(٢) حسن بن أحمد اليمني، المصدر السابق، ص ٢٧.

(٣) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ١٨٦.

الفترة الأولى من حكم عائض بن مرعى:

كان أول عمل خارجي قام به الأمير عائض هو مهاجمة أبي عريش، ويعود السبب في ذلك إلى أن شريف (أبو عريش) علي بن حيدر رفض أن يبايع عايض بن مرعي، مدعياً أن العلاقة بينه وبين عسير انتهت بنهاية حكم علي بن مجثل. فكان رد عايض بن مرعي أن جهّز حملة كبيرة تقدم بها نحو (أبو عريش)، ولكن الشريف علي بن حيدر تمكن من الصمود، حيث ساعدته بعض قوات محمد علي التي كانت تتمركز في حصون أبو عريش، مما اضطر محمد بن عائض إلى فك الحصار عن (أبي عريش) والعودة إلى عسير، وذلك في شهر ذي الحجة من عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م(١).

وكان السبب الرئيسي الذي أجبر عايض بن مرعي على فك الحصار عن أبي عريش هو أن الأخبار وصلته بتقدم حملة كبيرة من الحجاز بقيادة شريف مكة محمد بن عون وأحمد باشا يكن محافظ الحجاز، مما اضطره إلى فك الحصار عنها والعودة إلى عسير للدفاع عن بلاده والوقوف في وجه تلك الحملة الكبيرة. ولقد نجح نجاحاً كبيراً في قيادة عسير لمواجهة قوات محمد علي، فعلى الرغم من قوة الحملة وكثرتها واستعدادها، وعلى الرغم مما حققته من انتصارات أولية إلا أنها منيت أخيراً بهزيمة شنيعة، واضطرت إلى الجلاء عن عسير بعد معارك قوية خاضها أهل عسير تحت قيادة أميرهم عايض بن مرعي(٢).

وكان من أسباب نجاح عسير في صد هذه الحملة الكبيرة الآتي:

١ ـ صعوبة المنطقة ووعورتها أدت إلى نجاح عايض بن مرعي في

---

(١) محمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، جـ ١، ص ٥٤٢.

(٢) د. عبدالرحيم عبدالرحمن، محمد علي وشبه الجزيرة العربية جـ ٢ (١٢٣٤ ـ ١٢٥٦هـ)، ط ١، دار الكتاب الجامعي ١٩٨١م من ص ١٥٦ ـ ١٥٩.

حربه ضد قوات محمد علي، فعندما كانت تهاجم قوات محمد علي المراكز الرئيسية للعسيريين، كان العسيريون ينسحبون إلى أعالي الجبال فيكونون في منأى عن القوات المهاجمة من جهة، ثم أن قوات محمد علي كانت لا تجسر على التقدم إلى الجبال لصعوبة المنطقة وجهلهم بها من جهة ثانية. عندها كانوا يجبرون على التراجع، ويلزمون الجانب الدفاعي[1].

٢ ـ الأسلوب الذي اتبعه عايض بن مرعي، وهو حرب العصابات. والذي طبقه قومه بنجاح كبير، مما جعل قوات محمد علي في موقف الدفاع، وهذا ما حدث عندما هاجم أحمد باشا يكن المنطقة، دون أن يتمكن من القضاء على مقاومة قبائل عسير، لعدم وجود قاعدة معينة يمكن مهاجمتها[2].

٣ ـ جهل القوات الغازية بالمنطقة، اذ كانت تنقصها المعلومات التي تعرفها بها، اذ لم تكن هناك دراسات جغرافية واجتماعية قد أعدت من قبل هذه القوات لخدمة أعمالها العسكرية[3].

٤ ـ الضرائب والغرامات الباهظة التي فرضها ذلك الجيش الذي قدم من أجل إخضاع عسير، مما دفع القبائل إلى الإتحاد ضد العدو وقتاله حتى النصر. مهما كانت قوتهم، وذلك بسبب جشعهم ومحاولتهم التسلط على القبائل التي يتمكنون من اخضاعها[4].

---

(١) جاكلين بيرين، اكتشاف جزيرة العرب، نقله إلى العربية قدرى قلعجى، دار الكاتب العربي، بيروت (بدون تاريخ)، ص ٢٦٨.

(٢) جاكلين بيرين، المصدر السابق، ص ٢٦٨.

(٣) عبدالرحيم عبدالرحمن، محمد علي وشبه الجزيرة العربية، ص ١٥٩.

(٤) سنت جون فلبى، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، تعريب عمر الدرديري، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت (بدون تاريخ) ص ١٩٧.

٥ ـ الخلاف الذي نشب بين أحمد باشا محافظ الحجاز وبين شريف مكة محمد بن عون، ويعتبر كثير من المؤرخين هذا السبب هو أهم الأسباب بل قد يكون السبب الوحيد الذي أدى إلى هزيمة قوات أحمد باشا في عسير عام ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م[١].

ولكني لا أرى مبرراً لاعادة سبب الهزيمة إلى هذا الخلاف الذي وقع بين شريف مكة وبين محافظ الحجاز، لأن هذه الهزيمة لم تكن الأولى من نوعها، بل سبق وهزم أحمد باشا نفسه على يد قوات عسير في فترة حكم سعيد بن مسلط ثم في عهد علي بن مجثل، كما هزم من قبله الشريف محمد بن عون عدة مرات[٢]. وفي رأيي أن سبب الهزيمة يعود إلى عوامل مجتمعة، منها ما يتعلق بقوات أحمد باشا نفسه، ومنها ما يتعلق بالعسيريين والأسلوب الذي استخدموه، ومنها ما يعود إلى طبيعة المنطقة ووعورتها، وكانت حصيلة هذه العوامل مجتمعة قد أدت إلى هزيمة القوات الغازية. كما أن الخلاف بين الشريف محمد بن عون وبين أحمد باشا كانت نتيجة حتمية لهذه الهزيمة، فكل واحد منهما يريد أن يلقى باللوم على الآخر، وهذا أمر طبيعي يحدث بعد كل هزيمة.

بعد الانتصار الساحق الذي حققه عائض بن مرعي على قوات محمد علي في عسير، لم تقم لقوات محمد علي قائمة خلال السنوات الثلاث اللاحقة. ولذلك فقد استغل الأمير عائض هذه الفرصة حيث تقدم على رأس قواته إلى بيشة، وتمكن من إخراج الحامية الموجودة بها التابعة لمحمد علي، وضم بيشه إلى إمارة عسير وكان ذلك في عام ١٢٥٢هـ / ١٨٣٦م[٣].

---

(١) Hogarth (David George), History of Arabian Frontiers, London, 1954.P.314,.

(٢) مقبل الذكير: تاريخ نجد، مخطوط مصور موجود بمعمل كلية العلوم الاجتماعية بالرياض، ورقة ٦١، ٦٤.

(٣) هاشم النعمى، المصدر السابق، ص ١٩٢.

ثم واصل عايض بن مرعى تقدمه باتجاه الحجاز، حيث تمكن من ادخال قبائل غامد وزهران تحت طاعته، ولم يكتف بذلك بل أخذ يكاتب بقوم وشلاوة من قبائل الحجاز عارضا عليهم الدخول في طاعته. وكان ذلك بمثابة استعراض للقوة، وتحد كبير لقوات محمد علي المتواجدة في الحجاز. وقد ورد في وثيقة[1] بهذا الصدد ما يلي: «ولكن حال دون ذلك أن الشقى عائض مشى يومئذ إلى الحجاز مستميلا قبائل غامد وزهران ومدخلا أياهم في زمرة أتباعه وأشياعه حتي أنه أخذ من ديارهم خمسة عشر ألفا جاء بهم على العقيق حيث كتب الرسائل إلى بقوم وشلاوة قائلا لهم: هل لكم في الانحياز إلينا، ومستهويا أياهم بما أبداه لهم من شتى أساليب الخداع».

وعلى الرغم من أن عائض بن مرعي لم يقم بمهاجمة قوات محمد علي المتمركزة في بسل قرب الطائف، إلا أنه ظل مسيطراً على بلاد غامد وزهران، وكان يتردد بقواته على تلك المناطق من حين لآخر ليطمئن على بقائها تحت سيطرته[2]. ولم يستمر هذا الوضع طويلاً، إذ قام محمد علي بتكليف أحمد باشا باستعادة بلاد غامد وزهران من سيطرة عايض بن مرعي، وقد استطاع أحمد باشا استعادة بلاد غامد وزهران في أواخر عام ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م. عندها تركها أعوان الأمير عائض ابن مرعي، حيث توجه بعضهم إلى شمران بينما توجه البعض الآخر إلى بيشة، كما أن عائض بن مرعي قد أرسل قائده محمد بن مفرح على رأس فرقة من قوات عسير إلى بلاد بني شهر لاستطلاع

---

(١) محافظة رقم ٢٦١، الوثيقة المترجمة من اللغة التركية، بدون رقم، مرافقة لصورة سليمان بك، المقدمة بشرح محمد أمين بك، مؤرخة في ٢٣ جماد الآخرة ١٢٥٣هـ، مرسلة من أحمد باشا إلى خورشيد باشا، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) محفظة ٢٦١ عابدين، وثيقة رقم ٣٤١، مؤرخة في ١٢٥٣هـ، من أحمد باشا إلى حضرة صاحب العاطفة.

أخبار قوات محمد علي في بلاد غامد[1].

وظل عائض بن مرعي يشعر أنه يجب عليه مقاومة قوات محمد علي مهما كانت النتائج ولذلك فقد جهز جيشاً كبيراً من كل قبائل عسير وتوجه به باتجاه بلاد غامد وزهران لمواجهة قوات محمد علي المتمركزة هناك، بهدف استعادة بلاد غامد وزهران من يد قوات محمد علي، وكذلك بهدف انتزاع زمام المبادرة من هذه القوات، فبعد أن كانوا هم الذين يحددون الزمان والمكان للمعركة، رأى عائض ابن مرعي أن ينهي هذه القاعدة ويقوم بمهاجمتهم في مواقعهم[2].

ولقد كان هجوم عايض بن مرعي على بلاد غامد وزهران أمنية أحمد باشا، فطالما ذكر في رسائله أنه بانتظار هجوم عايض بن مرعي على بلاد غامد وزهران، وأن لديه معلومات وافية تؤكد التحضير لهذا الهجوم، وقد أعد بكل دقة الخطة التي سيواجه بها هذا الهجوم.

ومما ورد في وثيقة بهذا الشأن[3]: « والذي تحققنا بصورة قطعية أن أهالي عسير وسائر القبائل متفقون تماماً للقيام بعد العيد ويعلنون حرباً معنا، فإذا زحفوا على قول واحد علينا يمكن التغلب عليهم بعساكرنا الموجودة الآن، إما إذا كان الزحف على قولين فتصبح مجبورين نوزع العساكر إلى فرقتين، وفي تلك الحالة لا يكفي عدد العساكر الموجودة عندنا للقيام بواجباتها الدفاعية ».

---

(١) محفظة ٢٦٣ عابدين، وثيقة ٢٢ حمراء، مؤرخة في ٢٩ ذي الحجة ١٢٥٣هـ من أحمد باشا إلى صاحب الدولة.

(٢) محفظة ٢٦٣ عابدين، وثيقة رقم ١٢٣ حمراء، مؤرخة في ٦ ربيع الأول ١٢٥٤هـ، مرسلة من أحمد باشا إلى جناب محمد علي، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) محفظة ٢، الوثائق الخاصة، من طائف الحجاز إلى وزير الداخلية بمصر، مؤرخة في ٢٤ شعبان ١٢٥٣هـ.

وتمت المـواجهة بـين قوات محمـد علي وبـين أهل عسـير في شهر صفر عام ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م، وحـدثت معركـة خاطفـة اندفـع فيها أهل عسير نحو قوات محمد علي المتمركزة في مواقع حصينـة، فأصلتهم القوات المدافعة ناراً حامية، وزاد من هول المفاجأة الخطة المحكمة التي وزع بها أحمد باشا قواته، فكلما حاولوا الدخول من جهـة وجدوا فيهـا فرقة متمركزة، فأدى ذلك إلى وقوع الإرتباك في صفوف قوات عسـير، وعنـدما لم يتم لهم النصر في وقت مبكـر لم يعد أمـامهم سوى الفـرار، ووقعت أعداد كبيرة منهم في الأسر، وسقطت أعداد أخـرى بين قتيـل وجريح وإليك بيان الخسائر في الأرواح كما أوردتها الوثائق[1].

الآلاى السابع

٣٨	٧	١	الأولى
١٨	٣٣	٢٨	الثانية
١٠	٧	١٦	الرابعة
٦٦	٤٧	٤٥	**المجموع**

الآلاى التاسع عشر

٩	٢	٣٠	الأولى
٠	٠	٤	الثانية
٣	٢	٢	الثالثة
١٢	٤	٣٧	**المجموع**

الآلاى الحادي والعشرون

رأس	أذن	أسير	رقم الأورطة
٢٥	٥	١٤	الأولى
١٠	٠	١	الثانية
١٢	٠	٤	الثالثة
٤٧	٥	١٩	**المجموع**

عدد الذين قتلوا على يد جماعات من قوات محمد علي

٤١	خيّالة بكر أغا وكيل محمد بك
١٢	جماعة عوض آغا بكباشي
٣٨	جماعة حسين آغا
٢١٦	الـذين قتلوا من العربـان عـلى وجـه التخمين
٣٠٧	**المجموع**

---

(١) محفظة ٢٦٣ عابدين، وثيقة رقم ١٢٣، مؤرخة في ٦ ربيع الأول ١٢٥٤هـ، مـرسله من أحمد باشا إلى جناب محمد علي، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

عدد القتلى الكلي	عدد الأسرى
٦٦	١٠١ العدد السابق
١٢	٨٩٩ من رجال ألمع
٤٧	١٢٩ من أشقياء عسير
٣٠٨	٢٨ من أشقياء بني شهر
٤٣٢ رجلاً	١١٥٧ المجموع الكلي

ويتضح من القاء نظرة على هذه الخسائر أن القتلى قليلون جداً، وأن حجم الخسائر لم تكن في مستوى المعركة، ويدرك المتتبع لذلك الجدول أن قلة الخسائر تعود إلى تراجع قبائل عسير عند أول مواجهة، وعدم صمودهم في القتال، مما جعل أغلب القتلى قد سقطوا أثناء الهزيمة، وذلك على يد قبائل غامد وزهران ولم يقتل أثناء المعركة إلا نسبة قليلة من العدد الكلي للخسائر.

وتعود أسباب الهزيمة إلى العوامل الآتية :ـ

١ ـ عدم التنسيق بين قوات عايض بن مرعي التي كانت تتكون من قبائل كثيرة، كل قبيلة لها علمها الخاص وزعيمها الخاص، الأمر الذي جعل كل قبيلة تبحث عن مصلحتها، دون النظر إلى أوامر القائد العام، وهذا ماجعل تلك القوات تتشتت عند أول مواجهة مع قوات أحمد باشا، وصار هم كل منها أن يبحث عن النجاة، وأكبر دليل على ذلك هو أن الغالبية العظمى من الأسرى كانوا من رجال ألمع وحدها، ويعود ذلك إلى قطع طريق الرجعة عليهم، في وقت لاذت فيه كل قبائل عسير بالفرار لا يلوون على شيء، وفي ذلك دليل على عدم التحام قبائل عسير في المعركة لوقت طويل[1].

(١) الوثيقة السابقة رقم ١٢٣ حمراء، ص ١، ٢.

٢ ـ ضعف أسلحة قبائل عسير وتخلفها عن أسلحة قوات محمد علي، ويتضح ذلك من نوعية الأسلحة التي تم الإستيلاء عليها من أسرى عسير، وقد بلغت حوالي ألف وثلاثمائة بندقية، وبعد الكشف عليها من قبل خبراء أحمد باشا تبين أنه لا يوجد منها ماهو صالح للاستعمال، وإنما وجد منها ستمائة بندقية يمكن إصلاحها بعد تجديد مؤخراتها ووضع جهاز نار لكل منها. وبعد ذلك يمكن استخدامها للجند غير النظامي فقط. أما بقية البنادق فإنها خربة ولا تصلح إطلاقاً للإستعمال، لأنه لا يمكن إصلاحها[1].

ويظهر لنا من هذه الوثيقة الفارق الكبير في التسليح بين الجيشين، ومما لاشك فيه أن الجندي الذي يحمل بندقية غير صالحة تماماً للإستعمال، أو أقل مستوى من بندقية خصمه، سيكون لذلك أثر سلبي على مقاومته في المعركة لأن شعوره بعدم جدوى سلاحه يقلل من معنويته ويقوده إلى التفكير في الهرب عند اشتداد المعركة، وهذا يؤثر بطبيعة الحال على الآخرين. ويسبب أرباكاً في صفوفهم مما يؤدي بالتالي إلى الهزيمة.

٣ ـ غدر قبائل غامد وزهران بعسير، ومهاجمتهم لهم من الخلف عندما ابتدأت الهزيمة تلوح في الأفق، مما أحدث بلبلة كبيرة في صفوف العسيريين، وقد قتل أعداد كبيرة منهم على أيدي غامد وزهران، كما سلبوا أسلحتهم وأمتعتهم أثناء الانسحاب أيضاً[2].

---

(١) محفظة رقم ٢٦٣ عابدين تركي، مستخرج من مضبطة مجلس جدة، الصادر في ٨ ذي القعدة ١٢٥٤هـ ورد في ٦ ذي الحجة ١٢٥٤هـ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) محفظة ٢٦٣ عابدين، وثيقة رقم ١٢٣ حمراء، ص ٥ مؤرخة في ٦ ربيع الأول ١٢٥٤هـ، من أحمد باشا إلى محمد علي، دار الوثائق القومية بالقاهرة ـ هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ـ١٩٣.

وكـان الأجـدر بعـايض بن مـرعي أن يضـع هـذا العـامـل في الحسبان، وأن يحاول نقل المعركة إلى مكان يأمن غدر أهله بدلاً من أن يضع نفسه بين نارين، أحمد باشا من الأمام وقبائل غـامد وزهـران من الخلف. فقـد ارتكب أهل عسـير خطأ فـادحاً عنـدما قـامـوا بمهـاجمـة عدوهم في مواقعـه الحصينة. فكـان الأجدر بهم أن يحتفـظوا بمواقعهم الأصلية داخل بلادهم، فإذا هاجمهم أحمد باشا فإنه سيكـون مكشوفـاً من جهـة، وستتعرض مـواصلات تمـوينه إلى الخـطر من جهة ثـانيـة. وسيأمن بذلك عائض بن مـرعي غدر القبـائل التي تـدور المعركـة على أرضها، بالاضـافة إلى أن عـائض بن مرعي يكـون قد كسب من وراء تلك الإستراتيجية التفوق في المؤن.

ولم يقتصر دور قوات محمد علي في الحجاز واليمن على المواجهـة العسكرية مع عسير، بل تعدى ذلـك إلى تحريض بعض القبـائل عـلى الثـورة على أمـير عسير عـايض بن مـرعي. ومن تلك الثـورات ثـورة أحمـد بن عطيف عـلى عايض بن مـرعي عام ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م[١]. وتشير الوثائق[٢] إلى أن ابن عطيف هـذا كان يتعـاون مع قـوات محمد علي في الحجاز، حيث عثرت على وثيقة فيها (عهدة عسكرية) لعدد من زعـماء القبائـل في الجزيـرة العربيـة من بينهم أحمد بن عـطيف ولم تشر الوثيقة إلى ماهية تلك العهدة وسببها ولكن تدل على أن قادة محمد علي في الحجاز قد دفعوا له الثمن الـذي يمكنه من القيـام بالثـورة على أمـير عسير آنذاك.

ولم يقف عايض بن مرعي موقف المتفرج من تلك الثورات التي قامت أثناء وجود قوات محمد علي في الحجـاز واليمن، بل قضى عليهـا

(١) عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ٩٨.

(٢) محفظة رقم ٢٦٣، عابدين تركي، صورة المرفق العربي للوثيقة التركية رقم ١٨٢ حمراء، بدون تاريخ تحت عنوان عهدة ورشة عسكرية «محفوظة بدار الوثائق القومية، القاهرة».

بكل قوة، ففي عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م قضى أمير عسير على تمرد قبيلة الجهرة[1]، التي كانت قد أخلّت بالأمن وسببت الكثير من المشكلات في المنطقة، فلم يتساهل عائض بن مرعي مع هذه القبيلة ـ نظراً لظروفه الصعبة ـ وإنما قام بتأديبها وإجبارها على الخلود إلى الهدوء والسكنية[2].

وعلى العموم فقد إستفاد عايض بن مرعي كثيراً من تجربته في بلاد غامد وزهران، فلم يكرر مهاجمة تلك المناطق، بل ظل يستفز أحمد باشا، ويتظاهر باستعداده للهجوم على جيشه بين لحظة وأخرى، وعندما حان موعد الانسحاب من عسير والحجاز ظل أحمد باشا خائفاً يترقب هجوم عايض بن مرعي. ولم يحرك عايض بن مرعي ساكناً بل ظل ينتظر ماسيفسر عنه ذلك الإنسحاب. ولكن مما زاد من خوف أحمد باشا أن كثيراً من القبائل الخاضعة له عندما علمت بالانسحاب أخذوا يتوافدون إلى عايض بن مرعي، مقدمين له فروض الطاعة والولاء بعد أن أصبحوا في مأمن من أحمد باشا وقواته. وكان أحمد باشا على علم بكل هذا، ولكنه لا يستطيع أن يحرك ساكناً لأنه كان مُشغولاً في التفكير في كيفية الإنسحاب بجيشه من المنطقة بسلام[3].

ومما ورد في احدى الوثائق بهذا الشأن مايلي: « وبما أن سخافة

---

(١) الجهرة: قبيلة تابعة لشهران تسكن تهامة، وكانت مشهورة بالتمرد وكثرة الحروب التي تشعلها على مجاوريها من قحطان وغيرهم.

(٢) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ١٩٤.

(٣) محفظة ٢٦٩ عابدين، وثيقة رقم ١٣٢/٢٠ أصلية حمراء، ورقة ٥، نمرة ١٤، مؤرخة في ١٢٥٦هـ، محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

عقول عرب الحجاز لا تخفي على دولتكم[1]، فقد كتب لنا بتاريخ ٢٥ ربيع الأول ١٢٥٦هـ، أن بعض بني شهر وبعض مشائخ بيشه ذهبوا عند عايض وأخذت جذوة الفساد تشتعل في أدمغتهم ولكن لم يظفر بشيء غير اذاعة الاراجيف بين الأهالي والعرب . . . الخ ».

ومن خلال القاء نظرة عامة على موقف بن عايض بن مرعي خلال وجود قوات أحمد باشا في الحجاز يتضح لنا مدى صعوبة ذلك الموقف، فقد ظلت عسير عموماً في حالة استنفار طوال وجود قوات أحمد باشا في الحجاز، وكان ذلك الاستعداد نتيجة حتمية لهجمات أحمد باشا المتلاحقة على عسير، وعلى الرغم من أنها منيت في الغالب بالهزيمة إلا أنها قد أبقت عسير في حالة استنفار وترقب طوال وجود تلك القوات في الحجاز.

وقد عبر عن هذه الحالة جان جاك بيربي بقوله[2]: « وبعد عده سنوات سحقت حملة ثانية ثورة وهابية جديدة في المهد، واحتلت اليمن في طريقها وخربت وأحرقت كل مايقع في متناول يدها قبل إنسحابها من الجزيرة العربية عام ١٨٤٠م، وهكذا أصبحت الامبراطورية السعودية الأولى أثراً بعد عين، لقد ترك المرتزقة المصريون والأتراك الجزيرة العربية وراءهم خربة ممزقة بين القبائل البدوية المتنازعة ».

ومهما يكن في كلام الكاتب من تجن على المصريين والأتراك، ومبالغة للحالة في الجزيرة العربية، إلا أنه يعطينا فكرة موجزة عن

---

(١) محفظة ٢٦٩ عابدين، نمرة ١٢ أصلية، ١٠٨ حمراء، مؤرخة في ٢ ربيع الآخر ١٢٥٦هـ، مرسلة من محمد أمين إلى رئيس معاوني الخديوي، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) انظر، جزيرة العرب، تعريب نجدة هاجر وسعيد الفخري، ط ١، منشورات المكتب التجاري للطباعة، بيروت ١٩٦٠م، ص ٤٩.

الوضع الذي كانت فيه هذه البلاد عقب إنسحاب قوات محمد علي من الجزيرة العربية عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م.

الفترة الثانية من حكم عائض بن مرعي :

مما لاشك فيه أن عائض بن مرعي كان قد تنفس الصعداء عندما بلغه خبر إنسحاب قوات محمد علي من الجزيرة، لأن ذلك الإنسحاب قد خفف عن كاهله عبئاً ثقيلاً ظل يحمله طوال وجود تلك القوات في الحجاز واليمن.

وقد أدى انسحاب قوات محمد علي من الحجاز واليمن، إلى إزدياد أهمية عائض بن مرعي في عسير، وذلك لكونه الأمير الوحيد في الحجاز واليمن الذي لم يعترف مطلقاً بسيادة محمد علي على بلاده من جهة ولم يمكن قوات محمد علي من السيطرة على عسير من جهة ثانية. فقد قضى عاماً كاملاً وهو يحارب هذه القوات حتى تمكن من إخراجها من عسير عام ١٢٥١ هـ/ ١٨٤٥ م.

وعندما علمت قبائل عسير الشمالية بإنسحاب قوات محمد علي من الجزيرة العربية أخذت ترسل وفودها إلى عايض بن مرعي مقدمة له فروض الطاعة والولاء[1]. وفي الوقت نفسه سارع عايض بن مرعي إلى إعادة سيطرته على القبائل التي كانت خارجة عن طاعته أثناء وجود قوات محمد علي في الحجاز. ففي عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م، أرسل عايض بن مرعي حملة لاعادة قبيلة بني عمرو إلى الخضوع لأمير عسير، وكان على رأس تلك الحملة محمد بن مفرح المغيدي، وقد عادت قبيلة بني عمرو إلى الطاعة صلحاً بعد مفاوضات بين قائد

---

(١) محفظة ٢٦٩ عابدين، وثيقة نمرة ١٢ أصلية، ١٠٨ حمراء، مؤرخة في ٢ ربيع الآخر ١٢٥٦هـ، مرسلة من محمد أمين إلى رئيس معارف الخديوي.

عايض بن مرعي وبين أعيان هذه القبيلة[١]. وبهذا ابتدأ عائض بن مرعي في توطيد حكمه في عسير.

والواقع أن عايض بن مرعي قد اتخذ ثورة بني عمرو ذريعة لاثبات قوته أمام شريف مكة محمد بن عون، الذي تولى إدارة الحجاز بعد رحيل قوات محمد علي من الجزيرة العربية. وذلك لأن قبيلة بني عمرو لم تكن تحتاج إلى أن يحشد لها عشرة آلاف رجل، لأن تلك القبيلة كانت في الواقع تابعة له قبل هزيمته في بلاد غامد وزهران، ولم تكن لتمانع من الانضمام إلى عسير مرة أخرى، بدليل أنها انضمت إلى عسير دون قتال.

كما قام في عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١هـ بتأديب قبيلة ربيعة المقاطرة[٢] لإخلالها بالأمن وعدم خضوعها للأمير القائم، كما أدّب في العام نفسه قبيلة عبس لإخلالها بالأمن والاستقرار، كما قام بمساعدة أمير أبي عريش في إعادة بعض القبائل المتمردة إلى الطاعة والهدوء[٣].

وفي السنوات اللاحقة لحكم عايض بن مرعي لم تقم ثورات ذات أهمية كبيرة، وإنما قامت إضطرابات تخل بالأمن في القهر[٤] وما يجاوره، وفي بعض بلاد قحطان، وقد تمكن عايض بن مرعي من إخضاعها جميعاً عام ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م[٥].

---

(١) محفظة ٢٦٩ عابدين، ترجمة الوثيقة نمرة ٦٨ أصلية، ٢١٧ حمراء، مؤرخة في ١٩ شعبان ١٢٥٦هـ، مرسلة من محمد بن عون إلى جناب محمد علي.

(٢) ربيعة المقاطرة: هي قبيلة بدوية تسكن تهامة بالقرب من القنفذة، وهي مشهورة بالتمرد وعدم الخضوع للحكومات الموجودة في المنطقة. انظر هاشم النعمي، نفسه، ص ١٩٦.

(٣) محمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، جـ ١، ص ٥٤٥.

(٤) عبد الله بن مسعر، المصدر السابق، ص ١٠١.

(٥) محمد العقيلي: تاريخ المخلاف السليماني، جـ ١، ص ٥٤٥، ٥٤٦.

أما بالنسبة لسيطرة عـايض بن مرعي عـلى المناطق الشـمالية من عسـير والتي تصل إلى نهايـة بلاد غـامد وزهـران، فقد كـانت تتعرض للمـد والجزر فمـرة يصل إلى حـدود الطائف، ومـرة يتراجـع إلى بيشة وبلاد بني عمرو. وعلى كل فقد خضع ذلك للعلاقة القائمة بينه وبـين شريف مكة، ولقوة أمير مكة من عدمه، فعلى ضوء ماسبق يتم تحديـد الحدود بين الإمارتين. وقد أبرمت اتفاقيات كثير بين الامارتين، وكثيراً مـانقضت تلك الاتفاقيـات، وكثيراً مـاحدثت مـواجهة من الإمـارتين ولكن دائماً المفاوضات تنهى المشاكل المعلقة بين البلدين[1].

وبالنسبة لإمتداد حدود إمارته جنوباً ناحية المخـلاف السليماني، فقد خضعت لتطورات عديدة طـوال حكم عايض بن مـرعي. وكثيراً مـاحـدثت مـواجهـة حـادة بـين إمـارة عسـير وبـين اشراف المخـلاف السليماني. كما وقعت عدة إتفاقيات بين البلدين، كـان أهمها الاتفـاقية التي وقعت عقب سحب قوات محمد علي من جزيرة العرب[2].

وقـد تمكن عـايض بن مـرعي من مـد حـدوده في جنـوبي بـلاد قحـطان إلى حدود صعـدة. حيث أقام عـلاقـة حسن جـوار مـع أمـير صعـدة محسن بن العباس، وذلـك عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م. وقـد تم التوصل إلى هذا الاتفاق أثناء زيارة قام بها أمير صعدة لعسير[3].

وعلى الرغم من الاتفاقية السابقة بـين أمير صعـدة وبين عـايض ابن مرعى، إلا أن القتال قد نشب بين قبيلة وادعة التابعة لعسير، وبين قبيلة جماعة[4] التـابعة لصعـدة، مما دفـع عايض بن مـرعى إلى التقدم

(١) راجع الحديث عن علاقة عسير بأشراف الحجاز.

(٢) انظر: علاقة عسير بأشراف المخلاف السليماني.

(٣) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ١٩٧.

(٤) جماعة: قبيلة يمنية كبيرة، تقع في مقاطعة صعدة، وكانت تابعة لعسير أيام حكم عائض ابن مرعى.

نحو بلاد قبائل جماعة حيث تمكن من ضمها إلى عسير، بعد أن تمكن العلامة عبد الخالق بن إبراهيم الحفظي من التوسط بين الفريقين، على أساس أن تدخل قبائل جماعة في طاعة أمير عسير[1].

كما قام عايض بن مرعى بمد حدوده شرقاً إلى نهاية حدود وادي تثليث، حيث توجه على رأس حملة قوية عام ١٢٦٨هـ / ١٨٥٢م إلى بلاد تثليث فضمها إلى إمارته، ونشر الأمن في ربوعها، وقضى على الفوضى وقطع الطرقات فيها وبذلك دخلت تثليث ضمن بلاد عسير[2].

وقد ظل عايض بن مرعى يحكم عسير ثلاثاً وعشرين سنة. تمكن خلالها من توطيد دعائم الأمن في البلاد، كما مد حدودها لتصل إلى قرب الطائف والليث شمالاً[3]، وإلى باقم جنوباً وتثليث شرقاً[4].

عسير في عهد محمد بن عايض:

يعد الأمير محمد بن عايض الذي حكم عسير من ١٢٧٣ ـ ١٢٨٩هـ، ١٨٥٧ ـ ١٨٧٢م أول أمير عسيري تؤول إليه الإمارة بالوراثة من والده. وكانت قبل ذلك تؤول إلى الأرشد من القرابة. فقد اكتسب والده عائض بن مرعى مجداً وشهرة في قومه بعد انتصاراته المتوالية على قوات محمد علي وعلى القوات العثمانية مما جعلهم يرشحون ابنه محمد بن عائض للإمارة[5]. حيث بايعه كل

(١) محمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، جـ١ ص ٥٤٥.
(٢) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٣٤.
(٣) الحسين بن أحمد اليمني، المصدر السابق، ص ٣٤.
(٤) هاشم النعمي، ص ٢٠١.
(٥) محمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، جـ١، ص ٥٤٦.

شيوخ عسير[1]. ويذكر بعض المؤرخين أن البيعة في البداية كانت لأخيه علي بن عائض، وأن محمد بن عائض كان غائباً في بلاد غامد عند وفاة والده، ولكن أخاه عليا تنازل له عن الإمارة تقديرا لشجاعته وكفاءته[2].

وقد نشأ محمد بن عائض في رعاية والده، نشأة أبناء الأمراء على ترف الحياة وحب الاستبداد والعظمة والنفوذ المطلق. وكان قد اكتسب خبرة ليست قليلة من خلال تكليفه بمهام قيادية في حياة والده. ومنها قيادته لقوات عسير المرابطة في بلاد غامد وزهران، وقد توفي والده وهو على رأس تلك القوات بالقرب من الطائف[3].

ولم يكد محمد بن عائض يستقر على كرسي الإمارة في عسير، حتى قرر أن يتوجه إلى أبي عريش لإقرار الأمور بها، وكان ذلك في شهر ذي القعدة عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٧م. وقد تمكن من ذلك بعد أن هدم حصون أبو عريش، ووزع المسئوليات فيها على عدد من الأشراف الذين وثق في إخلاصهم[4].

وفي عام ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م توجه محمد بن عائض لتفقد أحوال إمارته في الشمال، حيث وصل إلى بيشة ومكث بها فترة، ثم توجه إلى بلقرن وغامد وزهران وذلك لإصلاح شئون تلك الجهات وتنظيمها، حيث عيّن عبد الله بن علي بن مجثل قائداً لسرية ترابط ببلاد غامد وزهران[5].

---

(١) الحسن بن أحمد اليمني، المصدر السابق، ص ٣٦.
(٢) ذكر ذلك الأستاذ عبد الله بن حميد في تعليقه على كتاب: «الدر الثمين» لحسن بن أحمد اليمني، حاشية ص ٣٦.
(٣) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٢٠١.
(٤) الحسن بن أحمد اليمني، نفسه، ص ٣٨، ٣٩.
(٥) عبد الله بن علي بن مسفر، المصدر السابق، ص ١١٢.

ولم تظل الأمور في الداخل مستقرة باستمرار، إذ ظهرت بعض المشكلات وعندما يتعسر التوصل إلى حل لأي مشكلة حدودية يقوم بضم تلك الأرض لأملاك إمارته وذلك بهدف قطع دابر الشر والقضاء على الفتنة بين تلك القبائل المتخاصمة[1].

ويشير أحد المصادر[2] التاريخية إلى وقوع خلاف شديد بين محمد بن عائض وبين مجموعة من علماء عسير، ويذكر المصدر أن السبب يعود إلى أن محمد بن عائض قد انحرف عن أسلوب والده من حيث تقديره للعلماء والاعتماد عليهم في تصريف شئون الحكم، حيث استبدلهم بأناس هم إلى الشر أقرب منهم إلى الخير، مما دفع العلماء إلى الخروج عليه عند تفشي الظلم بين الناس وظهرت المنكرات وذكر المصدر أسماء بعض هؤلاء العلماء مثل: أحمد بن عبد الخالق الحفظي، وسحمان ابن عامر التبالي، وعبد الله بن محمد النعمي، ومحمد ابن صالح العكاسي وغيرهم وعلى الرغم من معارضتهم وتذمّرهم إلا أنهم لم يحاولوا استخدام القوة ضد محمد بن عايض بل آثروا المحافظة على وحدة البلاد وسلامة المسلمين.

وأعتقد أن المصدر قد بالغ كثيراً فيما ذكره عن حركة هؤلاء العلماء، بدليل أن جميع المصادر التي كتبت عن تاريخ عسير لم تتعرض إلى ذكر هذا الخلاف، ولو حدث ظلم أو تعسف لما سكتت المصادر التاريخية الأخرى عن تسجيله، وأستطيع أن أؤكد أن محمد بن عائض ظل حريصاً على مراعاة العلماء، والاعتماد عليهم في كل عمل يقوم به. وأعتقد أن الاختلاف بينه وبين والده أنه لم يسلم كل أعماله للعلماء، بل عين لديه طبقة من أعيان ووجهاء عسير استعملهم في

---

(١) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٢٠٢، ٢٠٣.

(٢) هاشم النعمي، نفسه، ص ٢٠٦.

الإدارة وقيادة الجيوش وكلفهم بالقيام بالسفارات أحياناً، مما دفع العلماء للنقمة عليه، وإن كانوا لم يستطيعوا تحويل حركتهم تلك إلى عصيان للأمير القائم[1].

ولم تكن حركة هؤلاء العلماء هي الحركة الوحيدة التي أثقلت كاهل محمد بن عائض ولكنها قامت ضده ثورة من قبل رجال ألمع، اختلف في تحديد تاريخها[2]. وقد كانت ثورة قوية كادت تعصف بمحمد بن عائض، لأنها لم تكن ثورة عادية، بل كانت ثورة منظمة ومدعومة من جهات خارجية، فاستقطبت كل سكان تهامة عسير وهم رجال ألمع وانضم إليهم قبائل قنا والبحر وولد أسلم وغيرهم، وعيّنوا لهم رئيساً هو محمد بن الحسن النعمي، وكان يتزعمها فعلياً كبار شيوخ رجال ألمع، وقد قام الأمير محمد بن عائض بمفاوضة الثوار في البداية، ومناظرتهم بواسطة كبار علماء عسير آنذاك. وعندما لم تنجح المفاوضات مع رجال ألمع وجه قواته لتضربهم ضربة ساحقة وتقضي عليهم وعلى من يقف وراءهم، وقتل الأمير المرتقب النعمي، وخضعت رجال ألمع لمحمد بن عايض بالقوة بدلاً من السلم[3].

ويختلف المؤرخون في تحديد أسباب هذه الثورة، وهم على رأيين:

---

(١) أنظر، حسن بن أحمد اليمني، المصدر السابق، الصفحات من ٦٠ ـ ٦٤ ـ عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١١٢ ـ ١١٦.

(٢) تختلف المصادر التاريخية في تاريخ ثورة رجال ألمع. فبينما ذكر حسن ابن أحمد اليمني، في كتابه الدر الثمين أنها كانت عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م نجد أن عبد الله بن مسفر يقول أنها وقعت عام ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م، أما هاشم النعمي فيذكر أنها وقعت عام ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م.

(٣) حسن بن أحمد اليمني، المصدر السابق، ص ٦٣.
هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٢١٧، ٢١٨.

الرأي الأول: يرجع سبب الثورة إلى انحـراف الأمير محمـد بن عايض عن سيرة والده عائض بن مرعى، وإبعاده العلماء واعتماده عـلى بطانـة فاسدة، وانتشار المظالم، مما دفع رجال ألمع إلى الثورة[1].

الـرأي الثاني: يـرجـع سبب الثـورة إلى تحـريض الأتـراك العثـمانيـين لمحمـد بن عون الـذي حرض بـدوره محمد بن مشـاري وإبـراهيم بن عبد المتعالي، بالثورة ضـد محمد بن عـائض، وكانت تجمعهـما به صلة نسب، فأمدهمـا العثمانيـون بالمـال والسلاح، وكـان هدفهم من ذلـك إضعاف محمد بن عائض والقضاء على نفوذه داخلياً[2].

ومن خـلال دراستي للمـوقف العـام في عسـير آنــذاك، ومن دراستي للرأيين السابقين حول سبب هـذه الثورة، فـاني أرى أن الرأي الثاني هو الصحيح. وذلك لأني وجدت أنه من المستبعد أن يثور رجال ألمع وحدهم بسبب انحراف الأمير عن طريق والده، بل كانت الثـورة ستكـون شاملة لأن أهـل عسير أهـل عقيدة صـافية ولن يسكتـوا عـلى انحراف أميرهم. أضف إلى ذلك أن خيرة علماء عسير كانوا إلى جانب الأمير محمد بن عائض أثناء الثورة، وعلى رأسهم أحمـد بن عبدالخـالق الحفـظي، أكبر علماء رجـال ألمع وعسـير كلها. فلو كـان سبب الثـورة دافع ديني لما أبتعد علماء عسير البارزين عن هذه الثـورة، ولكانـوا أول المعـارضين لـلأمير والنـاهين لـه عن المنكر. ثم ان محمـد بن عايض لم يقـاتل الثـوّار مباشرة بـل مكث وقتا طـويـلا طلب خـلالـه من العلماء منـاظرتهم. وسؤالهم عن مـطالبهم ومآخـذهم عليـه، واستعـد بتلبيـة مـطالبهم. فلو كان للثـوّار مطالب محـدودة لأمكن تلبيتهـا. ولا نتهت تلك الثورة بسلام، ولكنهم أصروا على الخروج عن طـاعة الأمـير، ولم

(١) هاشم النعمي، نفسه، ص ٢٠٧.
(٢) عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١١٥.

يقبلوا أي حـل للمشكلة، ممـا يـدل أن حجتهم المعلنـة لم تكن إلا لتضليل الرأي العام الداخلي.

أمـا الرأي الثـاني: الذي يـرى أن العثمانيـين كـانـوا وراء هـذه الثـورة، فانـه أقرب إلى الصـواب، بدليـل أن الدولـة العثمانيـة كانت ترقب تحركات الأمير بمنتهى القلق ومما زاد في قلقها وصول الأخبار عن حشـود عسكريـة لمحمد بن عـايض[1]. ومما لا شـك فيه أنها ستبحث عن أي وسيلة لاضعاف شأن تلك الإمارة، فلم تجد أيسر من تحـريك رجـال ألمع للثـورة على الأمـير، بخـاصـة وأن الخـلافـات بـين الأمـير محمـد بن عائض وبـين رجال ألمـع تعود إلى عـام ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م عندما غضب عليهم محمد بن عائض لا تصـالهم بشريف مكة، فكـاد يؤدبهم ثم عدل عن ذلك عندما أقنعه شريف مكة عبدالله بن محمد بن عـون بولائهم لـه، وأنه لم يكن هنـاك أي نية بـالخـروج عليه[2] ومما لا شك فيه أن ذلك اللقاء مع شريف مكة وضع حجر الأسـاس لتلك الثـورة، فقد كـانت تلك الاتصالات بهـدف التخطيط للثـورة، وربما تسلم فيها زعماء رجال ألمع الأموال اللازمة للثورة.

ومن هنـا نصل إلى أن الثـورة لم تكن مجرد احتجـاج داخلي عـلى سيـاسة الأمـير بل كـانت مؤامرة خـارجية، خـطط لها بحيث تنفـذهـا عناصر داخلية، متخذة من الدين حجة لاستمالة عامـة الناس، الـذي ينخدعون بظاهر دعواهم، دون معرفـة الدافـع الحقيقي للثورة، وهـو حب الزعامة والظهور لدى بعض شيوخ القبائل الذين كـانوا يحلمـون

---

(١) دار الـوثائق القـومية بـالقاهـرة، صورة المكـاتبة الصـادرة بتاريـخ مـا بـين ٣، ٧ محـرم ١٢٨٤هـ، مقيدة بدفتر ٢٤٠ عابدين، صفحة ١٠٦، بدون رقم بند المتفرقات. مرسلة من الخديوي إلى محمد بن عائض.

(٢) حسن بن أحمد اليمني، المصدر السابق، ص ٦٠.

بأن يحصلوا على أكثر مما حصل لهم، وعندما لم تتحقق أهدافهم لجأوا إلى الثورة متذرعين بحجج واهية لا تبرر خروجهم على ولي الأمر فيهم.

وكان محمد بن عايض في أول حكمه قد تمكن من اخضاع المخلاف السليماني بكامله، ولكنه عيّن عليه أمراء من الأشراف، على أن يبقوا خاضعين لحكمه. وخلال السنوات الممتدة من عام ١٢٧٣هـ - ١٢٨٠هـ / ١٨٥٦ - ١٨٦٣م، ظل المخلاف السليماني مسرحا لنزاعات هؤلاء الأشراف، وكان كل واحد منهم يستنجد بجهة خارجية، ولا تمر سنة إلا وهناك هجوم من عسير أو من يام على المخلاف السليماني. واستمرت الأحوال غير مستقرة في تلك البلاد، مما دفع محمد بن عايض إلى ابرام اتفاق مع الدولة العثمانية على تقسيم تهامة بين الدولة ومحمد بن عائض[١]. ومما قاله أحد المؤرخين[٢] المعاصرين عن هذا الاتفاق: «ولما رأى الأمير حال هذه الجهة غير منضبط لكثرة اختلاف أهلها، جرى بينه وبين باشا اليمن المفاوضة في الصلح واندمال هذا الجرح. واقتضى الأمير أن يكون من حدود (ضمد)[٣] مضافة إلى الدولة المتولى من قبلهم باشا اليمن. والأمير على ما هو عليه من صبيا والمخلاف، وانسد باب الخلاف. وحصل بهذا الصلح الائتلاف ورفع الأمير الرتبة التي بنظره من قلعة أبي عريش، وتسلمها وكيل باشا اليمن».

---

(١) الحسن بن أحمد اليمني، نفسه، ص ٦٠.

- سيرد الحديث عن علاقة عسير مع المخلاف السليماني في الفصل الثامن من هذا البحث.

(٢) الحسن بن أحمد اليمني، نفسه، ص ٦٠.

(٣) ضمد: واد معروف من أودية منطقة جازان.

انظر: محمد العقيلي: المعجم الجغرافي (مقاطعة جازن)، ط ٢، الرياض ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص ٢٦٥، ٢٦٦.

ولم يستمر الصلح ساري المفعول لوقت طويل، اذ سرعان ما فكر محمد بن عائض في اعادة بسط سيطرته على المخلاف السليماني بكامله[1] كما قرر استعادة السواحل في عسير واليمن من الدولة العثمانية، ولذلك فقد قام بهجوم بمثابة الشرارة التي أوقدت المواجهة الرئيسية بين محمد بن عائض وبين الدولة العثمانية[2].

أما عن علاقة الأمير محمد بن عائض بالحجاز فقد كانت علاقة متوترة بعض الشيء، بسبب الخلاف على مناطق تقع على حدود البلدين بخاصة بلاد غامد وزهران[3]. وعلى الرغم من توصل الفريقين إلى اتفاق عام ١٢٨١ هـ/ ١٨٦٤ م يحدد الحدود بين البلدين، إلا أن قيام قوات محمد بن عائض بالاستيلاء على بلاد غامد وزهران مرة أخرى، إضافة إلى قيامها بالاستيلاء على الحديدة عام ١٢٨٧ هـ ـ ١٨٧٠ م، كل ذلك فجر الموقف من جديد بين الإمارتين، حيث نجح الإشراف في اثارة الدولة العثمانية ضد أمير عسير[4].

وكانت نهاية الأمير محمد بن عائض عام ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م[5]، عندما أرسلت الدولة العثمانية قواتها إلى عسير بشكل لم يسبق له نظير، وبعد معارك ضارية وصمود بطولى استمر حوالي عام

---

(١) اللواء البحري أيوب صبري، مرآت الحرمين، جـ٣، ط ١، القسطينية، ١٣٠٦هـ، ص ٦٨.

(٢) سيرد تفصيل ذلك أثناء الحديث عن العلاقة بين عسير والدولة العثمانية.

(٣) سيرد الحديث بشكل مفصل عن العلاقات بين عسير والحجاز في الفصل الخامس من هذا البحث، وتشمل امتداد الحدود بين الإمارتين طوال الفترة من ١٢٤٩ ـ ١٢٨٩هـ / ١٨٣٣ ـ ١٨٧٢م.

(٤) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٢٤، السنة السادسة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ١٧٥.

(٥) الفريق عاطف باشا، يمن تاريخي (باللغة التركية)، ص ١٠ ـ ٤٣.

كامل، استسلم الأمير محمد بن عائض للقوات الغازية بعد أن أعطى الأمان بفرمان من السلطان العثماني نفسه، ولكن القادة العثمانيين لم يفوا بتعهداتهم، حيث قتل الأمير محمد بن عائض غدرا مع عدد كبير من أسرته وكبار رجال دولته، وتم نقل أكثر من ستمائة أسير إلى اسطنبول. وخضعت عسير للحكم العثماني من ذلك الحين، وظلت كذلك حتى هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وخروجها من البلاد العربية[1].

(١) د. فاروق عثمان أباظة، سياسة بريطانيا في عسير أثناء الحرب العالمية الأولى، الكويت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٩.

الفصــــل الرابــــع

محمد علي باشا وعسير

محتوياتـــــه

* قوات محمد على في عسير.
* حروب محمد علي في عسير.
* الموقف العام لقوات محمد على بعد معركة بلاد غامد.
* أثـر حملات محمـد علي عـلى سكان عسـير بخـاصـة وسكـان شبـه الجزيرة العربية بعامة.
* موقف شيوخ عسير من قوات محمد علي.

الفصـــل الرابـــع
محمد علي وعسير

تمهيـــد:

عنـدما ثبّت محمـد على نفســه في ولايـة مصر خـالجـه التفكـير في الاستقـلال عن الدولـة العثمانيـة، وأضمـر رغبتـه في الاستيـلاء عـلى الجزيرة العربية لتكون ضمن مشروعه الرامي إلى تكوين الدولة العربية الموحدة، إلا أن الباب العالي الذي كان يشك في الأطماع الكـامنة وراء هـذه الـرغبـة لم يشجـع تحقيق هـــذا المشروع عـلى يـــد هـذا الـوالي الطموح[1]. وحينما تمكن السعوديون من السيطرة على الجزيرة العربيـة بما فيها الأماكن المقدسة، اضطرت الدولة العثـمانية إلى مـواجهة خـطر هذا الدولة الفتية، ولم تجد أمامها غير الإستعانة بواليها على مصر محمد علي باشا، لأن نفوذ السعوديين كان قد اتخـذ شكلاً خـطيراً، حتى أنـه أصبح من الضروري اتخاذ اجراءات فعّالـة لتلافي حـدوث نتائـج أشد خطورة، وفي الوقت نفسه فإن محمد على كـان قد شيّـد لنفسه في مصر مكانة راسخة، والباب العالي لن يضيره أن يقحم هذا الوالي القوى في مشروع يستحوذ على كل مجهوداتـه ويبعده عن طـريق الخيانـة، كما أن

(١) H. Doduell Herry, the Founder of Modern Egypt, a study of Mohamed Ali, Cambridge 1931, p. 39.

هـذا الوالي إذا منى بـالهزيمـة فإن ذلـك سيكـون من مصلحـة الـدولـة العثـمانية التي يمكنهـا بعد ذلـك اخضـاعـه، ومن ثم تـطورت الأمـور وصدرت إليه التعليمات باتخـاذ الخطوات الـلازمة للقضـاء على الـدولة السعودية الأولى[1].

وبعد أن نجح محمد على في جزيرة العـرب، وقضى على الـدولة السعودية الأولى، وأعاد للدولة العثمانية الأماكن المقدسة[2]. تزايـدت أهـداف هذا الـوالي في جزيـرة العرب، فهـو الآن في الخمسينـات من القـرن الثالث عشر الهجـري (التاسـع عشر الميلادي)، يـريد تـدعيم نفـوذه في بلاد العـرب بشكل منفصـل عن الدولـة العثمانيـة.[3] وقـد شجعته انتصاراته على الدولة العثمانية في بلاد الشام وجعلتـه يطمـع في إنشاء دولة عربية موحدة، تشمل البلاد التي ينطق أهلها بالضاد، لـذا عاد إلى التدخل في شئون جزيرة العرب [4].

وفي سبيـل تحقيق هذا الحلم تكبـد محمد عـلي باشـا الصعاب، وحارب الدولة العثمانية في عدة مواقع، انتصر فيهـا جميعاً، واعتـبر كل ما استولى عليه من بلاد خاضعة لسيادته، وخارجة عن سلطة الدولة، وبـالإضافـة إلى الجهود الجبـارة التي بذلهـا محمد عـلي على جبهـة بـلاد الشام. فقد كانت جيوشه في جزيرة العرب تكلف خزينة دولته سبعمائة ألف جنيه مصري سنويـاً، دون أن تجني مصر أية فـوائد من بقـاء تلك

---

(١) د. جاد طه، سياسة بـريطانيـا في جنوب اليمن، دار الفكـر العربي، القـاهرة ١٩٦٩ - ١٩٧٠م، ص٤٧ - ٥٠.

(٢) راجع الفصل الثالث من هذه الرسالة.

(٣) د. عبدالفتاح أبو علية، الدولة السعودية الثانية، ط٢، مؤسسة الأنوار للنشر والتوزيع، الرياض ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص٣٧.

(٤) أمين السعيد، تاريخ الدولة السعودية الأولى، المجلد الأول دار الكـاتب العربي (بـدون تاريخ)، ص١٤٦.

الجيوش في شبه جزيرة العرب.[1]

قوات محمد على في عسير:

لقد ابتليت عسير بمواجهة ضغط مكثف من قبل قوات محمد علي، بخاصة مع بداية حكم عائض بن مرعى. وعلى الرغم من قوة تلك الحملات وجودة تنظيمها، إلا أنها قد منيت بهزائم جسيمة وأجبرت على الخروج من عسير عام ١٢٥١هـ، ١٨٣٥م. وكان من أبرز قادتها الشريف محمد بن عون وأحمد باشا وإبراهيم باشا، وعدد من أمراء آل أبو نقطة وكانت هزيمتهم تلك بداية القوة لعائض بن مرعى، الذي استرد أنفاسه وبدأ ينظم صفوفه استعداداً لمواجهة أكثر حسما مع قوات محمد علي[2].

ومع إنشغال محمد علي بحرب الدروز في جبل لبنان، وحشده كثيراً من طاقته لمواجهتهم[3] إلا أنه لم يهمل قواته الموجودة في الحجاز استعداداً للزحف نحو عسير، بل استمر شحن المؤن لها بكل عناية، ومع وجود بعض الصعوبات كنقص السفن، إلا أن الجناب العالي قد اتخذ قراراً يتم بموجبه شراء مئونة القوات الموجودة في اليمن من هناك حتى يتم إرسال السفن الموجودة في موانيء اليمن، لتقوم بنقل المؤن للقوات الموجودة في الحجاز، ومما ورد في وثيقة[4] بهذا الخصوص:

---

(١) انظر، محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق الدكتور إحسان حقي، ط١، دار النفائس، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص٤٤٨ ـ ٤٦٠.

(٢) د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، محمد علي وشبه الجزيرة العربية، جـ١، ط١ دار الكتاب الجامعي، القاهرة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ص١٥٦ ـ ١٦٠.

(٣) دفتر رقم ٢١٢ عابدين، الوثيقة رقم ٩٩، مؤرخة في ١٧ ربيع الأول ١٢٥١هـ من الجناب العالي، إلى سر عسكر الحجاز، محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٤) سجل ٦٦ معية تركي، صحيفة رقم ١٤٣، نمرة ٥٥١، مؤرخة في ٢٠ جماد الأولى ١٢٥١هـ، مرسلة من الجناب العالي إلى أحمد باشا، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

«لقد أخبرنا معاوننا الثالث حسني أفندي أنه جار شحن مقادير وافرة من المئونة إلى القصير إلا أنه لا توجد سفن في القصير. . ومن المعلوم لدى سعادتكم أنه جار سوق المئونة إلى جهات اليمن والسفن التي تحمل هذه المؤونة تتأخر هناك من جراء ذلك وعليه بدلاً من شحن المؤونة إلى هناك الأولى أن تخطروا تلك الجهة بوجوب شراء الغلال من هناك بصرف النظر عما يستلزمه هذا المشروع من المال، وفي هذه الحالة تتوفر أسباب شحن الغلال إلى الحجاز فنفذوا ذلك وأعيدوا السفن إلى القصير».

وواضح مدى عناية محمد على بتموين قواته في الحجاز وعسير. ومع ذلك فإنه كان يوجد من يهمل في تنفيذ الأوامر، حيث أمر محمد علي بإرسال عشرين ألف أردب من القمح شهرياً، ولكن محرم أغا لم يرسل سوى ثلاثة عشر ألف أردب فقط فوبخه محمد علي بشدة وقال له: [1]:

«هل تريد أن تهلك الجند بعملك هذا».

أما بالنسبة للذخيرة فمع أنه كان يتم إرسالها من مصر إلى الحجاز واليمن وعسير، إلا أنها كانت متوفرة في موانيء اليمن، ولذلك لما تأخرت الذخيرة قام محافظ الحديدة بشرائها من اليمن، وقد أقرّه الجناب العالي على ذلك، ولكنه طلب الاستفسار عن سعر الذخيرة هناك[2].

---

(١) دفتر ١٣٩ مجلس ملكية تركي، الوثيقة رقم ٣٧١، صفحة ٧٧، مؤرخة في ٢٩ جماد الثاني ١٢٥١هـ. من الجناب العالي إلى محرم باشا دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) سجل ٦٨ معية تركي، صحيفة ١٤٤، مكاتبة ٤٣٣، مؤرخة في ٢٤ شعبان ١٢٥١هـ، مرسلة من الجناب العالي إلى أحمد باشا سر عسكر الأقطار الحجازية، محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

ويتضح لنا من الوثيقة السابقة أن الذخيرة كانت متوفرة في موانيء اليمن وهذا يفيد عائض بن مرعي في توفير الذخائر اللازمة لجنده من اليمن، لأنه سيشتريها بالطريقة نفسها التي استخدمها محافظ الحديدية، وبناء عليه فلا توجد أزمة في الذخيرة لدى قوات عسير.

وقد سار محمد على بشكل دؤوب ومنظم في سبيل إكمال استعداد قواته في الحجاز واليمن حتى تتمكن من السيطرة على عسير، التي بقيت تقاوم قوات محمد على وتمنعها من السيطرة عليها . . فبالإضافة إلى عنايته بالتموين عناية فائقة، فقد اهتم بإرسال قوات جديدة ومدربة إلى الحجاز[1]، وعين عليها أفضل قادته. وأكثرهم حرصاً على جنوده وهو خورشيد باشا، وطلب محمد علي من أحمد باشا أن يغضّ الطرف عما يقوم به خورشيد من ترفيه لجنوده مهما كانت النفقات. وكان عدد القوات المرسلة ألا يين من المشاة. كما ذكر محمد علي أنه سيتوجه بنفسه إلى الحجاز بعد الإنتهاء من مهمة إرسال القوات إلى هناك[2].

وقد بلغ إهتمام محمد علي بجنوده حداً جعله ينّبه على ضرورة تحديد الغذاء الذي يناسب حالة جنوده وصحتهم، فصدرت الأوامر إلى سر عسكر الحجاز بضرورة إعطاء العساكر السودانيين الذرة بدلاً من القمح لكونه لا يناسبهم وفي عام ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م قام محمد علي بإرسال ألفي كيس من النقود إلى خزينة مكة، وثلاثة آلاف كيس

(١) عبدالرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، جـ٣، ط١، مطبعة النهضة، القاهرة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، ص٣٩٢ ـ ٣٩٩.

(٢) دفتر ٤ عابدين، وثيقة رقم ٢٧٥، مؤرخة في ٢٥ ذي الحجة ١٢٥١هـ، مرسلة من الجناب العالي إلى أحمد باشا، دار الوثائق القومية بالقاهرة

Marstan, Thomas E., Britains Imprerial Role in the Red Sea Area, 1800 - 1878, Connecticutt, p. 47.

إلى اليمن، وألف إلى المدينة.[1]

ويظهر لنا من الوثيقة السابقة مدى العناية التي أولاها محمد على قواته ومدى السخاء في الإنفاق عليها. وأبرز ما يثيرالإهتمام هو زيادة ما أرسل إلى اليمن من النقود، مع أن القوات الموجودة في الحجاز أكثر من تلك التي في اليمن. وأرى أن هناك سببين رئيسيين لزيادة النقود المرسلة لليمن:-

١ - لأن قوات محمد علي الموجودة في اليمن لم تكن تتلقى إمدادات الحبوب من مصر مباشرة وإنما كان يقوم إبراهيم باشا بشرائها من الحديدة. وهذا يتطلب وجود نقد احتياطي لتغطية تلك المصاريف.

٢ - كذلك كان إبراهيم باشا يقوم بشراء الذخيرة من اليمن عندما لا تصله في الوقت المناسب.

٣ - حتى يتمكن إبراهيم باشا من مواجهة خطر عائض بن مرعي على المخلاف السليماني، خاصة بعد كثرة الشكاوى التي كانت تصل محمد علي من محافظة الحديدة وأشراف (أبي عريش)، حيث حذروا محمد علي ونبّهوه إلى خطورة عسير ويام على المخلاف السليماني وسواحل اليمن[2].

وقد احتملت قوات محمد علي أثناء زحفها على عسير والمنطقة الممتدة على طول الساحل اليمني حتى الحديدة، مشاق هائلة نتيجة

---

(١) دفتر ٦٧ معية تركي، الوثيقة رقم ٤٧٠، صفحة ٨٧، مؤرخة في ٤ رمضان ١٢٥١هـ، مرسلة من الجناب العالي إلى سر عسكر الحجاز، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) انظر الحديث عن تلك الشكايات في الفصل الخاص بالعلاقات بين عسير وبين المخلاف السليماني.

لوعورة الطرق وسوء المناخ وقلة الماء وفداحة المتاعب، وقد اضطروا بعد معارك عنيفة مع العسيرين إلى التراجع إلى الحجاز، ليتمكنوا بعد ذلك وبصعوبة بالغة من السيطرة على بعض الموانيء الساحلية في اليمن وعسير، حيث اتخذ إبراهيم باشا ميناء الحديدة مركزاً لإدارته، وأصبح والياً على اليمن من قبل محمد علي[1].

وعندما تمكن محمد علي من الإستيلاء على موطىء في سواحل عسير واليمن قام بحشد القوات وإرسالها إلى محافظ الحديدة إبراهيم باشا، بهدف تمكينه من أحكام سيطرته على المناطق المحيطة بعسير إستعداداً للإستيلاء عليها[2].

ويعتبر كثافة هذه القوات دليلاً قوياً على إصرار محمد علي على تثبيت نفوذه في عسير واليمن مهما كانت التضحيات وكان يعمل على تقوية قواته تلك بهدف أحكام الحصار على عائض بن مرعي من الشمال والجنوب ولقد حدث ما لم يكن في الحسبان وتوجه عائض بن مرعي لمهاجمة الجهة التي اعتقد محمد علي بأنه لن يجسر على مهاجمتها. فقد وردت خطابات إلى أحمد باشا تؤكد أن عائض بن مرعي سيهاجم محمد علي في الحجاز من جهتين. حيث توجه على رأس قبائله إلى جهات بلقرن وما حولها من الحجاز، بينما أرسل فريقاً آخر لمهاجمة قوات محمد علي الموجودة في القنفذة[3].

---

(١) د. فاروق عثمان أباضة، الحكم العثماني في اليمن « ١٨٧٢ - ١٩١٨ » الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ٣٦.

(٢) محفظة ٢٦١ عابدين، الوثيقة رقم ٣٣١، مؤرخة في ٢١ جماد الثانية ١٢٥٣هـ، مرسلة من أحمد باشا إلى الجناب العالي، دار الوثائق القومية بالقاهرة.
د. عبد الحميد البطريق، من تاريخ اليمن الحديث (١٥١٧ - ١٨٤٠م). معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٩م، ص ٧٤.

(٣) محفظة ٢٦١ عابدين، الوثيقة رقم ٣٣١، مؤرخة في ٢١ جماد الثانية ١٢٥٣هـ، مرسلة من أحمد باشا إلى الجناب العالي، دار الوثائق الوثيقة بالقاهرة.

وكـان عائض بن مـرعي بحركتـه تلك يـريـد أن يسحب زمـام المبادرة من قوات محمد علي في الحجاز، ففي المعارك السابقة كـان أمير عسير يمكث في مكانه ينتظر وصول الحملات التي يـرسلها محمـد علي، ليدخل معها في حرب تدور كلها في أرض عسير. ولكننا نراه هنا يعمل جاهداً على أرهاب قـوات محمد عـلي في الحجاز، لأن تلك القـوات لم تتعرض لهجمات مباشرة من عائض بن مرعي إلا داخل أراضي عسير، أما خارج عسير فقد كانت تلك العملية تتم لأول مرة.

وقد قام أحمد باشا بإرسـال أورطتين من الجنـد لمواجهـة القوات التي أرسلت لمهـاجمة القنفـذة وجهاتهـا. ولم يظهـر أحمد بـاشـا حمـاسـاً لمواجهة عائض بن مرعي، ولكنه ذكر أنه عند إشتداد خطر عـائض بن مرعي فسيتوجه بنفسه إلى عقبة السلامة لمواجهتـه. ومما ورد في رسـالة بعثها أحمد باشا إلى الجناب العالي ما يلي[1] «وقد أوفدنـا إلى القنفذة في الـوقت الحاضر أورطتـين بقيادة سليـمان بك مـيرالاى الآلاى الـرابـع والعشرين، وبعثنـا إلى هاتـين الأورطتين الـزاد وفناطيس المـاء». وفي الوقت نفسه فقد جهز أحمد باشا قوات إضافية لمسـاعدة قـوات سليمان بـك إذا دعت الحاجـة إلى ذلك. كـما أن أحمد بـاشا كـان ينتظر مـدى خطورة هجمات عائض بن مرعي، وكـان قد وضـع خطة يتم بمـوجبها توجهه إلى عقبـة «السلامـة[2]» في عدد كـاف من العساكـر لمواجهـة عائض بن مرعي إذا ماحاول مهاجمة قواته الموجودة هناك».

وقد خسر أحمد باشا الكثير من جرّاء إرسـال قواتـه إلى القنفذة، لأن جو القنفذة كان سيئاً، ونتيجة لانتشار الملاريا في هذه المنطقة، فقد

---

(١) الوثيقة نفسها.

(٢) عقبة السلامة: هي عقبة تقع في منطقة بلجرشي ببلاد غامد، وتوجـد هناك قـرية تسمى (قرية السلامة)، انـظر حمد الجـاسر، في سراة غامـد وزهران، منشـورات دار اليمامـة، الرياض ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ص ١١٥.

وقـع جند سليـمان باشـا صرعى المرض، حيث أصيبـوا جميعاً حتى أن قائدهم سليمان باشا نفسه قد أصيب بالحمى، وقد أدّى إلى فشل هـذه القوات في مهمتها[1].

ومهـما يكن من شيء فإن الأخبـار التي وصلت إلى أحمد بـاشا لم تكن صحيحة ولم يقم عائض بن مرعي بمواجهة قوات أحمد باشـا لا في القنفذة ولا في بلاد غامد ومن الجدير بالملاحظة أن أحمد بـاشا لم يتـوجه بنفسـه على رأس تلك القـوات مما يؤكـد أنـه لم يكن لـديـه معلومـات صحيحة عن تحركات قوات عـائض بن مرعي، وإنمـا كانت تحـركاتـه تحسباً لأى طارىء جديد.

حروب قوات محمد علي في عسير:

لم تحدث مواجهة بين قوات محمد علي وبين قـوات عسير خـلال عام ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م. وإنما قـام عائض بن مـرعي باستفـزاز أحمد باشا، فكـان يتظاهـر بالهجـوم على تهـامة، ومـرة أخرى عـلى السراة، وتشتت جهد أحمد باشا، وأصبح عاجزاً عن تحديد الجهة التي يأتيه منها الخطر، مما دفعـه إلى طلب قوات إضافية، رغم ضخـامة مـالديـه من قوات، وذلك لضمان موقف قوى أمام عائض بن مرعي، ومما قال[2] في رسـالة في هـذا الصدد مـايلي: « وقـد علمنا أن أشقيـاء عسير قـرروا الزحف إلى طرفنا بقوة كثير من العربان على قـولين، يعني فـرقتين بعـد رمضان بصورة قطعية، والآن العساكر التي لهم صلاحية للسفر الألاى السابع والألاى الحـادي والعشرين فقط، وعدد العسـاكر المـوجودة في

(١) محفظة رقم ٢٦١، الوثيقة بدون رقم، مؤرخة في غرة رجب ١٢٥٣هـ، من سليـمان بك اميرالاى الرابع والعشرين إلى محمد أمين محافظ مكة، دار الوثائق القومية القاهرة.

(٢) محفـظة ٢ الحجاز، الـوثيقة بـدون رقم، مؤرخـة في ٢٤ شعبـان ١٢٥٣هـ، من طـائف الحجاز إلى وزير الداخلية بمصر. دار الوثائق القومية بالقاهرة.

بني مالك ثلاثة آلاف وستمائة وثمانين نفرا، والألاى التاسع عشر ناقص ثمانمائة نفر عن مرتباته، فعدده الآن الفين وكسور فقط، والذي تحققنا بصورة قطعية أن أهالي عسير وسائر القبائل متفقون تماماً للقيام بعد العيد ويعلنون حرباً معنا ».

ونتيجة للمعلومات التي وصلت إلى أحمد باشا بزحف عسير على فرقتين إليه، قام بطلب قوات إضافية لمواجهة ذلك الخطر الداهم الذي أخذ يهدد قواته المتمركزة في الطائف بخاصة عندما تأكد له أن العسيريين سيشنون هجومهم على جهتين في السراة وفي تهامة. وقد ابتدأ أحمد باشا إستعداداً جدياً لمواجهة هجوم عائض بن مرعي هذا، فقام بالتوجه إلى قبائل غامد وزهران لاخضاعهما، وقد حصل على المؤونة اللازمة من جدة، مما دفع محافظ جدة إلى طلب إمدادات جديدة لتلافى النقص الحاصل نتيجة تجهيز قوات أحمد باشا[1] وعلى الرغم مما لدى أحمد باشا من قوات وما حصل عليه من مؤن وفيرة، فقد كتب خطاباً إلى وزير الداخلية بمصر يخطره فيه بزحفه نحو غامد وزهران لملاقاة المتمردين، ويشدد على ضرورة إرسال ألاى إلى طرفه على وجه السرعة، وقد شرح الوضع القائم في الوثيقة، ثم ختم الرسالة ببيان الموقف القوى والخطير لعسير، حيث قال[2] : « وعلم أخيراً أن ألف نفر مسلح زحفوا على رغدان[3] التي بين غامد وزهران، وهم من قبائل بني شهر وبني عمرو وشمران وبلقرن وذلك إمداداً لقبائل غامد وزهران، والذي رتّب هذا العصيان عائض الشقى

---

(١) محفظة رقم ٢٦٢ عابدين، الوثيقة رقم ١٢٨ حمراء، مؤرخة في شهر شوال ١٢٥٣هـ، مرسلة من محافظ جدة سليمان صدقي إلى صاحب الدولة دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) الوثائق الخاصة ـ الحجاز ـ الوثيقة رقم ٣، مؤرخة في ٢٤ ذي القعدة ١٢٥٣هـ، من الحجاز إلى وزير الداخلية بمصر. دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) رغدان: بلدة تقع في بلاد غامد، وهي من أشهر قرى وادي أبيده (بيده) وفيها سوق أسبوعي يقام يوم الأحد. أنظر : حمد الجاسر، في بلاد غامد. وزهران، ص ١٩.

وقد دعا مشائخ بيشة إلى رغدان للاجتماع بهم للمشاورة بتنظيم المؤامرة، وإلى الآن لم تظهر نتيجة المشاورة، وإذا ظهر سنؤدي المعلومات إلى الجهة اللازمة ».

وهناك رسالة بعثها أحمد باشا إلى محمد علي يشرح له فيها الوضع القائم بينه وبين أمير عسير، وهي تلقي الضوء على حدود عسير آنذاك، وكيف أن سيطرة أمير عسير امتدت لتشمل بلاد غامد وزهران. وقد أدرك أحمد باشا أنه يجب عليه القيام بعمل سريع لمواجهة عائض بن مرعي فها هو يقول[1] « يظهر أن عائض الشقى مازال يتردد بين (غامد) و(عقيق)[2] نافثا سموم الاغواء والإفساد بين الأعراب على نحو ماكتبنا إليكم غير مرة. ولما كان واجبنا العسكري يحتم علينا الاطلاع على أحوال الثائرين، كنا قد أرسلنا جواسيسنا إلى جهة عقيق فقد عاد هؤلاء منها وأخبروا بأن الشقى المذكور لا قبل له بمحاربة القوة العسكرية التي خصصناها بالحجاز وتهامة، كما أخبروا بأنه لم يجد في نفسه جرأة بالزحف على الجيش المرتب الذي قام إلى (بسلة)[3] ولا للالتقاء بهم، ولم يجرؤ أيضاً على الثبات في موضع حتى يسار إليه ».

والذي نستنتجه من الوثائق السابقة، أن عائض بن مرعي استطاع أن يقنع جميع القبائل الواقعة جنوب الطائف ابتداء بغامد

---

(١) محفظة رقم ٢٦١ عابدين، الوثيقة رقم ٣٤١، مؤرخة في عام ١٢٥٣هـ، من أحمد باشا إلى صاحب الدولة، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) عقيق : أي العقيق، وهو واد يقع في بلاد غامد، ويسكن فيه بادية غامد وفيه بلدة تسمى (العقيق).
انظر : حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران، ص ٧٠.

(٣) بسلة: أي بسل، وهو واد يقع إلى الشمال الشرقي من الطائف.
انظر: حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران، ص ٣٦٥.

وزهران، مايجاورها مروراً بشمران وبلقرن وبني عمرو وبني شهر، اضف إلى ذلك القبائل الواقعة شرقاً وهي قبائل بيشة، والقبائل الواقعة غرباً وهي قبائل تهامة حيث أجمعوا كلهم على محاربة قوات محمد علي والتصدى لها ومنعها من دخول بلادهم.

ولم يسمح أحمد باشا لهذا الموقف المتفوق لعائض بن مرعي بالاستمرار فتقدم على رأس قواته إلى بلاد غامد وزهران وبعد معارك قليلة مع هاتين القبيلتين ومع بعض الحاميات العسيرية تمكن من الإستيلاء على بلاد غامد وزهران وقام بالتنكيل بهما لتعاونهما مع أمير عسير[1]. وكان من نتيجة استيلاء أحمد باشا على بلاد غامد وزهران أن هرب بعض أعيان هاتين القبيلتين إلى أمير عسير، مما دفع أحمد باشا إلى التوقف عن معاقبة تلك القبائل ريثما يتم القضاء على ثورة عائض بن مرعي نهائياً « فما لم يتم أخذ عصاة العسير ويؤدبوا جدياً فإنه لمن المتعذر تحصيل تلك الغرامات التي نفرضها على القبائل الأخرى[2] ».

وهكذا تمكن أحمد باشا من استعادة بلاد غامد وزهران من أمير عسير ثم بدأ يجمع المؤن والقوات ويعد التحصينات التي تمكنه من الصمود في وجه الهجوم المنتظر من عائض بن مرعي، ولم يحاول أحمد باشا أن يتقدم بعد بلاد غامد وزهران، بل قرر أن ينتظر عائض بن مرعي هناك حتى يملك مقومات التفوق المتمثّلة في المدفعية الثقيلة، والأسلحة الحديثة، والمؤن الوفيرة، والتحصينات القوية. وفي المقابل

(١) محفظة ٢٦٣ عابدين، صورة المرفق العربي (ب) الوثيقة التركية رقم (١) زرقاء، بدون تاريخ وفيها بيان بعمليات التنكيل التي حلت بقبائل غامد وزهران وبني مالك وبعض قبائل تهامة. وسيأتي الحديث عنها خلال هذا الفصل.

(٢) محفظة ٢٦٣ عابدين، وثيقة رقم ٢٢ حمراء، مؤرخة في ٢٩ ذي الحجة ١٢٥٣هـ، من أحمد باشا ببلاد زهران إلى حضرة صاحب الدولة دار الوثائق القومية بالقاهرة.

سيواجهه عائض بن مرعي وهو في موقف صعب، نظراً لطول المسافة بين بلاد غامد وعاصمة عسير، إضافة إلى قلة المؤن والذخائر وضعف التسليح وإنعدام التحصينات، ونفس الموقف كان سيقفه أحمد باشا فيما لو هاجم عسير بدلاً من انتظار عائض بن مرعي هناك.

وقد حدث ما كان يتمناه أحمد باشا ويعد له العدة منذ خروجه من عسير، حيث توجه عائض بن مرعى على رأس قبائل عسير قاطبة لمهاجمة قوات محمد علي في بلاد غامد وزهران، ووصل إلى هناك في السادس من شهر صفر عام ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م وشن هجومه الواسع على قوات محمد علي في العاشر من صفر أي بعد أربعة أيام من وصوله. وقد ابتدأت قوات عسير الهجوم بشكل شبه عشوائي دون تقدير لقوة الخصم، ومتانة تحصيناته، فقد اندفع رجال عسير نحو مواقع قوات محمد علي الحصينة، وتركهم جنود أحمد باشا يتوغلون حتى يقعوا تحت مرمى اسلحتهم ثم امطروهم بالرصاص من مواقعهم الحصينة، مما جعلهم يولّون الأدبار تاركين مؤنهم وأرزاقهم وخيولهم وجمالهم، إضافة إلى وقوع أعداد كبيرة منهم بين قتيل وأسير. وكان انسحابهم بطريقة ارتجالية أيضاً، مما أدى إلى تعرضهم للقتل والسلب والنهب على أيدي قبائل غامد الذين غدروا بقومهم واخوانهم طمعاً في الغنيمة ورغبة في رضي أحمد باشا عنهم ليمنحهم الرتب والجوائز ولكن أحمد باشا لم يكرمهم بل اهانهم وأجبرهم على تسليم كل ما غنموا من عسير فلم يدع لهم إلا البنادق والجنابي الخربة وأخذ منهم ما عداها[1].

---

(١) محفظة رقم ٢٦٣ عابدين، الوثيقة رقم ١٢٣ حمراء، مؤرخة في ٦ ربيع ١٢٥٤هـ من أحمد باشا إلى حضرة صاحب الدولة، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

انظر كذلك: هاشم سعيد النعمى، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، (بدون معلومات طبع)، ص ١٩٣.

ولقد كانت الخطة التي اتبعها أحمد باشا سليمة مكنتـه من كسب هذه المعركة، بينما كانت طريقة عائض بن مـرعى في الهجوم خـاطئة، وكان لها الدور الأكبر في الهزيمة. فكان من الأولى بعائض بن مرعى ألاّ يحاول مهاجمة هذا القـوة المنظمـة، برجـال قبائله دون أن يكـون لديـه أسلحة ثقيلة يتمكن بها من مواجهة قوات أحمد باشا بكلّ قوة، كـما أنه كان من الأحرى به أن يعمل لكل شيء حسابه بما في ذلك حماية مؤخرة الجيش من قبـائل غـامد الـذين غدروا بهم في أحلك الـظروف. وكان بـامكانـه أن يـوزع قـواتـه الضخمـة بـطريقـة تمكنـه عـلى الأقـل من الإنسحاب بطريقـة منظمـة في حالـة الهزيمـة، ولكن الذي اتضـح من مجرى المعركة أن عائض بن مرعى وقبائله كـانوا متـأكدين من النصر، ولم يضعـوا في الاعتبار احتـمال الهزيمـة، بل زجـوا بقـواتهم كلّهـا منـذ البداية مما جعلهم يخسرون هذه المعركة وإليـك بعض ماورد في رسـالة أحمد باشا التي تبيّن كيف كان استعداد الجيشـين[1] : « ان أمر ادخـال قبيلتي غامد وزهران في الطاعة قد حز فى نفس الشقى عائض على نحو ماأنبأنا دولتكم قبل، وقد اتصل بنـا أن الشقى الآنف الذكـر قد عمـد إلى قبائل عسير وبالأحمر وبالأسمر، وبنى شهر، وبنى عمـرو، وشهران وبلقرن، ورجال ألمع، وشهران، ومحايل فأثارها وجمع رجـالها حـوله، وزحف بهم علينا فأقمنا على أثر ذلك الاستحكـامات والمتـاريس حول المكـان الذي ينـزل فيه الجيش مـراعاة لـلاحتياط، واتخـذنا الأسبـاب والوسائل التي من شأنها ارجاع الشقى من حيث أتى. وفي يوم الثـلاثاء الموافق ٦ صفر الحالي وصل هـذا الشقى ونزل بجمـوعه خلف الجبـل الكبير القائم تجاه معسكر الجيش ».

---

(١) الوثيقة نفسها، ص ٢.

ولم يكن أحمد باشا مندفعاً لمواجهة العسيريين بل ظل يقوى استحكاماته في المواقع التي يتمركز فيها، ولم يحاول أن يتقدم من مواقعه خوفاً من غدر قبائل زهران بقواته ومهاجمتها من الخلف. ولذلك فقد قام بـ «ادخال اورط الألاى، السابع الثلاث إلى القرية المسماة دفير»[١] وابتدأت المعركة في العاشر من شهر صفر عام ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م، وكان العسيريون هم البادئون بالهجوم حيث اندفعوا نحو قوات أحمد باشا المتمركز في نقاط استراتيجية، فقابلتهم تلك القوات بنيران كثيفة من أسلحتها الرشاشة، مما أدى إلى وقوع البلبلة في صفوف العسيريين، وسرعان ما تفكك ذلك الجيش ليلقى العسيريّون هزيمة من أقسى الهزائم في تاريخهم الحديث[٢].

ومهما تكن الأخطاء التي وقع فيها عائض بن مرعى وجيشه، فإني أرى أن السبب الرئيسي هو أن قوات عسير من رجال القبائل وليسوا من العسكر النظاميين الذين تعودوا على الانضباط ولذلك فهم لا يصلحون لخوض حرب هجومية خارج أرضهم لأنهم لا يعرفون الانضباط وبالتالي فإنهم سيتفككون عند أول ضربة تواجههم أضف إلى ذلك فارق التسليح والتموين، والموقع، وهي عوامل كانت كلها في صالح أحمد باشا وضد عائض بن مرعى وجيشه[٣].

---

(١) دفير: المقصود (الظفير) وهي بلدة تجاور الباحة من الناحية الجنوبية وكانت هي قاعدة بلاد غامد إلى وقت قريب. وتقع على تل مطل على منخفضات رعدان، وهي مدينة مزدهرة عمرانياً.
انظر: حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران، منشورات دار اليمامة، الرياض ١٣٩١هـ، ص ١٧.

(٢) هاشم النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، (بدون)، ص .

(٣) انظر الحديث عن ضعف تسليح قوات عائض بن مرعى في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

وقد ابتدأ أحمد باشا يحاول أن يستفيد من نتائج معركة بلاد غامد، فقد وقع ١٠٥٦ نفرا أسرى بيد قوات أحمد باشا من ضمنهم ٨٩٩ أسيرا من رجال ألمع، ولذلك فقد حاول أحمد باشا أن يتفاوض مع رجال ألمع مباشرة فعرض على رجال ألمع اطلاق سراح اسراهم مقابل وقوفهم إلى جانبه ضد عائض بن مرعى. وها هو يقول في خطاب إلى محمد علي ما نصه[١]: «ولما كانت الجهة المسماة ريدة التي تحصن فيها أولا وأخيراً الشقى عايض هي في أيدي قبيلة رجال ألمع كما هو معلوم، ونظرا لأن الأمر جد يهون إذا انضمت لنا هذه القبيلة. وحيث أن الشيوخ الذين قبض عليهم أخيرا هم من كبراء رجال ألمع ومن ذوى الكلمة المسموعة في قبيلتهم، فإننا قد أبقينا هؤلاء المشائخ رهينة لدينا وأوفدنا في نفس الوقت طائفة من رجال ألمع إلى القنفذة وألزمناهم أن يوقعوا الشقاق والفتنة بينهم وبين عائض بن مرعى».

وإضافة إلى محاولته ضم رجال ألمع إلى جانبه بسبب وجود أسراهم لديه، فقد قدر أن نفوذه سيصل إلى بني شهر جنوبا، وبالتالي إنه سيحكم الحصار علي عائض بن مرعي ويضعفه تدريجياً فيها هو يقول[٢]: «ومما لا شبهة فيه أن قبائل شمران وبلقرن وبيشة وبني شهر سوف تطلب الأمان بعد الآن وتدخل في الطاعة. وسنوافي دولتكم بالاجراءات التي تتخذ في هذا السبيل».

الموقف العام لقوات محمد علي بعد معركة بلاد غامد:

كانت هزيمة عسير في بلاد غامد وزهران بمثابة فجر جديد لقوات محمد علي في الحجاز، فقد ارتفعت معنويات أحمد باشا وبدأ يضخم

---

(١) الوثيقة السابقة رقم ١٢٣ حمراء.

(٢) الوثيقة السابقة، رقم ١٢٣ حمراء، ص ٤، ٥.

ذلك الانتصار، ويضخم نتائجه على قبائل عسير. حيث بعث أحمد باشا برسالة يذكر فيها أن أكثر شيوخ القبائل أخذوا يتوافدون عليه طالبين الأمان[1]، وكان الهدف الرئيسي لأحمد باشا هو اسقاط عائض بن مرعى وتشتيت قواته نهائياً، وقد صدرت الأوامر بضرورة توفير ذخيرة كافية لمدة خمسة أشهر حتى يتمكن سر عسكر الحجاز من التوجه إلى عسير وبناء عليه فقد أوقفت الذخيرة المتجهة إلى نجد وحوّلت كلها إلى عسير، ومما ورد في تلك الوثيقة[2] : « وأنه لما كان سيسير عسكر الحجاز على عسير منوطا بجمع كفاية خمسة أشهر من الذخائر، وكان عند سر عسكر نجد ما يكفيه أربعة أشهر، فينبغي وقف ارسال الذخائر إلى ينبع وارسالها جميعها إلى جدة، حتى يدخر سر عسكر الحجاز كفايته منها ويسوق الجيش إلى المحل المذكور ».

ويظهر لنا من هذا الوثيقة العناية الفائقة التي يوليها محمد علي لتموين قواته، فها هو قائده يمكث خمسة أشهر من أجل التجهيز للهجوم على عسير. والجدير بالذكر أن أحمد باشا كان يعلم علم اليقين أن الوضع يختلف تماماً، عندما تتقدم قواته نحو عسير. لأنه يدرك أنه سيواجه قوات عائض بن مرعى وهي في وضع أفضل بكثير مما كانت عليه في بلاد غامد، بخاصة وأنهم في أرضهم ويعرفون جيداً طرقها وجبالها. ولذا فقد عمد أحمد باشا إلى الاستعداد جيداً حتى لا يصاب بنكسة جديدة في عسير.

---

(١) محفظة ٢٦٣ عابدين تركي، الوثيق بدون رقم، مؤرخة في ١١ ربيع الأول ١٢٥٤هـ، مرسلة من اللمير لواء محمد أمين وكيل محافظة مكة إلى باشمعاون جناب الخديوي. دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) محفظة ٢٦٤ عابدين، ملف القصير، الوثيقة رقم ١٤٩ / ١٦، مؤرخة في ٢٣ جماد الأولى ١٢٥٤هـ، مرسلة من محافظ القصير إلى باشمعاون جناب الخديوي. دار الوثائق القومية بالقاهرة.

وقد حاول أحمد باشا أن يتوصل إلى نتيجة مثمرة من خلال استمالته لرجال ألمع، ولكنه بعد أن قابلهم في (القاع)[1] أصيب بخيبة أمل كبيرة، لأنهم رفضوا عرضه لهم بالتعاون معه مقابل اطلاق سراح أسراهم، كما أن أحمد باشا لم يجرؤ على التقدم إلى جهة القوز[2] خشية الهزيمة والتراجع مما يثير القبائل الخاضعة لهم ويجعلهم يثورون عليه من جديد. ومما ورد في رسالته[3]: «لقد علمتم الغرض الذي انبنى عليه سفرى من الطائف إلى القاع، ولما وصلنا إلى ذلك الموضع انتقض الاتفاق الذي كان بيننا وبين ألمع وقد أبو حينما واجهونا»، وهكذا فشلت محاولة أحمد باشا، ولم يتمكن من استمالة رجال ألمع خلال الاجتماع الذي عقده معهم في القاع، ومع ذلك فإنه لم ييأس وقرر الاستمرار في المفاوضات مع رجال ألمع حتى يصل معهم إلى اتفاق.

ولم يكن أحمد باشا يريد الحرب كأسلوب لإضعاف عائض بن مرعي، ولكنه كان يميل إلى تأليف القبائل واستمالتهم نحوه بالترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، وقد ركز كثيراً على رجال ألمع وهددهم إذا لم يتعاونوا معه فإنه سيرسل أسراهم إلى مصر، ووعدهم بإطلاق سراح

---

(١) القاع: قرية من قرى القنفذة، وهناك منطقة في سراة بلقرن تعرف بهذا الاسم. والأرجح أنه يقصد التي في بلاد بلقرن، لأن قوات أحمد باشا كان أغلبها في السراة، انظر:
حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية، القسم الثاني، منشورات دار اليمامة، الرياض (بدون تاريخ). ص ٩٥٠.

(٢) القوز: هناك مواضع كثيرة تعرف بهذا الاسم وتنتشر في تهامة عسير وسراتها وفي المخلاف السليماني ولكن الأرجح أن المقصود بالقوز هنا: بلدة في منطقة القنفذة يتبعها عدد من القرى. انظر، حمد الجاسر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، القسم الثاني، ط ١ الرياض ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ١٠٢٧ - ١٠٢٩.

(٣) محفظة ٢٦٣ عابدين تركي، الوثيقة رقم ١٥٥ اصلية، ٧٧ حمراء، مؤرخة في ١٩ رجب ١٢٥٤هـ. مرسلة من أحمد سر عسكر الحجاز إلى وكيل محافظ مكة. دار الوثائق القومية بالقاهرة.

أسراهم إن هم تعاونوا معه. حيث قال لهم مانصه[1]: « لئن أطعتمونا وانتهى الأمر مطابقاً للشروط التي سنتخذها معكم لنخلين سبيل اسراكم، ولئن لم ننته إلى نتيجة لنرسلنهم إلى مصر » ثم أورد في هامش الرسالة مانصه « إذا أرسل الأسرى إلى جدة فإني آمل أن رجال ألمع سيقنعون بأنهم سيرسلون إلى مصر شيئاً فشيئاً ويلجأون إلى الخضوع. ولئن تألفنا رجال ألمع لهان أمر (عائض) (وريدة) ».

ويتضح لنا من الوثائق السابقة الآمال الكبيرة التي كان يعلقها أحمد باشا على مفاوضاته مع رجال ألمع، وإتخاذه كافة الأساليب التي اتبعها لاقناع رجال ألمع بالتعاون معه. ومع ذلك فإننا نجد رجال ألمع رغم كثرة أسراهم ورغبتهم في إطلاق سراحهم إلا أنهم لم يقدموا على خيانة أميرهم، ولم يوافقوا على التعاون مع أحمد باشا حتى لو كان الثمن هلاك أسراهم جميعاً.

ولم تتحدث الوثائق بعد ذلك عن مفاوضات بشأن أسرى رجال ألمع، ولكنه عندما حان رحيل قوات محمد علي عن الحجاز، جاء من سرعسكر الحجاز مايفيد بشأن إطلاق سراح هؤلاء الأسرى، ونظراً لفداحة الخسائر التي لحقت برجال ألمع نتيجة لوفاة معظم أسراهم فسنورد هذه الإفادة: « جاء في الإفادة أن الأسرى المعلوم عددهم الذين اسروا من رجال ألمع في الحرب التي قامت في غامد قبلاً نقصوا إلى مائة وخمسة وستين نفرا بسبب موت معظمهم بالتدرج، وأن هؤلاء المئة وخمسة وستين لم يتبق فيهم فائدة ما، فبناء على ذلك أن من الصواب إطلاقهم رحمة وتصدقاً من الجناب العالي لأن المأكولات والمصروفات التي تصرف لهم كل يوم عبثاً وسدى، ولذلك فإنه يستأذن

---

(١) محفظة ٢٦٩ عابدين، الوثيقة رقم ٣٠ أصلية، ١٢٠ حمراء، مؤرخة في ٢٦ جمادى الأولى ١٢٥٦هـ، إفادة مستخرجة من الكشف الوارد من سر عسكر الحجاز. دار الوثائق القومية بالقاهرة.

جنابه العالي في إطلاقهم، وجاء الرد الآتي: «يجب استشارة سيادة الشريف في إطلاق هؤلاء الأسرى، فإذا رأى في الصواب إطلاقهم فإطلاقهم، وإذا كان سيادته عند وصول هذه الإرادة غير موجود بمكة المكرمة فإيصال صورتها إليه واستشارته في ذلك والعمل برأيه حتما»[1].

ونستنتج مما جاء في الوثيقة السابقة مدى مايعانيه الأسرى لدى قوات محمد علي من ظلم وجور، حيث أن عدد أسرى عسير لدى أحمد باشا ألف وستة وخمسون رجلاً، منهم ثمانمائة وتسعة وتسعون من رجال ألمع[2]. أي أنه توفى من رجال ألمع سبعمائة وأربعة وثلاثين رجلاً، ولكني أرى أن المقصود أنه لم يبق من أسرى عسير جميعهم غير هذا العدد وإنما قال رجال ألمع لكون الأغلبية منهم، وبناء عليه فإن عدد الوفيات ثمانمائة وواحد وتسعون أسيراً، مع العلم أنه لم يمض على اعتقالهم سوى سنتين وثلاثة أشهر. وأرى أن اعتقالهم لم يكن بطريقة إنسانية، أو أنه تم تجويعهم أو التخلص منهم بطريقة أو بأخرى، وإلا فما معنى أن يهلك هذا العدد الكبير خلال هذه المدة القصيرة من الوقت. ثم إني استغرب الرحمة التي نطق بها أحمد باشا أخيراً عندما تأكد انسحابه من شبه الجزيرة العربية، ولماذا لم يتذكرها أثناء معاركه وعندما قام بقطع الرؤوس وصلم الآذان وحرق القرى كان الأجدر به أن يتذكرها عندما عمل رجال ألمع بكل السبل لإطلاق أسراهم، ولكن لم يتذكرها إلا بعد فوات الأوان.

---

(١) تابع للوثيقة السابقة رقم ٣٠ أصلية، ١٢٠ حمراء، ارادة صادرة في ٢١ رجب ١٢٥٦هـ.

(٢) محفظة ٢٦٣ عابدين، الوثيقة رقم ١١٣ حمراء، مؤرخة في ٦ ربيع الأول، ١٢٥٤هـ، مرسلة من أحمد باشا إلى صاحب الدولة بشأن خسائر عائض ابن مرعي في بلاد غامد، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

ولقد بدأ أحمد باشا مرحلة جديدة منذ انتصاره على عائض بن مرعي في بلاد غامد حيث عمل على جمع الجمال اللازمة من أجل الزحف على عسير، وقد عمل بالتنسيق مع مختلف قادة محمد علي في الجزيرة العربية لتوفير الجمال اللازمة، فراسله خورشيد باشا بشأن الاتفاق على الطريقة المثلى لتوفير الجمال المطلوبة، ومما قال في خطابه[1]: «صدرت إرادة كريمة من وليّ النعم ذى المكارم بأن نتداول الرأى مع دولتكم بخصوص الجمال اللازم جمعها من عرب نجد لنقل الغلال المقتضية للعسكر المأمورين بالإقامة في عسير، وأن نعمل ما يوافق لجمعها من الآن لترسلها عندما يطلب إرسالها إلى عسير وأن من يمتنع من العرب عن إعطاء الجمال المقررة عليه نقاتله ونأخذها منه عنوة».

وعلى الرغم من محاولة خورشيد باشا إقناع أحمد باشا بالتصدى للقبائل الهاربة من نجد إلى بيشه وإجبارهم على تسليم الجمال المطلوبة، إلا أن ظروف أحمد باشا لم تكن على مايرام، لأن مجموعة من قواته قد أصيبت بهزيمة قاسية في (بارق)[2] على يد قبائل بارق وبعض قبائل عسير الذين ساعدوهم في هذه المعركة، فكان أحمد باشا يعد العدة لرد اعتباره بين قبائل المنطقة وإعادة هيبته، إضافة إلى تفرق قواته في أكثر من موقع في السراة وتهامة لتهدئة القبائل ومنعها من الثورة. كما يضيف إلى ماسبق اعتذاره بقلة الغلال في شونه جدة مما

---

(١) محفظة ٢٦٤، عابدين، نمرة ٦، صورة الخطاب المؤرخ بغاية رمضان ١٢٥٤ لحضرة صاحب الدولة سر عسكر الحجاز، بشأن طلب الجمال اللازمة للزحف على عسير، ولم يذكر مرسله وأغلب الظن أنه من خورشيد باشا لورود خطابات منه فيما بعد بخصوص جمع الجمال من نجد لغزو عسير.

(٢) بارق: قبيلة تقع في الأغوار الغربية من تهامة بني شهر، في بلاد عسير. انظر، هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٥١.

يجعل علف الخيول من المستحيلات[1].

ونلاحظ مما جاء في الوثيقة السابقة أن موقف أحمد باشا كان صعباً جداً بخاصة وأنه لم يحقق أية مكاسب تذكر بعد انتصاره في بلاد غامد، وهو مايجعلنا نؤكد أن الهزيمة التي لحقت بعائض بن مرعي وإن أثرت على قوته كثيراً إلا أنها لم ترفع من معنويات أحمد باشا وجنده وإلا كيف نفسر تقاعس أحمد باشا عن القيام بأي عمل عسكري مهم بعد ذلك الانتصار الضخم الذي حققه قبل فترة قليلة، ولكن أحمد باشا لم يستمر طوال الوقت متخوفاً من الدخول في حرب سريعة مع قبائل عسير، فقد قرر أخيراً أن يدخل في حرب معهم مهما كانت النتائج وقام فعلاً بمهاجمة قبيلة قحطان لإرغامها على دفع الجمال اللازمة، ولكنه لم يصل إلى نتيجة مشرفة لهربهم في الصحراء بجمالهم ومتاعهم. كما عمل على تخويف بالقرن وبني عمرو وشمران لما سمعه منهم من خيانة وكراهية لجيشه، وفرض عليهم غرامات باهظة لعدم موافقتهم على بيع القمح لجيشه[2].

ولم يكن لجيش أحمد باشا هيبة في المناطق التي يسيطر عليها بدليل أن أحد قبيلة بلقرن قام بمساعدة بعض العساكر على الهرب، فقام أحد قادة محمد على بصلبه في السوق الأسبوعي مما دفع أخو المقتول إلى قتل أحد عساكر أحمد باشا وهرب إلى عسير، ولم يعثر عليه أحمد باشا رغم ماقام به من أعمال شنيعة ضد قبيلة بلقرن بسبب هذا

---

(١) محفظة رقم ٢٦٤ عابدين، الوثيقة بدون رقم، مؤرخة في ٥ ذي القعدة ١٢٥٤ هـ، صورة الخطاب الوارد من سر عسكر الحجاز يذكر الأسباب التي تمنعه من إرسال فرسان إلى رنية لمضايقه قحطان وعتيبه حتى يعطوا الجمال المقررة عليهم.

(٢) محفظة ٢٦٩ عابدين، ملخص الوثيقة التركية رقم ١٦١ حمراء، مؤرخة من أول محرم حتى ذي الحجة ١٢٥٤هـ، عدد (٦)، وهي عبارة عن تقرير مفصل عن أحداث عام ١٢٥٤هـ.

الحادث الذي لا دخل لهم فيه[1].

ويبدو من منطق سير الأحداث أن القوات التي كانت موجودة مع أحمد باشا في الحجاز لم تكن مسئولة وحدها عن إخضاع عسير بل كانت الاستعدادات تجرى على قدم وساق لمهاجمة عسير والقضاء على إمارة عائض بن مرعي، وتشير احدى الوثائق إلى أن الخطة العسكرية التي أعدت لمهاجمة عسير كانت تتضمن الإشتباك مع رجال ألمع في نفس الوقت الذي يتم فيه الهجوم على ريدة، وكان قد أعد لهذه الغاية قوات جديدة تتوجه لمهاجمة ريدة « أن الألايات الأربعة السالفة الذكر رؤساء المشاة الثلاثة الذين طلب إرسالهم من مصر سيسيرون جميعهم عن طريق الحجاز إلى المكان المسمى (ريدة) حيث توجد قرية عايض رأسا »[2]. ولتنفيذ هذه المهمة فقد طلب أحمد شكرى إرسال ألاى آخر من مصر عدا الألايات السابقة لأن « إرسال هذا الألاى إلى الخسعا[3] من شأنه أن يجعل المدد المنتظر تقديمه من رجال ألمع إلى عائض لا أهمية له »[4]، حيث كان يهدف أحمد شكري إلى إشغال رجال ألمع بالدفاع عن أنفسهم حتى لا يتمكنوا من تقديم المساعدة لعائض بن مرعي.

وقد حاول أحمد شكري أن يعلل طلبه للعساكر الكثيرة لمهاجمة عسير، بأن ذلك يعود إلى صعوبة هذه المنطقة وكثرة عدد سكانها حيث

---

(١) الوثيقة نفسها.

(٢) محفظة ٢٦٣ عابدين، الوثيقة رقم ١٧٢ حمراء، مؤرخة في ١١ ذي الحجة ١٢٥٤هـ، من أحمد شكري إلى حضرة صاحب الدولة. بشأن طلب زيادة العساكر لمهاجمة ريدة.

(٣) الخسعا: أسمها الصحيح الخسعة، وهى احدى الموانىء الساحلية التابعة لعسير وقتذاك، انظر:
عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٤) الوثيقة نفسها رقم ١٧٢ حمراء.

قال[1]: « إنّ هذا العدد من الجنود ليس بكثير على هـذه الجهة، إذ لـو رجعنا إلى رأى أهل الخبرة في هذا العـدد على كـثرة النفوس في العسـير وشدة وعورة أراضيها لأيدونا في رأينا ».

ونستنتج من الخطة السابقة أن أحمد باشا كان مصمماً على التقدم نحو عسير وفتح ريـدة، وكان يضع في حسابـه أنه سيـواجه رجـال ألمع فقط، ونلاحظ أن في كلامه السابق تجاهلاً لقبـائل عسـير الأخرى التي لا تقل عن رجال ألمع بل تفوقهم في العدد والعدة. وأهم تلك القبائـل عسير السراة بخاصة علكم وبني مغيد وبني مالك، إضافة إلى قحـطان وشهران الذين عادة ما يقفون مع أمير عسير عند الشدائد. كما أنـه من المعلوم أن أحمد باشا سبق أن استولى على عسير فـترة من الزمن دون أن ينال منها شيئـاً لأن عائض بن مـرعى اختفى بعض الوقت ثم قـام هو وقبائل عسـير بهجوم شـامل عـلى تلك الحملة بعد تـوزيعها في منـاطق مختلفة في عسير، فهزموا قـوات محمد عـلي وأجبروهم عـلى الخروج من عسير. فليست المشكلة ريدة ومناعة حصونها فقط، بل تـتركز المشكلة في صعـوبة ووعـورة المنطقـة، وكثرة رجـالها وخـبرتهم في الحروب التي تجرى داخل بـلادهم. لكثرة الحمـلات التي تعرضت لهـا المنطقـة منذ وصول قوات محمـد علي إلى الحجـاز. وهناك مشكلة خـطيرة فتت من عضد أحمد باشا وهي ظاهرة هروب قواته وتخليها عنه، بخاصـة جنده المـرابطين في العـلاية[2]، حيث تـذكر إحـدى[3] الوثـائق أنهم كانـوا

---

(١) الوثيقة نفسها.

(٢) العلاية: هي قاعدة بلاد بلقون، وتدعى سبت العلاية لاقامتها سوقها يوم السبت. انظر: حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران، ٤٨٣.

(٣) دار الوثائق القومية، القاهرة، تقرير مرفق بالمحفـظة ٢٦٦، نمرة ٦/٥، بـدون تاريـخ، من أحد قادة أحمد باشا في العلاية، إلى أحمد باشا، يشرح لـه فيها الحـوادث التي وقعت أثناء غيابه في رنية.

يهربون على مجموعات كل مجموعة تتكون من جنديين أو ثلاثة، وعلى الرغم من إعلانه للقبائل بجوائز لمن يدل على مكان أولئك الجند الهاربين، إضافة إلى هذا فإنه توعد من يساعدهم على الهرب بأشد العقوبات، إلا أن ذلك لم يجد شيئاً واستمرت ظاهرة هرب الجنود، على الرغم من التحذيرات المتكررة.

ولم يكن هروب أولئك الجنود من ثكناتهم بسبب نقص في المؤونة أو لتأخر رواتبهم، لأن تلك الحالات يتم تداركها فتشتري المئونة من أي مكان، ويتم صرف الرواتب دفعة واحدة، وإنما يرجع ذلك إلى عدم اقتناع هؤلاء، الجنود بشرعية الحروب التي يخوضونها ضد اخوانهم في العقيدة والدين، مما يجعلهم يقاتلون بلا هدف، فأدى ذلك إلى هرب البعض منهم إلى جهة عسير، لأنها هي الوحيدة التي ظلت تقاوم نفوذ قوات محمد علي في المنطقة[١].

وقد انشغل أحمد باشا عن الهجوم على عسير بجمع الجمال اللازمة للقيام بتلك الحملة، حيث بقى فترة طويلة في رنية وبيشة بهدف جمع الجمال اللازمة من قحطان، وقد ورده خطاب استفسار عن الذخائر اللازمة للزحف على عسير وهو موجود في رنية ووعد برد الجواب عليه عندما يعود إلى «سبت العلاية[٢]». وكان أحمد باشا يعمل بالتعاون مع القوات الموجودة في نجد على جمع الجمال اللازمة واستغرقت منه هذه العملية وقتاً طويلاً، وكأنه بعمله هذا يتباطأ عن

---

(١) الوثيقة السابقة.

(٢) محفظة ٢٦٦ عابدين، الوثيقة التركية رقم ١٢٥ حمراء، مؤرخة في ٢٠ صفر ١٢٥٥هـ من أحمد باشا إلى باشمعاون الخديوي.

الهجوم على عسير نظراً لمبالغته في الاستعداد لهذه الحملة[1].

ومع تثاقل أحمد باشا في الاستعداد للزحف نحو عسير، فقد صدرت إليه الأوامر بضرورة مهاجمة عائض بن مرعى والاستيلاء على قلعته الحصينة ريدة، مهما كانت الصعوبات. وقد رد أحمد باشا برسالة يشرح فيها موقفه، وموضحا أن ذلك يتطلب منه أن يتقدم بجنوده حتى يستولى على عسير ليتمكن بعد ذلك من التحرك بقواته باتجاه ريدة، ثم يحتاج بعد تقدم الجيش إلى وسائل تمكنه من انزال المدافع من جبال عسير إلى ريدة في تهامة، فقام أحمد باشا بطلب حبال متينة وأخشاب بالإضافة إلى مهندس قدير حتى يتمكن من تركيب تلك المدافع[2].

وكان موقع ريدة يتطلب أن تنقل المدافع بالحمل والجر لصعوبته ووعورته كما حدد أحمد باشا المدافع التي يحتاج إليها عند مهاجمة ريدة بقوله[3]:

«ولا ريب أن المدافع التي ستنزل إلى ريدة لا تضرّها إذا كانت من عيار خمسة أو ستة لرصانة الريدة، ولذا سننزل آخذين معنا مدفع أبوس من عيار ١٤، وثلاثة مدافع أبوس من عيار ٧، ومدفعاً من عيار ٥». وقد جاء الرد بالموافقة على ارسال المهندس والآلات اللازمة، وصدرت إليه الأوامر بالهجوم على عسير حال اكتمال جميع الاستعدادات[4].

---

(١) محفظة رقم ٢٦٧ عابدين، صورة المرفق العربي للوثيقة التركية رقم ٤٤، حمراء، مؤرخة في ٢٠ ربيع ثاني ١٢٥٥هـ، وهو عبارة عن رسائل متبادلة بين أحمد باشا وخورشيد باشا.

(٢) محفظة ٢٦٦، عابدين تركي، الوثيقة رقم ٥ أصلية ١٩٢ حمراء، العلاية، في ١٤ ربيع أول ١٢٥٥هـ، من أحمد باشا سر عسكر الحجاز إلى حسين باشمعان الخديوي.

(٣) الوثيقة السابقة، رقم ٥ أصلية ١٩٢ حمراء، افادة نمرة ٦، مؤرخة في ٧ جمادي الأول ١٢٥٦ هـ.

(٤) الوثيقة نفسها.

ونستنتج من الوثيقة السابقة حرص محمد علي الشديد على القضاء على إمارة عسير، ومحاولته تهوين أمر الزحف على عسير، وسهولة نقل المدافع إلى هناك، وفي المقابل نرى أحمد باشا متخوفاً من عسير، وحذرا في أحكامه وقراراته، فنجده يوافق على إمكانية سحب المدفع إلى عسير، ولكنه يستبعد إمكانية نزولها إلى ريدة إلا بعد صعوبات ومشقات كثيرة، بل إنه كان يدرك أنه لن يتمكن من إنزال المدافع إلى ريدة، ولكنه كان مضطرا إلى طاعة الأوامر.

وبطبيعة الحال فإن نزول المدافع إلى ريدة مستحيل بدليل ما حدث أثناء حصار رديف باشا لها، حيث عجز عن النيل منها ولم يتمكن من إنزال المدافع إلى تهامة عن طريق السراة، مما أجبره على تكليف مختار باشا بالقيام بالالتفاف على ريدة من جهة الغرب عن طريق الشقيق[1]. وتمكن بهذه الخطة المحكمة من نقل المدافع اللازمة إلى الشقيق ومنها إلى ريدة عن طريق «درب بني شعبة» وفاجأ محمد بن عائض من جهة تهامة، وهذا ما ساعد رديف باشا ومكنه من التغلب على عسير[2]. وعلى الرغم من صدور الأوامر إلى أحمد باشا بالهجوم على عسير، فإن هناك صعوبات واجهته ولم يتمكن من تذليلها، ويمكن حصر تلك الصعوبات في الآتي:

أولا: مشكلات الجنود ومرتباتهم التي أثيرت وسببت تذمّر الجنود وسخطهم لعدم ارسال مبالغ كافية من مصر، حيث تذكر

---

(١) الشقيق: ميناء يقع في تهامة عسير، وهو أقرب ميناء لريدة، ويبعد عنها مسافة أربع وعشرين ساعة على الأقدام.
انظر: عاطف باشا، يمن تاريخي (باللغة التركية)، جـ ٢ مطبعة الشركة الطبيعية، استانبول ١٣٢٦هـ، ص ٢٣.

(٢) عاطف باشا، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٣، ٢٤.

أحدى الوثائق[1] انه أرسل إلى خزينة مكة ألفى كيس من النقود، وأن ألفى كيس آتية بعدها. فرد أحمد باشا أن ذلك لا يكفي رواتب للجند الذين لم تدفع لهم مستحقاتهم منذ عام ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م، إضافة إلى ما تراكم على خزينة مكة من الديون التي لم يتم تسديدها. وقد أهتم محمد علي بتلك المشكلة، ووعد بارسال عشرة آلاف كيس خلال ثلاثة أيام[2].

ثانياً: مشكلات جمع الجمال اللازمة لسفر الجنود، لعدم التمكن من جمع الجمال من قحطان، لدرجة أنه حتى شهر جماد الأولى عام ١٢٥٥هـ، لم يتم جمع الجمال من قحطان بل بعث رسالة إلى سر عسكر نجد يطلب منه أن يخبره بمقدار ما فرض على القبائل المماثلة لقحطان، مثل عتيبة ومطير، ورد عليه سر عسكر نجد مبينا له المقادير المفوضة وتتراوح بين خمسة آلاف إلى ستة آلاف جمل[3].

ثالثاً: الأمراض التي انتشرت بين جند أحمد باشا، والتي توفى بسببها ما يتراوح بين خمسمائة إلى ستمائة جندي. بالإضافة إلى ظهور حالات التذمر بين الجنود ويتضح ذلك من رسالته التي يقول فيها[4]: «وانه مع كون المحل المسمى بني مالك الذي نزل فيه الألاى المذكور

---

(١) محفظة رقم ٢٦٦ عابدين، ملخص ترجمة الوثيقة التركية رقم ٨ أصلية، ٢ حمراء مؤرخة في غرة جماد أولى ١٢٥٥هـ، من أحمد باشا إلى الباشمعاون، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) الوثيقة السابقة نفسها، ارادة رقم ١٤، مؤرخة في ٣ جمادى الآخرة ١٢٥٥هـ، من الباشمعاون إلى أحمد باشا، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) محفظة ورقم ٢٦٩ عابدين، ملخص الوثيقة التركية رقم ١٦١ حمراء، عدد ٧، من ابتداء شهر محرم إلى غاية شهر ذى الحجة ١٢٥٥هـ، من أحمد باشا إلى صاحب الدولة عباس باشا، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٤) الوثيقة السابقة نفسها، عدد ٩، مؤرخه في ٢٠ جماد الآخرة ١٢٥٥هـ.

معتدل الهواء وأقام فيه تحت الخيام، فقد توفى منه بالقضاء والقدر نحو خمسمائة شخص إلى ستمائة. وأنه بتجمع الآلايات في محل على مسافة ستة أيام أو سبعة من مشى الجيش، وعلى مسافة يومين من مشي العرب إلى عسير من المحل الذي هم فيه، فقد ضاقت صدور الضباط فاضطروا إلى القيل والقال وبسبب عدم علمهم بعواقب الأمور، فإنه يرغب أن يعين شخصاً لتحقيق هذه القضايا. وأن مع كون محيط تهامة جيد الماء والهواء واعتداله أمر مشهود فقد مرض فيه جماعة زيدان أغا الموجودين ثمة، ولم يبق منهم صحيحاً غير خمسة أشخاص إلى عشرة وأن هذا المرض لم يكن خاصاً بالعسكر الجهاديين بل شمل الأهالي والفرسان».

وفي ظل هذه الظروف الصعبة، فلن يتمكن أحمد باشا من مهاجمة عسير. فضلا عن الصعوبات المادية التي كان يعانيها هو وضباطه وجنوده. فإن مشكلات نقل المؤن لم تحل البتّة، إضافة إلى انتشار الأمراض الفتاكة بين جنوده وهلاك عدد كبير منهم[1]. أضف إلى ذلك التذمر الذي أفصح عنه جنود أحمد باشا وضباطه على حد سواء. ولا شك أن تلك الحالة من اليأس والقنوط ستجعل ذلك الجيش في موقف لا يحسد عليه، ولن يستطيع قائده الاقدام على حرب مادام جنوده يملكون روحا معنوية منهارة.

ولقد تطورت الأمور في غير صالح قوات محمد علي التي تستعد للزحف على عسير، حيث صدرت الأوامر إلى أحمد باشا بالتوجه إلى المدينة للمساعدة في اخماد ثورة القبائل هناك، ومع أن أحمد باشا قد اعتذر عن التوجه إلى المدينة لانشغاله بمواجهة عائض بن مرعى الذي

---

(١) عبدالرحمن الرافعي، عصر محمد علي، ط ٣، مكتبة النهضة، القاهرة ١٩٥١، ص ٣٥٩، ٣٦٠.

أرسل محمد بن مفرح لجهة زهران ومعه مجموعة من رجال القبائل. وخشي أحمد باشا أن يقوم عائض بن مرعي ببسط سيطرته على المناطق القليلة التي تم الاستيلاء عليها مؤخراً(١). ومهما يكن فإن أحمد باشا لم يعد مستعداً للهجوم على عسير لانشغال محمد علي بالثورة التي قامت في المدينة المنورة، وبالتالي فإنه لن يرسل له أي إمدادات، وهذا من مصلحة عائض بن مرعي.

واستمر أحمد باشا يسير سير السلحفاة في الإستعداد للزحف على عسير، وكان يظهر في موقفه من الهجوم على عسير التسويف والمماطلة. فبينما تحمل قادة محمد علي في نجد واليمن والمدينة نقص الجنود والمؤن، وقسوة المناخ في تلك المناطق الصحراوية والساحلية، كان أحمد باشا يتنقل بين العلاية والباحة والطائف، مطالباً بزيادة الإمدادات ومعللا بنقص الجمال اللازمة لغزو عسير(٢). وإني لا أجد مبرراً لأحمد باشا في عدم الزحف على عسير سوى الخوف من الهزيمة. ولو كان هناك قائد غيره لإمكنه الدخول في معركة مع عسير بعد هزيمتهم في بلاد غامد وزهران عام ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م، ولكن خوف أحمد باشا فوّت الفرصة عليه، ومكن عائض بن مرعى من استرداد انفاسه ثانية، وتنظيم صفوفه وتجهيز رجال قبائله لطرد أحمد باشا من المناطق القليلة التي يسيطر عليها. وفي الوقت نفسه الذي كان فيه عائض بن مرعي ينظم قواته، كان رجال أحمد باشا يطاردون الرعاة

---

(١) محفظة ٢٦٦ عابدين، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٢٥ أصلية، ١١ حمراء، مؤرخة في ٣ شعبان ١٢٥٥هـ، من أحمد شكري إلى حسين باشا باشمعاون الخديوي، دار الوثائق القومية، القاهرة.

(٢) محفظة ٢٦٤ عابدين، ورقة ١٥، الوثائق بدون رقم ٢ مؤرخة في أول شوال ١٢٥٥هـ، صورة كتاب من الباشا سر عسكر الحجاز إلى خورشيد باشا. دار الوثائق القومية، بالقاهرة.

العزل من السلاح استعداداً للزحف على عسير[1].

وبينما كان أحمد باشا لا يزال يدور في حلقة مفرغة دون أن يستطيع الهجوم على عسير، وصلت إليه الأوامر بالرحيل من شبه الجزيرة العربية ومعه جميع العساكر الموجودين في الحجاز ونجد واليمن[2]. وكان ذلك الأمر بمثابة فجر جديد لعائض بن مرعى، لأنه دون شك سيجد الفرصة متاحة أمامه لاستعادة ما فقده من إمارته، بل سيشكل خطورة كبيرة على الحجاز، ولذلك فقد استأذن أحمد باشا في أن يعقد صلحا مع عائض بن مرعى، مع إشارته إلى الصعوبات التي واجهته مثل أمراض الجنود وصعوبة التموين ونقص السفن وقت الرحيل[3].

ولم يكن أمر الانسحاب سهل بالنسبة لأحمد باشا لأن جيشه كان موجوداً في منطقة جبلية تصلح لحرب العصابات، ولذلك فقد بعث برسالة يقول فيها[4]: «لقد جاءنا طامي في هذه الآونة وبمجرد ما جاء شاع بين جميع العرب أن العسكر الذين في اليمن سيذهبون إلى مصر، وكنا طلبنا مشائخ بني شهر ومضى على طلبنا أياهم عشرة أيام فلم يحضر منهم أحد، فيا ترى هل عدم حضورهم بسبب ما شاع؟ ثم إنه وفقاً لما كتبناه لكم قبل ارسلنا جميع عتاد الألايات إلى القنفذة وستنتهي من أمر تحمل ذلك وارساله في خمسة أو ستة أيام وبعدها نبعث

---

(١) محفظة ٢٧٠ عابدين، الوثيقة بدون رقم، مؤرخة في ١٦ ذي القعدة ١٢٥٥هـ، مرسلة من أحمد شكري إلى المعاونة السنية، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) محفظة ٢٦٩ عابدين، الوثيقة رقم ٢٠ أصلية، ١٣٢ حمراء، ورقة ٤، نمرة ١٢، بدون تاريخ، مرسلة من أحمد باشا إلى الجناب العالي، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) محفظة ٢٦٩ عابدين، الوثيقة رقم ٢٠ أصلية، ١٣٢ حمراء، ورقة ٣، نمرة ٩ مؤرخة في ١٦ صفر ١٢٥٦هـ من أحمد باشا إلى الجناب العالي.

(٤) محفظة ٢٦٩ عابدين، الوثيقة ررقم ٦ أصلية، ١٧٥ حمراء، مؤرخة في ٨ صفر ١٢٥٦هـ، مرسلة من أحمد باشا إلى الجناب العالي، بشأن عصيان مشائخ بني شهر.

الألايات، ثم ان عصاة عسير ولو أنهم يقصدون اليمن، ولكن ليس من المصلحة أن نترك محلنا ونغادره لاحتمال أن يتوجهوا نحونا، وبعد وصول القنفذة سنراقب إبراهيم باشا وهو ينسحب فإذا حصلت له صعوبة امددناه».

ونستنتج من الوثيقة السابقة مدى الحيطة والحذر اللذين اتخذهما أحمد باشا عند الانسحاب من الحجاز، إضافة إلى إنها تعطينا فكرة واضحة عن كراهية قبائل المنطقة لقوات محمد علي، بدليل عصيان تلك القبائل لأحمد باشا بمجرد علمهم برحيل قواته عن الحجاز. كما كان أحمد باشا يخاف أن يتعرض والي اليمن إبراهيم باشا لهجمات أثناء انسحابه من اليمن. وعلى الرغم من السرية التي رافقت انسحاب قوات محمد علي من الحجاز واليمن إلا أن قبائل عسير كان لديهم علم برحيل تلك القوات، لوجود كثير منهم في الحجاز مع اتصالهم المستمر بعسير، ولوجود الكثير من العسيريين الذين يتعاونون مع قوات محمد علي ويطلعون على مخططاتها. ومع علمهم برحيل تلك القوات إلا إني أرجح أن العسيريين لم يكونوا ينوون القيام بأي هجمات على قوات محمد علي وهي تنسحب من عسير، لأن هدفهم هو جلاء تلك القوات وليس الانتقام منها، بدليل ما قام به محمد بن مفرح المغيدى عندما وافق على خروج الحامية العثمانية الموجودة في (أبو عريش) سالمين وحمايتهم إلى أن تم ترحيلهم من ميناء ينبع في إحدى رسائله[1].

ولكن مخاوف أحمد باشا ازدادت عندما وصلته الأخبار أن مشائخ بني شهر على وشك إتباع عائض بن مرعى، وأن جميع القبائل

---

(١) محفظة ٢٧٠ عابدين، ترجمة الوثيقة نمرة ٧١ حمراء، مؤرخة في ١٩ ربيع الأول ١٢٥٦هـ، من مصطفى توفيق محافظ ينبع إلى باشمعاون الخديوي.

التي كانت تابعة له قد أصبحت في حالـة ثورة عـلى قوات محمـد على، وذلك بسبب تحريض عائض بن مرعي لهم على الثورة، وقد عقد أحمد باشا العـزم على بقـاء العساكـر في تهامـة استعداداً لـلإنسحاب، بينـما يرسل العساكر الجهادية إلى المخواة[١] حتى يواجهـوا قوات عـائض بن مـرعى فيما لـو حـاول الهجـوم عليهم ريثـما يعـود هـو إلى السراة مـرة ثانية[٢].

ومـع أن الأوامر كـانت قد وصلت سـراً إلى جيوش محمـد عـلي بـالإنسحاب من الجـزيرة العـربيـة، إلا أن مجلس جـدة كـان لا يـزال يتناقش في كيفية تدبير الحبال اللازمـة لغزو عسـير، واستقرت المنـاقشة أخيـراً على وجـود تلك الحبال في مـوانيء اليمن وضرورة تدبـيرهـا من هناك مباشرة[٣].

ونـلاحظ مما سبق سرّيـة الأوامـر الصـادرة بشـأن الإنسحـاب، وكـذلك الـروتين المعقـد الذي آلت إليـه مسألـة الإستعـدادات لغـزو عسير، مما جعل تلك الاستعدادات تستمـر زمنا طـويلاً دون الـوصول إلى درجة الإستعداد الكامل لإخضاع هذه المنـطقة لنفـوذ محمد عـلي. ومما زاد الموقف صعـوبة بـالنسبة لقـوات محمد عـلي أن بعض بني شهر وبعض مشـائخ بيشـة اتصلوا بعائض بن مـرعي، وأن جميع القبـائـل أخذت تنتشر فيها الأراجيف والأخبار عن رحيل قـوات محمد عـلي، مما دفـع وكيل محـافظ مكة إلى إرسـال آلاى إلى بـلاد غـامـد إضـافـة إلى

(١) المخوّاة: هي قرية تابعة لقبيلة زهران في تهامة، وتتبع فرعـاً من زهران يسمـون آل عمر العلي، انظر: حمد الجاسر، في سراه غامد وزهران ص٢٥٨.

(٢) محفظة ٢٦٩ عابدين، الوثيقة رقم ٢٠ أصلية، ١٣٢ حمراء، نمرة ٢١٦، مؤرخـة في ١٢ ربيع الأول ١٢٥٦هـ، مرسلة من أحمد باشا بشأن الوضع في عسير.

(٣) محفـظة ٢٧٢ عابـدين، الوثيقـة رقم ٨٠ حمراء، مؤرخـة في ٢١ ربيع الأول ١٢٥٦هـ، وهي ترجمة للخلاصة المستخرجة من مضبطة مجلس جدة.

العساكر الجهاديين لمواجهة أي حركة محتملة[1].

وقد استفحل الموقف وازداد صعوبة بالنسبة لقوات محمد علي عندما أخبرهم جواسيسهم باستعداد عائض بن مرعي للحرب، فورد في رسالة عن تلك الاستعدادات مايلي[2]: «لقد كتب لنا محافظ القنفذة أنه علم من إنهاء الجاسوس الذي أرسله لتجسّس أحوال الشقي عائض ان الشقي المذكور دعا عنده مشائخ القبائل الذين معه، ونبّه عليهم أن يكونوا حاضرين تحت الطلب لليوم المعلوم الذي يريد أن يثور به، وأنه أعد غلالاً تكفي لمدة شهرين، ولكنه لما سمع أنا قمنا بالعسكر إلى جهة غامد وزهران فترت عزيمته وركدت همته، ومع ذلك نبه على العرب أن يكونوا حاضرين تحت الطلب لليوم المعلوم الذي يريد أن يثور به فبعثنا من طرفنا جواسيس موثوق بهم إلى تلك الجهات ليأتون بما يسمعونه وعندما يعودون سنعرف منهم ما عليه عايض الشقي». كما تشير الوثيقة إلى اختلال الأحوال في بيشة وإلى هجمات قاموا بها على الفرسان الموجودين بقلعة بيشة، وتشير الوثيقة كذلك إلى إلقاء القبض على مجموعة من شيوخ غامد وزهران وهم، حسين بن شهوان وابن باخروش وجمعان بن راشد بن رقوش، وعبد العزيز الغامدي، ومحسن بن جعال وغيرهم[3].

(١) محفظة ٢٧٢ عابدين، الوثيقة نمرة ١٢ أصلية، ١٠٨ حمراء، مؤرخة في ٢ ربيع الآخر ١٢٥٦هـ، من محمد أمين وكيل محافظ مكة إلى رئيس معاوني جناب الخديوي.

(٢) محفظة ٢٦٩ عابدين، الوثيقة نمرة ١٩ أصلية، ١٢٣ حمراء، مؤرخة في ١٥ ربيع الثاني ١٢٥٦هـ، من أحمد شكري إلى صاحب الدولة.

(٣) محفظة ٢٦٩ عابدين، الوثيقة رقم ١٩ أصلية ١٢٣ حمراء، مؤرخة في ٥ ربيع الآخر ١٢٥٦هـ مرسلة من أحمد شكري إلى صاحب الدولة، محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

ونستنتج من الوثيقة السابقة أن الثورة ضد قوات محمد علي شملت عسير جميعها، وحتى المناطق التي خضعت لأحمد باشا مثل بيشه وبلقرن وغامد وزهران حيث قامت تلك القبائل بإظهار التمرد على قوات محمد على هناك، وقد اضطر أحمد باشا إلى العودة من تهامة إلى بلاد غامد وزهران لتهدئة الموقف حتى يحين موعد الرحيل[1].

وعندما أدرك الشريف محمد بن عون وأحمد شكري ازدياد نفوذ عائض بن مرعي، بعدما بلغه قرب رحيل قوات محمد علي من الجزيرة العربية، قاما بإرسال تقرير إلى محمد علي، يشرحان فيه الموقف في الحجاز وعسير، وقوة عائض ابن مرعي المتنامية، وإمكانية إعادته السيطرة على قبائل غامد وزهران. ثم طلبا في رسالتهم تمديد بقاء القوات في الحجاز إلى أن تهدأ الأحوال وتستقر الأمور[2]. وعلى الرغم من اعتراف محمد علي بوجاهة رأيهما إلا أنه طلب منهما تنفيذ الأوامر قائلاً[3] «ان ما قررتموه وان كان في محله، ولكن مقتضى الوقت والحال لا يحتمل تمديد المدة في ذلك الطرف». وطلب أن يحمل العسكر على السفن الموجودة في جدة والقصير وينبع، وأن يكون سفر العساكر متوالياً دون حدوث فترات طويلة بين سفر كل فرقة وأخرى.

وهكذا صدرت الأوامر بشكل مفاجيء لقادة محمد علي في الحجاز، حتى أن أحمد شكري والشريف محمد بن عون لم يكن لديهما علم بالسبب الحقيقي للإنسحاب، وعلى الرغم من توسلهما وطلبهما بقاء تلك القوات ولو مؤقتاً، إلا أن الأمر كان صريحاً وحازماً، مما يؤكد

---

(١) الوثيقة السابقة.

(٢) محفظة رقم ٢٦٩، الوثيقة رقم ٤٢ أصلية، ٣٩ حمراء، مؤرخة في ٩ رجب ١٢٥٦هـ، مرسلة من أحمد شكري إلى صاحب الدولة، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) محفظة رقم ٢٦٩، الوثيقة رقم ٤٢ أصلية، ٣٩ حمراء، الإدارة رقم ٢٣ مؤرخة في ٢٩ رجب ١٢٥٦هـ من صاحب الدولة إلى أحمد شكري دار الوثائق القومية بالقاهرة.

أن السر وراء هذه الأوامر هو إتفاقية لندن عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م، تلك الإتفاقية التي أجبرت محمد علي على الجلاء عن الجزيرة العربية والشام. ومع أنه قد أصبح من المؤكد إنسحاب قوات محمد علي من الجزيرة العربية، إلا أن الشريق محمد بن عون حاول أن يثبت قوته ويبرهن لعسير أنه لا يزال مستعداً لمواجهتهم، حيث توجه مع بعض قواته إلى الطائف في طريقه إلى عسير ومما قال في رسالة بهذا الخصوص: «أما ما يتعلق بالداعي فإني لما كنت في مكة أخذت خبراً عن العسيريين أنهم عزموا أن يزحفوا على بني شهر فعليه قد عزمنا أن أقوم أنا وحضرة صاحب الدولة أحمد باشا من الطائف يوم ٢٥ رجب ١٢٥٦هـ، ونذهب إلى الباحة كما سطرنا هذا في التقرير الذي قدّمناه لا عتاب ولي النعمة، مع الكتاب المؤرخ في ٩ رجب ١٢٥٦هـ، فعندما نصل إليها ستنزل العسكر من العقبة إلى القنفذة ولكن إذا أحسسنا أن أولئك الأشقياء المناحيس سيقومون بحركات فسادية قبل إنزال العسكر من العقبة إلى القنفذة فإننا سنصطدم بها ونمنعهم عن بلوغهم آمالهم»[1].

ولم تنجح محاولات محمد بن عون الاستفادة من بقاء قوات محمد على في الحجاز، بهدف إرهاب عسير وتخويفهم بقوته وقوة حلفائه، لأن الأمر السابق المؤرخ في ٢٧ رجب ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م، قد جاء لينقض كل مخططات محمد بن عون، لأنه كان أمرا صريحاً بعدم التريث ومغادرة الأراضي الحجازية في أسرع وقت ممكن[2].

---

(١) محفظة رقم ٢٦٩، الوثيقة رقم ٦١ أصلية، ١١٢ حمراء، مؤرخة في ٢٣ رجب ١٢٥٦هـ، مرسلة من الشريف محمد بن عون إلى الجناب العالي. دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) محفظة رقم ٢٦٩ عابدين، الوثيقة رقم ٤٢ أصلية، ٣٩ حمراء، الإدارة رقم ٢٣، مؤرخة في ٢٧ رجب ١٢٥٦هـ، من صاحب الدولة إلى أحمد شكري دار الوثائق القومية بالقاهرة.

وقد تمت الإستجابة للإرادة العليا الصادرة من محمد علي، وتم رحيل القوات المصرية تباعاً من اليمن والحجاز ونجد، وأرسل الألايان السابع والعشرين والثامن والعشرين في ٢٩ رجب ١٢٥٦هـ. كما بدأت الاستعدادات لإرسال الألاى الخامس عشر القادم من نجد[١]. وتم رحيل أحمد باشا هو والألاى الثالث عشر في ٢٧ شعبان ١٢٥٦هـ، كما تقرر إرسال الجنود الجهادية فيما بعد[٢]. وكان آخر ما تم رحيله عن الحجاز الألايان الثالث والعشرين والسابع. وكانا يتمركزان في مكة المكرمة. وكانت الجهات التي قدمت منها قوات محمد علي هي: جهة اليمن، وجهة الأقطار الحجازية، وجهة نجد والدرعية. وتم الرحيل عن طريق مينائي جدة وينبع[٣]، مما يؤكد لنا أن الرحيل كان شاملاً لجميع قوات محمد علي في الجزيرة العربية، وكانت نهاية وصول تلك القوات في ٨ ذو الحجة عام ١٢٥٦هـ[٤].

(١) محفظة رقم ٢٧٠ عابدين، الوثيقة رقم ٣٥ أصلية، ١٦٨ حمراء، مؤرخة في أول شهر شعبان عام ١٢٥٦هـ، من محافظ ينبع مصطفى توفيق إلى صاحب الدولة، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) محفظة ٢٧٠ عابدين، الوثيقة رقم ٣٦ أصلية، ٢٥٤ حمراء، مؤرخة في ٢٨ شعبان ١٢٥٦هـ، من محافظ جدة إلى صاحب الدولة، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) محفظة ٢٧٠ عابدين، الوثيقة رقم ٤٢ أصلية، ٣٣١ حمراء، مؤرخة في ٢٥ رمضان ١٢٥٦هـ، من محافظ ينبغ إلى صاحب الدولة، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٤) محفظة ٢٧٠ عابدين، تلخيص الوثيقة نمرة ٢٣١ حمراء، مؤرخة في ٢٨ ذو الحجة ١٢٥٦هـ، من محافظ القصير حسين أفندي إلى باشمعاون الخديوي دار الوثائق القومية بالقاهرة.

انظر: د. سليمان بن محمد الغنام، قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية، ط ١، الناشر تهامة، جدة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ص٩٩ - ١١٧.

أثر حملات محمد علي على سكان عسير بخاصة وشبه الجزيرة العربية بعامة :

تكوّنت حملة محمد علي على شبه الجزيرة العربية من بعض العناصر السيئة في جيشه آنذاك، فكان معظم رجالها من الترك والألبان، الذين لا يؤمنون بالقيم الإسلامية الخالدة وكان هناك عدد كبير من المدفعيين والفنيين الأجانب من غير المسلمين. وقد أمعن هؤلاء في السلب والنهب وإرتكاب المظالم، حتى أن السكان المحليين ظلوا إلى عهد قريب يتحدثون عن جرائمهم وآثامهم. ولا عجب أن يحصل هذا من جيش كل قادته من الترك والألبان والشراكسه[1].

ولقد شهد عبد الرحمن الجبرتي[2] المؤرخ المصري المعاصر، بما كان عليه ذلك الجيش الذي توجه إلى شبه الجزيرة العربية من إفطار في رمضان وشرب للخمور ومبالغة في اللهو والعبث. ثم عندما وصل ذلك الجيش إلى عسير كانت أفعاله وأفعال قادته تحمل الكثير من القسوة والهمجية، فقطع الآذان والروؤس شيء طبيعي، وحرق القرى والمزارع أمر واجب على ذلك الجيش الذي جاء بحجة إعادة الأمن والهدوء إلى ربوع تلك البلاد[3].

يقول أمين[4] سعيد عن هذه الحملة وآثارها : « ولقد حملت

---

(١) مجلة الدارة، السنة الثالثة، العدد ٣ شوال ١٣٩٧هـ، السيد أحمد مرسى عباس، حقائق جديدة عن حرب الدرعية، ص ٦٦ - ٧٩.

(٢) الشيخ عبد الرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار جـ ٣، دار الفارس، بيروت (بدون تاريخ) ص ٣٢٥، ٤٣١، ٣٦٦.

(٣) انظر: جاكلين بيرين، اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدرى قلعجى، دار الكتاب العربي، بيروت (بدون تاريخ) ص ٢٦٥، ٢٦٦.

(٤) أمين السعيد، المرجع السابق، مجلد ١، ص ١٢٩.

حملة محمد علي إلى شبه الجزيرة العربية الفساد والرشوة والخراب والدمار. وأحرقت مدنها وقراها وقتلت أبناءها ورجالها، وذهبت بكل ماكان فيها من عمران، ونشرت الأمراض الخبيثة في أرجائها فقد كانت حتى دخولها نظيفة من كثير من الأمراض التي لم تكن معروفة بالشرق العربي كالإفرنجي والسيلان وغيرهما».

ويرى الدكتور[1] فاروق أباظة في حملة محمد علي على عسير رأياً مخالفاً لكل ماسبق، ويؤكد أن هذه الحملة نجحت في القضاء على السعوديين أعداء الدولة العثمانية، وأنها أقامت إدارة مستقلة في تلك البلاد، «ونشر المصريّون في ربوع تهامة ألوية الأمن والطمأنينة وأقاموا إدارة في تلك البلاد، وكانوا أول من ألقى الضوء على أهلها في العصور الحديثة، وقد تسلّم العثمانيون بلاد اليمن من المصريين بعد أن أصبحت أكثر نظاماً واستقراراً، فتهيّأت لهم الفرصة بأن يحكموها بيد أقوى وسلطان أظهر مما كان لهم قبل أن تتعهدها يد الإدارة المصرية بالتنظيم».

ومهما يكن من شيء فإن حكم محمد علي لإجزاء شبه الجزيرة العربية التي استولى عليها لم يتمتع بالاستقرار، بل كان حكماً قسرياً مفروضاً بقوة السلاح، ولم يتوان أبناء الجزيرة العربية عن مقاومته بكل السبل المتاحة لهم، فبقيت قوات محمد علي في حاله حرب مستمرة مع السكان المحليين مما جعل دورها يقتصر على المواجهة مع السكان المحليين، دون أن يتمكنوا من تقديم مايفيد شبه الجزيرة العربية.

ولقد ترتب على حملات محمد علي على عسير نتائج هامة بالنسبة لأهالي عسير بخاصة، وبالنسبة لكافة أهالي المناطق المجاورة لعسير في الجزيرة العربية بعامة. ويعود ذلك إلى أن مشلكة عسير لم تقتصر على

---

(١) د. فاروق عثمان أباظة، الحكم العثماني في اليمن، ص ٤١، ٤٢.

الحرب بين عسير وبين قوات محمد علي، بل كانت تلك المشكلة قد أدت إلى إلحاق أفدح الأضرار بأغلب سكان وقبائل الجزيرة العربية، وقد ترتب على هذه الحملات عدة نتائج أهمها :ـ

١ ـ الجمال والغرامات :

على الرغم من أن القوات المراد إرسالها إلى عسير موجودة في الحجاز، إلا أن الأوامر قد وصلت إلى خورشيد باشا تطلب منه القيام بجمع الجمال المقررة على قبائل نجد، وأن يقوم بجمعها بكل الوسائل لإرسالها عند الطلب، وصرّح له بمقاتلة من يمتنع عن إعطاء الجمال المقرّرة وأخذها منهم بالقوة، وقد أدى ذلك إلى إجبار قبائل من نجد مثل قحطان وعتيبة على الإنسحاب إلى بيشة هرباً بأموالهم وجمالهم، وعندما لاحظ خورشيد ذلك طلب من أحمد باشا أن يهاجم القبائل النجدية التي اتجهت إلى بيشة عن طريق إرسال قوات من (رنية)[1]، وعند هربهم وعودتهم إلى نجد يتمكن خورشيد باشا من التضيق عليهم وإجبارهم على تقديم ماطلب منهم من جمال[2].

وعلى الرغم من فرار تلك القبائل بجمالها ومحاولتها التخلص من أعمال السخرة هذه إلا أن كثيراً من تلك القبائل قد تم التضييق عليها ودفعت ماطلب منها من جمال. فقد تم إحضار ستمائة جمل من

---

(١) رنية: اسم واد يتألف من مجموعة من الشعاب، وهو ملك لقبيلة سبيع، ويتجه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، وينتهى في عرق الدواسر، وعلى ضفتية عدد كبير من القرى.
انظر: فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ط ٢، كتبة النصر الحديثة، الرياض ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص ٤٨.

(٢) محفظة ٢٦٤ عابدين، الوثيقة نمرة (٦). مؤرخة لغاية رمضان ١٢٥٤هـ، مرسلة من خورشيد باشا إلى سر عسكر الحجاز أحمد باشا، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

عتيبة، تم بواسطتها نقل المؤمن من الطائف إلى تربة[1]. كما طلبت الجمال من بقوم وشلاوة لتحميل الذخيرة اللازمة للألاى التاسع عشر، وتم احضار تلك الجمال من هاتين القبيلتين[2].

ولم يكن الأمر سهلاً بالنسبة لقوات محمد علي فقد كانت تلقى الأمرّين من جراء مطاردة تلك القبائل في محاولة للحصول على الجمال اللازمة للزحف على عسير ومما يدل على صعوبة تلك العمليات أن أحمد باشا اضطر إلى الاعتذار من خورشيد باشا عن عدم إمكانية إرسال عساكر للتضييق على قحطان وعتيبة اللتين اتجهتا نحو بيشة، حيث تعلل بثورات كثيرة قامت في جهاته. وذكر أن قواته تفرقت للقضاء على تلك الثورات. كما كان يشتكى أيضاً من قلة أعلاف الخيول لديه في ذلك الوقت[3].

وقد استخدمت القبائل وسائل متعددة للهروب وانتحلت العديد من الأعذار كي تحافظ على أموالها وجمالها. وعلى الرغم من قيام قوات محمد على بالقبض على بعض رؤساء القبائل لإقناعهم باجبار قبائلهم على دفع الجمال المقرّرة عليهم، إلا أنه لم يبق لشيخ القبيلة أي سلطة حقيقية على أفراد قبيلته، لأن أفراد قبيلته كانوا يعصونه ويهربون عنه، ولذلك فقد تبودلت الرسائل بين أحمد باشا وخورشيد باشا من

---

(١) تربة: واد من أشهر أودية السراة، تجتمع فيه أودية بلاد زهران وأودية بلاد بني مالك وقسم من أودية بلاد الحارث، يبعد عن الطائف حوالي ١٣٠ كيلا.
انظر حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران، ص ١٣.

(٢) الوثائق الخاصة، الحجاز (٣)، مؤرخة في ٢٤ القعدة ١٢٥٣هـ، من الحجاز إلى وزير الداخلية.
محفظة ٢٦٦ عابدين، تابع الوثيقة رقم ٢٥٤ حمراء، إرادة مؤرخة في ٢ رمضان ١٢٥٥هـ، من المعية إلى أحمد باشا.

(٣) محفظة رقم ٢٦٤، الوثيقة بدون رقم، مؤرخة في ٥ ذي القعدة ١٢٥٤هـ، من أحمد باشا إلى خورشيد باشا، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

أجل تضييق الخناق على تلك القبائل. ويتبين من تلك الرسائل مدى ضخامة أعداد الجمال المفروضة على تلك القبائل، فمثلاً فرض على قحطان ستة آلاف جمل، وعلى مطير أربعة آلاف جمل، وعلى كل من عتيبة وعنيزة ثلاثة آلاف جمل، أما القبائل الأخرى كحرب وغيرهم فقد فرضت عليهم أعداد أقل[1].

وقد اختلفت الطريقة التي كانت تتم بواسطتها جمع الجمال، فأحياناً كانت القوات تأخذها عن طريق السخرة، وتكون عادة لرحلة واحدة فقط. وأحياناً تؤخذ بالأجرة كما جرى مع قحطان عندما طال تمرّدهم وردت الوعود لهم بأن تلك الجمال ستكون بالأجرة، ولكن الأجرة لن ترسل إليهم إلا بعد وصول الجمال المفروضة عليهم إلى الطائف[2]، ولكن الشيء الذي اتفقت عليه جميع القبائل هو عدم الموافقة على إعطاء تلك الجمال لقوات محمد علي، ولاشك أن ذلك يعود إلى عدم وجود الضمانات الكافية لهم بعودة تلك الجمال سالمة، وعدم حصولهم على الأجرة المتفق عليها لأن ذلك الاتفاق يقوم بين طرفين أحدهما قوى والآخر ضعيف، وما لم يكن هناك رادع يخشاه قادة محمد علي فإن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد إستدراج تلك القبائل حتى توافق على إعطاء الجمال المطلوبة منها، دون الإهتمام بالوفاء بالتعهدات التي قطعوها على أنفسهم لتلك القبائل.

وهناك مسألة مهمة وهي تنقل القبائل البدوية من مكان إلى آخر بحثاً عن الماء والمراعي، ففي أحياناً كثير تتعرض بعض القبائل

---

(١) محفظة ٢٦٧ عابدين، صورة المرفق العربي للوثيقة التركية رقم ٤٤ حمراء، المؤرخة في ٢٠ ربيع الثاني ١٢٥٥هـ، صورة الخطاب من أحمد باشا إلى خورشيد باشا، وصورة الرد من خورشيد. دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) الوثيقة السابقة.

للملاحقة والمطاردة للحصول منها على الجمال المقرّرة عليها، مع أن تلك القبائل كانت قد وفت بما عليها من التزامات، فإن قسماً كبيراً من قبيلة قحطان كانت تنتقل مابين نجد والحجاز، ففي مثل هذه الحالة كان أحمد باشا سر عسكر الحجاز يعطي القبائل التي أخذ جمالها ما يثبت ذلك. ونبه على خورشيد باشا ألا يتعرض من يحمل ورقة منه تثبت بأنه قد دفع ماعليه من جمال(1).

ولقد استخدم أحمد باشا القسوة ضد تلك القبائل التي لا حول لها ولا قوة. فكانت تحاول الهروب بجمالها وأموالها من بطشه فيلاحقهم دون تمييز ففي مرة واحدة قامت قوات أحمد باشا بمطاردة حرب ومطير وغنمت منهم ألفى بعير وستة عشر ألف شاة وقتلوا خمسة عشر نفرا من رعاتها، وعادوا بما غنموا إلى الخرمة(2) وقد كتب أحمد باشا رساله إلى محمد علي يخبره فيها بعمليات المطاردة التي كان يمارسها ضد قبائل شبه الجزيرة العربية، لأنه يعتبر ذلك ضمن استعداداته لغزو عسير(3).

ومما يلاحظ على الحملات التي يقوم بها جنود محمد علي لجمع الجمال، إنها كانت تقع ضد قبائل تعتبر خاضعة لقوات محمد علي آنذاك، ولم تقم تلك القبائل بأى ثورة على قوات محمد علي أو تخلّ

---

(1) محفظة 269 عابدين، ملخص الوثيقة التركية رقم 161 حمراء، عدد (7)، مؤرخة في غرة جماد الأولى 1255هـ، من أحمد باشا إلى خورشيد باشا دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(2) الخرمة، واد يقع إلى الشمال الشرقي من وادي تربة، وتقطنه قبائل من سبيع والبقوم، وكان هذا الوادي مسرحاً لعدد من المعارك بين قوات الملك عبد العزيز وبين إشراف الحجاز عام 1327هـ/ 1919م.
انظر: فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص 30 ـ 42.

(3) محفظة 270 عابدين، (9) الحجاز، الوثيقة بدون رقم، مؤرخة في 16 ذي القعدة 1255هـ، مرسلة من أحمد باشا إلى المعاونة السنية، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

بالأمن في المناطق التي تنتشر فيها. مثل حرب ومطير وعتيبة وقحطان وعنزة وبقوم وشلاوة، وكانت الجريمة التي ارتكبتها هذه القبائل أنها تهرب حفاظاً على جمالها وأموالها من هذه السخرة التي تطبقها قوات محمد علي عليها.

ولقد اتبع أحمد باشا الأسلوب نفسه مع قبيلة قحطان، وأرسل مجموعة من قواته لارغام قحطان على تسليم الجمال المقررة عليهم، فقامت تلك القوة بمطاردة بعض الرعاة من قحطان حتى وادي الدواسر، ولم تحصل منهم إلا على أربعين هجيناً تمَّ الإستيلاء عليها، وبعد قتل عدة أنفار من رعاتها، ثم عادت قوات أحمد باشا إلى رنية خوفاً من نفاد المؤونة[1].

وكان المطلوب لغزو عسير خمسة عشر ألف جمل، تعرضت قبائل الجزيرة العربية للبطش والعدوان في سبيل جمعها. وفي رأيي أنه لن يعود إلا عدد قليل من الجمال إلى أصحابها، نظراً لعدم رحمة أولئك العسكر الذين تسلموا تلك الجمال، فهلك منها في الطريق عدد كبير، مما دفع أحمد باشا إلى طلب المزيد من الجمال من عتيبة وقحطان. وقد وضح أحمد باشا ذلك بقوله[2]: «تعلمون أن الجمال المطلوبة لأجل عسير خمسة عشر ألف جمل، والذي أرسلتموه في هذه المرة برفقة القائمقام محمد أغا خمسة آلاف وأربعمائة وثمانية وأربعين جملاً تسلمناها يوم تاريخه ووزعناها بالتسليم للأشراف لأجل أن ترعى في تهامة، وقد هلك منها في الطريق تسعمائة وتسعين جملاً».

---

(١) محفظة ٢٦٦ عابدين تركي، الوثيقة نمرة ٦/٥ من العلايا في ٩ جماد الأولى ١٢٥٥هـ، مرسله من أحمد باشا سر عسكر الحجاز إلى باشمعاون الخديوي دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) محفظة ٢٦٤ عابدين، ورقة ١٥، الوثيقة بدون رقم، مؤرخة في ١ شوال ١٢٥٥هـ، مرسلة من سرعسكر الحجاز أحمد باشا إلى الجناب العالي دار الوثائق القومية بالقاهرة.

ومما يدعم رأيي بهلاك أغلبية الجمال التي جمعت للزحف على عسير، طول المدة التي استغرقتها عملية جمع الجمال مما يؤدي إلى هلاك الكثير من الجمال التي تم الحصول عليها فإذا كان قد هلك حوالي خمس هذه الجمال في الطريق فكم ياترى سيهلك أثناء وجودها في تهامة ؟ وكم سيهلك عندما تجمع مرة أخرى استعداداً للغزو ؟ وماذا سيحصل لها بعد أن تحمل تلك الأحمال الكبيرة وتمشى تلك المسافات الطويلة في طريقها إلى عسير ؟ إني أشك في كونه سيبقى منها شيء على قيد الحياة، أي أن قبائل الجزيرة العربية دفعت خمسة عشر ألف جمل لقوات محمد علي، لم يرجع منها إلا القليل، اضافة إلى ذلك فإنها لم تعط ثمن الجمال التي هلكت، ويعود ذلك إلى الإنسحاب المفاجىء لقوات محمد علي في شبه الجزيرة العربية، ذلك الإنسحاب الذي أدى إلى انتقال السلطة إلى يد الشريف محمد بن عون وبالتالي فإن القبائل التي سلمت جمالاً إلى قوات محمد علي لم يعد بإمكانها مطالبة الشريف لأنه لم يكن هو الذي قدم لهم الضمانات بعودة تلك الجمال. ومن هنا فإن مشكلة عسير وحربها مع محمد علي لم تكن اضرارها مقصورة على عسير فحسب، بل شملت اضرارها معظم قبائل شبه الجزيرة العربية، وكانت تكلفة هذه الحرب واقعة على تلك القبائل المغلوبة على أمرها أكثر من أن تكون على خزينة محمد علي نفسه، الذي أراد أشعال هذه الحرب لكي يوسع امبراطوريته التي كان يحلم بإنشائها.

٢ ـ العقوبات والغرامات :

اتبع قادة محمد علي أسلوباً قاسياً في فرض العقوبات والغرامات على القبائل التي تقوم بمقاومتهم، والتي دخلت حديثاً في طاعتهم، فكانوا يفرضون الغرامات الباهظة على أي قبيلة بمجرد تأخرها في اعلان الطاعة لهم، فقد تأخر بطن من زهران من اعلان الطاعة لأحمد باشا ولم يقدموا إليه إلا متأخرين، ففرض عليهم أربعة عشر ألف

فـرانسة كغـرامة، وعنـدما لم يستـطيعوا أن يـدفعوا إلا اثنى عشر ألف فرانسة وافق على ذلك بامتعاض شديد[1].

وهنـاك الكثير من الـوثائق[2] التي تـوضح مـدى فداحـة الظلم الذي لحق بمعظم القبائل المجاورة لعسير، بخاصة القبـائل القـاطنة في حدود عسير الشمالية المجاورة للحجاز، فيتضـح لنا من هـذه الوثـائق كثرة الغرامات المفروضة على تلك القبائل.

ولقـد أدرك أحمد بـاشا فـداحة تلك الغـرامات، فـطالب بعدم فرض عقوبات جديدة خشية وقـوع الثورة بـين القبائـل بتحريض من عـائض بن مـرعي، حيث اعتـرف بـأنـه قـد وافق عـلى تخفيض تلك الغـرامة إلى اثنى عشر ألف فـرانسـة خشيـة من ثـورة تلك القبـائـل، بخاصة وأن كل قبائل عسير كانت في حالة ثورة، بالاضافة إلى تحريض عائض بن مرعي للقبائل المجاورة على الثورة ضد محمـد علي، وهـذه احدى الوثائق تصـف هذه الحالة فتقـول[3]: « وحيث قد تحقق لـدينا أن الشقى عايضاً قد أوفد الخبيث محمـد بن مفرح إلى بني شهـر، وكان الخبيث الآخر المدعو ابن دهمان الذي كان يقيم قبلا برتبة بجهة رغدان من أعمال العسير قد بارح رغدان على أثـر وصول الجيش المنصـور إلى المرحلة المسماة كضامة بهر[4]، وأتى شمران ونزل في جهة محاذية لحدود

---

(١) محفـظة ٢٦٣ عابـدين، الوثيقـة رقم ٢٢ حمراء، مؤرخـة في ٢٩ ذي الحجـه ١٢٥٣هـ، مرسلة من أحمد باشا إلى ولى النعم. دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) محفظة ٢٦٣ عابدين، صورة المرفق العربي (ب) للوثيقة التركية رقم ٢١١ زرقاء، بـدون تاريخ، وهي عبارة عن كشف الغرامات المفروضة على بعض قبائل عسير الشمالية، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) محفـظة ٢٦٣ عابـدين، الوثيقـة رقم ٢٢ حمراء، مؤرخـة في ٢٩ ذي الحجـة ١٢٥٣هـ، مرسلة من أحمد باشا إلى وليّ النعم، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٤) كضامة بهر: مورد ماء يقع في أعلى وادي بهر، ويبعد بهر عن الباحة ١٨ ميلا.
انظر: حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران، ص ٧٢، ٥٠٥.

غامد، كما وصل الشيخان نوية وابن ضبعان إلى البيشة ونزلا فيها، حيث أن هؤلاء الناس من أقارب الشقي عايض وسوف لا ينقطعون عن التحريض والاغواء الذميم. ونظراً لأن قبيلة زهران قد توقفت عن الخضوع وعمدت إلى الخدع حتى زحف الجيش عليها، فقد رأينا بالنسبة لهذه الظروف إننا لو كلفناهم أكثر من ذلك لوجب أن نرابط في قراهم مدة ثلاثة أشهر على الأقل، في حين أنه ليس من المناسب والحال هذه توجيه الجيش على قرى غامد حتى نتفرغ إلى معالجة الأمور التي بسطناها آنفا (أي شئون عسير).

مسألة المؤن :

ضيقت قوات محمد علي على سكان الجزيرة العربية في معيشتهم حيث فرضت على بلقرن وشمران أن يبيعوا قمحا لقوات أحمد باشا، فاعتذروا عن ذلك، وذكروا أن ما لديهم من حبوب لا تكاد تسد حاجتهم فقرر أحمد باشا أن يفرض عليهم خمسمائة أردب[1] من القمح، وكتب إلى على بك الموجود في بلقرن أن يحصله خلال ثلاثة أيام، وكتب إلى المشائخ يهددهم أن هم توانوا في تسليمه خلال هذه المدة[2]. كما صدرت الأوامر إلى القوات الموجودة في الحديدة بالقيام بشراء الحبوب من المناطق التي يتواجدون فيها، وذلك لعدم تمكن

(١) أردب : وحدة المكاييل المصرية قبل الغائها واستبدالها بالنظام المترى وكان يستخدم الأردب في تقدير الحبوب ونحوها. ويعادل الأردب ١٩٨ لتراً، ويقسم الأردب إلى ٦ ويبات، والويبة إلى ٢ كيلة، والكيلة إلى ٨ أقداح، والقدح ١/٦٩ من الأردب.
انظر: أحمد عطية الله، دائرة المعارف الحديثة، المجلد الأول، ط ٢، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٥م، ص ٥٦.

(٢) محفظة ٢٦٦ عابدين تركي، الوثيقة بدون رقم، مؤرخة في ربيع الآخر ١٢٥٥هـ، مرسلة من أحمد باشا إلى ولى النعم. دار الوثائق القومية بالقاهرة.

محمد علي من إرسال الحبوب إلى هناك لما فيه من الصعوبة والمشقة[1].

وفي رأيي أن ذلك سيجلب للغالبية العظمى من السكان ضرراً كبيراً، ويعود ذلك إلى قلة إنتاج البلاد من الحبوب إلى جانب ماحل بالبلاد من سنوات قحط وجدب مما جعل البلاد تعاني من مجاعة وضيق اقتصادي، ومع هذا فلابد من وجود جماعة استفادت من هذه الأوضاع والظروف، مثل بعض التجار وكبار الملاك وغيرهم ولكن غالبية المواطنين تضرروا من جراء ذلك مما أدى ببعض القبائل إلى رفض بيع الحبوب لقوات محمد علي.

موقف شيوخ عسير من قوات محمد علي :

لاشك أن بقاء قوات محمد علي مرابطة على حدود عسير الشمالية والجنوبية قد أجبر قبائل عسير بأن تبقى في حالة حرب واستعداد طوال تلك السنوات، مما خلق نوعاً من التذمر والتنصل من المسئولية لدى عدد من شيوخ عسير وبعض رجال قبائلها. وقد تطوّر الموقف إلى ظهور جماعة تطالب باقامة سلم مع قوات محمد علي ظنا منهم أن عسير لن تستطيع أن تبقى بمنأى عن الخضوع لقوات محمد علي وعندما لم يجد هذا الفريق استجابة لدى الغالبية من شيوخ عسير ورجالها، فرّوا إلى قوات محمد علي في الحجاز، وظلوا يعملون مع تلك القوات حتى خروجها من شبه الجزيرة العربية عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م.

وقد اتضح لي من خلال الوثائق التي اطلعت عليها كثرة الفارين من عسير إلى قوات محمد على الموجودة في الحجاز. وكان أولئك

---

(١) سجل ٦٦ معية تركي، صحيفة رقم ١٤٣، الوثيقة رقم ٥٥١، بدون تاريخ مرسلة من الجناب العالي إلى أحمد باشا، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

الفارين من المناوئين لحكم آل عائض في عسير والطامعين في الامارة، ومنهم من كان يطمع في اعطيات محمد علي لهم التي ظلت جارية طوال وجود قواته في الحجاز.

وكانت قوات محمد علي قد ألقت القبض على أمراء آل[1] أبو نقطة في عسير، وبعد أن أرسل زعماء عسير آنذاك من آل أبو نقطة إلى الآستانة ليتم تنفيذ حكم الإعدام فيهم، تم إرسال بعض الأفراد من أسرة آل أبو نقطة إلى الحجاز، ونذكر منهم أبو دواس أبو نقطة ودوسري أبو نقطة، حيث ظلا بعض الوقت في الحجاز إلى أن طلب احضارهما إلى مصر، وعلى الرغم من توسط شريف مكة لدى محمد علي لابقائهما في الحجاز إلا أن محمد علي ذكر أن المصلحة العليا تقتضى أن يظلا في مصر في ذلك الوقت، ومما ورد في الرد على رسالة شريف مكة[2]: " ولما عرض خطابكم على أعتاب الجناب العالي أصدر أمره الكريم بأن حضرة الشريف وإن كان يلتمس اعادة دوسري أبو نقطة وأبو دواس إلى محلهما فإن اعادتهما إلى محلهما في الوقت الحاضر لا يتفق والمصلحة لذلك فاكرموا مثواهما الآن في مصر، وإن شاء الله تُعالى سارسلهما إلى محلهما في الوقت المناسب بالاكرام اللازم ".

كان إلى جانب دوسري أبو نقطة وأبو دواس أبو نقطة، طامى أبو نقطة ومانع أبو نقطة. وقد شارك هؤلاء الأربعة في حملات مختلفة قامت بها قوات محمد علي على عسير. ففي عام ١٢٤٠ / ١٨٢٥ م شنت قوات محمد علي هجوماً كبيراً على عسير بهدف السيطرة عليها.

---

(١) آل أبو نقطة: هم أسرة كبيرة من عسير. وقد حكموا عسير من عام١٢١٧هـ ١٢٣٣هـ، وكانوا تابعين للدولة السعودية الأولى، ومن ابرز أمرائهم عبد الوهاب المتحمى، وطامي ابن شعيب المتحمى، ومحمد بن أحمد المتحمى.

(٢) سجل ديون خديوي تري، نمرة ٧٤٦، صحيفة ٦، نمرة المكاتبة ٣٦، مؤرخة في ٩ ربيع ثاني ١٢٤٥هـ، من ديوان محمد علي إلى شريف مكة.

وبعد أن وصلت الحملة إلى أبها، قام أحمد باشا بارسال حملة إلى رجال ألمع بقيادة أغامانع أبو نقطة، وكان معه عدد من قبائل عسير المتعاونين مع أحمد باشا ومنهم قبيلة ربيعة ورفيدة التي ينتسب إليها آل أبو نقطة، وقد سقط أغامانع قتيلاً في أرض المعركة وهزمت قبائله شر هزيمة، وكانت تلك الهزيمة مقدمة لفشل الحملة كلها وأنسحب أحمد باشا إلى الحجاز بعد توقيع اتفاقية يعترف فيها باستقلال عسير[1].

ومع بداية حكم عائض بن مرعي اشتدت حملات قوات محمد علي على عسير بهدف السيطرة عليها، وكان على رأس إحدى الحملات التي وجهت إلى عسير طامي أبو نقطة، الذي حاول الاستيلاء على رجال ألمع ولكنه هزم شر هزيمة ووقع في أيدي رجال ألمع ومعه عدد من قبائل ربيعه ورفيدة المتعاونين مع قوات محمد علي، وكان ذلك عام ١٢٥١ هـ/ ١٨٣٥ م. وعندما علم ابراهيم باشا بالمصير الذي آلت إليه قواته قام بالتوجه بنفسه ومعه دوسري أبو نقطة إلى رجال ألمع لتأديبهم فتمكن رجال ألمع من هزيمته هو والمتعاونين معه فاضطر إلى الإنسحاب إلى محايل[2].

وعندما اشتدت حملات قوات محمد علي على عسير عام ١٣٤٠هـ/ ١٨٢٥م، تخاذل مجموعة من شيوخ عسير عن قومهم واتجهوا إلى أحمد باشا طالبين العهد والأمان، من أشهرهم: سلطان بن دراع

---

(١) محفظة ١٠ بحر برا، الوثيقة رقم ١٤، مؤرخة في ١١ محرم ١٢٤١هـ، مرسلة من أحمد باشا محافظ مكة إلى وليّ النعم. دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) محفظة ٢٥١ عابدين، الوثيقة رقم ١٣٣، مؤرخة في ٢٥ صفر ١٢٥١هـ، تقرير مقدم من ابراهيم توفيق عن حالة الجيش. دار الوثائق القومية بالقاهرة.

- وثيقة رقم ١٥٤، مؤرخة في ٥ ربيع الأول ١٢٥١هـ، من محمد علي عون إلى محمد علي. دار الوثائق القومية بالقاهرة.

- د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، محمد علي وشبه الجزيرة العربية جـ٢، ط ١، دار الكتاب الجامعي، القاهرة ١٩٨١م، ص ١٥٩، ١٦٠.

وسلطان بن عبده ومحمد بن زعبان ابن عم سعيد بن مسلط[1]. ولقد كان استسلامهم ذلك مشينا وأصبحوا مبعدين عن أوطانهم لا يستطيعون العودة إليها، ولقد كان يتطلب منهم الصدق والثبات مع قومهم، حتى يكون هناك صلح شامل أو حرب يشتركون فيها مع قومهم للدفاع عن بلادهم.

وتبين لنا أحدى رسائل هؤلاء الشيوخ المبعدين ما وصلت إليه أحوالهم من تعاسة ويأس، من جراء بعدهم عن بلادهم حيث بعث سلطان بن عبده العسيرى برسالة إلى سر عسكر الحجاز يقول[2] فيها: "نهى لدولتكم أفندم أنكم تعلمون قيامى في خدمة دولتكم بما يرضى سعادتكم ويرضى صاحب السعادة بالصدق والاجتهاد وقد تركت أهلى وبلادي في رضاكم، وتعرفون أني رجل متبوع كثير الوفود، وغالب من يقصد هذه الديار من جهات بلادنا مايجى إلا عندى، ويلزم لهم خسارة كبيرة وأنتم تشاهدون ذلك. ولنا الآن متغربين عن ديارنا وأهلنا خمسة عشر سنة من أبتداء ١٢٤٠هـ، والمرتب لنا على طرف سعادتكم لا يقوم بكفايتنا، حيث أن أتباعنا نحو أربعين نفرا وعُشرة خيول وخمسة من الركاب، والمرتب لنا شهري الف قرش واردبين قمح وستة وسبعين أقة[3] أرز وستة أرادب شعير" ويشتكى في ختام رسالته

---

(١) محفظة رقم ٩ بحر برا، ترجمة الوثيقة رقم ٨٧، مؤرخة في ١١ شعبان ١٢٤٠ مرسلة من رستم إلى حضرة صاحب الدولة ولى نعمتى بلامنة، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) محفظة ٢٦٦ عابدين، صورة المكاتبة العربية الملحقة بالمكاتبة رقم ١٥٣، حمراء، ٤٢ أصلية، مؤرخة في ٢٢ رمضان ١٢٥٥هـ، من سلطان بن عبده إلى سر عسكر الحجاز، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) أقة: هي وزن معروف تساوي اربع ربعات، أي في حدود (٢,٧٢) رطلا انجليزيا.
انظر: المؤتمر العالمي الأول للجنة العربية للدراسات العثمانية، عقد في تونس في الفترة من ٢٠ ـ ٢٦ يناير ١٩٨٤م.، د. عبد الفتاح أبو عليه، النقود والموازين والمكاييل في سنجق الحسا في العهد العثماني ١٨٧١ ـ ١٩١٣م.

من قلة هذا المرتب وأنه يضطر أن يستدين ويطلب الزيادة، وقد بعث أحمد باشا مع العريضة السابقة خطابا يؤيد سلطان بن عبده، ويذكر الخدمات الجليلة التي قدمها لقوات محمد علي، وقد صدرت الموافقة بزيادة مرتبه خمسمائة قرش[1].

واليك رسالة توضح ذلك الموقف[2]:

" وان الداعي لعريضتي هذه المقدمة بساحة أبهته العميمة المرام التي أسترحم بها اعطاء السنوية والكسوة المرتبة وأنه وصل المرتب المحسوب لسنة ثلاث وخمسين وقدرة ثلاثمائة فرانسة مع الكسوة بالمقام، والآن أطلب منه أن يصدر أمره وارادته إلى المأمورين بصرف سنويتي المعلومة المقدار على الوجه المقنّن مع الكسوة وأن يشملني بعنايته ورعايته فأمر بصرف سنويتي وكسوتي عن سنة ١٢٥٥ هـ برأيه الصائب وفكره الثاقب كما هو لائق بهممه السنية، واعطائها لوكيله في المحروسة الشيخ عبد المحسن الدرعية، ومن أجل هذا قدمت عريضتي والأمر بهذا الخصوص وبكل حال لحضرة وليّ النعم والكرم ".

ونلاحظ من الوثيقتين السابقتين المبالغ الكبيرة - في ذلك الوقت - التي يصرفها محمد علي من أجل استقطاب أكبر عدد ممكن من زعماء عسير الذين تعاونوا مع محمد علي على بلادهم وأمرائهم، من أجل مكاسب مادية مؤقتة، ولتحقيق أهداف تتمثل في الوصول إلى الإمارة، حتى لو كانت بواسطة عدو الأمس الذي دمّر بلادهم وقتل رجالهم، ولم يكن له هدف إلا السيطرة على بلادهم دون أية معارضة.

(١) الوثيقة السابقة الملحقة بالمكاتبة رقم ١٥٣ حمراء.
(٢) محفظة ١٨ بحر برا تركى، الوثيقة رقم ٥٧، مؤرخة في ١٢٥٥هـ، من دوسري أبو نقطة إلى الجناب العالي.

وإذا كان محمد علي قد أغدق الأموال على الشيوخ الذين فروا من عسير إلى الحجاز، إلا أنه كان يأمر قادته بأن يضعوا عيونا على هؤلاء الشيوخ ليتأكدوا من ولائهم أو خيانتهم. ولذلك عندما اتهموا أحد شيوخ بيشة بالخيانة صدر أمر بسجنة مدى الحياة مع الأشغال الشاقة. ومما ورد في أحدى الوثائق[1] مايلي:

"قد علمت من كتاب ولدنا صاحب السعادة أحمد باشا عسكر الأقطار الحجازية أنه لما وقف على خيانة المدعو علي بن محمد المقيم بمكة، وهو من شيوخ بيشة رأي تشغيلة في ليمان الإسكندرية ما دام وأرسله إلى مصر، فالمطلوب أن ترسلوه إلى الليمان عند وصوله إلى المحروسة".

وعلى الرغم من تملّق هؤلاء وتذللهم للجناب العالى فإن الأمر لم يكن يعدو أن يكون مجرد مصلحة فقط بالنسبة لمحمد علي وقادته. فعندما انتهت أحلامهم في شبه جزيرة العرب - بعد اتفاقية لندن - أنتهى أيضاً أكرامهم لأولئك اللاجئين إليهم من عسير. وإذا كانت هذه الرواتب والاغراءات قد وصلت بانتظام أيام وجود قوات محمد علي في الحجاز، فإن الأمر قد اختلف تماما بعد رحيل قوات محمد علي في الحجاز، وعندما قدموا طلباتهم بمواصلة ارسال تلك الرواتب أخذ المسئولون يماطلونهم ويقضي رسلهم شهورا في المحروسة (القاهرة) دون أن يحصلوا على شيء[2]. وعلى الرغم من استنجادهم بالمسئولين في الحجاز إلا أن كتابات هؤلاء المسئولين لهم كانت مجرد استشارة، فقد قال محافظ مكة محمد شكري في نهاية رسالة بهذا الخصوص[3]:

---

(١) دفتر رقم ٧٤ معية تركى، الوثيقة نمرة ٨٠٣، صفحة ١٤١، مؤرخة في ٢ ربيع الآخر ١٢٥٢هـ، مرسلة من الجناب العالي إلى حبيب أفندي دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) محفظة ١٨ بحر برا، الوثيقة رقم ٨٠، مؤرخة في ٢٨ شعبان ١٢٥٨هـ، مرسلة من محمد شكري إلى المعية، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) الوثيقة السابقة رقم ٨٠.

"يا حضرة أخي إن كان عرض ذلك مناسبا فاعرضوه وإلا فلا وأعلمونا بالواقع كيف كان".

ومما لا شك فيه أن محمد علي قد انتهت أحلامه في عسير بل في شبه الجزيرة العربية كلها، ولم يعد له أي مصلحة من صرف تلك المبالغ الطائلة لاولئك الفارين من عسير، فبدأ بقطع تلك الرواتب بشكل تدريجي دون أن يصدر قراراً صريحاً بذلك.

ولم يواجه عائض بن مرعي مشكلات الزعماء الفارين من عسير فحسب، ولكن الأمر تعدى هروب بعض الزعماء ليصبح ظاهرة عامة، شملت معظم قبائل عسير بل وأكثرها وفاء لعائض بن مرعي فقد وصل لقوات أحمد باشا عدد من قبيلة بنى مغيد التي ينتسب إليها عائض بن مرعي، وقام بتخصيص خمسة وثلاثون قرشا لكل منهم، وكان يزيد هذا المبلغ وذلك حسب درجات المجندين في قبائلهم كما وفد مجموعة من قبيلة محمد دوسري أبو نقطعة (ربيعة ورفيدة) وتم تجنيدهم حيث أعطى لكل منهم خمسة وستون قرشا. كما وفد من علكم وبلسمر نحو خمسين رجلا خصص لكل منهم ما يناسب حاله، وكان يخصص لكل وافد جديد راتب معين[1].

ونلاحط سرعة تخصيص الرواتب لأولئك الوافدين بمجرد وصولهم، وذلك بهدف تفريق الناس عن عائض بن مرعي، وذلك عن طريق اغراء قبائله بتلك الرواتب بمجرد تخليهم عن بلادهم. ومهما كانت تلك المخصصات زهيدة فإن أحوال الناس السيئة تدفعهم إلى قبولها والتوجه إلى أحمد باشا، والإنفضاض من حول أميرهم الذي كان يدعوهم إلى البقاء (ولكن لا حياة لمن تنادي). وقد بلغ الأمر

---

(١) محفظة ٢٦٦ عابدين تركي، الوثيقة رقم ١٢هـ من أحمد باشا باشمعاون بشأن وفود من قبائل عسير، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

حدا جعل جميع العرب يقاطعون الجندية في قوات أحمد باشا سوى الفارين من عسير وبيشة، والبالغ عددهم نحو خمسمائة رجل. وقد أدرك أحمد باشا قبل غيره بأن الظروف الصعبة هي التي اضطرت هؤلاء إلى البقاء في صفوف محمد علي، وليس رغبة في نصرتها ورفعة شأنها[1].

وعلى الرغم من اقتناع أحمد باشا بعدم جدوى تجنيد العرب، وذلك لعدم اخلاصهم لمحمد علي، إلا أنه حاول تجنيد رجال ألمع باضعاف ما يعطى غيرهم من العرب، حيث عرض عليهم عشرين ريالا فرانسه لكل شيخ يرأس مئة جندي، وأربعة ريالات فرانسه لكل جندي من رجال ألمع. وحاول أن يقنع محمد علي بذلك، وذكر أن السبب رغبته في أن يتصل هؤلاء المجندين بشيوخهم الآخرين ليحولوا بينهم وبين الاتصال بعائض بن مرعي[2]. وكان أحمد باشا على استعداد للذهاب إلى (أبو عريش) لأجل هذه المهمة، ولكن الخديوية رفضت هذا الاقتراح وقطعت عليه مخططه، حيث جاء في ردّها[3]: "أن رضيوا أن يأخذوا مثل مايأخذ العرب الذين قيدوا أنفسهم عسكرا في مكة فبها ونعمت وإلا فلا يدفع لهم زيادة عليهم".

وأن المتتبع للحوادث يجد أن الخديوية قد سدت السبل أمام تنفيذ أحمد باشا لمخططه الرامي إلى هدم قوة عائض بن مرعي، فهو يذكر جيداً أن هزيمته عام ١٢٤١هـ/١٨٢٦م في عسير كانت على يد رجال ألمع وحدهم، حيث كانوا هم الوحيدون من عسير مع سعيد بن

---

(١) محفظة ٢٦٣ عابدين، الوثيقة رقم ٦٨ حمراء، مؤرخة في ٢٣ رجب ١٢٥٤هـ، من أحمد شكري إلى المعية السنية، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) محفظة ٢٦٩ عابدين، ملخص الوثيقة التركية رقم ١٦١، عدد ٤٤، مؤرخة في ١١ شوال ١٢٥٥هـ، من أحمد باشا إلى الخديوية، دار الوثائق القومية.

(٣) انظر: الوثيقة السابقة، رقم ١٦١ حمراء.

مسلط أمير عسير آنذاك[1]. وكذلك فهو لا يزال يذكر هزيمة ابراهيم باشا ودوسري أبو نقطة أمام رجال ألمع عام ١٢٥١هـ ١٨٣٥م[2]. ولذلك فقد عمل أحمد باشا جاهداً ليسحب البساط من تحت أرجل عائض بن مرعي فعندما يفقد دعم رجال ألمع فأنه يكون بذلك قد فقد أهم قوة تناصره وتسانده عندها سيضطر إلى قبول الصلح والخضوع لقوات محمد علي.

وفي الواقع أن انضمام هذه الأعداد إلى أحمد باشا، يدل على مدى مالحق بعائض بن مرعي من ضرر بسبب طول أمد الحرب، تلك الحروب التي سببت قلق الناس في عسير، وأدت إلى هروب الكثير من رجالات عسير إلى الحجاز وانخراطهم في الجندية مع أحمد باشا، وان كنت لا أعتقد بالإستفادة منهم في الحروب التي يخوضها أحمد باشا، ولكن من المؤكد أنه استفاد منهم كأدلاء فهم يعرفون بلادهم جيدا، ويعرفون عوراتها ومواطن الضعف والقوة في قوات عائض بن مرعي، ولهم معارفهم وأقاربهم وقد يتمكنون من التأثير عليهم، وكذلك فإن ذهاب هذه الأعداد الكبيرة من عسير هو نتيجة طبيعية لطول أمد القتال ولسئم الناس ومللهم من حالة الحرب المستمرة التي بقيت في عسير منذ وصول قوات محمد علي إلى شبة الجزيرة العربية وحتى عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م وهو العام الذي انسحبت فيه هذه القوات نهائيا من شبه الجزيرة العربية.

---

(١) محفظة ١٠ بحر برا، ترجمة الوثيقة رقم ١٤، مؤرخة في ١١ محرم ١٢٤١هـ، مرسلة من أحمد باشا إلى وليّ. دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) د. عبد الرحيم عبد الرحمن، محمد علي وشبه الجزيرة العربية، جـ ٢ ص ١٥٩.

الفصل الخامس
علاقات إمارة عسير بنجد والحجاز

محتوياتـــه :

أولاً : علاقة إمارة عسير بالدولة السعودية في نجد :

* تمهيـــد.
* علاقة عسير بالدولة السعودية قبيل حكم آل عائض.
* علاقة عسير بالدولة السعودية خلال حكم عائض بن مرعي.
* علاقة عسير بالدولة السعودية خلال حكم محمد بن عائض.

ثانياً : علاقة إمارة عسير بأشراف الحجاز :

* تمهيـــد.
* علاقة عسير بالحجاز خلال حكم عائض بن مرعي.
* علاقة عسير بالحجاز خلال حكم محمد بن عائض.
* العلاقات السلمية بين عسير والحجاز.

أولاً : علاقة إمارة عسير بالدولة السعودية في نجد :

لقد عاشت عسير خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، في ظل امارة مستقلة استطاعت أن تبسط سيطرتها على كل إقليم عسير، وظلت تلك الامارة ذات دور بارز في شبه الجزيرة العربية. ومما عزز من مكانتها أن أمراءها قد اتخذوا من سيرة امراء آل سعود السابقين نبراسا يسيرون عليه، فعندما جاءت قوات محمد علي إلى الدرعية لتقضى على الدولة السعودية الأولى لم يهن الأمر على قبائل عسير. وظلت السيرة الحسنة التي سار عليها آل سعود أثناء حكمهم لعسير تعيش في قلوب العسيريين وأفئدتهم، مما دفعهم إلى تقديم التضحيات الكبيرة في سبيل التخلص من حكم محمد علي، وقد تمكن أمراء عسير من إخراج القوات الغازية من بلادهم، وأعلنوا قيام إمارتهم التي تتخذ من الدين الإسلامي دستوراً تسير عليه.

وقد كانت هناك اتصالات وعلاقات بين إمارة عسير وبين الحكومة السعودية في نجد في عهد كل من الإمام تركي بن عبد الله، والإمام فيصل بن تركي، والإمام عبد الله بن فيصل. وقد عملت جاهداً على إبراز تلك العلاقات وتوضيحها، ولكن شح المادة العلمية التي تتعلق بتلك العلاقات اضطرني إلى الاختصار في هذا الموضوع، على الرغم من أهميته وحيويته. وسوف يلاحظ الدارس أن أخبار علاقة عسير بالحجاز وبالمخلاف السليماني قد طغت على علاقة عسير بنجد خلال فترة الدراسة، ولعل ذلك يعود إلى الأسباب الآتية :

١ ـ كانت علاقة عسير مع نجد تقوم على الولاء والتقدير لأئمة الدولة السعودية، مما جعل الإتصالات بينهما تقتصر على تبادل الهدايا

والنصائح في المناسبات الهامة، التي يحرص الطرفان عليها توثيقاً لعرى المودة والنية الحسنة بين الامارتين.

٢ ـ وبالنسبة لعلاقة عسير بالحجاز فقد كانت تقوم في معظمها على الصراع على الحدود بين الإمارتين، مما جعل تلك العلاقة تحظى بعناية الكتاب والمؤرخين، بالإضافة إلى توفر عدد لا بأس به من الوثائق التي تتحدث عن هذه العلاقة.

٣ ـ أضف إلى ماسبق أن الدولة العثمانية والخديوية في مصر، كانتا حريصتان على ألا تقوم علاقة كبيرة وهامة بين الاقليمين، لما يعرفانه عنهما من تكاتف وتكامل في حالة انضمام عسير للدولة السعودية الثانية ويتضح ذلك من خلال بعض الوثائق التي تتحدث عن مراسلات بين أمراء عسير وبين الإمام تركي بن عبد الله وبين الإمام فيصل بن تركي، مما دفع قادة محمد علي إلى الاهتمام بالأمر اهتماماً خاصاً، مما يؤكد لنا أن الدولة العثمانية ما كانت لتسمح بقيام علاقة كبيرة بين الاقليمين خوفاً من اتحادهما مرة أخرى.

٤ ـ أن المصادر المعاصرة للأحداث كانت تهتم بأخبار الحروب والقتال، أكثر من اهتمامها بأخبار السلم والحالة السائدة آنذاك، مما جعلنا نفتقر إلى المادة العلمية التي تعنينا في هذه الدراسة.

علاقة عسير بالدولة السعودية قبيل حكم آل عائض :

تعد عسير من المناطق الهامّة التي انتشرت فيها الدعوة السلفية وتركت آثاراً إيجابية على قبائل تلك المنطقة طوال القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، فقد كان عدد كبير من علماء عسير ووجهائها من أول من أيّد الدعوة السلفية في شبه الجزيرة العربية حيث وجدت الدعوة السلفية حماساً لدى عدد كبير من علماء عسير، وكان

أول علماء عسير تأييداً للدعوة السلفية الشيخ أحمد بن عبد القادر الحفظي (١١٤٥ - ١٢٣٣هـ/ ١٧٣١ - ١٨١٦م)، حيث سارع إلى تأييد الدعوة السلفية ومؤازرتها بمجرد أن وصلته أخبارها، فقام بنشرها في منطقة عسير بالحكمة والموعظة الحسنة، فما كان من الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلا أن ولاه القضاء في عسير تقديراً لجهوده في نشر مبادىء الدعوة السلفية[١].

وقد انتشرت مبادىء الدعوة السلفية في إقليم عسير منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ فانتشرت الدعوة السلفية أولا في مناطق بيشة ورنية والدواسر وهذه المناطق متاخمة لاقليم عسير[٢]. وقد انتشرت الدعوة السلفية أولا على شكل مبدأ، ثم بعد ذلك على شكل نفوذ سياسي[٣].

ولم تلبث عسير أن دخلت تحت طاعة الدولة السعودية. وأصبحت من أكثر أقاليم الجزيرة العربية تمسكا بالدعوة السلفية[٤]. وقد لعبت عسير دوراً حاسماً ورئيسياً في إخضاع الحجاز للدولة السعودية، حيث صدرت الأوامر إلى عبدالوهاب أبو نقطة بمهاجمة الشريف غالب في الحجاز، وتمكن جند عبدالوهاب من هزيمة قوات

---

(١) محمد بن إبراهيم زين العابدين الحفظي، نفحات من عسير، نسقه وأخرجه للطبع عبد الرحمن بن إبراهيم الحفظي، مطابع عسير، أبها ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م ص ٢٤.

(٢) الشيخ حسين بن غنام، تاريخ نجد، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، قابله على الأصل الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مطبعة المدني، مصر ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م، ص ١٩٩، ٢٠٣.

(٣) د. عبد الفتاح أبو عليه، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ص ١٠٩.

(٤) سبق الحديث عن كيفية وصول الدعوة السلفية إلى عسير في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

الشريف غالب وأرسلوا خمس الغنائم إلى الدرعية[1]. وفي عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م قام عبدالوهاب المتحمى وعثمان المضايفى بتشديد الحصار على الحجاز بأمر من الإمام سعود حتى اضطر الشريف غالب إلى الإستسلام والدخول في طاعة الدولة السعودية[2]، كما أن انضمام هذه القبائل إلى السعوديين قد مكنهم من توجيه عملياتهم ضد مناطق المخلاف السليماني وما يجاورها، وكانت مبادىء الدعوة السلفية قد تسربت إلى مناطق المخلاف السليماني وأصبح لها دعاة فيها، أشهرهم الداعية الفلقى وعرار بن شار والشريف منصور[3].

واستمرت عسير تؤيد الدولة السعودية الأولى، وتمدها بالجيوش اللازمة لمواجهة أعداء هذه الدولة، وعندما قررت الدولة العثمانية القضاء على الدولة السعودية الأولى كانت قبائل عسير من أشد قبائل الجزيرة العربية بأسا عند مواجهة الأعداء، واستمرت عسير تقاتل قوات محمد علي إلى مابعد سقوط الدرعية. وضرب قادتها ورجالها أروع الأمثلة في الدفاع عن الدين والوطن، وأخذ عدد من قادتها الأبطال لينفذ فيهم حكم الإعدام في الآستانة جنبا إلى جنب مع أمرائهم من آل سعود، مما يؤكد شدة تمسك أهل عسير باستقلالهم واخلاصهم للدولة السعودية، مما جعلهم لا يقبلون أي مساومة أو مهادنة مع قوات محمد علي التي جاءت للقضاء على السعوديين ومن يساندهم[4].

---

(١) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، مكتبة الرياض الحديثة، (بدون تاريخ) ص ١٣٤.

(٢) عثمان بن بشر، المصدر السابق جـ ١ ص ١٣٦.

(٣) عبد الرحمن بن أحمد بالبهلكي، نفح العود في سيرة أيام الشريف حمود (مخطوط مكتوب بالآلة الكاتبة، دارة الملك عبد العزيز، قسم المخطوطات، من ورقة ١٥ ـ ٢٣.

(٤) انظر الفصل الثالث من هذه الرسالة.

علاقة عسير بالدولة السعودية خلال حكم عائض بن مرعي :

عندما عادت عسير إلى الثورة ضد قوات محمد علي وتمكنت من الاستقلال عن الحجاز عام ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٣م، لم تنقطع صلاتهم بنجد، رغم خضوع نجد في تلك الفترة لقوات خورشيد باشا المرابطة في نجد، ففي عام ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٥م قام سعيد بن مسلط بإرسال رسالة إلى الأمير تركي بن عبد الله آل سعود في نجد لم يعلم مضمونها، فقام تركي بن عبد الله بإرسال شيخ من شيوخ العلم إلى عسير فيما يبدو أنه تلبية لطلب أمير عسير[1]. وهذا مادفع أحمد باشا إلى الحيطة والحذر من حدوث اتفاق محتمل بين أمير عسير وبين الأمير تركي بن عبد الله لمقاومة قوات محمد علي. وعلى الرغم من تظاهر الأمير الأخير بالطاعة لمحمد علي، إلا أنه يلاحظ عليه اهتمامه بتقوية نفسه، ومما ورد في تلك الرسالة[2] :

« وحيث كان الشيخ المذكور في طريق الصداقة سألناه سؤالاً سرياً عن سيرة الشيخ سعيد بن مسلط فعلم من تقريره الصريح أنه يشتغل بإنشاء القلاع على التعاقب مع تقوية أطرافه، وأنه بعث خفية خطاباً لتركي بن عبد الله من جماعة السعود، فأرسل هو إليه شيخاً من المشائخ النبهاء المرعيين الخواطر في أيام السعود[3]، وأنه وإن كان يتظاهر بمظهر الاطاعة لكن مراده التمكن من تقوية نفسه، وإعداد العدد على مضى الأيام فحررنا ورقة إلى الدويش[4] نتطلف فيها معه

---

(١) محفظة رقم ٩ بحرا برا، ترجمة الوثيقة رقم ٦٦، مؤرخة في ٧ ربيع الأول عام ١٢٤٠هـ، مرسلة من أحمد باشا محافظ مكة إلى صاحب الدولة والعناية الوثيقة نفسها.

(٢) الوثيقة نفسها.

(٣) يقصد تركي بن عبد الله.

(٤) هو شيخ قبيلة مطير، ومن أشد أعداء تركي بن عبد الله.

ليغزو جماعة تركي بن عبد الله المذكور ».

وهكـذا نلاحظ مـدى الولاء الـذي يكنه أمـراء عسير لأمـرائهم السابقين، أئمة آل سعود في نجد. فقد استمـرت تلك العلاقـات على الـرغم من شراسـة الحملات التي كـان يوجههـا محمد عـلي إلى هذين الاقليمـين. فلم تكن تلك العلاقـات وقتية تنتهي بـانتهاء فتـرة القـوة والنفوذ. فهاهو أمير عسير لم ينس العلاقة المميزة التي تربطه بـأمراء آل سعود، فبعث إليهم يخبرهم بانتصاره على قوات محمـد علي وتمكنـه من الإستقـلال بعسير. ممـا حدا بتـركي بن عبد الله إلى إرسـال أحد كبـار المشائخ لديه لينقل الرد إلى عسير، ومما لاشك فيه أن ذلك يساعـد على ترسيخ تلك العلاقة المميزة التي تربط بين امراء الاقليمين.

وفي عـام ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م تمكنت عسـير بقيـادة أميـرهـا عائض بن مرعي من هـزيمة عـدّة حملات بعثهـا محمد عـلي إلى عسير، وتمكنت عسير من المحافظة على استقـلالها، ورفض عـائض بن مرعي تقـديم أي نـوع من أنـواع التبعيـة لقـوات محمـد عـلي المـرابـطة في الحجـاز[١]. وقد سـارع العسيريـون بإرسـال بشائـر النصر مع بعض ماغنموه من قوات محمد علي إلى الإمام فيصل بن تركي، كدليل قـوى عـلى الروابط السيـاسية بـين نجد وعسـير[٢]. تلك الصلات التي هي امتـداد للصلات السيـاسية القـائمة مع نجد زمن الـدولة السعـودية الأولى[٣].

ونظراً لتمسك عائض بن مرعي بالاستقلال التـام نتيجة لتـأييد قبائله له وتفانيهم في الدفاع عن بلادهم، فقد أصبح مكروهاً من قبـل

---

(١) انظر الفصل الخاص بالموقف بين عسير وبين قوات محمد علي.

(٢) Philby, Saudi Arabia, London, Fairst Editim, 1955, p.174.

(٣) د. عبد الفتاح ابو علية، الـدولة السعـودية الثـانية، ط ٢، مؤسسـة الانوار، الـرياض ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ٤٠.

محمد علي، وكان قادة محمد علي يراقبون اتصالات عائض بن مرعي ومراسلاته الخارجية، ففي عام ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م علم خورشيد باشا بأن عائض بن مرعي أمير عسير بعث رسالة إلى الإمام فيصل بن تركي. وكان الذي نقل إليه هذا الخبر أحد الاشراف أثناء وجوده في نجد. غير أن الإمام فيصل بن تركي نفى أن يكون قد تلقى خطاباً من عائض بن مرعي، وإنما جاءه كتابان أحدهما من علي باشا والي بغداد والآخر من سليمان بن غنام شيخ عساكر عقيل من أهالي نجد، وبعث الإمام فيصل بخطاب يوضح فيه الحقيقة[1].

وسواء أكان أمير عسير بعث برسالة إلى فيصل بن تركي أم لم يبعث بتلك الرسالة فما لاشك فيه أن هناك علاقة وطيدة ومميزة تربط عسير بنجد، وكان المقصود بنقل ذلك الخبر الوشاية بفيصل بن تركي لدى أحمد باشا بخاصة وأن ذلك الخبر جاء من أحد الاشراف، وكان يهدف من ذلك إلى إبعاد فيصل بن تركي من نجد وإحلال شخص آخر يطيع أوامر الإشراف في الحجاز.

ومن الجدير بالذكر أن خورشيد باشا كان قد أرسل مبعوثاً عنه إلى الإمام فيصل بن تركي في نجد في ٢٢ شوال ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م، وكان ذلك المبعوث هو الشريف عبد الله حاكم بندر ينبع ليختار أحد حلين، أما الانسحاب من نجد إلى الاحساء، على أن يرسل أخاه جلوى كرهينة عند خورشيد لضمان تنفيذ الاتفاق، واما الحرب[2]،

---

(١) محفظة رقم ٢٦٤ عابدين، الوثيقة رقم ٢٣ أصلية، ٢٦١ حمراء، مؤرخة في ٢٢ ربيع الأول ١٢٥٤هـ من خورشيد باشا إلى الخديوي بشأن مراسلات بين فيصل بن تركي وعائض بن مرعي.

(٢) د. عبد الفتاح ابو علية، الدولة السعودية الثانية، ص ٤٧.

وتشير الوثائق[1] المصرية إلى أن فيصل قرر الانسحاب إلى الاحساء وأن يرسل أخاه جلوي إلى خورشيد باشا ليبقى رهينة عنده، كما أخبر فيصل جماعته وأعوانه أنه سيغادر منفوحة إلى الخرج، ويقرر مقاومة قوات خورشيد باشا[2].

والواقع أن موقف الإمام فيصل وقتذاك يجعله بحاجة إلى مراسلة كل من يثق به من امراء شبه الجزيرة العربية. ومما لاشك فيه أن عائض بن مرعي وقتذاك كان في وضع يسمح له بمساعدة الإمام فيصلٍ بن تركي في نجد، بخاصة وأنه كان خلال عام ١٢٥٤هـ مستقلاً استقلالاً تاماً عن سلطة محمد علي. ومن الأرجح أن يكون عائض بن مرعي تبادل الرسائل مع الإمام فيصل بن تركي للاتفاق ضد قوات محمد علي في الحجاز ونجد، ومما يؤيد رأينا الآتي :-

١ - يتفق تاريخ الوثيقة[3] التي تؤكد وجود مراسلة بين الأمير عائض بن مرعي والإمام فيصل، مع رفض فيصل لتنفيذ الاتفاق السابق مع خورشيد باشا، حيث توجه إلى الخرج وقام بحشد القوات لمواجهة خورشيد باشا.

٢ - قام عائض بن مرعي بهجوم شامل على قوات محمد علي في بلاد غامد في شهر ربيع الأول عام ١٢٥٤هـ[4]. وهناك إحتمال كبير أن يكون هذا الهجوم الكبير قد تم بناء على الاتفاق بين عائض بن مرعي وبين فيصل بن تركي لمواجهة قوات محمد علي

(١) محفظة ٢٦٢ عابدين، الوثيقة رقم ٢٦٥، مؤرخة في ٢٤ ذي القعدة، ١٢٥٣هـ، مرسلة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة.

(٢) عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ٢ ص ٨٢.

(٣) محفظة ٢٦٤ عابدين، الوثيقة رقم ٢٣ أصلية، ٢٦١ حمراء، مؤرخة في ٢٢ ربيع الأول ١٢٥٤هـ، مرسلة من خورشيد باشا إلى الخديوي.

(٤) عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ٢، ص ٨٢.

في الحجاز ونجد بالقوة، على أن يكون هجوم عسير ونجد في وقت واحد حتى تشتت جهود قادة محمد علي.

ولقد كان من العوامل المساعد على نجاح الثورة في عسير هو تدهور الأوضاع في نجد وقيام الثورات هناك، مما أجبر محمد علي على توجيه الأوامر إلى أحمد باشا سر عسكر الحجاز بالتوجه على رأس قواته إلى نجد لمساعدة اسماعيل بك[1]. ولكن أحمد باشا تعلل بمختلف الأعذار وذكر أن مسألة نجد قد انتهت وأنه لا حاجة بالتوجه إلى هناك[2]. ولكن حجج أحمد باشا قد ذهبت أدراج الرياح عندما وصله تقرير من اسماعيل بك يتضمن خبر انهزامه في الحوطة والحلوة وعودته إلى الرياض، وذكر في التقرير مدى مايعانيه من الضيق من ناحية العدد والعدّة، وطلب موافاته بآلاى وأربعمائة خيّال[3].

وعندما تأكد أحمد باشا من سوء الأوضاع في نجد، قام بإرسال أورطتين من الألاى الحادي والعشرين المعكسر في الطائف مع بعض الخيالة، وأرسل معهم مدفعاً واحداً. ولم يتمكن من إرسال المدد المطلوب لكونه أرسل ألا يا كاملاً لمواجهة عائض بن مرعي في تهامة لقيامه بمهاجمتها، في الوقت نفسه الذي اضطربت فيه الأوضاع في نجد[4].

---

(١) محفظة ٢٦٣ عابدين، الوثيقة رقم ١٢٣ حمراء، مؤرخة في ٦ ربيع الأول ١٢٥٤هـ مرسلة من أحمد باشا إلى جناب محمد علي.

(٢) محفظة رقم ٢٦١ عابدين، ترجمة الوثيقة رقم ٢٩٥ اصلية، نمرة ١٦ حمراء مؤرخة في ٢٠ صفر ١٢٥٣هـ، من أحمد شكري إلى صاحب العاطفة دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) محفظة رقم ٢٦٢ عابدين، الوثيقة رقم ٥٤ حمراء، مؤرخة في ٢٧ جمادي الأولى ١٢٥٣هـ، من أحمد باشا إلى صاحب العاطفة.

(٤) الوثيقة نفسها، رقم ٥٤ حمراء.

وهكذا يظهر لنا مدى تكامل عمليات المقاومة في نجد وعسير، مما يمثل اتفاقاً ضمنياً على مقاومة قوات محمد علي بكل السبل المتاحة، مما أجبر قادة محمد علي على تفريق قواتهم في نجد وعسير، وقد ساعد هذا عائض بن مرعي على الاستمرار مستقلاً عن سيطرة قوات محمد علي.

وعندما حاول أحمد باشا إرسال ألاى من الجند إلى نجد لمساعدة إسماعيل بك وخالد بن سعود ضد فيصل بن تركي، قام عائض بن مرعي بالتحرك باتجاه بلاد غامد وزهران، مما أجبر أحمد باشا على التراجع مرة أخرى عن إرسال الجنود إلى نجد، وبعث إلى خورشيد باشا يطلب منه القيام بهذه المهمة(1).

وقد ساعدت حركة عائض بن مرعي هذه الإمام فيصل بن تركي على القيام بمحاولة الاستيلاء على الرياض، وفشلت تلك المحاولة بعد أن قتل عدداً كبيراً من القوات التي كانت تدافع عن الرياض(2).

وقد أدرك قادة محمد علي أنهم أمام ثورتين قويتين وأنه ليس من اليسير القضاء عليهما في آن واحد، ولذلك فقد رأي خورشيد باشا أنه يجب القضاء على ثورة فيصل بن تركي لخطورتها، وأنه يتوجب عدم إعطاء النجديين فرصة للالتفاف حول فيصل بن تركي مرة أخرى، بل مواصلة الضغط على قوات فيصل بن تركي حتى يتم تشتيتها، وبعد

---

(1) محفظة ٢٦١ عابدين، ترجمة الوثيقة التركية بدون رقم، مؤرخة في ٢٧ جمادى الآخرة ١٢٥٣هـ، مرسلة من أحمد باشا إلى خورشيد باشا.

(2) محفظة ٢٦٢ عابدين، الوثيقة رقم ١٠٦ حمراء، مؤرخة في ٢٥ شعبان ١٢٥٣هـ، من يحى بن سليمان شيخ عنيزة إلى خورشيد باشا.
- محفظة ٢٦٢ عابدين، الوثيقة رقم ١٠٦ حمراء، مؤرخة في ١٢ رمضان ١٢٥٣هـ، من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة.

ذلك يتم الإلتفات لثورة عسير[1].

ومن هنا نلاحظ أن ثورة عسير قد تزامنت مع ثورة الإمام فيصل بن تركي في نجد، مما أجبر قوات محمد علي على الإهتمام بثورة نجد لخطورتها، ولكونها هي مركز أمراء آل سعود الذين يستطيعون بمجرد عودتهم إلى الحكم استقطاب أغلب أقاليم الجزيرة العربية، مما يهدد نفوذ محمد علي بشكل كبير، وأن هذا الإتفاق بين الثورتين في التاريخ يجعلنا نرجح أن هناك إتفاقاً تم بين أمراء عسير وأئمة آل سعود على تصعيد المقاومة ضد قوات محمد علي.

ومهما يكن نوع الإتفاق الذي تم بين عائض بن مرعي وبين الإمام فيصل بن تركي فإن بعد المسافة بينهما جعل قوات محمد علي تتمكن من التضييق على كل واحدة منهما على حدة. وعلى الرغم من أن عائض بن مرعى قد تمكن من الصمود مستفيداً من مناعة بلاده وصعوبة مهاجمتها، وما أظهره رجال المنطقة من تفان وتضحية للدفاع عن بلادهم إلا أن الإمام فيصل بن تركي قد اضطر إلى الاستسلام لقوات خورشيد باشا بعد أن أصيبت قواته بالذعر وسيطرت عليها موجة من السخط، بالإضافة إلى تذمر أهالي الخرج حتى أن بعض العائلات فرت إلى الصحراء من شدة آلام الغزو[2]. وكان استسلام الإمام فيصل في رمضان ١٢٥٤هـ/ديسمبر ١٨٣٨م. بعد فترة حكم استمرت أربع سنوات قضاها في الحروب والغزو الداخلي والخارجي أملاً في إعادة بناء الدولة السعودية[3].

---

(١) محفظة ٢٦٢ عابدين، الوثيقة رقم ١٥٧ حمراء، مؤرخة في ٩ شوال ١٢٥٣هـ، من خورشيد باشا إلى الاعتاب السنية.

(٢) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، ط١، المطبعة العلمية، بيروت ١٩٢٨، ص٨٠.

(٣) د. عبدالفتاح أبو علية، المرجع نفسه، ص٥٠.

وفي عـام ١٢٦٨هـ/١٨٥١م حدثت معـارك عنيفة بـين قـوات أرسلت من مصر وبين قبائل عسير بقيادة عائض بن مرعى، وقد تمكن عائض بن مرعي من هزيمة هذه القوات بعـد أن استمرت المعـارك بين الفـريقـين إلى مـطلع عـام ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م[1]. وعنـدمـا تحقق للعسيريين هذا النصر الكبير انـطلق الشعراء يتبـارون في الإشادة بـه، ولم ينس أمير عسير أواصر الروابط التي تربطهم بآل سعود فبعث بجـزء من الغنائم وبعض الهدايا إلى الأمير فيصل بن تركي[2]. ومعها قصيدة لعلي بن الحسن الحفظي يقول فيها[3]:

أيـا ام عـبـد مـالـك والـتـشـرد	ومسـراك بـالـليـل البـهـيم لـتبـعـد
سـلام عـلى عـبـدالـعـزيـز وشيـخـه	وتـابـع رشـد لـلإمـام المـجـدد
دعـا النـاس دهـراً للهـدى فـأجـابـه	فئـام فـمـنهـم عـالمـون ومـقـتـدى
ونـادى بـأعـلى الصوت بشـرى لفيصـل	وفي نـسـل سـادات المـلوك مـسـدد

كانت القصيدة السابقة قـد أرسلت إلى الإمام فيصـل بن تركي مـع بعض الغنائم والهـدايا فتبـارى شعراء نجـد في الرد عليهـا، ومن أشهـر تلك القصـائـد قصيـدة أحمـد بن عـلى مشـرف، التي يقـول في مطلعها[4]:

---

(١) صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعـودية في مـاضيها وحـاضرهـا جـ١، ط١، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٣٧٦هـ/١٩٥٦، ص٣٤٤، ٣٤٥.

(٢) سنت جـون فلبى، تاريخ نجد ودعـوة الشيخ محمـد بن عبدالـوهـاب، تعـريب عمـر الديراوي، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت (بدون تاريخ) ص٢٣٦.

(٣) انظر القصيدة كاملة في: محمد بن إبراهيم زين العابـدين الحفظي المصـدر السابق، من ص١٢٦ ـ ١٢٩.

(٤) عبدالله بن قيس الغامدي، الشعر في عسير، ط٢، مكتبة دار الفتح، دمشق ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، من ص٥٠ ـ ٥٩.
ـ محمد بن إبراهيم الحفظي، المصدر السابق، ص١٣٠ ـ ١٣٣.

بشير سعاد جاء نحوك فاسعد وقد وعدت وصلا فأوفت بموعد

ويستمر مشيداً بأعمال الإمام فيصل وأسلافه من آل سعود إلى أن يقول:

ولا تنس ذا الحي اليماني أنه لشيعة أهل الحق بالحق مقتدى
قبائل من همدان أو من شنوءة من الأزد اتباع الرئيس المسود
هموا قد حموا للدين إذ فل عضبه وبدد منه الشمل كل مبدد

وكل ما سبق ذكره من تبادل للقصائد والهدايا يؤكد لنا مدى الروابط المتينة التي تربط بين نجد وعسير، فإن أي انتصار يحرزه أحدهما تعم فرحته أنحاء الاقليمين. ان نجدا وعسيرا كانتا أساس المقاومة ضد القوات الغازية في الجزيرة العربية، حيث استمرت المقاومة فيهما حتى تم التخلص من قوات محمد علي التي أرادت السيطرة على كل أرجاء الجزيرة العربية بقوة السلاح.

علاقة عسير بالدولة السعودية خلال حكم محمد بن عائض:

في عام ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م حدث إمتحان حقيقي للعلاقة المتميزة بين نجد وعسير، حيث بعث الخديوي إسماعيل برسالة إلى الإمام فيصل بن تركي يطلب منه المساعدة في القضاء على ثورة محمد بن عائض في عسير، وتتمثل مطالب الخديوي في مساعدة جيشه وتسهيل مهمته ـ كما يقول ـ، ولم يطلب من الإمام فيصل المساعدة بأي قوات عسكرية للمشاركة في قتال آل عائض[١]. كما بعث برسالة مماثلة إلى ابن رشيد أمير جبل شمر[٢]. مما يؤكد أن الخديوي كان

(١) دفتر رقم ١٩٠٨، أوامر عربي، ص٩٥، صورة الأمر الكريم رقم ٤٢، مؤرخ في ٢٥ ذي الحجة ١٢٨٠هـ، من الخيدوي إسماعيل إلى فيصل بن تركي.

(٢) دفتر رقم ١٩٠٨، أوامر عربي، ص٨١، صورة الأمر الكريم رقم ٤١، مؤرخة في ٢٥ ذي الحجة ١٢٨٠هـ، مرسلة من الجناب العالي في مصر إلى الشيخ طلال بن رشيد شيخ جبل شمّر.

يعمل على حشد جميع القوى ضد ابن عائض أو ضمان حيادها على أقل تقدير.

ويرجح الدكتور عبدالفتاح أبو علية[1] أن الإمام فيصل بن تركي لم يقدم أي مساعدات لقوات الخديوي في حربها ضد عسير لأنه كان على علاقة جيدة مع قبائل عسير، ومع زعماء المنطقة من آل عائض، مشيراً إلى تبادل الهدايا بين الإمارتين في مناسبات كثيرة.

وأرى أن هناك عدة أسباب جعلت الإمام فيصل لا يستجيب إلى مطلب الخديوية هذا أذكر منها:

١ ـ العلاقة التاريخية الراسخة التي تربط بين امراء الدولة السعودية وبين أمراء عسير، منذ دخول الدعوة السلفية إلى عسير، حيث ظلت عسير متمسكة بمباديء الدعوة السلفية، ففي أحلك الظروف التي مرت بالدولة السعودية كانت عسير تحمل لواء الدعوة السلفية، ووقفت في وجه كل القوى التي عملت على اخضاعها طوال الفترة من ١٢٣٣ ـ ١٢٨٩هـ/ ١٨١٨ ـ ١٨٧٢م. ولم تقبل وصاية من أحد، واستمرت على استقلالها مع احتفاظها بعلاقة ممتازة مع امراء آل سعود في نجد طوال تلك الفترة[2].

٢ ـ لبعد نجد عن عسير، واستحالة إرسال قوات مصرية عن طريق نجد التي تقع وسط شبه الجزيرة العربية، لأن القوات المصرية نزلت في جدة ووالت تقدمها باتجاه الساحل حتى وصلت إلى ميناء القنفذة.

---

(١) الدولة السعودية الثانية، ص١٥٣.

(٢) المجلة المغربية، العدد ٢٩ ـ ٣٠، السنة العاشرة، يولية ١٩٨٣م، محمد بن عبدالله آل زلفة، دور عسير في إحداث الحجاز في الفترة ما بين ١٢٦٧ ـ ١٢٧٢هـ، ص٤٧، ٤٨.

٣ ـ لأن مشكلة عسير مع الخديوية والدولة العثمانية لم تتخذ مساراً خطيراً في تلك الفترة، بل انتهت بتوقيع اتفاقية للصلح والصداقة بين الطرفين، مع منح محمد بن عائض مرتبة الباشوية، ولأن المواجهة لم تحدث أصلاً بين عسير وبين القوات المصرية.

وبعد وفاة الإمام فيصل بن تركي بعام واحد توجه الأمير سعود بن فيصل إلى عسير طالباً نصرة أميرها محمد بن عائض له، ضد أخيه عبدالله بن فيصل امام نجد[١]. وكان ذلك في عام ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م[٢]. وعندما علم الإمام عبدالله بتوجه أخيه إلى أمير عسير، بعث إلى محمد بن عائض برسالة يشرح فيها موقفه من أخيه وأنّه لا يكن له إلا كل مودة وتقدير. وقد حمل هذه الرسالة اثنين من علماء نجد، ومعهما بالإضافة إلى رسالة ابن عائض رسالتان للأمير سعود إحداهما من الإمام عبدالله، والأخرى من الشيخ عبداللطيف آل الشيخ، إلا أن الأمير عبدالله لم يتراجع عن قراره وتوجه إلى نجران[٣]. وقد قابل الأمير محمد بن عائض الوفد بكل الإكرام والتقدير وأخبرهم أنه ما كان له أن يساعد سعوداً ضد أخيه لما تربطه بآل سعود من رُوابط متينة. وأنه عمل جاهداً قبل وصول الوفد لاقناع سعود بالعودة إلى جماعة المسلمين وعدم الخروج على أخيه، لكنه رفض وأصر على محاربة أخيه الإمام عبدالله بن فيصل[٤]. وقد بعث محمد بن عائض برسالة

---

(١) الأمير سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، قدم له الاستاذ محمد العبودي، ط١، مطبعة الرياض، الرياض، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م، ص٢٦، ٢٧
ـ محمود شكري الألوسي، تاريخ نجد، حققه محمد بهجت الأثري ط٢، المطبعة السلفية، مصر ١٣٤٧هـ، ص١٠١.

(٢) إبراهيم بن صالح بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ط١، منشورات اليمامة، الرياض ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص١٧٧.

(٣) الأمير سعود بن هذلول، المصدر السابق، ص٢٧.

(٤) عبدالله بن مسفر، أخبار عسير، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٩هـ/ =

إلى الأمير عبدالله قال فيها[1]: «ان سعوداً قدم علينا وطلب منا المساعدة والقيام معه ضدكم فلم نوافق على طلبه، وقد أشرنا عليه بالرجوع ونضمن له كل ما يريد معكم فلم يقبل، وفي نيته أن يغادر بلادنا إلى نجران».

وقد كان لموقف الأمير محمد بن عائض هذا صدى واسعاً في نجد، وعلل حمد[2] بن عتيق موقف الأمير محمد بن عائض من سعود بقوله[3]:

«وأما قولك أني منكر عليك تحيّزك إلى محمد بن عائض، فقد أنكرنا عليك السعي في الفتنة وسفك الدماء، وطلب ماليس لك، ومحمد بن عائض ما نقول فيه إلا الخير، والظن فيه أنه ما يساعدك على ما تحاول، ومعه من العقل والديانة ما يحجزه عن الخروج على مقتضى الشرع، ومقابلة إحسان آل الشيخ وآل مقرن[4] بالاساءة وحاشاه من

= ١٩٧٩م، ص١١٣.

- صلاح الدين المختار، المصدر السابق، جـ١، ص٣٦٠.

(١) رسالة من الأمير محمد بن عائض إلى الإمام عبدالله بن فيصل، انظر: الأمير سعود بن هذلول، المصدر السابق، ص٢٧.

(٢) حمد بن عتيق: هو من مشائخ نجد المشهورين، ولد في بلدة الزلفي عام ١٢٢٧هـ، وقد ولاه الإمام فيصل قضاء الخرج ثم الحلوة ثم الافلاج. له مؤلفات كثيرة، وتوفى عام ١٣٠١هـ رحمه الله رحمة واسعة.

انظر: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، مشاهير علماء نجد وغيرهم مطابع اليمامة، الرياض ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م، ص ١٨١.

(٣) من حمد بن عتيق إلى الإمام سعود، انظر: كتاب «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» جمع عبد الرحمن بن قاسم العاصمى، جـ٧، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م، ص ٢٥٨ - ٢٦٠.

(٤) يقصد بآل الشيخ أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويقصد بآل مقرن امراء آل سعود، لانهم ينتسبون إلى جدهم مقرن، والجدير بالذكر أن عسير تلقت الدعوة السلفية في العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، أوائل التاسع عشر الميلادي.

ذلك فكيف يظن بمحمد إنه يعرض نفسه واخوته وما أعطاه الله من العز إلى حلول هذه السنة به، اعاذه الله من ذلك والحمد لله الذي أوصل خطى إليه حتى عرفه وتحققه لأن الله قد جعل له نصيبا من العلم» كما أثني الأمير سعود بن هذلول[1] على محمد بن عائض، وعلل تصرفه ذلك بأن محمد بن عائض من الموالين لآل سعود، وأنه صاحب دين واستقامة، ولذلك فلم يساعد سعوداً على الفتنة.

وبعد... فلقد كانت مواقف عسير الايجابية من الدولة السعودية تنبع من الولاء للأئمة السعوديين الذين حكموا عسير في الفترة من ١٢١٧ ـ ١٢٣٣هـ / ١٨٠٢ ـ ١٨١٨م، وبالتالي فإن عسير ظلت على ولائها لنجد، وعندما استقلت تحت امرة آل عائض بقى امراؤها يحملون الولاء لآل سعود. ولم يتوانوا عن ارسال الهدايا والرسائل وبعض الغنائم لتعزيز أواصر المودة والصداقة التي لم تتغير على مرور الأيام، حتى تحققت الوحدة لمعظم أراضي شبه الجزيرة على يد المغفور له الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن.

ثانياً: علاقة إمارة عسير بأشراف الحجاز:

يتركز حديثنا هنا عن العلاقة القائمة بين إمارة عسير من جهة، وبين أشراف الحجاز من جهة ثانية. ولما كانت الحجاز تشترك في حدودها الجنوبية مع إمارة عسير، فقد ظلت العلاقة بينهما تمر بمراحل حرجة بسبب الخلاف على الحدود، ونتيجة لأطماع اشراف الحجاز في بعض أراضي عسير، كما كان لعسير أطماع كثيرة في ولاية الحجاز وقد ظهرت تلك الأطماع واضحة في آخر فترة حكم عائض بن مرعي، وفي فترة حكم محمد بن عائض.

---

(١) الأمير سعود بن هذلول، نفسه ص ٢٧.

ولما كان الأشراف يعتمدون بشكل رئيسي على مساعدة الدولة العثمانية لهم، وكثيراً ما عمل الأشراف ضد أمراء عسير بواسطة تحريض الدولة العثمانية ضد عسير، بينما كان أمراء عسير يعتمدون بشكل رئيسي على قوة قبائلهم وكثرتها ومناعة بلادهم وصعوبتها على الجيوش الغازية، ولم يمنع هذا من قيام بعض العلاقات الحسنة بين عسير والحجاز في فترات تاريخية متقطعة. وسنركز دراستنا على العلاقة بين الإمارتين خلال الفترة من ١٢٤٩ ـ ١٢٨٩هـ / ١٨٣٣ ـ ١٨٧٢م.

علاقة عسير بالحجاز خلال حكم عائض بن مرعى:

كان أشراف الحجاز يتولون مناصبهم بناء على تكليف من السلطان العثماني وخلال الفترة الممتدة من ١٢٤٩ ـ ١٢٨٩هـ / ١٨٣٣ ـ ١٨٧٢م، تولى عدد من الأشراف منصب شريف مكة، وكانت الدولة العثمانية تحرص دائماً على أن يكون الشريف أداة طيّعة في يدها فإذا شعرت أن نفوذه سيتسع، عملت على تغييره بشريف آخر واستدعت الشريف السابق إلى العاصمة العثمانية حتى يبقى بعيداً عن التأثير في الأحداث[1].

وفي عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م كان يتولى الشرافة في مكة الشريف محمد بن عون. وقد كان هذا الشريف حريصاً على أن يجعل من نفسه زعيماً لعسير، مساعداً لهم وحريصاً على مصالحهم، فنراه يقوم بالتوسط لمشائخ عسير المحتجزين لدى محمد علي في مصر، وحتى

---

(١) هارولدف. يعقوب، عدن وجنوب اليمن في ملوك العرب، ترجمة أحمد المضواحى، ط ١، دار النهضة ١٩٦٧م، ص ١٥١.
ـ المجلة التاريخية المغربية، السنة العاشرة، العدد ٢٩ ـ ٣٠، يوليو الحجاز في عهد الشريف عبدالمطلب، ص ٤٧.

إن كانت محاولته لم تواجه بالقبول إلا أنه حصل على وعد باعادتهم عندما تكون الظروف مناسبة[1].

وعلى الرغم من تظاهر شريف مكة بحرصه على كل عرب الجزيرة ومساعدته لهم عند أي نائبة، إلا أنه في الواقع كان أكثر الأشراف تعاونا مع قوات محمد علي في الحجاز، يقول الدكتور عبد الحميد البطريق عن موقفه هذا مانصه[2]: «ذكرنا أن الشريف محمد بن عون تولى إمارة مكة للثقة الكبيرة التي وضعتها فيه القاهرة، ووثائق عابدين التي نتحدث عنها مليئة بتاريخه الطويل في خدمة حكومة الحجاز فقد كان أميراً على عسير، وكان الساعد الأيمن لحاكم الحجاز أحمد باشا يكن في حروبه في عسير، ومن تقارير أحمد باشا المحفوظة ضمن وثائق عابدين يتضح للباحث مدى شجاعته واخلاصه للنظام الجديد بالحجاز، وأنه اشترك اشتراكاً فعلياً على رأس حملات وجهت ضد زعماء عسير (علي بن مجثل) و(عائض بن مرعي[3]).

ومع بداية حكم عائض بن مرعي عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م تعرضت عسير لهجمات متوالية من قبل والي الحجاز أحمد باشا والشريف محمد بن عون، وعلى الرغم من تحقيق هذه الحملات بعض الانتصارات الأولية، إلا أنها هزمت في النهاية وأخرجت من عسير بعد توقيع اتفاقية جاءت كل بنودها في صالح أمير عسير. وغادرت قوات

---

(١) سجل ديوان خديوي تركي، نمرة ٧٤٦، صحيفة ٦، نمرة المكاتبة ٣٦، من الديوان الخديوي إلى شريف مكة محمد بن عون، مؤرخة في ٩ ربيع الثاني ١٢٤٥هـ محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) د. عبدالحميد البطريق، اشراف الحجاز في الوثائق المصرية (١٢٢٨هـ - ١٢٥٦هـ)، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، جـ ٢، مطابع جامعة الرياض، ص ٢٤٠.

(٣) سبق الحديث عن تلك الحملات في الفصل الثالث من هذه الرسالة، وذلك اثناء الحديث عن عسير قبيل حكم آل عائض.

محمد علي التي يقودها الشريف محمد بن عـون وأحمد بـاشا يكن عسـير متجهة إلى الحجاز، تحت حراسة قـوات من عسير، لضمـان سلامتهـا داخل الحدود العسيرية من أي إعتداء. وان أكثر مـا يلقى الضوء عـلى تلك الأحـداث رسـالـة مـوجهـة من عـائض بن مـرعي إلى الشـريف علي بن حيدر يقول فيها[1]:

«من عـائض بن مـرعي إلى الشـريف المكـرم عـلي بن حيـدر. سـلام عليكم ورحمـة الله وبركـاته. وبعـد: صدورهـا يوم الأحـد لعله رابـع وعشرين في شهر جمـاد أول[2] بعد أن انفصـل الصلح بين أحمـد باشـا والشريف ابن عون يوم الجمعة ٢٣ في الشهر بعد الحروب العظيمـة في مناظر وانتقـل أحمد بـاشا بمـطرحه وعـاد من حيث جاء معـه أحد عشر صحيب من عسـير يحفظونـه لا أحد يخـالف على أصحـابـه، وكـان في شرط الصلح أن لنا من صبيا إلى وادي حلى وبارق والمحدود داخـل في الحد إلينا والحوازمة ومن يعلق بهم إلينا وجميع أراضيهم بـاليمن داخلة في الصلح بأيديهم، وفي ذلك قاعدة[3]بأيدينا ورشومهم عليها».

ولم يعترف محمد بن عون بالهـزيمة، فكـرر المحاولـة مرة أخـرى حيث توجه عـلى رأس قوات كبيـرة إلى عسير، ولكنـه منى بهزيمـة أمام عسـير بقيـادة أميـرهم عـائض بن مـرعى وذلـك عـام ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م[4]. ونتيجة لهذه الهزيمة وقع خلاف بين أحمد باشا يكن وبـين الشريف محمد بن عون وأخذ كـل منهما يلقى بـالمسئوليـة على الآخـر، فالشريف محمد بن عون أتهم أحمد باشا بالتقصير في ارسال الإمدادات إليه. بينما أرسـل أحمد بـاشا كتـاباً إلى محمـد علي يتهم محمـد بن عون

(١) محمد أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، جـ ١، ط ٢، ص ٥٥٩، ٥٦٠.
(٢) من عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٣م.
(٣) قاعدة: يعني بذلك ورقة تثبت اعترافهم بأن تلك المناطق تابعة لعسير مع توقيعهم عليها.
(٤) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، جـ ٢، ص ٦٨.

بالتهاون ويلقى عليه مسئولية الهزيمة أمام عسير[1]. وقد اقتنع محمد علي بكلام أحمد باشا واستدعى محمد بن عون إلى مصر بحجة التشاور معه في الخطة المثلى لاخماد الثورة في عسير، وانتهت المشاورات أخيراً بأن أبقاه في مصر حتى اشعار آخر. وذلك ما يشبه الإدانة له بتعاطفه مع أهل عسير[2].

ومع أن الكثيرين مقتنعين بهذه الإدانة إلا أنني لا أتفق معهم على هذا الرأي لاسباب أهمها:

١ - عجز أحمد باشا عن التقدم نحو عسير بعد تنحية الشريف محمد بن عون عن إمارة مكة المكرمة. بل اكتفى بمواجهتهم في بلاد غامد وزهران، أي أنه وقف موقفاً دفاعياً ولم تتعرض بلاد عسير لأي هجوم كبير منذ عام ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م، حتى انسحاب قوات محمد علي من الجزيرة العربية نهائياً.

٢ - عزا بعض المؤرخين[3] احتلال عائض بن مرعى لبلاد غامد وزهران إلى غياب محمد بن عون في مصر. لأن وجود محمد بن عون في الحجاز ومعه تلك القوات الضخمة والمجهزة يجعله يقوم بالهجوم على عسير بدل انتظارهم، بخاصة وأنه يعرف المنطقة جيداً، ويعرف قبائلها وطاقاتها، ولذلك فهو مؤهل أحسن من غيره لقيادة قوات محمد علي في الحجاز، وكانت تنحيته عن إمارة مكة أكبر مساعدة يقدمها محمد علي لعائض بن مرعي.

---

(١) مقبل الذكير، تاريخ نجد، (مخطوطة) محفوظ بمعمل التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية، ص ٦١، ٦٢، ٦٤.
انظر: د. عبدالفتاح أبو علية، الدولة السعودية الثانية، ص ٣٩، ٤٠.

(٢) Philby, Saudi Arabia, London, First Edition, 1955, P. 174.

(٣) هاشم النعمى، المصدر السابق، ص ١٩٢.

٣ ـ أن بقاءه في مصر لايدل على اتهام محمد علي له، وإنما يراد منه تفادى الصدام بينه وبين أحمد باشا، فقد ثبت لمحمد علي عدم جدوى عملهما سويا، لكونهما شخصيتان قويتان كل منهما يريد السيطرة مما أدى إلى وقوع الخلاف بينهما، وأمام هذا الواقع اضطر محمد علي إلى بقائه في القاهرة لأن المصلحة تقتضي ذلك.

٤ ـ التكريم والحفاوة التي قوبل بها الشريف في مصر، كما أن محمد علي كان يستشيره فيما يعرض عليه من أمور الحجاز[١]. مما يدل على ثقته به وأنه لم يكن يشك في اخلاصه عندما أبقاه في مصر، وإنما فعل ذلك لتهدئة الموقف بينه وبين أحمد باشا.

٥ ـ اتسمت هجمات محمد بن عون على عسير بالعنف والقسوة الشديدة، وما كان يقوم به جيشه من حرق للقرى وقطع للرؤوس بلا شفقة ولا رحمة أكبر دليل على عدم تهاون هذا الشريف في قتال عسير، ودليل قاطع على رغبته الأكيدة في اخماد ثورة عسير بكل السبل المتاحة[٢].

٦ ـ حرص الشريف الشديد على بقاء عُسير خاضعة لسيادة محمد علي باشا بدليل معارضته الشديدة لانسحاب قوات محمد علي من جزيرة العرب. ومحاولته اقناع محمد علي بالعدول عن قرار الانسحاب لكونه سيؤدي إلى تزايد نفوذ عسير على كل من الحجاز واليمن[٣].

---

(١) د. عبدالحميد البطريق، البحث السابق، ص ٢٤١.

(٢) محفظة رقم ٩ بحربرا، ترجمة الوثيقة رقم ١٠٥، بدون تاريخ، مرسلة من أحمد باشا إلى صاحب الدولة. محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) محفظة رقم ٢٦٩ عابدين، الوثيقة رقم ٤٢/٣٩، الارادة رقم ٢٣، مؤرخة في ٢٧ رجب ١٢٥٦هـ، مرسلة من أحمد شكري إلى صاحب الدولة. دار الوثائق القومية بالقاهرة.

وقد أخذ قادة محمد علي يتشككون من جميع الأشراف، فنجد بعض الوثائق تتهمهم بأنهم وراء اصرار أهل عسير على الثورة، وأنهم يحرضون زعماء عسير عليها عن طريق الرسائل التي ارسلت إليهم. ومما ورد في وثيقة[1] بهذا الخصوص ما يلي: «بأنه قال لي محمد أغا قائمقام الألاى الخامس عشر بعد القبض على فيصل، إن اصرار أهل عسير على العصيان إلى هذا الحد إنما هو باغراء بعض الأشراف وأن أوراقهم موجودة، وأنه لمّا قال له هذا القول كان البكباشي الرابع للألاى المذكور إبراهيم أغا حاضرا».

ومهما يكن فقد بقى الشريف في مصر معززاً مكرماً حتى شهر ذي القعدة عام ١٢٥٥هـ حين أعاده محمد علي إلى الحجاز، وأمر محافظ مكة أن يجعله مسئولاً عن شئون القبائل، وبدأ يمارس سلطات واسعة في إدارة شئون الحكم وتوزيع المناصب على الأشراف الموالين، أضف إلى ذلك أنه عهد إليه قيادة القوات التي توجهت لاخماد ثورة قبائل حرب في الحجاز[2]. وهذه ثقة كبيرة منحه اياها محمد علي باشا وهي دليل قاطع على رضاه الكامل عنه.

ولم يطل وجود قوات محمد علي في الجزيرة العربية بعد عودة محمد بن عون من القاهرة، فعندما قرر محمد علي سحب قواته من الجزيرة العربية بعث خطابا إلى محمد بن عون، ضمنه الأمر بتوليته على كافة الأقطار الحجازية، وذكر فيه الكثير من عبارات المديح والثناء على محمد بن عون ونسبه، مما يدل على أنه كان راضياً عنه كل الرضا ، وقد طلب منه المساعدة على سحب الجنود من جميع مناطق الجزيرة

---

(١) د. عبدالحميد البطريق، البحث السابق، ص ٢٤١.

(٢) محفظة سايرة، ترجمة الوثيقة رقم ٩٢، مؤرخة في ٢ جماد الثاني ١٢٥٦هـ، من الجناب العالي إلى الشريف محمد بن عون، محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

العربية، وفي الوقت نفسه طلب منه أن يتخذ كافة التدابير من أجل اخضاع من أسماهم بالعصاة والبغاة، ولم يبق معه سوى بضع مئات من العساكر المرتزقة لتنفيذ هذه المهمة الصعبة[1].

وقد ابتدأ محمد بن عون عمله بنشاط وحيوية، فتذكر احدى الوثائق[2] أن الشريف سرعان ما تمكن من السيطرة على الأمور في الحجاز، وأنه توجه إلى الباحة في وسط غامد كي يساعد قوات أحمد باشا على النزول من الجبال إلى القنفذة وتذكر الوثيقة أيضاً أنه جمع نحو خمسة عشرة ألفا من العربان إضافة إلى الجنود غير النظامين من أجل مواجهة قوات عسير البالغ عددهم نحو سبعة الآف، بالإضافة إلى عدة آلاف من قبائل بني شهر وبني عمرو، وأنهم كانوا يريدون الهجوم على المناطق التي يخليها جيش محمد علي. وتذكر الوثيقة أنهم خافوا بمجرد علمهم بحشود الشريف فقرروا الإنسحاب والفرار من وجهه. ورغم تلك الحشود التي قام بها كل من أمير عسير وشريف مكة فإنهما كانا يميلان إلى الصلح، ومما ورد في ذلك مايلي[3]: «وقد جاء منهم كتابان في طلب الصلح مختوم أحدهما من محمد بن مفرح - وهو الثاني درجة في الشقاوة بين عسير - وقد ختم الكتاب بالنيابة عن عائض بن مرعي، والآخر مختوم بخاتم الشيخ غرم شيخ بني شهر كافة، وقد ارتضينا الصلح نحن أيضا وكتبنا إلى أولئك المشائخ نرد عليهم. وقد كتبنا في جوابهم أن يرسلوا كتاب شروط مختوماً بخاتم عائض بن مرعى يشمل الشروط التي نبتغيها، وسنعود إلى مكة عندما يأتي من عائض المذكور كتاب شروط يوافق مرضاتنا».

---

(١) الوثيقة السابقة رقم ٩٢.

(٢) محفظة ٢٦٩ عابدين، ترجمة الوثيقة رقم ٦٨ أصلية ٢١٧ حمراء، مؤرخة في ١٩ شعبان ١٢٥٦هـ، من محمد بن عون إلى الجناب العالي، محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) الوثيقة السابقة رقم ٦٨ أصلية، ٢١٧ حمراء.

وقد شرح محمد بن عون في رسالة لـه لمحمد علـى الأسباب التي جعلته يوافق على الصلح مع عائض بن مرعي[1]، حيث أنه لا يوجد معه سوى خمسمائة جندي غير منظم وهذا العدد لا يكفي لمواجهة عائض بن مرعي، وتمنى لو كان لديه عساكر لاخضاع عسير لسلطته.

ونلاحظ أنه يوجه في رسالته نقداً خفياً لأحمد باشا الذي عجز عن التقدم نحو عسير، رغم وجود معظم قوات محمد علي تحت قيادته. اضافة إلى أن فيها إشارة تدل على أن محمد بن عون لا يثق في رجال القبائل التابعة له وأنه لا يستطيع مواجهة عسير بهم، ولـذا فهو يتجاهلهم ولا يذكرهم في تلك الرسالة رغم أنه ذكر في وثيقة سابقة أنه اجتمع لديه أكثر من خمسة عشر ألفا من العربان التابعين له[2].

ولئن كان شريف مكة محمد بن عون راغباً في الصلح مع عسير، فإن عائض بن مرعي زعيم عسير كان أكثر ميلاً إلى الصلح، لأنه أراد أن يضع حداً لحالة الإستعداد والترقب التي عاشتها إمارته طيلة وجود قوات محمد علي في الحجاز. وتحقيقاً لرغبة عائض بن مرعي في الصلح فقد رد على خطاب محمد بن عون السابق بالموافقة على الصلح، على أن يبقى تابعاً له ما تحت يده من بلاد. ومما قاله محمد بن عون عن هذا الصلح[3]: «أن مسألة عسير قد اقترنت بالتسهيل والتيسير وأن الكلام بقي على ورود الشروط التي نطلبها من عائض بن مرعي، وأن حدود البلاد التي هي بيد أحمد باشا وتحت

(١) محفظة ٢٦٩ عابدين، نمرة ٧١ أصلية، ٣٠٨ حمراء، مؤرخة في ١٩ رمضان ١٢٥٦هـ، مرسلة من محمد بن عون إلى صاحب الدولة، محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) محفظة ٢٦٩ عابدين، ترجمة الوثيقة نمرة ٦٨ أصلية، ٢١٧ حمراء، مؤرخة في ١٩ شعبان ١٢٥٦هـ، من محمد بن عون إلى الجناب العالي.

(٣) محفظة ٢٦٩ عابدين، نمرة ٧١ أصلية، ٣٠٨ حمراء، مؤرخة في ١٩ رمضان ١٢٥٦هـ، مرسلة من محمد بن عون إلى صاحب الدولة.

حكمه هي بالقرن وشمران وبيشة وحلى، وقد جاءت الشروط المطلوبة من عائض وفيها يقول أنه يـطلب أن يبقى في يده الجهـات التي هي في يده في هذا الطرف كما كانت عليه من قبل».

وتشير المصادر المحلية[1] إلى أنه كان من ضمن شروط الصلح، أن يتم إطلاق سراح أسرى رغدان من العسيريين، وكان ضمنهم عدد كبير من رجال ألمع إضافة إلى أن تضع الحرب أوزارها بـين الطرفـين. على أن تكون المنطقة الممتدة من بني عمرو وبني شهر وحلى بن يعقـوب شمالاً تابعة لأمير عسـير، بينما يتبـع إمارة الحجـاز المناطق الـواقعة إلى الشمال من الأماكن السابقة الذكر.

ويتضـح لنا من الإتفـاقية السـابقة أنها كـانت لصالـح الشريف محمـد بن عون الـذي كان في وضـع حربي سيء، بخـاصة وأنـه تسلم إمارة مكة المكرمة بعد إنسحاب قوات محمد عـلي من الجزيـرة العربيـة ولكن عائض بن مرعي كان قد سئم الحـروب ولذلـك فقد قـرر قبول الصلح، خاصة وأنه خاف ان هـو لم يوافق عـلى تلك الإتفاقيـة وتقدم لـلاستيلاء عـلى بعض المناطق التـابعـة لشـريف مكـة أن تتصـدى لـه القوات العثمانيـة من جديـد، وهذا مـا كان يعمـل عائض بن مـرعي لتجنبه لأنه يريد أن يبعد أخطار الحرب عن بلاده، لما لحق بأهـل عسير من المتاعب والمآسي أثناء حروبهم مع قوات محمد علي.

ويبدو أن الأمير عائض بن مرعي لم يـدرك مدى ضعف شـريف مكة إلا عام ١٢٦٠هـ، عندما قام بنقض الإتفاقيـة دون سبب، حيث تقدم فاستولى على بيشة وبلقرن وشمـران وغامـد وزهران، كـما اجتاح

---

(١) هاشم النعمى، المصدر السابق، ص١٩٧، ١٩٨.
- عبدالله بن مسفر، المصدر السابق، ص١٠٠.

المناطق الساحلية وأعادها إلى طاعته. [1]. ووالت قوات عائض بن مرعي توسعها على حساب إمارة مكة حتى استولت على الطائف عام ١٢٦٢هـ/١٨٤٦م. ولكنها عادت وانسحبت منها مقابل إتفاقية يتم بموجبها تخلي العثمانيين عن المخا. [2].

وكان تصرف الأمير عائض بن مرعي السابق، بمثابة الإعلان عن عدم رضاه عن الإتفاقية السابقة لشعوره بأنها كانت أقل من تطلعاته، ولكونها أدخلت مناطق كانت تابعة لإمارة عسير ضمن حدود إمارة مكة، مثل بيشة وشمران وبلقرن وغامد وزهران. وقد عزا بعض المؤرخين[3] يقظة عائض بن مرعي هذه إلى خلاف نشب بين الشريف محمد بن عون وبين الوالي عثمان باشا، مما جعلهما عاجزين عن المحافظة على حدود الحجاز التي تم الحصول عليها في الإتفاقات السابقة.

وكان السلطان العثماني عبدالمجيد قد قام بتعيين عثمان باشا والياً على الحجاز عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م، وكان يهدف من ذلك إلى جعل الأماكن المقدسة تحت إدارة ثنائية. [4] وفي البداية قام عثمان باشا باتخاذ جدة مقراً له ولكن قيام بعض الثورات أجبرته على البقاء في مكة، بعد أن تمكن من دخولها على رأس حملة مكونة من ألف رجل، وبذلك تمكن من التدخل المباشر في عزل الشريف وتولية آخر

(١) هاشم النعمى، نفسه، ص١٩٧، ١٩٨.
- محمود شاكر، المرجع السابق، ص١٩٢.
(٢) عبدالله بن مسفر، المصدر السابق، ص١٠٣.
(٣) هاشم النعمى، نفسه، ص١٩٧.
(٤) جورج انطونيوس، يقظة العرب، ترجمة د. ناصر الدين الأسد . إحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣ (بدون تاريخ)، ص١٣٣.

مكانة . [1].

ولم تستمر حالة التوتر طويلاً بين الحجاز وعسير، فتتحدث بعض المصادر عن توقيع اتفاقية بين أمير عسير والشريف محمد بن عون تم بموجبها العودة إلى الحدود التي اتفق عليها الطرفان عام ١٢٥٦هـ عندما إنسحبت قوات محمد علي من الجزيرة العربية، وكان ذلك عام ١٢٦٥هـ/١٨٤٩م.

وفي الواقع أن شريف مكة كان مضطراً للتفاوض مع العسيريين وتحسين العلاقة معهم، بخاصة بعد وصول الأوامر إليه بالتوجه على رأس قوة عثمانية لاستلام أملاك الشريف حسين في المخلاف السليماني، وكان الشريف المذكور قد تنازل عن أملاكه للدولة العثمانية وقد توجه محمد بن عون برفقة القائد توفيق باشا حتى وصلت قواتها المخلاف السليماني، ثم واصلت سيرها إلى صنعاء فاستقبلها محمد بن يحى وأدخلها المدينة. ولكن أهالي اليمن لم يلبثوا أن ثاروا على تلك الحملة وأخرجوها من صنعاء، فعادت تلك القوات إلى الحديدة وبرفقتها محمد بن عون، الذي عاد بعد ذلك إلى مكة بعد فشل حملته تلك في السيطرة على صنعاء[2].

ما أن أدركت الإدارة العثمانية الخطر الذي يهدد نفوذها من ازدياد نفوذ الشريف محمد بن عون حتى أقالته وأحلت محله الشريف عبدالمطلب، فقد تلقى باشا جدة تعليمات من الباب العالي تقضي بإرسال شريف مكة وابنيه الكبيرين إلى تركيا وتعيين الشريف

(١) توفيق على بروة العرب والترك في العهد الدستوري (١٩٠٨ ـ ١٩١٤م) من مطبوعات معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة ١٩٦٩م، ص٨.

(٢) محمد بن إسماعيل الكبسى، اللطايف السنية في أخبار الممالك اليمنية (مخطوطة)، ورقة ١١.

عبدالمطلب مكانه، فترك الشريف محمد بن عون أمور الشرافة بيد منصور بن يحيى وذلك حتى عودة الشريف عبدالمطلب من العاصمة العثمانية. [1]

ولقد كان للشريف عبدالمطلب علاقة ودية بأمراء عسير تعود إلى عام ١٢٤٣هـ، عندما قامت ثورة من قبل الأشراف في الحجاز ضد قوات محمد علي الموجودة هناك، وتمكنت قوات محمد علي من إلقاء القبض على أغلب الأشراف، بينما فر إلى عسير الشريفان عبدالمطلب بن غالب وأخيه علي، وتعذر إلقاء القبض عليهما، وأخذا يرسلان المكاتبات إلى الأشراف الموجودين في الحجاز، يحثانهم فيها على القيام بثورة ضد قوات محمد علي الموجودة في الحجاز[2] رغم محاولة محافظ مكة استرجاعهما إلا أن أمير عسير علي بن مجثل رفض إعادتهما، ولكنه أكد أنه لن يساعدهما ضد قوات محمد علي في الحجاز. ولكن محمد علي لم يقتنع بتعهدات زعيم عسير بل أصر على أنه ان لم يتم تسليم أولئك الإشراف فلابد أن يؤدّبوا هم ومن يتعاون معهم[3]. ورغم حماية أمير عسير للشريف عبدالمطلب وأخيه عليا إلا أن الأحوال في عسير لم تعجبهما بعد أن فقدا الراحة والأمان، فاتجها إلى والي الشام رؤوف باشا فلم يجرهما، فتوجها إلى بغداد، ومنها إلى العاصمة العثمانية حيث بقيا تحت حماية السلطان العثماني نفسه[4].

---

(١) د. سيد رجب حراز، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٠م، ص١١٢.

(٢) محفظة ١٢ بحر برا، ترجمة المكاتبة ٦٣، مؤرخة في ١٥ شوال ١٢٤٣هـ، مرسلة من مصطفى إلى الجناب العالي. محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) دفتر رقم ٣١ معية تركي، ترجمة الوثيقة رقم ١٨٥، مؤرخة في ٢٠ شوال ١٢٤٣هـ، مرسلة من محمد علي إلى الشريف عبدالمطلب.

(٤) د. عبدالحميد البطريق، البحث السابق، ص٢٣٩.

وفي الواقع أن الدولة العثمانية كانت تدرك الصراع الخفي القائم بين الأشراف وبخاصة ذوي زيد وهم الفرع الذي ينتسب إليه عبدالمطلب، وذوى عون وهم الفرع الذي ينتسب إليه محمد بن عون. وكان هذا الخلاف من مصلحة الدولة العثمانية، حيث وقفت على الحياد، وكانت لا تؤيد طرفا ضد آخر، بل إنها تغيّر الشريف القائم من أحد الفرعين تبعاً للتطورات القائمة آنذاك، فهي إذن لا تلتزم بموقف ثابت من الفرعين[1].

إلا أن الشريف عبدالمطلب كان يدرك أن سلطة شريف مكة آخذة في التضاؤل وأنه لم يعد إلا وسيلة لاستغلال نفوذه في إخضاع القبائل العربية للسلطة العثمانية. لذا فقد انتهج الشريف عبدالمطلب سياسة التقرب من القبائل العربية لا لاخضاعها لسلطة اسطنبول بل لتحريضها على الثورة ضد الإدارة العثمانية، بدليلٍ وقوفه مع ثورة الحجاز ودخوله في علاقات ودية مع أمير عسير مستغلاً أحداث مكة. وهذه سياسة مغايرة للسياسة التي كان ينتهجها سلفه الشريف محمد بن عون الذي وظّف كل نفوذه لاخضاع القبائل العربية لنفوذ سلطة حكومة اسطنبول، كما فعل ذلك من قبل لصالح حكومة محمد علي باشا، وهي السياسة التي انتهجها أبناؤه وأحفاده من بعده[2].

وقد تميّز عهد الشريف عبد المطلب بن غالب هذا، بالخلاف الدائم والمستمر بينه وبين الولاة العثمانيين الذين تولّوا في الحجاز خلال تلك الفترة. إلا أن الصراع إزداد حدة في عهد الوالي أحمد عزت باشا، الذي كان أول من كتب إلى الصدارة العظمى مشككاً في

---

(١) د. صالح العمرو، تقارير القناصل البريطانيين في جدة كمصدر لتاريخ غرب الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، ندوة مصادر تاريخ الجزيرة العربية جـ٢، مطابع جامعة الرياض، ص٢٢٣.

(٢) محمد بن عبدالله آل زلفة، البحث السابق، ص٤٩.

إخلاص الشريف عبد المطلب، ومحذراً من تقربه من أمير عسير عائض بن مرعي، الذي لا يعترف بسلطة الحكومة العثمانية(١).

وكان قرار الدولة العثمانية بمنع بيع الرقيق في أسواق مدن ولاية الحجاز سبباً مباشراً لتصاعد الخلاف بين الشريف عبد المطلب وبين الوالي العثماني القائم آنذاك. وقد قابل العلماء هذا القرار بالرفض والاحتجاج الشديدين الأمر الذي حرك مشاعر العامة فقادوا مظاهرة انتهت بمهاجمة مقر الحكومة وقتل كثير من كبار موظفي الدولة، وفي أثناء وقوع هذه الحوادث كان الشريف عبد المطلب مقيماً في مدينة الطائف ولم يكن حينها على علاقة ودية مع والي الحجاز محمد كامل باشا الذي اتهم الشريف بأنه مدبر هذه الأحداث، وأصدر قراراً بعزله وتعيين الشريف عبد الله بن ناصر مكانه، فكانت ردود الفعل لدى الشريف عبد المطلب أن أعلن تأييده علنا للثوار ضد القرار السلطاني الذي يخالف الشرع الشريف(٢).

وتشير الوثائق العثمانية(٣) إلى أن هناك اتفاقاً سرياً قد تم بين الشريف عبد المطلب وبين أمير عسير عائض بن مرعي. إذ كان الأول يعمل على استقلاله بولاية الحجاز، ولتحقيق هذه الغاية كان لابد له من حليف قوى مثل الأمير عائض الذي تمكن من مد نفوذه وإستيلائه على بعض المناطق التابعة لولاية الحجاز. وقد رد الشريف عبد المطلب

---

(١) أحمد السباعي، تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع، جـ١ مطابع دار الكتاب العربي، مصر ١٣٧٢هـ، ص٣٧٣ ـ ٣٧٧.
ـ هاشم النعمى، المصدر السابق، ص٢٠٠، ٢٠١.

(٢) أحمد السباعي، المصدر السابق، ص ٣٧٣ ـ ٣٧٧.

(٣) وثيقة داخلية رقم ١٨٩٧٧، مؤرخة في ٧ جماد الثانية ١٢٧٠هـ، مرسلة من والي جدة أحمد عزت باشا إلى الصدر الأعظم. انظر محمد عبد الله آل زلفة، البحث السابق، ص ٥١.

على تهمة الوالي له بالتعاون مع أمير عسير، حينما كتب إلى الصدارة العظمى مبرراً موقف أمير عسير من المناطق التي أشار إليها في تقريره بأن حركة الأمير عائض لم تكن رغبة في التوسع على حساب أراضي الولاية، بل كانت «لتربية بعض رعاياه وإصلاحهم، وفي الواقع أنه كما ذكر وأعلمني فإنه لم يتجاوز حدوده وأنه قام لمواجهة مخالفيه من القبائل ثم عاد إلى محله[1]».

ويبدو أنه من المؤكد أن اتفاقاً بخصوص الحدود قد تم بين الشريف عبد المطلب وبين الأمير عائض بن مرعي بدون علم والي جدة. فقد كتب والي جدة إلى أمير عسير محتجاً على إحتلال القوات العسيرية لبعض المناطق علي ساحل البحر الأحمر مثل: دوقة والأحسبة، فجاء رد أمير عسير عن طريق أميره على المناطق الساحلية الشمالية لاحق الزيداني، الذي بعث برسالة إلى محافظ القنفذة التابعة لولاية الحجاز يخبره بأن كتب الوالي إلى الأمير عائض قد وصلت، ويشير إلى أن اتفاقاً قد تم فعلاً بين الشريف عبد المطلب وبين أمير عسير أصبح بموجبه أن من حلى إلى الأحسبة حكمه لعسير، ومن الأحسبة وشمالاً حكمه للدولة[2].

وقد شاع في ولاية الحجاز أن أمير عسير بإستيلائه على دوقة والأحسبة القريبتين جداً من المدن الحجازية الرئيسية ماهي إلا خطوة أولى تمهيداً للإستيلاء على ولاية الحجاز كلها. كما بعث الأمير عائض برسائل إلى كل من والي جدة الجديد محمد كامل باشا الذي خلف

---

(١) وثيقة إرادة داخلية رقم ١٩١٤٣، مؤرخة في ١١ صفر ١٢٧٠هـ، من الشريف عبد المطلب إلى الصدر الأعظم.

(٢) وثيقة داخلية لفة ٦. ١٨٩٧٤ مؤرخة في ٩ ربيع الآخر ١٢٧٠هـ، من محافظ القنفذة إلى والي جدة.

- انظر محمد عبد الله آل زلفة، البحث السابق، ص ٥٣.

أحمد عزت باشا وإلى علماء مكة المكرمة، انطوت على عدم رضاه بما حل بالأراضي المقدسة من جنوح عن الشريعة الغراء[1].

ونلاحظ أن الأمير عائض قد ابتدأ مرحلة جديدة، فقد اطمأن إلى الشريف عبد المطلب ورغبته في التعاون مع عسير، كما تأكد له أن الدولة العثمانية لن تتمكن من توجيه أي حملة إليه في ذلك الوقت لإنشغالها بثورة الحجاز بسبب إلغاء الرق، فابتدأ يتدخل في الشئون الداخلية لولاية الحجاز، عن طريق إرسال الرسائل التي يحتج فيها على الأوضاع القائمة في الحجاز، ودون شك أن الأمير عائض قد أحس أن لديه القوة للإستيلاء على الحجاز لو أراد ذلك، ولكنه كان يخشى العواقب الوخيمة المترتبة على ذلك.

ويبدو أن محمد كامل باشا كان يدرك أنه لا قبل له بمواجهة أمير عسير في ذلك الوقت بالذات، ولذلك فقد فضل أن يدخل مع عائض بن مرعي في حوار بهدف حل المشكلات القائمة، فبعث بأحد كبار قادته المقدم على أفندي في مهمة خاصة إلى القنفذة للتحقيق في أحوال الأمير عائض. « وتطيب باله » ـ على حد تعبيره في تقريره للصدر الأعظم. كما بعث بصورة سرية بشخص يدعى عبوش بريدي وهو عسيرى الأصل، وصف الوالي مهمته بأنها بهدف « استراق السمع واختطاف النظر ومعرفة الحوادث ». وقد بعث المندوبان بتقارير إلى الوالي لإطلاعه فيها على نوايا الأمير وأن الأخبار التي وصلت إليه والتي وصفها الوالي بالأخبار الكاذبة « التي كان يروّج لها الشريف عبد المطلب » بأنها كانت العامل المحرك لأمير عسير « ويشير

---

(١) وثيقة ارادة مجلس مخصوص، رقم ٢٦٥، بدون تاريخ من محمد كامل باشا إلى الصدر الأعظم. وثيقة داخلية ٢/٦٤٧، مؤرخة في ٢٧ شوال ١٢٧١هـ، من محمد كامل باشا إلى الصدر الأعظم.

ـ انظر، محمد بن عبد الله آل زلفة، البحث السابق، ص ٥٢.

إلى أن الأمير عائض قد اطلع على الحقيقة وأدرك وتيقن الأمور معلنا صداقته نحو السلطنة السنية »[1].

وفي الواقع أن المصادر المحلية[2] تشير إلى هذا التفوق لعسير على الحجاز خلال الفترة الممتدة من ١٢٦٧هـ - ١٢٧٢هـ، ففي عام ١٢٦٧هـ كان عائض ابن مرعي في أوج قوّته حين قام باخضاع بيشة وبلقرن وماحولها من قبائل. ولم يكتف بذلك في ظل الضعف الذي حل بامارة مكة، بل تقدم واستولى على بلاد غامد وزهران عام ١٢٦٨هـ، فلو كان الموقف في غير صالحه لما قام بهذه الحملات واكتفى بالدفاع عن حدوده دون التوسع على حساب أشراف الحجاز.

وتؤيد الوثائق العثمانية ماتذكره المصادر المحلية من سيطرة عسير على بلاد غامد وزهران، ويتضح ذلك من التقرير المطوّل الذي رفعه والي جدة محمد كامل باشا متهماً فيه الشريف عبد المطلب بالتعاون مع عائض بن مرعي للسيطرة على هذه المنطقة، حيث يقول[3] :- « كان الشريف المشار إليه (يعني عبد المطلب) منذ ولي مهام الوظيفة في الحجاز يبيّت في نفسه أمراً بأن تكون له السلطة المستغلة ساعياً وراءها باحثاً عن مساعد يثير القبائل فلم يجد هنا غير الأمير عائض بن مرعي أمير عسير الذي استعان به ودفعه لترويج مقاصده ملوحاً له بوسائل الاتحاد (بين عسير والحجاز)، وفي بادىء الأمر جعل غامد وزهران المنطقتين المجسمتين من الأراضي الحجازية والمرفأ الممتاز (حلى) تحت تصرف ذلك الأمير على شروط معيّنة تتفق مع أمانيه الفاسدة في توطيد

---

(١) الوثيقة السابقة ٢١٦٤٧، مؤرخة في ٢٧ شوال ١٢٧١هـ.

(٢) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٢٠٠، ٢٠١.

- عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١٠٦، ١٠٧.

(٣) وثيقة إرادة مجلس مخصوص ٢٦٥، مؤرخة في ١٢٧٢هـ، من محمد كامل باشا إلى الصدر الأعظم، انظر، محمد عبد الله آل زلفة. البحث السابق، ص ٥٣.

أساس الاتحاد المنشود، وفي الآونة الأخيرة لم يدع وسيلة من وسائل تطييب خاطر الأمير إلا ولجأ إليها لتوثيق الصلة بينهما متظاهراً بالبغى والعصيان وإدعاء السلطان، وكان يوفد للأمير رسله ورسائله إستمداداً».

ويتضح لنا من الوثيقة السابقة مدى قوّة التعاون الذي تم بين أمير عسير وبين الشريف عبد المطلب بن غالب، ولم تكن تلك الفكرة تقوم على المصلحة فقط، بل أنها كانت تلبية لنداءات الرأى العام في الحجاز. فقد بعث علماء ووجهاء مكة المؤيدين للشريف عبد المطلب برسالة إلى أمير عسير عند ابتداء الفتنة يستنجدونه ويطلبون منه أن يضع حدا للممارسات غير الإسلامية التي حاول من أطلقوا عليهم أعداء الملة الإسلامية تطبيقها في بلد الله الحرام، وقد أجابهم الأمير عائض[1] بجواب يفهم من محتواه نص الخطاب الذي كانوا قد بعثوا به إليه، بالاضافة إلى أن كلا من والي جدة كامل باشا، وقائمقام امارة مكة المكرمة الشريف عبد الله بن ناصر قد بعث برسائل إلى الأمير عائض يطلعانه فيها على استقامة الأحكام الشرعية في الأماكن المقدسة، وأن أسباب الفتنة قد زالت، فكان جوابه لهما بخطاب قال فيه[2] :-

« وصل كتابكم المكرم وفهمت خطابكم المفخم المبشر باستقامة الأحكام الشرعية كما أمر الله في بلد الله المرعية وخمول الأحكام الكفرية

(١) وثيقة عربية إرادة مجلس مخصوص رقم ٢٦٥، مؤرخة في ٢٩ ربيع آخر ١٢٧٢هـ من عائض بن مرعي إلى علماء بلد الله الحرام، مكان الحفظ ارشيف رئاسة الوزراء استانبول، انظر محمد آل زلفة، البحث السابق، ص ٥٥.

(٢) وثيقة عربية إرادة مجلس مخصوص ٢٦٥، مؤرخة في ٢٩ ربيع آخر ١٢٧٢هـ، مرسلة من عائض بن مرعي إلى الشريف عبد الله ناصر. انظر، محمد بن عبد الله آل زلفة، البحث السابق، ص ٥٥.

من الطائفة النصرانية ومن والاهم من كافة البرية فحمدنا الله على ذلك وشكرناها على ماهنالك وصادف وصول هذا الخبر وقد فرقنا شوكات المسلمين، وحققنا لعساكر الموحدين بغرض الجهاد، على كافة العباد لإزالة صدورهم وإزداد لنيل الأجور سرورهم ولا وصل إلا وقد نشرت الأعلام وبرزت الخيام، وتزاحفت الجنود من كل فج وامتلأ من العساكر الإسلامية كل نهج ».

وكان الأمير عائض بن مرعي يتبع سياسة مرنة مع الدولة العثمانية، فلم يكن يجاهر بالعداء لها، ولكنه كان يتذرع بحجج متعددة منها تعديات النصارى وفرضهم لأحكامهم في بلد الله الحرام، ولاشك أن موقفه هذا قد جعل جميع أهل الحجاز ينظرون له كحام للمسلمين ومدافع عن كرامتهم وقد عبر عن ذلك بقوله[1] : « وقصدنا تطهير بيت الله الحرام، وإقامة شرائع الإسلام ونصرة المستضعفين من الأنام، وقمع أعداء الله الطغاة الطغام ».

وعندما استفسرت منه الدولة العثمانية عن الأسباب التي دفعته إلى ضم بعض أجزاء من المناطق الساحلية التهامية إلى سلطته، كان رد أميره على تهامة لاحق بن أحمد الزيداني بأن ذلك كان بهدف اخماد الفتن التي حدثت في تلك الأنحاء دون أن تستنكر ذلك الدولة العثمانية، ونفي أن يكون ذلك استغلالاً للخلافات القائمة بين الشريف عبد المطلب وبين الوالي العثماني، أو لموقف عدائي من قبل أمير عسير ضد السلطات العثمانية، ومما قال[2]: « حالنا وحال شريف

(١) الوثيقة السابقة، رقم ٢٦٥ ، مؤرخة ١٢ ربيع آخر ١٢٧٢هـ، من عائض بن مرعي إلى الشريف عبد الله بن ناصر.

(٢) وثيقة باللغة العربية داخلية رقم ٢٣٠٦٠ ، مؤرخة في شهر رمضان ١٢٧٢هـ مرسلة من لاحق بن أحمد الزيداني إلى قائمقام القنفذة وشيخ تجارها، مكان الحفظ ارشيف رئاسة الوزراء، اسطنبول، انظر، محمد آل زلفة البحث السابق، ص ٥٤.

مكة والباشة واحد، وركايبهم ومكاتيبهم عندنا ».

ومهما تكن التأكيدات التي أعطاها الأمير عائض للدولة العثمانية بحسن نواياه، إلا أن الشيخ عبد الله بن مسفر[1] يذكر أن أتفاقاً قد تم بين الأمير عائض وبين الشريف عبد المطلب، يقوم بموجبه الأمير عائض بطرد العثمانين من الحجاز نهائياً وذلك بالتعاون مع الشريف عبد المطلب، على أن يتجه الأشراف من مكة إلى جدة، وتسير قوات عسيريه من القنفذة والليث وتكون بقيادة الشريفين كحيل وشنبر، ولم يشر المصدر إلى تفاصيل الاتفاقية المذكورة.

وكان من أهمّ العوامل التي أدت إلى التقارب الكبير بين الأمير عائض والشريف عبد المطلب، هو صدور فرمان سلطاني يقضي بعزل الشريف عبد المطلب من شرافة مكة وتنصيب الشريف محمد بن عون الذي يقيم في اسطنبول بدلاً عنه، وتعيين الشريف عبد الله بن ناصر وكيلاً لشرافة مكة ريثما يحضر الشريف ابن عون إلى الحجاز لتولى مهام منصبه الجديد[2].

وقد قابل الشريف عبد المطلب الموقف بالثورة، فتوجه إلى الطائف لتأليب القبائل إلى جانبه لمحاربة والي جدة العثماني، وقد تمكن من دخول مكة، ولكنه لم يلبث أن انسحب منها مهزوماً إلى الطائف، بسبب قوة المقاومة التي أبداها قائقمام مكة. كما كان للقرار الذي أصدره الوالي بابطال القرار السابق القاضي بمنع الرق أكبر الأثر

---

(١) عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١٠٨.

(٢) وثيقة مجلس مخصوص رقم ٢٦٥، مؤرخة في شهر ربيع آخر ١٢٧٢هـ من محمد كامل باشا إلى الصدر الأعظم، انظر، محمد بن عبد الله آل زلفة البحث السابق، ص ٥٤.
- كذلك انظر، أحمد السباعي، تاريخ مكة، ص ٣٧٣ - ٣٧٧.

في هزيمة الشريف عبد المطلب، واجباره على التراجع إلى الطائف[1].

ومع أن قوات الدولة العثمانية في الحجاز حققت انتصارات مبدئية على الشريف عبد المطلب، إلا أن الأمير عائض في عسير حليفاً قوياً للشريف عبد المطلب، وكان العثمانيون يخشون من قيامه بهجوم وشيك على الأراضي الحجازية وكان فعلاً قد قام بجمع الجموع لهذه الغاية، وبقي على اهبة الإستعداد يراقب الموقف في الحجاز عن كثب. وفي هذه الأثناء أرسل وكيل شرافة مكة الشريف عبد الله بن ناصر والوالي العثماني في جدة - أرسلا - وفداً إلى عسير برئاسة الشريف نواف لمقابلة الأمير عائض، ووصل الوفد إلى عسير في نفس الوقت الذي كان فيه الأمير عائض على أهبة التحرك نحو الأراضي الحجازية[2]. وقد جرت مفاوضات بين الوفد الحجازي وبين عائض بن مرعي، تم بموجبه الاتفاق على أن يعدل عائض بن مرعي عن الهجوم على الأراضي الحجازية على أن يتخلى العثمانيون عن (المخا) و(الخسعة) لتصبحا حدا لعسير من جهة الجنوب، فما كان من عائض بن مرعي إلا أن استجاب لذلك النداء حيث بعث جواباً مع الشريف نواف، ويذكر في رسالته تلك أنه قد صرف النظر عن التوجه إلى الحجاز في ذلك الوقت، واشترط أن يبقى الشريف عبد المطلب أميراً على الحجاز[3].

ومن الجدير بالذكر أن والي جدة وقائمقام إمارة مكة كلفا المندوب نفسه بحمل رسالتين مشابهتين إلى كل من الشيخ محمد بن

---

(١) وثيقة عربية ارادة أحمد السباعي، تاريخ مكة، ص ٣٧٣ - ٣٧٧.
١٢٧٢هـ، من الشريف عبد الله بن ناصر إلى محمد كامل باشا، مكان الحفظ ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول، انظر محمد آل زلفة البحث السابق ص ٥٤.

(٢) وثيقة رقم ٢٦٥ مجلس مخصوص، مؤرخة في شهر ربيع ثاني ١٢٧٢هـ، تقرير المندوب الحجاري، انظر، محمد بن عبد الله آل زلفة، البحث السابق ص ٥٦، ٥٧.

(٣) عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١٠٨، ١٠٩.

مفرح المغيدي، والشيخ جاري بن ظافر العسبلي، ولم يعثر على الرسالة المرسلة لمحمد بن مفرح المغيدي اما الشيخ جارى[1]، فقد بعث بجواب إلى قائمقام إمارة مكة، يطلب منه مزيداً من التفاصيل عن أحداث الحجاز وخاصة عن دور النصارى في هذه الأحداث، وعن صحة خبر قدوم الشريف محمد بن عون، وعن مصير الشريف عبد المطلب، ويختم الوالي تقريره بقوله[2]: «وهكذا يتبادر لي أن عايض يتجنب حضرة الشريف ابن عون المشار إليه ويتباعد عنه بحذر . . ويميل بالرضا نحو الشريف عبد المطلب. وقد كان بينهما منذ القدم العديد من المعاهدات، والتي سيئول أمرها اليوم إلى الجمود».

ونستنتج من الوثائق السابقة موقف الأمير عائض بن مرعي من أحداث الحجاز فقد ابتدأ ذلك الموقف لصالح الشريف عبدالمطلب بن غالب، وتصاعد حتى بلغ حد الاتفاق على الإستيلاء على الحجاز مقابل تنازلات يقدمها الشريف لصالح الأمير عائض. ولكننا نلاحظ أن الرسل والرئاسل أخذت تتوالي على الأمير عائض بهدف احتواء الموقف. واستمرت المفاوضات حتى اتفق على تنازلات يقدمها الطرفان. ويفهم من تلك الاتفاقية أن الدولة العثمانية قدمت بعض التنازلات لعائض بن مرعي مقابل أن يتخلى عن حليفه المخلص الشريف عبد المطلب بن غالب وأرى أن الدولة العثمانية قد هددت الأمير عائض إن لم يوافق على الصلح بأن ترسل حملات إلى عسير للقضاء عليه. ولقد كان عائض بن مرعي حصيفاً وذكياً فلم يكن ليتورط في مواجهة مباشرة مع الدولة العثمانية، ومن الخطأ أن يستمر

---

(١) وثيقة باللغة العربية، ارادة مجلس مخصوص ٢٦٥، مؤرخة في شهر ربيع الأول ١٢٧٢هـ، من جارى بن ظافر العسبلى إلى الشريف عبد الله بن ناصر.

(٢) خلاصة تقرير مندوب والي الحجاز إلى أمير عسير، وثيقة رقم ٢٦٥ بدون تاريخ انظر، محمد بن عبد الله آل زلفة، البحث السابق، ص ٥٧.

في تهديده للأماكن المقدسة، لأن ذلك يجعل الدولة العثمانية تقرر القضاء عليه.

ورغم الموقف الايجابي من عائض بن مرعي في المفاوضات السابقة، فإن الذي دفع الدولة العثمانية للتفاوض هو عدم قدرتها على إرسال قوات إلى عسير في ذلك الوقت، ولذلك فقد أجبرت على التفاوض مع عائض بن مرعي مع أنها كانت لا تراه إلا مجرد ثائر عليها، ومما قاله[1] أحد المؤلفين العثمانيين عن ذلك: «ومن جملة ثوراتهم وعصيانهم كان عصيان أميرهم الأسبق (عائض) الذي قام ضد الدولة السنية، وأقدم على محاصرة وتضييق الخناق على الحديدة أحياناً ولمرات عديدة، وكذلك أحياناً مايمنع حدوث الأمن والهدوء والضبط والربط في بعض الأماكن الموجودة تحت الإدارة السنية[2]».

وفي هذه الأثناء التي تراجع فيها أمير عسير عن إرسال قواته إلى الحجاز بعث الشريف عبد المطلب بمندوب إلى أمير عسير يدعى الشريف «علقم[3]» ولم تعرف طبيعة مهمته وإنما تذكر الوثيقة أنه توقف ـ وهو في طريقه إلى عسير ـ بعض الوقت للتشاور مع الشيخ عبد العزيز الغامدى شيخ قبائل غامد، ولا يعرف هل واصل مهمته أم لا، لأن الأمير عائض توفى في ذلك الوقت مما يجعل مهمته صعبة في ظل

---

(١) اللواء بحري أيوب صبري، مرآت الحرمين (باللغة التركية)، جـ٣، ط ١، مطبعة البحرية القسطنطينية ١٣٠٦هـ، ص ١٦.

(٢) أرى أن المؤلف يقصد تدخل عسير في شئون الحجاز أيام الشريف عبد المطلب، عندما قامت الدولة العثمانية بالغاء الرق مما دفع أهالي الحجاز إلى الاستعانة بأمير عسير.

(٣) يذكر عبد الله بن مسفر أن الشريف المذكور كان من الإشراف الذين اتفقوا مع أمير عسير على الثورة، إلى جانب عبد المطلب، وزيد وكيل وشنبر. ومن الملاحظ اتفاق هذا المصدر مع الوثائق في معلوماته، مما يدل على صحة تلك المعلومات.

ـ انظر، عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١٠٨.

الظروف الجديدة في عسير[١].

وفي الوقت نفسه، الـذي توجـه فيه منـدوب من الشريف عبـد المطلب إلى عسير طلبـاً للنجدة، تـوجه كـذلك منـدوب من قبل والي الحجاز يحمل خطاباً يطلب فيه الوالي من الأمير عائض بن مرعي حـل المسـألة اليمنيـة بالـطرق السلميَّة، وحـل مشلكـة الحـدود الحجـازيـة العسيرية بالطرق السلميَّة، أيضاً[٢]، وأثنـاء توجـه مندوب الحجـاز إلى عسير بلغه خبر وفاة الأمير عائض بن مـرعي وهو مـايزال في القنفـذة، فكتب بذلك إلى والي جدة يخبر بذلك، ولكنه مع ذلـك واصل مهمتـه متوجهاً إلى عسير لمقابلة الأمير الجديد وتسليمه مايحمل من رسـائل من والي جدة إلى أمير عسير[٣].

وفي هـذه الظروف الـدقيقة من تـاريخ عسـير، وصل محمـد بن عون إلى الحجاز، وقـاد القوات العثمـانية في هجـومها عـلى الطائف، وذلك بهدف القضاء على ثورة عبد المطلب، وتمكن بعد معارك ضاريـة من هزيمة القبائل المتعاونة معه، ووقع الشريف عبد المطلب في الأسر، وأرسل إلى الآستانة ليعيش هناك بجوار الخليفة العثماني تاركـاً شرافـة الحجـاز للشـريف محمـد بن عـون، وكـان ذلـك عـام ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م[٤].

---

(١) وثيقـة داخليـة رقم ٢٣٠٦٠ لفـة ١٥، مؤرخـة في ٢ شعبـان ١٢٧٢هـ، من الشيخ محمد بن على المضايفي إلى والي جدة - أنظر، محمد آل زلفة، ص ٥٨.

(٢) وثيقة إرادة داخلية رقم ٢٢٧٢٣، مؤرخة في ٢٥ جماد الآخرة ١٢٧٢هـ، من والي اليمن إلى الصدر الأعظم.

(٣) وثيقـة عربيـة داخلية رقم ٢٣٠٦٠، مؤرخـة في ٢ شعبان ١٢٧٢هـ، من محمـد بن علي المضايفي إلى محمد كامل باشا.

(٤) أحمد السباعي، المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٧٣ - ٣٧٧.

ويلاحظ الباحث أن الموقف بين عسير والحجاز أيام حكم عائض بن مرعي يتلخّص في أن الدولة العثمانية قد ركزت قواتها لحماية السواحل والأماكن المقدسة، ولم يعد لها أي وجود في المناطق الداخلية في عسير، وكان ذلك الموقف لصالح عائض بن مرعي، فقد وجد الفرصة سانحة للإنطلاق شمالاً فاستولى على بيشة وبلقرن وشمران وغامد وزهران، ووصلت قواته إلى الطائف، حيث بقيت سيطرته على المناطق حتى قرب الطائف، ووافته المنية عندما كان ابنه محمد بن عائض يرابط على رأس قوات عسير قرب الطائف[1]. ومع أن الدولة العثمانية كانت قد سمحت لأمير عسير بالإستيلاء على المناطق الجبلية، ولم تقدم أية مساعدات لشريف مكة، إلا أن هذا الوضع يختلف عنه في السواحل والأماكن المقدسة. حيث شددت الدولة العثمانية قبضتها على السواحل والأماكن المقدسة، وعندما بلغها الاتفاق الذي تم بين أمير عسير وبين الشريف عبد المطلب أرسلت رسلها للأمير عائض حتى تراجع عن قراره ذلك ووعد بعدم التدخل في أحداث الحجاز، مقابل تخلى الدولة العثمانية عن قرار الغاء الرق، بالاضافة إلى اعادة بعض المناطق إلى عسير.

علاقة عسير بالحجاز خلال حكم محمد بن عائض:

تسلم الأمير محمد بن عائض مقاليد الحكم في عسير بعد وفاة والده، وأثناء تسلمه مقاليد الحكم كان رسول والي الحجاز في طريقه إلى العاصمة العسيرية حاملاً رسائل إلى والده الأمير عائض بن مرعي. وقد وصل الرسول إلى عسير في النصف الأول من شهر رمضان عام ١٢٧٢هـ / ١٨٥٦م، وقام بتسليم الرسائل التي كان يحملها إلى محمد بن عائض أمير عسير الجديد. ولكونه لم يُعثر على

(١) حسن بن أحمد اليمني (عاكش)، المصدر السابق، ص ٣٤.

الخطابات التي كانت ترسل من الحجاز، فإننا سنكتفي بايراد خطاب الأمير محمد بن عايض، الذي يعتبر وثيقة هامة تبين سياسته تجاه الحجاز، خاصة وأنها قد تكون أول رسالة هامة بعثها منذ توليه الحكم، يقول[1] في رسالته:

«وقد اسندتم الكتاب إلى الوالد رحمه الله وصادف وصوله قد انتقل إلى رحمة الله، وقمنا بعد بوظيفته واستمددنا من الله بمعونته ولا يخفاكم أنا نحب صداقتكم وائتلاف شمل أهل الإسلام، وحين وصل كتابكم عرفنا مرامكم، فنكتب ان شاء الله إلى «لاحق»[2] لا يتعد الحدود التي كانت تحت والدنا، وان أردتم كمال الصحبة فتكتبون بذلك كتابا وكذلك الشريف محمد بن عون.. ونحن منتظرون الجواب لعله يوافقنا قبل خروجنا للتصليح[3] إن أردتم الصحبة والصلاح، والله يختار للإسلام والمسلمين ما علم فيه الخير».

ونلاحظ أن الأمير محمد بن عائض حريص على عدم حدوث مواجهة مع العثمانيين في الحجاز، ولذلك يريد وضع أسس لاحترام السيادة بينه وبين ولاية الحجاز. كما أنه قد أشار إلى سروره بقدوم الشريف محمد بن عون، ولم يسأل عن مصير الشريف عبدالمطلب بن غالب مما يدل على أنّه لن يتمسك بالشرط الذي اشترطه والده، وهو بقاء الشريف عبدالمطلب أميراً للحجاز. ولكن في رسالته صفة

(١) من محمد بن عائض إلى محمد كامل باشا والي جدة، مؤرخة في ١٥ رمضان انظر محمد بن عبدالله آل زلفة، البحث السابق، ص ٦٠.

(٢) هو لاحق بن أحمد الزيداني، كان والي الأمير عائض على المناطق الساحلية المتاخمة لحدود الحجاز، وقد ابقاه الأمير محمد بن عائض في منصبه.

(٣) يقصد بذلك قبل قيامه بجولة لتفقد حدود إمارته من الشمال، وتشير المصادر المحلية إلى ان محمد بن عائض قد قام في عام ١٢٧٤هـ بجولة على رأس جيشه، وقد مر على بيشه وبلقرن وزهران، ثم عين عبدالله بن علي بن مجثل قائد السرية ترابط في بلاد غامد لمدة سنة، انظر عبدالله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١١٢.

التحـذير من أنـه إذا لم يلق تجاوبـاً فإن العـواقب قـد تكـون وخيمـة، ويتضح ذلك من قوله[1]: «ونحن منتظرون الجواب لعله يـوافقنا قبـل خروجنا للتصليح ان أردتم الصحبة والصلاح».

وفي الـوقت الذي تـولى فيه محمد بن عائض الحكم في عسـير، كان محمد بن عون قد وصـل إلى الحجاز لتسلم مقـاليد الحكم. وكـان ذلـك عـام ١٢٧٢هـ / ١٨٥٦م. ولم يمكث في الحكم هـذه المرة إلا سنتـين، حيث وافته المنيـة عـام ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م، ليتـولى الحكم بعده ابنه عبـدالله بن محمد بن عـون[2]. ويعتبر الشـريف عبدالله أول شريف منح رتبـة الوزارة ولقب بـاشا وتـربي في الآستانـة، وتعلم فيها العلوم الشـرعية والتفسـير والحديث وفنـون الأدب. وكان من أعضـاء المجلس الخاص واشتهر عند رجال الدولة بكمال العقل وحسن التدبير ومعرفة الأحكام[3].

ومن الجدير بالذكـر أن عبدالله بن عـون تربـطه رابطة الـدم مع عسير. فوالـدته بنت جـارى بن ظافـر العسبلي[4] كـذلك زوجتـه من عسـير وهي صالحـة بنت فائـز العسبلي ووالـدتهـا عـائشـة بنت الأمـير عائض بن مرعى[5]. وعلى هذا فـإن أمير عسـير محمد بن عـائض كان خالا لزوجـة الشريف عبـدالله، ولذلـك فإن رابـطة النسب قويـة بين أمراء عسير وأشراف الحجاز خلال تلك الفترة.

---

(١) الوثيقة السابقة.

(٢) أحمد زيني دحلان، تاريخ الدولة الإسلامية بالجداول المرضية، المطبعة البهيـة، القاهـرة ١٣٠٦هـ، ص ١٦٣، ١٦٤.

(٣) محمد لبيب التبنوني، الرحلة الحجازيـة، ط ٢، المطبعـة الجماليـة، القاهـرة ١٣٢٩هـ، ص ٧٩.

(٤) محمد آل زلفة، البحث السابق، ص ٥٧.

(٥) عبدالله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١٠٨.

ولم تشر المصادر التي بين إيدينا عن أي اتصالات ذات شأن بين ولاية الحجاز وبين عسير خلال السنوات الأولى من حكم عبدالله بن محمد بن عون مما يدل على أن هناك فتورا في العلاقات بين الإمارتين. ومما يؤكد وجود هذا الفتور، ما ذكره أحد المصادر[1] التاريخية من أن الأمير محمد بن عائض قد بعث مندوبين من قبله لمقابلة الشريف عبدالمطلب بن غالب عند عودته من استنبول عام ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م، وتتركز مهمة الوفد حول المفاوضة مع الشريف عبدالمطلب، ولم يشر المصدر إلى ماهية تلك المفاوضات. ولكن وصول ذلك الوفد إلى الحجاز لمقابلة الشريف عبدالمطلب العدو اللدود لآل عون، يؤكد لنا فتور العلاقات بين أمراء عسير وأشراف الحجاز خلال هذه الفترة.

وفي عام ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م ابتدأت الوثائق المصرية تشير إلى وجود ثورة في بلاد عسير وتطلب من أمير جبل شمر طلال بن رشيد[2]، ومن أمير نجد فيصل بن تركي[3] مساعدتها للقضاء على هذه الفتنة واعادة تلك المنطقة تحت نفوذ الدولة العثمانية.

وكان أمير عسير يدرك وجود المؤامرات من حوله، ويعرف تماماً أن تلك المؤامرات تحاك ضده من قبل أشراف الحجاز. فقد عثرت على وثيقة هامة يعود تاريخها إلى عام ١٢٧٨هـ، وهي مرسلة من أمير عسير

---

(١) عبدالله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١١٣.

(٢) دفتر رقم ١٩٠٨، أوامر عربي ص ٨١، صورة الأمر الكريم رقم ٤١ مؤرخة في ٢٥ ذى الحجة ١٢٨٠هـ مرسلة من الجناب العالى في مصر إلى الشيخ طلال بن رشيد شيخ جبل شمر.

(٣) دفتر رقم ١٩٠٨، أوامر عربي ص ٩٥، صورة الأمر الكريم رقم ٤٢، مؤرخ في ٢٥ ذى الحجة ١٢٨٠هـ، من الجانب العالي إلى الأمير فيصل بن تركي أمير ولايات نجد. دار الوثائق القومية بالقاهرة.

- انظر د. عبدالفتاح أبو علية، الدولة السعودية الثانية، ص ١٥٤.

إلى خديوي الأقطار المصرية يقول[1] فيها: «وأحوالنا وأخبارنا على الوجه المطلوب في كل طرف، وان بلغكم فينا بعض الحركات فلا تصدقوا فينا حاسدا فنحن في طاعتكم ولا نعصى اشارتكم، والمحبة والمودة ثابتة لا يغيرها مرور الليالي والأيام . . . تحرر هذا اعلاما لسعادتكم أفندم ودمتم رافلين في مرافى الكمال والسلام».

وفي رأي أنه يقصد أشراف الحجاز عندما قال: «فلا تصدقوا فينا حاسداً» لأن أشراف الحجاز هم الوحيدون القادرون على التأثير في والى مصر لدفعه لاتخاذ موقف عدائي من العسيريين. كما أن الوثيقة السابقة تظهر لنا العزلة التامة التي فرضت على عسير، فعلى الرغم من قوة إمارة محمد بن عائض إلا أنه كان بحاجة إلى إقامة علاقات تعاون بينه وبين بعض الإمارات الصديقة، ولذلك فنراه لا يجد إلا خديوي الأقطار المصرية ليتبادل معه الرسائل، مظهراً له حسن النية وبطلان الوشايات التي تبث من حوله لتحريض الدولة العثمانية على القضاء عليه.

وتتحدث الوثائق المصرية عن صدور أوامر عثمانية لقواتها لمواجهة تحركات أمير عسير[2]. وقد لاحظت من دراسة تلك الوثائق أن الشريف عبدالله بن محمد بن عون كان هو المحرّض الأول ضد العسيريين، بدليل أنه يطلب زيادة القوات المرسلة للهجوم على عسير، بحجة أن هناك هجوماً وشيكاً سيقوم به محمد بن عائض ولابد من زيادة عدد القوات حتى يتمكن من مواجهته، ومما ورد في وثيقة عن

(١) محفظة ١٩ بحربرا، وثيقة رقم ١١٣، مؤرخة في ١٠ شعبان ١٢٧٨هـ، من محمد بن عائض إلى خديوى الأقطار المصرية، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) محفظة سايرة، ترجمة الوثيقة بدون نمرة، تاريخ ١٩ جماد الأولى ١٢٨٢هـ، من الجناب العالي إلى اسماعيل بك.

هذا الموقف للشريف مايلي[1]: «جاء في المكاتبة أخيراً من الشريف عبدالله باشا أمير مكة المكرمة، المؤرخة في ٢٨ ربيع الأول ١٢٨٢هـ، أنه لما قام على العسيريين ووصل إلى مرحلة ليث وصلته أوراق من أمير عسير يؤخذ فيها أنه قام من مكانة بصورة المطاوعة، ولكن الأخبار الصحيحة التي اتصلت به أن قيام الأمير بهذه الصورة انما هو من باب الحيلة والدسيسة وأنه سيشرع في المقاومة وذكر في كتابه أن الحالة تستدعي أورطتين أخريين من الجنود علاوة على الجنود الموجودة، والتمس ارسال أورطتين من السودان إلى القنفذة مباشرة».

وعلى الرغم من استعانة الدولة العثمانية بوالي مصر لمساعدة شريف مكة، إلا أن الوالي تمكن من مراسلة محمد بن عائض وتوقيع إتفاقية معه، مما أسقط في يد شريف مكة وجعله في موقف حرج[2]. خاصة بعد أن صدرت الأوامر إلى القوات المصرية بالرحيل عن الحجاز بعد إنتهاء المسألة العسيرية[3]. ولسنا هنا بصدد الحديث عن حملة والي مصر إلى عسير، ولذلك فلن ندخل في تفاصيلها رغم توفر الوثائق التي تتحدث عنها، ولكننا نريد معرفة موقف الشريف القائم في الحجاز وقتها، وهو عبدالله بن محمد بن عون، الذي كان على رأس قواته مع قوات إسماعيل بك عند توجهها إلى القنفذة[4].

---

(١) محفظة سايرة، ترجمة الوثيقة رقم ٩٣، مؤرخة في ١٣ ربيع الثاني ١٢٨٢هـ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) محفظة سايرة، ترجمة الوثيقة بدون نمرة، مؤرخة في ١٩ جماد أولى ١٢٨٢هـ، مرسلة من الجناب العالي إلى اسماعيل بك. دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) محفظة سايرة، ترجمة المكاتبة بدون رقم، مؤرخة في ٧ شعبان ١٢٨٢هـ، من الجناب العالي إلى اسماعيل بك. دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٤) د. محمد محمود السروجي، سياسة مصر العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (ثورة عسير) مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية المجلد التاسع، ديسمبر ١٩٥٥م، ص ٩٩.

ومع أن الدكتور محمد السروجي[1] يشير إلى أن الشريف عبدالله كان يتعاطف مع العسيريين لأنهم أهله وعشيرته. ومع أن كلام «الدكتور السروجي حقيقة، لأن عسير هم أخوال الشريف عبدالله، وفي الوقت نفسه هم أنسابه والمفروض أن يتعاطف مع أنسابه ويبعد عنهم الأخطار ما أمكن، ولكنه اتضح لى العكس من ذلك تماماً، وذلك من خلال دراستي للوثائق التي اطلعت عليها عن هذه المشكلة. ويظهر ذلك من طلبه مزيداً من القوات لمهاجمة عسير، وتأكيداته المتكررة على أن القوات التي أرسلت لا تكفي لمواجهة محمد بن عائض ورجاله[2]. مما يؤكد رغبته الأكيدة في القضاء على ثورة عسير واخضاعها للدولة العثمانية. كما يؤكد ذلك اندفاعه نحو القضاء على عسير، فهو يستحث قوات اسماعيل بك بالمسير في أسرع وقت رغم محاولة قائد تلك القوات المماطلة والتسويف والتأخير ما أمكن ذلك، ورغم الحاح الشريف بضرورة الاسراع بالتوجه إلى عسير إلا أن قائد القوات المصرية لم يغادر الحجاز إلا بعد أن صدرت إليه الأوامر بضرورة تلبية طلب الشريف عبدالله والتوجه إلى ميناء القنفذة على وجه السرعة، مما يؤيد ذلك ما ورد في وثيقة بهذا الخصوص، حيث تقول[3]: «فنبلغكم أننا لا نرى بأسا في ارسالكم للاورطة المذكورة التي أرسلت قبل وصول أمرنا، وحيث أن الشريف المذكور يؤكد عليكم ضرورة القيام إلى القنفذة مع بقية الجنود فإننا نرى صرف النظر عن إعادة الأورطة المرسلة إلى قنفذة إلى جدة، وان كنتم لم تقوموا بعد مع بقية الجنود إلى الوقت الحاضر فعليكم أن تبادروا إلى

---

(١) د. محمد السروجي، البحث السابق، ص ٩٧.

(٢) محفظة سايرة ترجمة الوثيقة رقم ٩٣، مؤرخة في ١٣ ربيع الثاني ١٢٨٢هـ.

(٣) محفظة سايرة، ترجمة الوثيقة بدون رقم، مؤرخة في ٢٨ ربيع الآخر ١٢٨٢هـ. مرسلة من الجناب العالي إلى اسماعيل صادق بك. دار الوثائق القومية بالقاهرة.

الرحيل إليها بحسب اشعار الشريف المذكور بشرط تنفيذ التنبيهات السابق درجها في أوامرنا السابقة».

فلو كان الشريف المذكور حريصاً على عدم القضاء على إمارة عسير، لما استحث القوات المصرية لمهاجمة عسير رغم عدم رغبة قادتها في ذلك. ولكن الشريف المذكور خشي أن تفلت الفرصة من يده، بخاصة وأنه أحس بما يجري حوله من احتمال التوصل إلى صلح مع أمير عسير، لأن قيام ذلك الصلح سيعني تزايد نفوذ أمير عسير، ولكنه يخشى من أن تكون لأمير عسير مكانة لدى الدولة العثمانية تفوق مكانة شريف مكة، فقد كان حريصاً على الإسراع بالهجوم على عسير بهدف اجهاض أية فرص للاتفاق بين أمير عسير وبين الدولة العثمانية. ثم إنه كان يعلم جيداً أنه إن لم يتمكن من هزيمة أمير عسير عسكريا فإن نفوذه سيبقى يمتد إلى قرب الطائف، مما يؤدي إلى بقاء غامد وزهران ضمن الأراضي العسيرية، وهو ما كان يعارضه شريف مكة بشدة.

ولقد كان التهاون في الواقع من جانب الأمراء والقادة المصريين، الذين لم يكونوا حريصين على القضاء على إمارة عسير[1]. وكانت لهم مراسلات مع الأمير محمد بن عائض تبين المودة والعلاقة الحسنة بين الحكومة المصرية وبين أمراء عسير[2] وكانت رسائل والي مصر إلى قادته توصيهم بعدم التضحية، وعدم إلقاء الجنود في التهلكة، قائلا لهم[3]: «وإذا صدر إليكم أمر بالسفر إلى جهة ما أو بالهجوم ورأيتم في ذلك خطراً فلا تعيروهم آذانا صاغية وتمّهلوا في

---

(١) محفظة سايرة، ترجمة الوثيقة رقم ٩٣، مؤرخة في ١٣ ربيع الثاني ١٢٨٢هـ.

(٢) محفظة ١٩ بحربرا، وثيقة رقم ١١٣، مؤرخة في ١٠ شعبان ١٢٧٨هـ، من محمد بن عائض إلى خديوي الاقصار المصرية.

(٣) محفظة سايرة، ترجمة الوثيقة بدون رقم، مؤرخة في ٦ ربيع الثاني ١٢٨٢هـ، مرسلة من الجناب العالي إلى إسماعيل بك.

تنفيذ طلباتهم، واعلموا جيداً أن أمـراء وضباط الجـانب الآخر أنـاس غريبوا الأطوار لا يهتمون قيد شعرة إذا ما تلفتم جميعكم، ولا يسألـون عنكم، فكونوا على حذر وبصيرة واجتنبوا اتلاف الجنود واتعابهم».

وتشير إحدى الوثائق[1] إلى أن الشريف لا يهمه لو هلك أولئك الجنود جميعاً، ولذلك فهم يخالفون أوامر الشريف الـذي طلب منهم العودة إلى جدة براً، ويأمـرون الجند بـركوب السفن إلى جـدة. كما أن المفاوضات بشأن الصلح مع عسـير تجري دون علم أشـراف الحجاز، الذين كانوا لا يطيقون أن يروا الصلح قـد تم بين أمـير عسير والـدولة العثمانية بل كانوا يريدون القضاء على تلك الإمارة بكـل السبل ومهـما كانت الخسائر[2].

العلاقات السلمية بين عسير والحجاز:

في الـواقـع أن الحـديث عن العـلاقــات بـين عســير والحجـاز لا تختص بجانب دون آخر، فقد تعددت تلك العلاقات، لتشمل كل شئـون الحياة. ولكن حـديثنا هنـا تركـز عـلى مـا تم بـين السلطات في البلدين من عـلاقات، ولمـا كان تـركيزنـا عـلى العـلاقـات السيـاسيـة والحربية، فإننا سنكتفي هنا بالاشارة إلى أنماط من العـلاقات السلميـة التي تمت بين السلطات في البلدين.

وعلى الرغم من أن الرسائل لم تنقطع بين شريف مكة وبين أمـير عسـير طوال حكم عـائض بن مرعى، إلا أن المصـادر لم تسعفنا بـذكر أخبار زيارات الوفود بين البلدين، حيث لم يصلنا إلا النـزر القليل من

---

(١) محفظة سايرة، ترجمة الوثيقـة بدون رقم، مؤرخـة في ١٠ جمادي الآخـرة ١٢٨٢هـ، من الجناب العالي إلى صاحب العزة.

(٢) محفظة سايـرة، بدون نمـرة، مؤرخة في ١٩ جمـاد أولى ١٢٨٢هـ، من الجانب العـالي إلى اسماعيل بك.

أخبـار تلك الزيـارات. ففي عـام ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م قـام وفـد من عسير بزيارة لمكة المكرمة، وكان الوفد برئاسة أكبر مساعدي عائض بن مـرعي، وهو محمـد بن مفـرح المغيـدي، وكـانت الـزيـارة للشـريف عبدالمطلب بن غـالب الحليف الوفي لعـائض بن مرعي، وكـان الوفـد يحمل معه هدايا ثمينة من ضمنها عدة رؤوس من الخيل[1]. ويبدو أن تلك الزيارة تدخل في نطاق التشاور والتعاون الذي تم بـين الإمارتـين خلال تلك الفترة[2].

ونلاحظ أنه لم توجد هنـاك أي مواجهـة عدائيـة بين أمـير عسير وبين أشراف الحجاز بعد رجوع حملة اسماعيل بك وشريف مكة عـام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م. بـل وجـد هنـالـك تقـارب بـين الإمـارتـين في وجهات النظر بعد هذه الحملة، ووصل الأمر إلى تـوسط شريف مكـة لدى محمد بن عائض ليعفو عن بعض رجـال ألمع الـذين وقع منهم مـا يـوجب عقابهم، وقـد قبل محمـد بن عائض تلك الـواسطة كـما يقـول المصدر[3].

وأرى أن هذه الواسطة قد تمت أيام الحملة التي قام بها الأشراف بالتعاون مع والي مصر والتي انتهت بدخول أمير عسير في طاعة الدولـة العثمانية، وربما كان المصدر[4] الذي ذكـر الحادثـة والذي كـان مؤلفه من معاصري محمد بن عائض، ربما كان لا يريد الافصـاح عن دخول الأمير محمد بن عائض تحت طاعة الدولة العثمانيـة بناء عـلى الاتفاقيـة التي توصل إليها عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م أو أنـه حقيقة لم يعلم بتلك الاتفاقية. وربما أن هناك اتفاقاً تم بالفعل بين الشريف وبـين محمد بن

(١) هاشم النعمى، المصدر السابق، ص ٢٠١.
(٢) سبق الحديث عن الاتصالات التي تمت بين أمير عسير وبين سلطان الحجـاز في أول هذا الفصل.
(٣) حسن بن أحمد اليمني، المصدر السابق، ص ٦٠.
(٤) حسن بن أحمد اليمنى، المصدر نفسه، ص ٦٠.

عائض ليعفو عن رجال ألمع الذين كانـوا يؤيدون الشـريف عبدالله بن محمد بن عون[1].

ويعد أبرز موقف ظهر فيه تعاطف شـريف مكة مـع أمير عسـير محمد بن عائض ومع عسير عامة، هو ما حدث بعد حصار رديف باشا ومختار باشا لمحمد بن عائض ورجاله في ريدة، حينما قام بالتوسط بـين محمد بن عائض وبـين الدولـة العثمانيـة على أن يسلم البـلاد لها وهي تستبقى له أملاكه وخيوله وحصونه وكل ما في يده[2].

ومهما يكن فقد نكث رديف باشا بـذلك العهـد، وضرب بتلك الشروط عرض الحـائط، وقتل أمـير عسير محمـد بن عائض وعـدد من إخوانه وكبار رجال دولته، كما أسر من تبقى من رجال محمد بن عائض في ريدة أثناء الحصار وبعث بهم إلى العاصمة العثمانية[3]. وبذلك فإن شريف مكة لم يف بتعهداته، ولا ندرى هل كان عالماً بالغدر الذي بيته رديف بـاشا أم أنـه لم يكن عليه إلا تبليـغ الفرمـان القـاضي بـالأمـان وكفى. ولكن يبـدو أنه لم يكن لشريف مكـة أي دور في تلك المعـركـة التي قادها قادة كبار قدموا من الآستانة نفسها وكان معها خيرة الجيش العثماني وأحدث ما يمتلكه من أسلحة ومعدات.

---

(١) حسن بن أحمد اليمني، نفسه، ص ٦٠.

(٢) عبدالله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١٢٣.

(٣) ـ الواسعى، المصدر السابق، ص ١٠٦، ١٠٧.

الفصل الســادس

علاقــة إمـارة عسيــر بالمخلاف السليمانـــي

محتـويـاتــه

* تمهيــد
* علاقة عسير بالمخلاف السليمانـي في عهد الأمير عائض بن مرعي
* علاقة عسير بالمخلاف السليمانـي في عهد الأمير محمد بن عائض .

علاقة عسير بالمخلاف السليماني

تمهيـد:

يقصـد بالمخـلاف عند قـدماء الجـزيرة العـربية مـا تؤديه كلمـة الإقليم أو الكـورة عنـد غيـرهم والمخـلاف السليمـاني منسـوب إلى سليمان بن طريف أحد ولاته الذين حكموه في القرن الرابع الهجرى، وهـو ما يعـرف الآن بمقاطعـة جازان. وتتسـع مساحـة هذا المخـلاف وتضيق تبعا لتطورات الأحـوال السياسيـة في مختلف العهود. وتشمـل هذه المقاطعة الآن القسم الجنوبي من المملكة العربية السعوديـة. يحده شمـالاً ميناء البـرك التابـع لإمارة القنفـذة، وجنوبـا مينـاء ميـدي من اليمن، وغربا البحر الأحمر، وشرقا جبال رجال ألمع، وجبال بنى مالك وجبل النظير[1].

وكان علي بن مجثل أمير عسير في الفترة من ١٢٤٢ ـ ١٢٤٩هـ/ ١٨٢٦م ـ ١٨٣٣م، قد تمكن من الاستيلاء عـلى المخلاف السليمـاني وأدخله في دائرة نفوذه بالإضافـة إلى تمكنه من الاستيـلاء على سـواحل اليمن بعـد أن قضى على تـركجة بيلمـز، وبعد أن عـيّن ولاته في تلك المناطق عاد إلى عسير حيث وافته المنية عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م[2].

---

(١) محمـد أحمـد العقيـلي، تـاريـخ المخـلاف السليمـاني، جـ١، ط ١ مـطابـع الـريـاض ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، ص ٣.

(٢) هاشم النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، (بدون)، ص ١٨٦.

علاقة عسير بالمخلاف السليماني في عهد الأمير عائض بن مرعي:

وفي عهد عائض بن مرعي رأى أمير (أبو عريش) علي بن حيدر بأنه قد أصبح في حل من عهده لعلي بن مجثل، وأعلن رفضه مبايعة عائض بن مرعي، وأعلن الإستقلال عن عسير، وفشلت كل سبل التفاهم بين الأميرين[1].

قرر عائض بن مرعي على ضوء الأحداث السابقة اخضاع (أبو عريش) وتأديب أميرها علي بن حيدر. فوصل إليها عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م، وقام بحصارها بقواته طيلة شهر كامل، دون أن ينال منها شيئا، وأخيرا قرر الإنسحاب والعودة إلى عسير[2].

وعلى الرغم من وجود حامية عسكرية تابعة لعسير في (أبو عريش) إلا أن الشريف علي بن حيدر تمكن من إخراج تلك الحامية، وذلك بعد رجوع عائض بن مرعي إلى عسير وتمكن كذلك من استعادة صبيا وإدخالها تحت طاعته. ولم يبق خاضعاً لعائض بن مرعي سوى المناطق الواقعة في شمالي بلدة الدرب[3]، بالإضافة إلى الموانىء الساحلية التي سبق أن استولى عليها علي بن مجثل قبل وفاته، حيث أقام فيها حاميات عسيرية[4].

---

(١) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ١٨٦.

(٢) محمد أحمد العقيلي، المصدر السابق، ط ٢، ص ٥٨٠

(٣) الدرب: وينطق به مفرداً ومضافا باسم "درب بني شعبة" وموقعه في شمال المخلاف السليماني، على طريق عسير.
انظر: محمد أحمد العقيلي، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية، مقاطعة جازان (المخلاف السليماني) ط ٢، منشورات دار اليمامة، الرياض ١٣٩٩هـ/ ص ١٥٠.

(٤) هاشم النعمي، نفسه، ص ١٨٧.

وفي الواقع أن حصار الأمير عائض لأبي عريش، ثم فكه الحصار، دون أن يتوصل إلى صلح مشرف،ودون أن تلحق به هزيمة عسكرية أمر يدعو إلى الإستغراب. ويعود ذلك إلى علم الأمير عائض بن مرعي بزحف شريف مكة محمد بن عون على رأس جيش كبير لغزو عسير، في أواخر عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م[1]. مما جعل أمير عسير يعود مسرعا إليها لينظم عملية الدفاع عنها في وجه هذا الهجوم الكبير.

ولم تقتصر خسارة الأمير عائض بن مرعي على (أبو عريش) و (صبيا) ونواحيها، ولكنه كان مهدّدا بفقد الموانىء الساحلية التي كانت ترابط فيها قوات عسيرية منذ أيام علي بن مجثل. وكانت هذه الموانىء تشكل خطاً استراتيجياً هاماً لكل من عسير ومحمد علي والدولة العثمانية. وتشير الوثائق المصرية إلى استعدادات تجري لاسترداد تلك الموانىء الساحلية من آل عائض حكام عسير، عن طريق حملة جرى إعدادها لهذا الغرض[2].

ومما يدل على أهمية تلك السواحل أن الأوامر الموجهة إلى أحمد باشا كانت صادرة عن محمد علي مباشرة، ومما ورد في تلك الوثيقة مايلي[3]"إشعار بأنه وردت الأخبار من سر عسكر الأقطار الحجازية بالاستيلاء على مخا والحديدة وعن تأديب العربان، وطلب الإفادة عن

---

(١) أحمد السباعي، تاريخ مكة، مطابع دار الكتاب العربي، مصر ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م ص ١٥٠.

- د. عبدالرحيم عبدالرحمن، محمد علي وشبه الجزيرة العربية، ط ١، دار الكتاب الجامعي، القاهرة ١٩٨١م، ص ١٥٦.

(٢) دفتر ٥٣ معية تركي، الوثيقة رقم ٤٨٨، مؤرخة في ٢٢ جماد أول ١٢٤٩هـ، من الجناب العالي إلى بغوص بك.

(٣) دفتر ٢١١ عابدين، الوثيقة رقم ٤٧٧، مؤرخة في ١٨ شوال ١٢٥٠هـ، من الجناب العالي إلى إبراهيم باشا.

رأيـة في إرسـال أورطة لإدارة البـلاد المستـولى عليهـا والجهـة الممكن الإرسال منها وسؤال خورشيد بك عن ذلك والإفـادة ".

ولقد كان الدافع لمحمد علي للاستيلاء عـلى تلك السواحـل هو غضبـه من سيطرة أمـير عسير سـابقا عـلي بن مجثل عـلى تلك المناطق، ويعتقـد بعض المؤرخين[1]. أن ذلـك تم بنـاء عـلى أمـر من السلطان العثماني مباشرة.

وأري أنه من المستبعد أن يكون استيلاء محمـد علي، عـلى تلك السواحل تم بناء على أمر من السلطان العثماني مبـاشرة، بخـاصة وأن الحرب كانت قائمة آنذاك بين الدولة العثمانية وبين محمد علي، بل أن ذلك تم ضمن مخطط محمد علي الرامي إلى تكوين امبـراطوريـة عربيـة موحدة، تكون تابعه لمصر.

ومما أربك عائض بن مرعي وجعله عاجزا عن الـدفاع عن تلك الموانىء الساحليـة التي استولى عليهـا سلفه ابن مجثـل، أنه أصبـح بين إمارته وبين هذه السواحل إمارة مستقلة هي إمارة (أبـو عريش)، ممـا جعله عاجزا عن تقديم أي عون للحاميات الموجودة في تلك المـوانىء، أضف إلى ذلك الحملة التي كانت متجهة بقيادة محمـد بن عون لمهـاجمة عسـير. ونتيجـة لهـذا الضغط المكثف عـلى عـائض بن مـرعي، فقـد انشغل عن الدفاع عن الموانىء الساحلية التي في حوزته. وبحلول شهر شوال من عام ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م، سقطت المخا والحديد وزبيد ومور في أيـدي قوات محمـد علي، وبعث إبـراهيم باشـا بطلب فـرقة لإدارة البـلاد التي تم الاستيلاء عليهـا[2]. وتم خروج العسيـريـين من تلك

---

(١) بـدر الدين محمـد بن إسماعيل الكبسي، اللطائف السنيـة في أخبار الممـالـك اليمنيـة (مخطوطة)، موجودة بقسم المخطوطات، بجامعة الملك سعود تحت رقم ٣ و٩٥٣.

(٢) محفظة ٢٥٠ عابدين، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٣٨٨، مؤرخة في ٢١ شوال ١٢٥٠هـ، مرسلة من إبراهيم باشا إلى صاحب الدولة.

الموانىء، وكانوا بقيادة محمد بن مفرح المغيدي[1].

وقد اعتنى محمد علي بجمع قوات قوية ونشطة، من خيرة قواته الموجودة بالشام ومصر وأمر بتوجيهها إلى السواحل العسيرية واليمنية على وجه السرعة، ومما ورد في وثيقة تتحدث عن ذلك ما يلي[2]: "تلقيت أمركم الكريم الذي قلتم فيه: يؤخذ من الأخبار التي حملتها لكم سفينة نجار (الباخرة) أنه استولى على مخا والحديدة ولزم لذلك إرسال قوة عسكرية لتتولى حمايتها والدفاع عنها، وبناء على ذلك أمرتم باستدعاء ألاى قوي ونشط من الألايات التي في بر الشام وإرساله إلى هناك، وارسال أورطة أيضا من الأورط المتفرقة التي بمصر".

وفي إطار التنظيمات التي قام بها محمد علي في الموانىء التي استولى عليها أنه قام بتعيين محمد أفندى محافظا للحديدة وأمينا لجمركها عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م[3]. كما قام محمد علي بتأمين التموينات بمختلف أنواعها، سواء عن طريق الاستيراد من الخارج، أو عن طريق إرسال تلك التموينات من جدة، أو عن طريق شراء ما يلزم الجيش من حبوب ومؤن من الأهالي في أوقات المواسم[4]. مما مكن محمد علي من بسط سيطرته كاملة على الموانىء الساحلية في

---

(١) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ١٨٨.

(٢) الوثيقة السابقة، رقم ٣٨٨، مؤرخة في ٢١ شوال ١٢٥٠هـ.

(٣) دفتر رقم ٥٤ معية تركي، الوثيقة رقم ٤١٤، المؤرخة في ٢٨ شوال ١٢٥٠هـ أمر عال إلى مختار بك. محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٤) نلاحظ ذلك في الوثائق: سجل ٦٦ معية تركي، صحيفة ١٤٣، الوثيقة رقم ٥٥١، مؤرخة في ٢٠ جماد أول عام ١٢٥١هـ، مرسلة من الجناب العالي إلى أحمد باشا، كذلك الوثيقة رقم ٤٠٠، رفتر ٦٧ معية تركي، مؤرخة في ٢٣ شعبان ١٢٥١هـ. مرسلة من الجناب العالي إلى سر عسكر الأقطار الحجازية. والوثيقة رقم ٤٣٣، سجل ٦٨ معية تركي، مؤرخة في ٢٤ شعبان ١٢٥١هـ، من الجناب العالي إلى أحمد باشا.

اليمن، وبالتالى السيطرة على جزء كبير من المخلاف السليماني، وبهـذا فقـد أبعد خـطر آل عائض عن المخـلاف السليماني والمـوانىء القريبـة منه.

وقد أدى إهتمام محمد علي بموانيء عسير والمخـلاف السليماني، وسيطرته عليها إلى تهافت أشراف (أبو عريش) على طاعته، والتعـاون معه ضد عائض بن مرعي أمير عسير، وضد قبائـل يام حلفـاء الأمس القـريب. وكان أشـراف المخـلاف السليمـاني يـراقبـون عن كثب أي تحركات لعسـير ويام، ويكتبـون بذلـك إلى محمد عـلى يستنجدون بـه ضدهم، ويطلبون منه التحرك لمواجهة ذلك الخـطر المحدق بهم، ففي عـام ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م، بعث شـريف (أبـو عـريش) إلى إبـراهيم تـوفيق، يحذره من خـطر هجوم مـرتقب تقوم بـه قبائـل عسير ويـام، وتطلب النجدات من والي اليمن لمواجهة ذلـك الخطر[١]. وممـا ورد في تلك الوثيقة ما يلي[٢]: «قد كتب الشريف حسين بن علي بن حيدر إلى الباشا سر عسكر اليمن بقوله إن طائفة يام مع أشقياء عسير اتفقوا على أن يقـوموا بحـركات تمـردية لـذلك يجب القيـام بـأعمـال التـرتيبـات اللازمة، ليكون الجيش على استعـداد تام لقمـع تلك الثورة بـأي ثمن ولمواجهة تلك الحركات أمر إبراهيم باشا بأن تتوجه أورطة لمواجهة يـام بينما تبقى أورطة أخرى للمرابطة في قلاع «أبو عريش وصبيـا»، وذلك تحسباً لأي طواريء جديدة.

وقـد أخذ أحمـد باشـا الأمـر بكـل جـديـة، وقـرر الإستجـابـة لصيحات الاستغاثة التي بعثها الأشراف، ومن الواضح أن هناك إثنين

---

(١) محمد أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، جـ١، ص٤٨٣، ٥٠٩.

(٢) محفظة ٥٩٣، الوثيقة بدون رقم، مؤرخة في ٢١ صفر ١٢٥٣هـ، مرسلة من الشريف بن حيدر إلى سر عسكر الحجاز. محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

من الأشراف يقومان بمساعدة قوات محمد علي في المخلاف السليماني، اسم أحدهما حسين بن علي بن حيدر، والآخر اسمه علي بن حيدر، أي الثاني والد للأول. ومما يدل على استجابة أحمد باشا لتلك الإستغاثة قوله في رسالة بهذا الخصوص[1]: «وطلب الباشا أن نوافيه بمائتي خيال ليقابل بهم الأشقياء عند نزولهم، وبالنسبة لموضوع الخيالة فقد أرسل بعضها إلى اليمن من القديم، والبعض الآخر في معية خورشيد باشا، وهنالك في مكة ٢٤٣ خيالاً وسيتم إرسالهم إلى اليمن بعد أربعة أو خمسة أيام».

وعلى الرغم من مزاعم الشريف بوجود تعاون بين عسير ويام، إلا أن ذلك كان مستبعدا في تلك الأثناء بسبب انشغال عائض بن مرعي بالدفاع عن بلاده ضد الهجمات التي قامت بها قوات محمد علي من جهة مكة. أما يام فقد تحقق توقع الشريف، حيث قاموا بهجوم شامل على المخلاف السليماني، فهرع الأشراف إلى إبراهيم باشا يستنجدون به، وفي تلك الأثناء التي شن فيها يام هجومهم على المخلاف السليماني كان إبراهيم باشا يخوض قتالا شديداً للاستيلاء على (تعز)، وقد تحقق له ذلك بعد جهد جهيد كما يقول في رسالته[2]: «ولكن في نفس التاريخ، أشقياء يام احتلوا تهامة اليمن، ولقيامهم بمظالم الأهالى وسلب راحتهم ونهب أموالهم وجب طردهم وإبعادهم عن هذه المناطق بأي ثمن كان». وبعدما فرغ إبراهيم باشا من الاستيلاء على تعز، تفرغ لمواجهة يام، حيث جهز فرقة من قواته،

---

(١) محفظة ٢٦١ عابدين، الوثيقة رقم ٢٩٧، مؤرخة في ٢١ صفر ١٢٥٣ هـ مرسلة من أحمد باشا إلى حضرة سلطاني، محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) محفظة ٥٩٤ عابدين، بدون رقم، مؤرخة في ربيع الثاني ١٢٥٣ هـ مرسلة من إبراهيم توفيق إلى وزير داخلية مصر يخبره بأنه استولى على تعز، محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

وأرسلها مع الشريف الحسين بن علي بن حيدر، وتمكنت هـذه الفرقـة من صد يام، وإبعاد خطرهم عن المخلاف السليماني[1].

وعلى الرغم من الهزيمة السابقة التي منيت بها يام مؤخراً على يـد قـوات إبراهيم بـاشا، إلا أن طلب النجـدات من قبـل شـريف (أبـو عريش) ظلت تتوالى على قادة محمد علي في الحجـاز واليمن مشتكياً من هجوم وشيك الوقوع، يقوم به قبائل عسير وقبائل يام، وقـد استجاب أحمد باشا لذلـك الطلب وأرسـل عساكـره إلى القنفذة في طـريقهم إلى المخـلاف السليمـاني لنجـدة الشـريف» وبمـا أن الشـريف حسـين بن الشريف علي قد أنبأ سر عسكر اليمن أن أشقياء العسير ويام قد اتفقوا فيما بينهم على الإعتداء على سـواحل اليمن وأنهم أوشكـوا أن يزخفـوا عليها . . . وقد اخطرنا بدورنا شرين بك بوجوب قيـامه إلى القنفـذة، حتى إذا ما اتضح لـه أن أشقياء عسـير زاحفون عـلى سواحـل اليمن، أنزل العساكر إلى المراكب المعدة بمرفأ القنفذة وقام بهم إلى ميناء جازان رأساً وسار من هناك إلى أبو عريش»[2].

ونـلاحظ هنا أن الشـريف بن حيدر يـوهم محمـد عـلي بـوجـود تحالف بين يام وعسير، مع أن العداء بينهـما كان كبيـراً وكان كـل منهما يتصدى للآخر وميدانهما دائـماً المخلاف السليمـاني، وكثيراً مـا استعان أشراف (أبو عريش) بعسير لإبعاد خطر يام عن بلادهم[3]. ومن هـذا المنطلق فإنـه من المستبعد أن يقـوم تعاون مبـاشر بين يـام وعسير نـظراً لعدائهما الشديد.

---

(١) محمد أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، جـ١، ص٥٠٩، ٥١٠.

(٢) محفظة ٢٦١ عابدين، وثيقة نمرة ٣٩٩، مؤرخة في ٥ ذي القعـدة ١٢٥٣هـ، مرسلة من أحمد باشا إلى صاحب الدولة، محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) هاشم النعمى، المصدر السابق، ص١٩٢.

ومع أن الاستعدادات كانت جارية لمواجهة عسير في المخلاف السليماني، بناء على طلب شريف (أبو عريش)، إلا أن التقارير التي وصلت إلى إبراهيم باشا أخيراً أكدت له انشغال أهل عسير عن حرب (أبو عريش)، نظراً للحرب القائمة بينهم وبين أحمد باشا في بلاد غامد وزهران، ولذلك فقد قرر إبراهيم باشا الإستغناء عن طلب النجدات وقتذاك[1].

ولم يلبث إبراهيم باشا أن عاد وطلب النجدات من جديد، وذلك لمساعدته لصد هجوم جديد ستقوم به قبائل عسير ويام. وكان الشريف حسين بن حيدر قد أخبره أن هناك حلفاً جديداً تم عقده بين يام وعسير، ومما ورد في رسالة إبراهيم توفيق[2]: «لقد جاءت كتب من الشريف حسين بن علي بن حيدر وغيره من المشائخ، يخبرونه أنّ عصاة عسير قد اتفقوا مع طائفة يام وأنهم سيزحفون على تهامة اليمن».

وقد ظل أَشراف المخلاف السليماني يراسلون قادة محمد علي، ويوافونهم بالأخبار الكاذبة عن عسير ويام، ويعمدون بين الفُنية والأخرى إلى إثارة قادة محمد علي بهدف جرهم إلى مواجهة حاسمة مع أعدائهم السابقين وهم: عسير ويام، ولا شك أنهم يهدفون من وراء ذلك إلى استغلال وجود قوات محمد علي في المنطقة، عن طريق الوقيعة بين تلك القوات وبين عسير ويام.

---

(١) محفظة ٢٦٢ عابدين، الوثيقة العربية رقم ٢٨٦ حمراء، مؤرخة في ٢٩ ذي الحجة ١٢٥٣هـ، مرسلة من إبراهيم توفيق إلى بهي النعم، محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) محفظة ٢٦٣ عابدين، الوثيقة رقم ٢٣٧ حمراء، مؤرخة في ٩ محرم ١٢٤٥هـ، من إبراهيم توفيق سر عسكر اليمن إلى ديوان الجهادية، محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

وكان تحرك يام نشطاً في المخلاف السليماني مع بداية حكم الحسين بن علي بن حيدر، مما جعل الحسين هذا يحذر أحمد باشا من خطورة يام وقوتهم «وأنهم أشد خطورة من أهل عسير[1]»، وأكثر منهم قوة في حروبهم خارج أرضهم، ويشرح الحسين كيف انهزم أهل عسير في آخر معاركهم ضد (أبو عريش)، وأما يام فيذكر أنهم لا يخافون لا من الخيالة المغاربة ولا العرب، وأنه لا ينفع معهم إلا قوة نظامية تملك مدافع ورشاشات، وينصح أحمد باشا بمواجهتهم بالقوة وعدم التفاوض معهم[2].

وواضح من كلام الحسين بن علي بن حيدر أنه يريد ضرب عسير ويام بقوات محمد علي في اليمن، وذلك عن طريق تضخيم خطرهم وقوتهم. ولكونه يعلم أن أحمد باشا مهتم بمشكلة عسير أقصى إهتمام، وأنه يحشد لها كل قواته سواء في الشمال أو الجنوب، لذلك فهو يهون له قوة أهل عسير، لكي يستطيع التخلص من الخطر الداهم الذي كان يهدد (أبو عريش)، حتى لو أدى ذلك إلى إعطائه معلومات خاطئة عن الوضع الحقيقي آنذاك، حيث أن خطر عسير كان شديداً على سيادة محمد علي في الحجاز نفسه.

وقد تحقق ما أراده الشريف حين استجيب لطلبه، وصدرت الأوامر بإرسال أورطة إلى اليمن، لصد يام ومنعها من الهجوم على المخلاف السليماني، فالمفهوم مما ذكر الباشا في خطابه هذا أنه في أشد الحاجة إلى العساكر، لذا رأينا إرسال الأورطة الأولى من الألاى الثالث

(١) محفظة ٢٦٦ عابدين، تابع نمرة ١٢١/٢٠، مؤرخة في ٦ من جماد الآخرة ١٢٥٥هـ، مرسلة من الشريف الحسين بن حيدر إلى أحمد باشا، محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) محفظة رقم ٢٦٧، عابدين، ملف اليمن، صورة الوثيقة العربية بدون رقم، المؤرخة في ١١ جماد الثانية ١٢٥٥هـ، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

والعشرين الموجودة بمكة»[1].

ويبدو أن أحمد باشا كان فطناً ومنتبهاً لخطر الشريف، وأن المعلومات التي دأب على إرسالها قد لا تكون صحيحة، حيث طلب من إبراهيم توفيق سر عسكر اليمن التأكد من صحة تلك المعلومات التي بعثها الشريف، مبينا أن في إرسال الجنود إلى اليمن لصد عسير ويام تهلكة لهم، بسبب فساد الجو في تهامة وتفشي الأمراض هناك وبين الباشا أنه «من الأفضل التأكد والمحافظة على عساكر الدولة بدل إلقائهم إلى التهلكة[2]».

وفي الواقع أن ما كان يريده الشريف هو إهلاك أولئك العساكر، فهو يتمنى لهم الهلاك بقدر ما يتمناه ليام وعسير، لذلك فهو حريص على ضرب بعضهم بعضا لأن ذلك يضمن له أن يكون في المستقبل قادراً على مواجهة خصومه بعد أن ينهك كل منهم الآخر.

ولم يكتف الشريف باحلال الوقيعة بين قوات محمد علي وبين كل من يام وعسير، ولكنه سلك نهجاً جديداً ومخالفاً لسياسته السابقة، حيث قام بمراسلة عائض بن مرعي بشأن التحالف معه في المستقبل ضد قوات محمد علي. وقد انتبه أحمد باشا لذلك، ونقل له أحد جواسيسه هذا الخبر، فطلب من إبراهيم باشا أحضار الشريف الحسين بن علي بن حيدر في الحجاز، ولكن إبراهيم باشا كان قد تلقى الأوامر بالرحيل من اليمن، فقرر أن يسلم البلاد للحسين بن علي

---

(1) محفظة رقم ٢٦٦ عابدين، الوثيقة التركية رقم ٤١ أصلية، ١٦٢ حمراء، ترجمة صورة الخطابات الموجهة من الجناب العالي الخديوي إلى حسين باشا باشمعاون الخديوي، المؤرخ في ١٩ رجب ١٢٥٥هـ، رقم ٢٣، محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(2) محفظة ٢٦٣ عابدين، الوثيقة الأصلية رقم ٢٧، بدون تاريخ، وهي خطاب موجه من أحمد شكري إلى إبراهيم باشا، بشأن عدم الحاجة إلى قمع عسير ويام، ومحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

وكتب لأحمد باشا يخبره بذلك، وطلب منه أن يوافق على مافعله، مشيراً أن الذي نقل له هذا الخبر كان مخطئاً وأن الرسالة التي بعثها الشريف لعائض إنما كانت تتعلق بطلب رد جمال كانت قد أخذتها عسير من القبائل التي تقع تحت سيطرة إبراهيم باشا[1].

ولقد سمح إبراهيم باشا للحسين بن علي بن حيدر أن يبعث كتاباً إلى أحمد باشا يشرح له فيه موقفه، وظهر من كلام الشريف تنصله مما نسب إليه واعتزازه وثقته بنفسه ومما ورد في تلك الرسالة[2]: « إلى جناب المحترم المكرم أفندينا أحمد باشا سلمه الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد كتابكم وصل وفهمناه، وقد جاء ما ينسخه والكلام الذي تكلمتوا به في الكتاب مانحن له أهل وكل إنسان يعرف ماقد سبق، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، والنفع والضر بيده سبحانه وتعالى والسلام ».

ورغم الرسالة السابقة التي بعثها الشريف حسين بن علي بن حيدر إلى أحمد باشا، إلا أنه كان مقتنعاً بعدم اخلاص ذلك الشريف، ولذلك فقد بعث خطاباً إلى محمد على مباشرة، ذكر له فيه خيانة الشريف حسين، ونسب خبر الخيانة إلى إبراهيم توفيق، حيث أكد له أن هناك تعاوناً سرياً تم بين الشريف حسين وبين كل من عسير ويام[3].

---

(١) محفظة ٢٦٩ عابدين، صورة المرفق العربي للوثيقة رقم ١٧٧ حمراء، مؤرخة في ١٢ محرم ١٢٥٦هـ، من إبراهيم توفيق إلى سرعسكر الحجاز أحمد باشا محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) صورة مرفقة مع الوثيقة السابقة رقم ١٧٧ حمراء، مؤرخة في ٢٧ محرم ١٢٥٦هـ، وهي عبارة عن رسالة من الشريف حسين بن حيدر والى أحمد باشا، يشرح له فيها براء مما نسب إليه.

(٣) محفظة ٢٦٩ عابدين، رقم الوثيقة ٣ أصلية، ٥٠ حمراء، ورقة ٢١ مؤرخة في ١١ محرم =

ومما زاد في شكوك أحمد باشا وجعله مقتنعاً بعدم اخلاص الشريف حسين، حين علم بجمع عسير ويام في أبها وإعدادهم العدة من أجل التوجه لنجدة الشريف، وقد ورد في الرسالة المذكورة مايلي[1]: «يتضمن الأخبار بأنه جاءه من سرعسكر اليمن خطاب يقول فيه: أن الشقى عائضاً نبه على مجموع العسيريين أن يأخذوا معهم ميرة تكفى لشهر ونصف، وأن يكون ألفان من رجال ألمع حاضرين ببنادقهم، وأن يجتمع أولئك كلهم في المحل المسمى (سبت بنى رزام[2])، في ١٢ محرم ١٢٥٦هـ، وأنه قد ذهب من بني يام ستمائة شخص إلى المحل المسمى (مناظر)، وأن عائضاً الشقى موجود في أبها، وأنه مواصل طلب النقود من أهل محايل وما أشبهها من التهاميين، وأنه لم يعلم بعد إلى أي طرف يريد أن يذهب، وأن قيام عائض لابد أن يكون بخصوص الشريف حسين بن علي . . . ».

وعلى الرغم من شكوك أحمد باشا في الشريف وفي اخلاصه، ومعرفته بتآمره مع عائض بن مرعي، إلا ان إبراهيم باشا كان قد قرر تسليم البنادر (الموانىء) إلى الشريف حسين بن علي رغم تحذير أحمد باشا له من خطورة عمله هذا، وأنه لا يتمشى مع مصلحة محمد علي، بسبب تعاون الشريف مع أهل عسير[3].

= ١٢٥٦هـ، مرسلة من أحمد باشا إلى صاحب الدولة محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(١) محفظة ٢٦٩ عابدين، رقم الوثيقة ٢٠ أصلية، ١٣٢ حمراء، ورقة ٢، نمرة ٥٥، مؤرخة في ١٢ محرم ١٢٥٦هـ، من أحمد شكرى إلى سنى الشيم صاحب الدولة.

(٢) سبت بني رزام: اسم موضع يقع في بلاد بني مالك، إلى الشمال من أبها بحوالي عشرة كيلومترات فقط.

(٣) محفظة ٢٦٩، الوثيقة رقم أصلية، ٧٧٧ حمراء، مؤرخة في ٧ صفر ١٢٥٦هـ، خطاب موجه من أحمد باشا إلى صاحب العاطفة محمد علي باشا.

ومع حرص أحمد باشا الشديد على مراقبة الشريف حسين بن علي، وسد الطريق عليه ومنعه من الإتصال بعائض، واعتباره عدواً لدوداً لمحمد علي، ومعرفته التامه بجمعه لحوالي خمسة آلاف مقاتل في (أبو عريش)، إلا أن محمد أمين وكيل محافظ مكة قد أرسل أمراً بعودة أولئك العساكر لعدم الحاجة لهم، بحجة أن عائض لم يتجه إلى أبي عريش، وإنما أرسل محمد بن مفرح المغيدي مع حوالي ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل إلى (أبي عريش)، ويذكر أنه لا حاجة لمواجهتهم، وأنه يكفي نزول الألاى الثالث عشر في ميناء جازان حتى يخاف الشريف ويفرّق قواته التي جمعها في عسير ويام، وعلى هذا الأساس فإنه لا حاجة إلى إرسال جنود إلى اليمن[1] « وأن الألاى الثالث عشر المذكور إذا صعد إلى ميناء جازان، فإن الشريف حسين سيترك جمع العرب الذي أخذ يجمعهم ويبقى وحده تاركاً سوء تدبيره وهذا مايلزم ملاحظته[2] ».

ويبدو أن محمد علي نفسه كان قد قرر بأنّه لابد من الإنسحاب من اليمن والمخلاف السليماني، ولذلك أمر مأموره على الحديدة بإرساله الألاى الثالث والعشرين الموجود باليمن إلى أحمد باشا في الحجاز إستعداداً للإنسحاب من الجزيرة العربية[3].

ولقد صدقت كل الإتهامات التي وجهت إلى الشريف فقد قرر التعاون مع عسير، حيث أخطأ محمد أمين بك وكيل محافظ مكة التقدير، فلم ير خطورة في محمد بن مفرح المغيدي ومن معه من

---

(١) محفظة ٢٦٩، الوثيقة رقم ٦ أصلية، ١٥٥ حمراء، من محمد أمين إلى صاحب الدولة، مؤرخة في ٨ صفر ١٢٥٦هـ، محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) الوثيقة السابقة، رقم ٦ أصلية، ١٥٥ حمراء.

(٣) محفظة سايره، ترجمة الوثيقة رقم ٨٥ مؤرخة في ١١ صفر ١٢٥٦هـ، من الجناب العالي إلى حضرة صاحب الدولة مأمور الحديدة.

عسير، وذكر أن الشريف سيخاف بمجرد مرور قواتهم بجيزان في طريقها إلى الحجاز.

والحقيقة أن هناك خلافاً كان قد نشب بين الشريف حسين بن علي، وبين إبراهيم توفيق سرعسكر اليمن، بسبب مالاحظه الأخير من اهتمام الشريف بتقوية مركزه وتوسيع نفوذه، مما دفع الشريف إلى الإستعانة بعائض بن مرعى، بعد تخوفه من هجوم وشيك من قبل والي محمد على للقضاء عليه. ولقد كانت المفاوضات بين عائض بن مرعي وبين الشريف شاقة بسبب تخوف عائض بن مرعي من مغبة التسرع من جهة، ولرغبتة في وضع اتفاقية تضمن له فائدة اقتصادية، مقابل مساعدته ضد قوات محمد علي، ومما يدل على شك عائض بن مرعي في صدق نوايا الشريف أنه طلب منه أن يبعث ابنه إليه، ليبقى رهينة عنده، وذلك دليلاً على اخلاصه وصدقه في تعاونه معه[1].

وقد انتهت المفاوضات بوضع اتفاقية سرية بين كل من عائض بن مرعي وبين أمير (أبي عريش)، يتعهد بموجبها عائض بن مرعي بتقديم عون حربي للشريف إذا دعت الحاجة إلى ذلك، مقابل دفع مبلغ سنوي، يقوم الشريف بدفعه كل عام[2]. وكان من نتيجة هذه الاتفاقية أن توجه محمد بن مفرح المغيدي إلى (أبوعريش)، وكان يوجد بها حامية تابعة لمحمد علي، ومجموعة من الخيالة المغاربة. ويروى أحد الضباط عما حدث قائلاً[3]: «أنه كان خلال هذه الفتن

---

(١) محمد أحمد العقيلي، المصدر السابق، ص ٥١٠ ـ ٥١١.

(٢) حسن بن أحمد اليمنى، الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين، تحقيق عبد الله بن على بن حميد، دار الفكر بدمشق، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ص ٣٠.

(٣) محفظة ٢٧٠ عابدين، ترجمة الوثيقة نمرة ٧١ حمراء، مؤرخة في ١٩ ربيع الأول ١٢٥٦هـ، مرسلة من مصطفى توفيق محافظ ينبع إلى باشمعاون الخديوي محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

بأبي عريش مع عدد قليل من الجنود، وأنهم أستأمنوا الشريف حسين إذ أغار أشقياء عسير على أبي عريش، باتفاق منهم مع الشريف المذكور فلم يؤمنهم. وأن ابن مفرح كبير العسيريين الذين أغاروا على أبي عريش أمنهم وأطلق سراحهم، والمغاربة الذين كانوا معهم. وأن الشريف حسين الذين تنعم آباؤه وأجداده بنعمة ولي النعم لم يجب التماس الجنود إذا استأمنوه، مع أن أشقياء عسير الذين هم عدونا من سنين عديدة أجابوا طلبهم، وأمنوهم وسمحوا لهم بتخلية البلد الذي هم فيه، وذهابهم حيث شاءوا».

ويؤكد لنا الموقف السابق سماحة أهل عسير في حروبهم، ومدى تقواهم لله وعدم حبهم لسفك الدماء. وفي الجانب الآخر يظهر لنا مدى حقد الشريف حسين وكراهيته لقوات محمد علي الموجودة في (أبي عريش) بناء على طلب منه هو، ورغم ماكان يظهره لقادة محمد علي من المودة، وتحريضه لهم على ويام وعسير، فإنه اليوم يقلب لهم ظهر المجن، ويأبى أن يعطيهم الأمان على أرواحهم فهو يلعب على الحبلين ويتعاون مع القوى دائماً.

وعلى أي حال فإن اتفاق الشريف مع عسير أو مع ويام أو مع كليهما، لم يكن السبب الحقيقي في انسحاب قوات محمد علي من اليمن. وإنما يعود ذلك إلى الأمر الذي أرسل إلى إبراهيم توفيق سر عسكر اليمن في ١٣ ذي الحجة ١٢٥٥هـ، ذلك الأمر الذي كان ينص على انسحاب الجند من اليمن[1]. فقام إبراهيم باشا بتجميع العساكر وإنزالهم من الجبال، وأرسل قسما منهم إلى جدة، وبينما هو ومن بقى معه على أهبة الإستعداد لمغادرة الحديدة، تأكد له موقف الشريف

(١) محفظة ٢٧٠ عابدين، الوثيقة رقم ٢٢٨ حمراء، مؤرخة في ٢٧ صفر ١٢٥٦هـ، من إبراهيم توفيق إلى صاحب الدولة، محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

المتعاون مع أهل عسير، حيث وصل الشريف حسين علي رأس قوات من عسير ويام إلى الحديدة، وذلك في ١٨ صفر ١٢٥٦هـ، وطلب من إبراهيم توفيق تسليمه البلاد. ووقع إبراهيم توفيق في حرج كبير ففي الوقت نفسه الذي وصل فيه الشريف حسين إلى (الحديدة)، وصله خطاب من الشريف محمد بن عون يطلب منه أن يسلم الجبال لصاحب صنعاء وقد فعل ذلك، ويطلب منه أن يسلم السواحل وتهامة لشخص يختاره ويترك معه العسكر غير النظامي، ولكن وصول خطاب محمد بن عون كان متأخراً جداً، حيث وصل في وقت خرجت فيه الأمور من يد إبراهيم توفيق، حيث جاء متأخراً عن الخطاب الأول بحوالي أربعين يوماً، وكان إبراهيم توفيق قد أرسل معظم العسكر الترك إلى جدة، وحتى لو استرجعهم فإن عددهم قليل لا يزيد على ثمانمائة نفر، ولا يمكن إدارة تهامة بهذا العدد القليل. ونظراً للأسباب السابقة فقد ترك إبراهيم توفيق تهامة لقمة سائغة لكل من الشريف وعائض بن مرعي وانسحب بمن معه إلى جزيرة قمران، ومنها واصل الرحلة إلى جدة[١].

ولقد كان خروج العساكر من اليمن مثار استغراب واعتراض شديد من قبل الشريف محمد بن عون. فقد بعث إلى محمد علي باشا يستغرب ما حدث من انسحاب الجند من اليمن دون حرب، ويذكر باستغراب أيضا نزول بعض قوات أحمد باشا من جهات بلقرن وشمران إلى القنفذة بقصد توجههم إلى جدة. ويطلب توجيه الأمر بإعادة العساكر في أقرب وقت إلى اليمن قائلا[٢]: "ونحن ظننا أن

(١) الوثيقة السابقة رقم ٢٨٨ حمراء.

(٢) محفظة رقم ٢٦٩ عابدين، صورة الوثيقة العربية رقم ٦٣ حمراء، مؤرخة في ١٥ ربيع أول ١٢٥٦هـ، من محمد بن عون إلى دولتلو عالى الهمم كريم الشمم، محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

كان مايصدر أمر برجوع هذه العساكر الذين أقبلوا من اليمن، يحصل فتنة عظيمة وضرر وفضيحة بين الناس. . . . . ".

ورغم عدم رضا الشريف محمد بن عون وإرساله رسالتين: الأولى إلى الجناب العالي والأخرى إلى إبراهيم توفيق بشأن عدم موافقته على الإنسحاب، فإن عملية الإنسحاب قد تمت حسب الأمر الأول الصادر في ١٣ ذي الحجة ١٢٥٥هـ، وكان آخر من وصل جدة من تلك القوات، قد وصل إليها في اليوم الثالث من ربيع الآخر عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م. ومع أن الأوامر قد وصلت إلى إبراهيم توفيق بالتوقف حيث هو موجود عند تلقى ذلك الأمر، إلا أنه لم يتم إعادة أي من جنود محمد علي إلى اليمن مرة أخرى[1].

ويعتبر خروج جنود محمد علي قد هيّأ الفرصة المناسبة للشريف حسين وحلفائه العسيريين، حيث تمكن من بسط نفوذه على تهامه اليمن حتى المخا، إضافة إلى (أبي عريش) وصبيا والمخلاف السليماني بكامله[2]. وقد تم ذلك بالتعاون مع جنود من عسير بقيادة محمد علي بن مفرح المغيدي، وكان ذلك يدخل ضمن الإتفاقية السرية التي تم التوصل إليها بين أمير عسير وبين الشريف الحسين. وقد تم تأكيد هذه الإتفاقية بإجتماع وافق أمير (أبي عريش) على دفع المبلغ

(١) محفظة رقم ٢٧٠ عابدين، الوثيقة رقم ١٤٠ حمراء، نمرة ٤، مؤرخة في ١١ ربيع الآخر ١٢٥٦هـ، من ابراهيم توفيق إلى الجناب العالي، محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) حسن بن أحمد اليمنى، المصدر السابق ص ٣٠.

السنوى المتفق عليه في مقابل تأمين الحماية اللازمة له من قبل أمير عسير ضد أي عدوان خارجي[1].

وفي الواقع أن الإتفاقية السابقة لا تتفق وطموح عائض بن مرعي. فلماذا لم يستغل الموقف لصالحه عندما خلا له الجو من أي معارض بخاصة بعد أن أصبح عدوه القديم شريف (أبي عريش) في وضع لا يحسد عليه، وذلك بعد رحيل قوات محمد علي وبقائه في الميدان وحيدا، وأرى أن هناك عدة أسباب جعلت عائض بن مرعي يتخذ مثل هذا الموقف المتساهل والمتسامح، وهي كالآتى: -

١ - أن عائض بن مرعي كان يحاول تأليف قلب أمير (أبي عريش)، وأستمالته إلى جانبة خشية أن يستعين بالدولة العثمانية أو بأشراف الحجاز، الذين كانوا يتحينون الفرص المناسبة للانقضاض على سواحل اليمن والمخلاف السليماني بمجرد وجود حجة يتذرعون بها.

٢ - كان أمير عسير في وضع حربي سيىء، لا يؤهله للاستيلاء على تلك المناطق وأحكام السيطرة عليها، وذلك لانشغاله بأشراف الحجاز ومواجهة خطرهم. ثم انه كان لايزال متضررا من هزيمته العسكرية أمام أحمد باشا في بلاد غامد، تلك الهزيمة التي أضرت كثيراً بقوة عسير ودورها في المنطقة[2].

٣ - أن عائض بن مرعي كان يدرك تماما أن خسائره من مشروعة الرامي إلى السيطرة على المخلاف السليماني ستكون أكبر بكثير من أرباحه، ويعلم أيضا أن أشراف (أبي عريش) كانوا أدري

(١) حسن بن أحمد اليمنى، المصدر السابق نفسه ص ٣٥.

(٢) هاشم النصمى، المصدر السابق ص ١٩٥.

الناس بحكم المخلاف السليماني، وكيفية التعامل مع سكانه بالأسلوب الذي يناسبهم، ويعود ذلك إلى تاريخهم الطويل كأمراء للمخلاف السليماني. ولذا فقد فضل أن يتلقى مبلغا سنويا من المال مقابل حمايته لأمراء المخلاف السليماني، مع خضوعهم اسميا له، وهذا يعد مكسبا سهلاً تحقق له دون أية صعوبات، ودون حدوث أية مواجهة عسكرية بينه وبين أشراف (أبي عريش).

ونتيجة للاتفاقية التي تمت بين عائض بن مرعي وبين أشراف المخلاف السليماني، نجد أن أمير عسير يعتبر الأشراف في المخلاف من أمرائه، وكذلك يعتبر البلاد التي تقع تحت نفوذهم من بلاده. ولذلك فقد تدخّل مرارا للقضاء على ثورات في بلادهم. كما قام بمحاربة العثمانيين في (مخا) في محاولة منه لمنعهم من الإستيلاء على الساحل[1] كما أنه تدخل في الصلح بين شريف (أبي عريش) وبين علي بن حميدة في صعدة، وأمرهما بتوجية قوتهما إلى صنعاء، لمساعدتها للتخلص من العثمانيين[2]. وهذا دليل قوى على تبعية تلك المناطق لأمير عسير ووقوعها تحت حمايته.

واستمرت هذه الإتفاقية سارية المفعول، والشريف يفى بتعهداته المادية حتى دخلت سنة ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م، حين توقف الشريف عن الوفاء بالتزاماته متعللا بقلة محصول البلاد وعدم قدرته على السداد[3]. فقبل عائض بن مرعي العذر في الظاهر، ولكنه أضمر عدم الوفاء بالتزاماته العسكرية.

---

(١) عبدالله بن مسفر، أخبار عسير، ط ٢، المكتب الاسلامي، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٢) عبدالله بن مسفر، المصدر السابق ص ١٠٣.

(٣) حسن بن أحمد اليمنى، المصدر السابق، ص ٣٠.

وكان الشريف قد بدأ يحلم بالتوسع في اليمن، مستغلا خلافا نشب بين أئمة صنعاء، حيث وصل إليه محمد بن يحى مستنجداً به لإستعادة إمارة صنعاء من الإمام المنصور بن علي المهدي[1]. فوافق الشريف على ذلك وقرر ضم القسم الجبلى من اليوم إليه، وكأنه بذلك شعر بقوته وضرورة استقلاله عن أمير عسير، إضافة إلى زيادة النفقات عليه من جراء الاستيلاء على القسم الجبلى لحساب حليفة الجديد محمد ابن يحيى[2].

وبعد أن تحقق النصر للشريف الحسين ومحمد بن يحيى، وتمكن محمد بن يحى من أستعادة حكم صنعاء، عندها بدأ الخلاف بين الرجلين وكان الشريف يظن أنه سينال جزء من بلاد اليمن ثمنا لما قام به من جهد لمساعدة محمد بن يحيى، ورفض التخلى عن بعض المناطق التي يعتبرها اليمنيون تابعه لهم، ولا يمكن التنازل عنها بأي حال من الأحوال، وتصاعد الخلاف بين الأميرين حتى وصل القتال، حيث قام محمد بن يحيى باجتياح المخلاف السليماني، حتى وصل إلى بلدة القطيع، حيث وقع الشريف أسيرا بأيدي قوات محمد بن يحى[3]. وعندما وقع الشريف في الأسر حاول أشراف (أبي عريش) الحصول على مساعدة الأمير عائض بن مرعي، تنفيذا للمعاهدة التي أبرمت بينهم وبين أمير عسير، ولكن أمير عسير تباطأ ولم يعمل على إخراجه من الأسر[4]. وعندما يئس الأشراف من الأمير عائض،

---

(١) حسين بن أحمد العرشى، بلوغ المرام في شرح مسك الختام، دار الهنا للطباعة، القاهرة ١٣٥٩هـ/ ١٩٣٩م ص ٧٢.

(٢) محمد أحمد العقيلى، تاريخ المخلاف السليماني، جـ ١، ص ٥٥٣ ـ ٥٥٥.

(٣) محمد بن يحى الحداد، تاريخ اليمن السياسي، ط ٣، دار الهنا للطباعة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ص ٣٤٦.

(٤) الحسن بن أحمد اليمنى، المصدر السابق ص ٣٠.

توجهوا إلى نجران، ويقال أن بنت الشريف عقرت فرسها عند المكارمة، وذلك طلبا لنجدتهم، وقد توجه يام إلى المخلاف السليماني حيث قاموا بمحاصرة زبيد، حتى تمكنوا من إقتحامها واستخراج الشريف حيا من الأسر[1].

وعندما علم الأمير عائض بن مرعي بوجود يام في المخلاف السليماني، وشعر بخطر محمد بن يحيى على تلك البلاد، عند ذلك توجه إلى المخلاف السليماني على رأس جيش كبير، ووصل إلى (مسلية[2]) في شهر جماد الأولى عام ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م. ومن هنا تبادل الرسل مع الشريف الحسين، وتم الإتفاق على أن تعاد إليه صبيا والمخلاف، مقابل ماله من الحقوق المعتادة في البلاد، وبعد وصوله إلى صبيا وتنظميه لها عاد إلى السراة في العام نفسه[3].

وفي رأيي أن عدم إسراع الأمير عائض بن مرعي لمساعدة أمير (أبي عريش) لم يكن ذلك بسبب رفض الشريف دفع ما عليه من مستحقات فقط، وإنما ذلك بالدرجة الأولى إلى غضبه من الشريف لتصرفه في أغلب القضايا بشكل مستقل، وخاصة العلاقة مع صنعاء وتدخله بين أمرائها، وعمله على مساعدة محمد بن يحيى الذي تمكن أخيرا من هزيمته والقائه في السجن. فلم يكن بإمكان عائض بن مرعي أن يدفع برجاله لخوض حرب عدوانية لمساعدة أمير مسلم على

---

(١) بدر الدين محمد بن إسماعيل الكبسى، اللطايف السنية في أخبار الممالك اليمنية (مخطوطة).
عبد الواسع بن يحيى اليمنى، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، القاهرة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م ص ٢٣٢.

(٢) مسلية: قرية من قري وادي (بيش) بالمخلاف السليماني.
انظر، محمد أحمد العقيلي، المعجم الجغرافى لمقاطعة جازان ص ٣٨٨.

(٣) حسن بن أحمد اليمنى، المصدر السابق، ص ٣٢.

أمير مسلم آخر. ولقد كان موقف الأمير عائض سليما عندما لم يقبل التدخل إلى جانب الشريف ضد إمام صنعاء محمد بن يحيى، فلو تهور وتحرك بسرعة ووضع نفسه في تلك المشكلة لوجد نفسه في حرب لا يرضاها هو ولا أي من أفراد قبائله. فقد كانت تلك الحرب من بدايتها ذات أهداف غير محددة، وكان كل واحد يطمع في التوسع والقضاء على حليفه، لذلك فإنّ السياسة والحكمة تقضي بالتأني وانتظار النتائج، حتى تتضح الرؤية تماما أمام عائض بن مرعي ورجاله. ثم من يدري ماذا كان سيفعل أمير (أبي عريش) لو نجح في القضاء على محمد بن يحيى وتمكن من السيطرة على صنعاء، فربما نازع عائض ابن مرعي على الإمارة بخاصة وأن مطامع أمراء المخلاف السليماني لا نهاية لها.

ومهما تكن المبررات التي دفعت عائض بن مرعي إلى التصرف بشكل سلبي مع حليفه الشريف فإن تلك الأحداث قد أثرت في نفسية الحسين أشد تأثير. وقد تأثر بسبب تنكر الإمام يحيى له، بعد مساعدته في الإستيلاء على صنعاء. ثم تنكر عائض بن مرعي أمير عسير وامتناعه عن المشاركة في تخليصه من الأسر، وقد دفعته تلك المصاعب التي واجهها من حلفاء الأمس إلى الإستعانة بالدولة العثمانية، حيث قام بتسليم البلاد إلى قوات عثمانية وصلت لهذا الغرض[1]. كما اشتكى أيضاً سكان تهامة وخاصة الحديدة إلى السلطان العثماني وطالبوه بالتدخل لإقرار الأمن في اليمن[2]. وعلى الرغم من استجابة السلطان العثماني لتلك الدعوة وتوجيهه قوات إلى

---

(١) بدر الدين محمد بن إسماعيل الكبسي، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، (مخطوطة).

(٢) عبد الله الجرافي، المقتطف من تاريخ اليمن، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م، ص ٤٤.

اليمن يـرافقها شـريف مكة محمـد بن عون، إلا أن تلك القـوات قـد هزمت في صنعاء وخرجت بصعوبـة بالغـة وبقيت سيطرتهـا على بعض المناطق الساحلية كاللحيـة والحديـدة فقط، مع اعتـراف صاحب (أبي عريش) بتبعيته الاسمية لها[١].

وهكـذا كـان أشـراف (أبي عـريش) سبباً في رجـوع الـدولـة العثمـانية إلى اليمن وتهـامة وسـواحل عسـير، التي كانت قـد ضعفت سيطرتها عليهـا منذ انسحـاب قوات محمـد على من الجـزيرة العـربية، ويصف أحد المؤرخين اليمنيين الأشراف بأنهم كانوا ركائـز للعثمانيـين في المخـلاف السليمـاني، حيث قـال[٢]: وكـان أشـراف المخـلاف السليمـاني هم ركائـز الأتـراك في اليمن، كـما كـان أسـلافهم ركـائـز المماليك. بل كانت بلادهم هي الباب المفتوح للغزاة إلى اليمن ».

وبعد أن استسلم الحسين للدولة العثمانيـة، رحل إلى الآستـانة ثم أعيد ليعيش في مكة المكرمة بقية عمره[٣]. أما المخلاف السليمـاني فقد ضربت الفوضى أطنابها في أرجائه، وكان أكبر سبب لتلك الفوضى أشراف المخلاف السليمـاني لإختلافهم وتنـاحرهم فيـما بينهم. واشتد الخلاف بـين الحسـين بن الحسـين والحسن بن محمـد، مما اضـطرّ عـائض بن مرعي إلى التـدخل لإنهاء ذلـك الخلاف الـذي نشب منـذ وقت طويل[٤].

وقد عبّر عائض بن مرعي عن موقفه هذا صراحـة أثناء مقـابلته لأحد مندوبي والي الحجاز حيث قال[٥]: « في الواقع وكـما سمعنا فـإن

---

(١) محمد أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ط ١، ص ٥٢٢.

(٢) محمد بن يحيى الحداد، المصدر السابق، ص ٣٤٦.

(٣) محمد أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، جـ ١، ص ٥٢٢.

(٤) حسن بن أحمد اليمني، (عاكش)، المصدر السابق، ص ٣٣.

(٥) تقـرير المنـدوب الحجـازي، وثيقـة رقم ٢٦٥، مجلس مخصـوص بتـاريـخ ربيـع الثـاني =

حضرة كامل باشا عادل في أحكامه، ولـذلك فـإنني رغم أني كنت على تهيئة واعتزام لا قصـد تلك الجهات (يقصـد الحجاز) ولكن كـما ترون الآن فقد صرفت النظر عن ذلك وأنا متجه نوح (أبي عريش) في اليمن لأن الأشراف يحاربون بعضهم بعضاً منذ خمسة أشهر، ولم يقروا الصلح فيما بينهم في يوما ما).

وقـد كان معـظم أعيان المخـلاف السليماني عـلى إتصـال وثيق بعائض بن مرعي، وكانوا يرسلون إليه الهدايا بين الفينة والأخرى، مما يدل على وجود ولاء لأمير عسير بين سكان المخلاف السليمـاني، ويدل عـلى ذلك الـرسالـة التي بعثها عـائض بن مـرعي إلى حسن بن محمـد الحازمي، ويفهم منها أن رسالته تلك كانت جوابا لرسـالتين، تلقـاهما من حسن الحازمي ووالده، وممـا ورد في تلك الرسـالة: « ونحن وأنتم غير الناس والحال واحد والمنزلة صافية، وأما الفرس فهي وصلت بيـد الأخ حسن أحمد، وقد حقق لنا من رأسه بما أوصيته بـه، فأمـا الفرس فهي عندنا عـلى الذي بيننـا وبينك فيهـا، كل عـلى حصته فيهـا، هذا والحال واحد[1] ».

وممـا يؤكد لنـا مدى تقبـل الناس في المخـلاف السليمـاني لحكم عـائض بن مرعي، هـو أنه عنـدما وصـل إلى صبيا أقبـل إليـه معـظم أشراف (أبي عريش) وعلى رأسهم الشريف حيدر، والحسين بن محمـد والحسن بن الحسين، واتفقوا جميعاً على تسليمه مقاليد الأمور، وقدموا

= ١٢٧٢هـ. انظر محمد بن عبد الله زلفه، دور عسـير في أحداث الحجـاز في الفترة مـابين ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م ـ ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م، المجلة التاريخية المغربية، العدد ٢٩ ـ ٣٠، السنة العاشرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٨٣م ص ٥٦، ٨٥٧

(١) من عـائض بن مرعي إلى جنـاب الأخ حسن محمد بن حسن الحـازمي، مؤرخة في عـام ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م، انظر، محمد أحمـد العقيلي، تـاريخ المخـلاف السليماني، جـ ١، ص ٥٥٩.

له البيعة أميراً على المخلاف السليماني، وتمكن من دخول (أبي عريش) دون قتال، حيث ترك بها نحو ستمائة رجل رتبهم على قلاع المدينة، وتقدم بسهولة كبيرة فقد أقبل عليه سكان المخلاف السليماني من كل صوب يقدمون له البيعة حتى وصل إلى الحديدة وكانت تحت حكم العثمانيين[1].

وكان الوالي على الحديدة محمود باشا، الذي قام بتنظيم الدفاع عن المدينة، معتمداً على متانة أسوار المدينة، وعلى مايمتلكه من قوات منظمة ومدافع وأسلحة[2] حديثة بالإضافة إلى اعتماده على الأسطول البريطاني الذي بعث به حاكم عدن الانجليزي لمساعدة محمود باشا على الصمود في وجه قوات عائض بن مرعي[3]. وعلى الرغم مما يمتلكه من أسلحة حديثة وقوات نظامية، بالإضافة إلى مساعدة الأسطول الانكليزي له في الدفاع عن الحديدة، إلا أنه لم يكن باستطاعته الصمود في وجه قوات عسير، التي يقدرعددها بثلاثين ألف نسمة[4]، ولولا انتشار الحمى الصفراء بين جيش عائض بن مرعي أثناء حصاره للحديدة، وتوفي بسببها في ليلة واحدة مايزيد على ثلاثمائة من رجاله، مما اضطره إلى فك الحصار والعودة إلى بلاده وعليه علامات الحزن الشديدة، نظراً للخسائر الكبيرة في صفوف قواته[5].

---

(١) حسن بن أحمد اليمني (عاكش)، المصدر السابق، ص ٣٣.

(٢) عاطف باشا، يمن تاريخي (باللغة التركية)، مطبعة منظومة أفكار، أستانبول من والي اليمن إلى والي جدة، وثيقة ارادة مجلس مخصوص، رقم ٢٦٥، تاريخ

(٣) غرة جماد الثانية ١٢٧٢هـ، انظر محمد آل زَلفة، المقال السابق، المجلة المغربية، العدد ٢٩ ـ ٣٠، ص ٥٨.

(٤) وثيقة داخلية رقم ٢٣٣٦٧، تاريخ ٢٧ شوال ١٢٧٢هـ، من الوالي إلى الصدر الأعظم، الأصل محفوظ بارشيف رئاسة الوزارة باستانبول، انظر محمد آل زلفة، نفسة، ص ٥٦.

(٥) عاطف باشا، المصدر السابق، ص ١٩٩.

وقد اصطحب عائض بن مرعي معه أشراف أبي عريش وعلى رأسهم القائمقام من قبل ايالة اليمن، وأرسلهم مقيدين إلى عاصمة بلاده[1]. ولم يبق سوى الحسن ابن الحسين لاختفائه، كما أبقى حامية كبيرة في (أبي عريش)، لحفظ الأمن فيها، وللدفاع عنها ضد أي هجوم خارجي. ثم عاد عائض بن مرعي مسرعاً إلى عسير وقد علقت به علة الموت، وتوفي حال وصوله عاصمة بلاده ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ، وكان ذلك في شهر شعبان ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م[2].

وبهذه الحملة الكبيرة، التي تم فيها القضاء على سلطة العثمانيين في المخلاف السليماني، أصبح المخلاف السليماني بكامله تابعاً لامارة عسير، وبذلك يكون عائض بن مرعي قد بسط سيطرته على المخلاف السليماني تدريجياً، فكان يتبعه في البداية المناطق الواقعة شمال صبيا ولكنه عندما لاحظ عدم استقرار الأحوال في المخلاف السليماني قرر القضاء على حكم الأشراف والعثمانيين في آن واحد، ولكن الوباء الذي انتشر بين جنده أفسد عليه مخططاته فعاد مكتفياً بالمخلاف السليماني، وترك الحديدة تحت السيطرة العثمانية.

عسير وأشراف المخلاف السليماني في عهد محمد بن عائض :

في الوقت الذي تولى فيه محمد بن عائض الامارة خلفاً لوالده كان يوجد في عسير مجموعة من أشراف المخلاف السليماني، كان قد أخذهم والده عائض بن مرعي أسرى، بعد استيلائه على المخلاف السليماني قبل وفاته بأشهر قليلة. وعندما تولى محمد بن عائض امارة

---

(١) من والي ايالة اليمن إلى الصدر الأعظم وثيقة داخلية ٢٢٧٢٣، تاريخ ٢٥ جماد الثانية ١٢٧٢هـ.

انظر محمد آل زلفة، نفسه، ص ٥٨.

(٢) الحسن بن أحمد اليمني (عاكش)، ص ٣٤.

عسير خلفاً لوالده، قام باطلاق هؤلاء الأشراف مقابل رهائن يحلون محلهم في الأسر. وقع ذلك فلم يدعهم يتوجهون إلى المخلاف السليماني لوحدهم، بل توجه بهم من أبها إلى (أبي عريش) ومعه جيش كبير، وعندما وصل (أبي عريش) قام بتخريب قلاع المدينة جميعها عدا (دار النصر) فتركها حصنا للمدينة، وولي الحسن بن محمد أميراً على البلاد، ابتداء من حدود (وادي مور[1]) إلى حدود (وادي ضمد)، أما صبيا فقد عيّن فيها الحسن بن أحمد بن حمود[2].

وعلى الرغم من توجه محمد بن عائض على رأس جيش كبير، واجتياحه لتلك الامارة الضعيفة، واستعراضه لقواته فيها، إلا أنه كان خائفاً من ثورة أشراف (أبي عريش) ضده، ولذلك فقد كان حريصاً على خراب قلاعها وإبقاء حامية بها لا للدفاع عنها فقط، ولكن لإخماد الثورات التي تقوم بها، وكان خوفه يتركز على استعانة الأشراف بالعثمانيين مرة أخرى، وهم يجيدون الدفاع من داخل القلاع ونادراً ماتمكن أي جيش من اقتحام قلعة عثمانية، ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى تدريب قواتهم على القتال من مثل هذه القلاع، بالإضافة إلى الأسلحة التي يملكونها وأهمها المدافع والرشاشات، بالاضافة إلى تخوفه من استعانة الأشراف بيام، الذين يحاربون كثيراً كمرتزقة إلى جانب أشراف المخلاف السليماني.

ومهما تكن المصائب التي لحقت بأشراف (أبي عريش)، إلا أنها لم تكن كافية لإقناعهم بوضع حد لخلافهم ونزاعهم. بل استمر النزاع

---

(١) وادي مور: يبتدىء من منطقة حرض ويجري إلى البحر الأحمر، وهو قريب من حدود اليمن.
انظر: عبد الله بن حميد: محقق كتاب الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لامير المسلمين، ص ٣٩، حاشية ١

(٢) حسن بن أحمد اليمني، المصدر السابق، ص ٣٨، ٣٩.

بينهم على تلك الامارة الصغيرة المليئة بالفتن والخلافات. فلم يكد محمد بن عائض يصل السراة مطمئناً إلى استقرار (أبي عريش) وضمه لها، حتى وصل إلى نجران الحسن بن الحسين مستنجداً بقبائل يام ضد عامل ابن عائض الشريف الحسن بن محمد[1].

وكان محمد بن عائض قد توقع مايمكن أن يحدث في المستقبل، فقد بعث بخطاب إلى الحسن بن محمد ينبهه فيه إلى وجوب الوقوف في وجه يام، وصدهم بدلاً من الإستسلام لهم. ومما قاله في رسالته[2]: « ويقتضى أن تكون يقظاً ومستعداً لمقاومته، وعندما تعلم بنزوله مع قبائل نجران إلى تهامة فأرفع الى وسوف نوافيك بالنجدة والقوة التي تقضي عليه ».

ولكن نصائح محمد بن عائض لم تلق آذانا صاغية لدى الشريف الحسن ابن محمد، فقد أظهر في البداية الرضا عن هجوم يام على المخلاف السليماني، وبلغ به الأمر أن عقد معهم اجتماعاً سرياً، ولكنه بعدما عقد ذلك الاجتماع أدرك أنه سيفقد امارته. وعند ذلك حاول المقاومة، وبعد قتال ومناوشات بين أنصار الحسن بن محمد من جهة وبين الحسن بن الحسين ويام، استسلم الحسن بن محمد ووافق على الدخول تحت طاعة الحسن بن الحسين، كما تعهد باخراج الحامية العسيرية من قلعة (دار النصر)، وقد تم له ذلك بعد مفاوضات طويلة مع سعيد بن مرضى أمير العسيريين المرابطين بدار النصر[3].

---

(١) حسن بن أحمد اليمني، المصدر السابق، ص ٤٠.
(٢) رسالة من محمد بن عائض إلى الحسن بن محمد عامله على (أبي عريش).
انظر محمد أحمد العقيلي المصدر السابق، جـ ١، ص ٥٧١.
(٣) حسن بن أحمد اليمني (عاكش)، المصدر السابق، ص ٤٤.
ـ محمد أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ص ٥٧١.

ولقد ظهر لي جليا أن أشراف المخلاف السليماني لم يكونوا يميلون إلى حكم محمد بن عائض، وإنما كانوا يرون في ذلك حملا ثقيلا يعملون على التخلص منه بكل بالوسائل حتى لو استعانوا بألد أعدائهم وهم يام. والدليل على ذلك هو أن الحسن بن محمد حاكم (أبي عريش) من قبل محمد بن عائض وافق على التعاون مع يام والدخول في طاعة الحسن بن الحسين، مع تعهده باخراج الحامية العسيرية من حصون المدينة دون أن يطلب منهم القتال إلى جانبه، مع أنه كان بامكانه الصمود مع هذه الحامية حتى قدوم النجدات من محمد بن عائض، الذي بعث سرية بقيادة سعد بن عائض، ولكنها لم تصل إلا بعد استسلام حامية (دار النصر)، حيث التقى سعد بن عائض بالحامية في صبيا في طريقها إلى عسير بعد خروجها من (أبي عريش)[1].

شعر محمد بن عائض أن الموقف قد يخرج من يده تماما، فقام بحملة جديدة على المخلاف السليماني بقصد التخويف واثبات الوجود. وقد تمكن من حصار (أبي عريش)، ولكنه سرعان ما توصل مع الحسن بن الحسين إلى اتفاق يتم بموجبه تسليم مبالغ سنوية لأمير عسير، مع الاعتراف بالتبعية الاسمية له[2]، ووقع الاتفاق في شهر ذي الحجة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م[3].

---

(١) حسن بن أحمد اليمني (عاكش)، المصدر السابق، ص ٧١.
- انظر كذلك محمد أحمد العقيلي، المصدر السابق، ص ٥٧٣.

(٢) حسن بن أحمد اليمني (عاكش) نفسه، ص ٤٥.
- محمد أحمد العقيلي، نفسه، ص ٥٧٤.

(٣) كل المعلومات المتعلقة بالعلاقة بين أشراف أبي عريش وبين محمد بن عائض خلال الفترة من ١٢٧٣ - ١٢٨٠هـ. لم يرد لها ذكر في أي من المصادر التاريخية أو الوثائق سوى ما كتبه المؤرخ المعاصر لتلك الاحداث حسن بن أحمد اليمني الملقب بعاكش، ونقل عنه محمد أحمد العقلي، مع بعض الإضافات التي حصل عليها من بعض المخطوطات في المنطقة، ولذلك فقد حرصت على ذكر كلام المؤلفين في ان واحد.

وهكـذا يظهـر لنا جليـا الهدف الـذي من أجله يقـوم محمـد بن عائض بحملاته على المخـلاف السليماني، وهـو المحافـظة على المبـالغ التي يحصـل عليها من الشـريف القائم في تلك الجهـات، بغض النظر عن كفاءته ومدى تقبل الناس لحكمه.

ولقد كان وضع أولئك الأشراف حرجا للغايـة، فقد كـانوا بـين نارين، نار أمير عسير وما يطلبه منهم من أموال لحـامياته التي ترابط في المخلاف السليماني، ونار يام ومرتزقتها الذين يستعـين بهم أي شريف يريد أن يكون له شأن في المخلاف السليمـاني[1]. ونتيجة لـذلك فقـد تعـذر علي الشـريف الحسن بن الحسين الـوفاء بتعهـداته المـادية لأمـير عسير، واعتذر في البداية ثم خـاف من غضب أمير عسـير فأرسـل إليه بعض ما عليه من أمـوال لأمير عسـير، ولكنه عـاد وعجز في السنـوات اللاحقة عن دفع تلك الأموال لمحمد بن عائض، ممـا دفع ابن عـائض إلى إثـارة الشريف الحسن بن أحمـد بن حمود عليـه ـ وكان عـامل أمـير عسير على صبيا ـ وطلب منه أن يقوم بمهاجمة الحسن بن الحسين في (أبي عريش)[2].

وهكذا كان محمد بن عائض يعمـد إلى إثارة الفتن بـين أشراف المخلاف السليماني حتى يضعف بعضهم بعضاً، وبهذه الوسيلة يصبح المنتصر منهم ضعيفا فيتمكن من كسب أموال سنوية منه، وبالمقابل فإن هؤلاء الأشراف قد جروا الوبـال على أهلهم وبـلادهم، فكان طمعهم في الإمـارة قد أدى إلى تنـاحـرهم وضعفهم، وأصبحـوا أداة طيّعـة في

---

(١) كان أشراف أبي عريش يستعينون دائـماً بقبائـل يام عنـد مواجهتهم لأي عـدو خارجي، وكان أهل يام يطلبون مبالغ كبيرة مقابل تعـاونهم مع أي شـريف من أشراف المخـلاف السليماني.

(٢) حسن بن أحمد اليمني (عاكش) المصدر السابق، ص ٤٧، ٤٨
ـ محمد أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ص ٥٧٥.

أيدى عسير ويام دون أن تكون لهم أي سلطة حقيقية. ولذلك فقد أثار الشريف الحسن بن أحمد - عامل محمد بن عائض على صبيا - القلاقل والفتن بالمخلاف السليماني بتحريض من محمد بن عائض، مما جعل الحسن بن الحسين يرضخ ويوافق على دفع ما يستطيع عليه من أموال لمحمد بن عائض، وتم تسليم تلك الأموال لرسل محمد بن عائض. وفي الوقت الذي دفعت فيه أموال لعسير، كان على الشريف الحسن بن الحسين أن يدفع أموالا طائلة لمرتزقة يام، فقام بظلم الناس ومصادرة أموالهم، فضيّق علي التجار وأهل الحرف في سبيل سداد ما عليه من أموال ليام وعسير[1].

وعلى الرغم مما قام به الحسن بن الحسين لتهدئة عسير ويام إلا أن الخطر الداهم كان يكمن في بني عمه من الأشراف أنفسهم. فقد قام الحسن بن محمد بتدبير مؤامرة لاغتيال الحسن بن الحسين، حينما كان في خلوة له مع ابن عمه وقام بتنفيذ المؤامرة بعض عبيد الحسن بن محمد، وبذلك عاد إلى تولي إمارة (أبي عريش) عام ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م[2].

وكان الحسن بن محمد يظن أنه بعمله هذا سيرضى الأمير محمد بن عائض، لأنّ الحسن بن الحسين استعان بيام للاستيلاء على (أبي عريش)، ولكن الأمير محمد بن عائض لم يكن راضياً عن الحسن بن محمد لتآمره مع الحسن بن الحسين ويام أيام إمارته الأولى. وكذلك فإن طريقة وصوله إلى الإمارة قد أثارت الناس عليه وأدت إلى اختلال الأمن في البلاد. وعلى الرغم من محاولته التقرب من الأمير محمد بن عائض إلا أنه لم يعره أذنا صاغية. بل جمع الجنود وتوجه إلى

---

(١) الحسن بن أحمد اليمني (عاكش) المصدر السابق، ص ٤٨، ٤٩.

(٢) محمد أحمد العقيلي، نفسه، ص ٥٧٦.

تهامة المخلاف السليماني، وكان معظم أهل (أبي عريش) مؤيد له على ذلـك وأغلبهم غير راض بـولاية الحسن بن محمـد، وقـد تمكن الأمـير محمد بن عائض من الاستيلاء على (أبي عريش) بالقـوة بعد أن هـرب الأمير الحسن بن محمد، تحت جنح الظلام، حيث قتل في نجران عـلى يد قبائل يام، وكان ذلك عام ١٢٨٠ هـ/ ١٨٦٣ م[١].

وأرى أن السبب الحقيقي وراء هجـوم الأمير محمـد بن عـائض هـذا ليس بسبب كرهـه لسيرة الشـريف الحسن بن محمد فقط، وإنما لتـأكده من ضعف هـذا الشريف وكـره الناس لـه، وادراكه أنـه يمكنه الاستيلاء على المخـلاف بكل سهـولة، فقـرر القيام بتلك الحملة حتي يـرتب أمور تلك البـلاد على الشكـل الذي يـريد، وحتى يضـع أميـراً منـاسباً يكـون تابعـاً له، وبـذلك تستقـر الأوضاع ويتمكن من كسب الأمـوال اللازمـة من الوالى الجـديد، وهـو ما يمكن تسميتـه بـالتبعيـة السياسية.

ولم يكتف الأمـير محمـد بن عـائض بـالاستيـلاء عـلى المخـلاف السليماني، بل إنه تحرش بالعثمانيين في الموانى الساحلية فـوصل قـرب الحديدة، ثـم عرج إلى (جازان) فاستولى عليهـا، يقول مصـدر معاصر عن ذلك ما نصه[٢]: «وانتهى إلى الزهراء، وانتهى الصلح بينه وبـين باشا اليمن في ذلك الوقت، ولم يلق في مسيـره كيدا واستـولى على تلك الجهات، وجعل لها عامـلاً، ورجع إلى أبي عـريش وبين يـديه الجنـود وحوله عشيرته الأسود. وأقام ثلاثة أيام، وارتحل يريد بندر جازان لأن

---

(١) الحسن بن أحمد اليمني (عاكش)، المصدر السابق، ص ٥٣.
انظر كذلك محمد بن إبراهيم زين العابدين الحفظي، نفحات من عسير (ديوان شعر من قصائد أسلاف آل الحفظي)، مطابع عسير، أبها ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م، ص ١٣٥.
(٢) الحسن بن أحمد اليمني، المصدر السابق، ص ٥٨.

فيـه رتبة من التـرك، فلما وصل إلى (الـواصلى) قـريـة من قـرى وادي جـازان وصله كبـير الـرتبـة تحت النـظر. وأرسـل رتبـة في قلعـة بنـدر جازان».

وفي هـذه المـرة لم يعـين واحـد من الأشـــراف أميـراً عـــلى (أبي عريش)، بل عين الشيخ أحمـد بن حسن الحازمي عـاملا لـه فيها، ولم يكن الـوالي الجديـد أحسن حالا ممن سبقـه، فقد بقيت هـذه المنطقـة عديمة الاستقرار، ومع ذلك فقد ظل الأمير أحمد الحازمي مخلصـاً لأمير عسير فترة من الزمن[1].

وتشـير المصادر[2] العثمـانية إلى هجـوم الأمير محمـد بن عائض عـلى تهامـة المخلاف السليمـاني، متهمة أيـاه بالحب في التـوسـع عـلى حساب الدولة العثمانية كما تذكر أنّه لم يجرؤ على مقابلة والي الحـديدة، ولكنها تعترف بـاستيلائـه على مينـاء (جازان)، وعـلى بقاء تلك المينـاء تحت سيـطرته فتـرة قصيرة من الـوقت، ومما قـاله المصـدر العثماني مـا نصه[3]: «وفي بداية ١٢٨٠هـ قام أمير عسير محمد بن عائض بالهجوم على تهامـة اليمن حبا في تـوسيع ملكـه، وخلال هجمـاته عـلى المناطق التابعة لقضاء (لحية) استولى على قلعة ومرفأ (جازان) وهدم ثلاثة عشر برجا بالإضافة إلى المنازل والخانات التي كـان قد أقـامها الشـرفاء ذوى الخيرات في الأزمنة القديمة في (أبي عـريش)، إلا أن متصرف الحـديدة خرج لملاقاته بمن معه من الجند ولم يجرؤ المذكور على اللقـاء، بل أغـار على الشريف علي بن محمد القابع في قريته (زهرة)».

---

(١) محمد بن أحمد العقلي، تاريخ المخلاف السليماني، ص ٥٧٨.
(٢) عاطف باشا: يمن تاريخي (باللغة التركية)، ص ١٢٠.
(٣) عاطف باشا، يمن تاريخي (باللغة التركية)، ص ١٢٠.

ومع هذا فإنه لم يهن على العثمانيين استيلاء أمير عسير على ميناء (جازان)، اذ سرعان ما بعثوا قوات عثمانية تمكنت من إخراج الحامية العسيرية من قلعتها، وعندما حاول عامل محمد بن عائض على المخلاف السليماني التصدى لهم، هزم هزيمة منكرة. ومع أن النجدات وصلت من عسير إلا أن تلك القوات لم تشتبك مع القوات العثمانية، ولم تحاول استعادة ميناء (جازان)، بل اكتفت بالمحافظة على بقية المناطق الداخلية في المخلاف السليماني[1].

ثم حدثت مفاجآت سريعة ومتلاحقة في علاقة عسير بالمخلاف السليماني، فيذكر أن أحمد بن حسن الحازمي كان يضمر الخلاف ويعمل على الاستقلال عن عسير، ولكن المنية وافته قبل أن تتحقق أحلامه. ثم خلفه أخوه محمد بن حسن الحازمي ولكن إمارته لم تطل لأسباب غير معروفة، عجز صاحب الدر الثمين عن ايضاحها ومما قاله[2] في هذا: «ولكن أحمد بن حسن مبطن الخلاف، واستقل بالأمر، ولكن سبقت عليه المنية قبل بلوغ الأمنية وتوفي إلى رحمة الله تعالى واستقر الشيخ علي بن محي مدة، وأعقبه وصول الشيخ حنش بن مسفر وصحبته ثلة نافعة من المسلمين، وكان المتولى على المدينة[3] محمد بن حسن بعد أخيه. ولكن الحال ولا مستقر لامارته قرار:

وكان ماكان مما لست أذكره فكن لبيبا ولا تسأل عن الخبر

وهناك تخرج أسئلة كثيرة بحاجة إلى إجابات محددة، فيذكر المصدر السابق أن أحمد بن حسن أبطن الخلاف ولكنه سرعان ما وافته

---

(١) حسن بن أحمد اليمني (عاكش) المصدر السابق، ص ٥٩.
(٢) حسن بن أحمد اليمني (عاكش) نفسه، ص ٦٠.
(٣) المدينة: يقصد بذلك (أبي عريش).

المنية. ولكنه لم يوضح لنا كيف وافته المنية بتلك السرعة، وما نوع مرضه. ثم أنه يذكر أن هناك جماعة من عساكر محمد بن عائض وصلوا إلى (أبي عريش) بقيادة حنش بن مسفر. ثم يشير إلى ولاية محمد بن حسن الحازمي بعد أخيه، ولكنه يذكر أن إمارته لم تستقر، وحين نريد أن نسأل، لماذا لم تستقر؟ فإنه يجب بأنه «كان ما كان مما ليس يذكره فكن لبيبا ولا تسأل عن الخبر». أما لماذا لا يستطيع الإجابة فهذا مالا يعرفه أحد، والموقف قابل للتكهنات، ولكن لا نستطيع أن نخوض فيها لعدم وجود الأدلة الكافية من مصادر ووثائق[1].

وفي الوقت نفسه الذي انتهت فيه إمارة محمد بن حسن الحازمي، ثم الاتفاق بين الدولة العثمانية وبين محمد بن عائض، على أن يتنازل ابن عائض عن المناطق الواقعة إلى الجنوب من ضمد بما فيها (أبو عريش)، بينما بقي لمحمد بن عائض صبيا والمخلاف والمناطق الواقعة إلى الشمال منها[2].

ومع أن الاتفاقية السابقة وردت في مصدر معاصر تلك الأحداث، إلا أن هناك من يرجع سبب تخلي محمد بن عائض عن (أبي عريش) ونواحيها إلى أن القوات العثمانية في اليمن قد تمكنت من طرد قوات محمد بن عائض من كل أنحاء المخلاف السليماني وأنه تم تولية أحد الاشراف برتبة قائمقام من قبل الدولة العثمانية على تلك المنطقة[3].

---

(١) هناك احتمالات كثيرة، منها أن يكون تم التخلص من الاخوين أحمد ومحمد الحازمي من قبل رجال ابن عائض. عندما لاحظوا رغبتهم في الاستقلال، ولما كان المؤلف من المعاصرين لابن عائض فقد خشي بطشه واخفى الحقيقة عن الناس. وهناك احتمال آخر وهو أن يكون العثمانيون قد تمكنوا من استعادة المخلاف السليماني، واراد المؤلف اخفاء الحقيقة محاباة للأمير القائم.

(٢) حسن بن أحمد اليمني، المصدر السابق، ص ٦٠.

(٣) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٢٠٤.

والـواقع أن الـرأي الثـاني أقـرب إلى التـرجيـح ، ويعـود ذلـك للاسباب الآتية :

١ ـ أن ثورة كبيرة قام بها رجـال ألمع ومن جـاورهم في تهامـة وامتدت حتى وصلت إلى درب بني شعبـة، ولا شـك أن تلك الثـورة قـد اشغلت محمـد بن عائض وسببت لـه الارباك والاحـراج فلم يبق معـه إلا قبائـل السـراة، فـاضـطر لمقـاتلة الثـائـرين، وتمكن من اخضاعهم أخيراً بعد عناء شديد، ووصل بعملياته ضد الثوار إلى درب بني شعبـة جنوبـاً، ولم تذكـر المصادر[١] أنـه تعدى الـدرب جنوباً، مما يدل على أن العثمانيين كانوا في المخلاف السليماني .

٢ ـ شهـدت تلك الفترة تحـركاً ملحـوظـاً للدولـة العثمـانيـة، حيث وجهت الأوامر إلى والي مصر بارسال عساكـر إلى الحجاز لمـواجهة اطمـاع محمد بن عـائض، وجعله يتراجـع عن بسط نفـوذه عـلى المخـلاف السليماني حتي لا يغضب الـدولة العثمـانية ويعـطيهـا فرصة للقضاء على إمارته . وقـد كافـأته الـدولة العثمـانية مقـابل تخليـه عن المخلاف السليمـاني برتبـة الباشـوية وتعيينـه قـائمقـام سنجق العزيزيـة اليمانيـة، مع تحـذيرهـا له بعـدم تجاوز حـدوده المقررة وإلا حل عليه غضب السلطان[٢] .

٣ ـ مـا تذكـره المصادر من أن المخـلاف السليماني قـد بقى في قبضـة العثمانيين حتى عام ١٢٨٧هـ، حين قام محمد بن عائض بإخراج الحـامية العثمـانية من صبيـا وكـان عمله هـذا البـدايـة لإخـراج

---

(١) حسن بن أحمد اليمني (عاكش) المصدر السابق، ص ٦٥ .

(٢) محفظة سايرة، الوثيقـة بدون رقم، المؤرخـة في ١٥ ربيع الأول ١٢٨٢هـ، دار الـوثائق القومية بالقاهرة .
ـ وكذلك دار الوثائق القومية بالقاهرة، رسالة من خديوي الاقطار المصرية إلى محمـد بن عائض يهنئه ويخبره بمنحه رتبـة الباشـوية أي أمـير الامراء مؤرخـة في أواخر شعبـان عام ١٢٨٢هـ، انظر كتاب الآثار الفكرية ص ٦١، ٦٢ .

العثمانيين من المخلاف السليماني، ثم حصاره للحديدة، مما سبب غضب الدولة العثمانية، وعندها قررت القضاء على إمارة عسير وحشدت لذلك أفضل قواتها وقادتها حتى تمكنت من تحقيق ذلك[1].

وكل ما سبق يدل على أن محمد بن عائض قد اضطر إلى التنازل عن المخلاف السليماني عام ١٢٨١هـ / ١٨٤٦م، درءاً للصدام مع العثمانيين، وعندما حاول استعادته منهم كانت نهاية إمارته. وبناء على الرأي السابق فان حكم محمد بن عائض في المخلاف السليماني وسيطرته عليه قد انتهت عام ١٢٨١هـ /١٨٦٤م، عندما استعادها العثمانيون، ومكث كافا يده عن المخلاف السليماني حتى عام ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م، بعدها قرر الهجوم على الحاميات العثمانية في المخلاف السليماني وتهامة، وكان يهدف من وراء ذلك الهجوم إخراج العثمانيين من المخلاف السليماني ومن السواحل اليمنية عامة. ولتنفيذ هذه المهمة فقد وصل بهجومه إلى الحديدة، وحاصر حاميتها العثمانية، وعندما أوشك على اقتحام أسوارها والاستيلاء عليها بلغه توجه حملات عثمانية إلى عسير، مما أجبره على فك الحصار عن الحديدة، ليعود مسرعاً إلى عسير تاركاً المخلاف السليماني والسواحل اليمانية، على أمل أن يتمكن من إعادة الكرّة بعد صد ذلك الهجوم الكبير على بلاده[2].

ولسنا هنا بصدد الحديث عن المواجهة التي وقعت بين محمد بن عائض وبين العثمانيين في المخلاف السليماني، ولكننا نريد معرفة

---

(١) عاطف باشا، يمن تاريخي (باللغة التركية) جـ ١، ص ١٢٢ ـ ١٢٤.

(٢) عاطف باشا، يمن تاريخى (باللغة التركية)، جـ ١، ص ١٢٣، جـ ٢، ص ٢٧،
ـ انظر كذلك: محمد أحمد العقيلي، المصدر السابق، جـ ١، ص ٥٤٧.
هاشم النعمي، المصدر السابق، ٢٠٩.

نهاية علاقة عسير بالمخلاف السليماني، حيث أشار معظم المؤرخين، إلى أن جيش محمد بن عائض قد أرتكب مجازر بشعة أثناء انسحابه من اليمن بل بالغ بعضهم فيذكر أنهم هتكوا الأعراض وأستباحوا الأموال بشكل / لم يعرف له تاريخ المنطقة مثيلا[1]. واني أستغرب هذا العمل من جيش كان المفروض فيه أن يكون الحامي الحقيقى لأهالى تلك المناطق، فكيف حدث ذلك، ولماذا أرتكب هذه الفضائح؟

أرى أن هذا يعود إلى عاملين مهمينّ :-

أولهما: أن خللا قد حصل في القيادة العليا بعد الهزيمة في الحديدة، مما جعل النظام داخل الجيش يفلت من يد قيادته العليا، بخاصة بعد وصول أخبار عن الحملات العثمانية المتجهة إلى عسير، مما أدى إلى ارتكاب هذه التجاوزات على يد بعض أفراد قوات محمد بن عائض، دون أن يكون ذلك بمباركة من أغلبية ذلك الجيش أو قيادته العليا.

ثانيهما: ذكر بعض المؤرخين[2] أن قبائل المخلاف السليماني قد استغلت انسحاب قوات ابن عائض، فحاولت الهجوم عليها أثناء انسحابها، مما دفع جيشا مهزوما إلى مواجهتهم بشيء من القسوة مما أثار مؤرخي المنطقة عليهم، واعتبارهم أياه عملا عدوانيا مبيتا من قبل أمير عسير نفسه.

---

(١) عاطف باشا، يمن تاريخي، حـ ١، ص ١٢٣.
- محمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ص ٥٤٧.

(٢) محمود شاكر، عسير، ط ٣، المكتب الاسلامي، دمشق ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٨٢١٢
- ذكر ذلك عبد الله بن حميد، محقق كتاب الدر الثمين، ص ٧٦. وذلك أثناء كتابته لخاتمة ذلك المخطوط.

ويظهر مما سبق التبعية الاسمية التي حصل عليها زعماء عسير من أمراء المخلاف السليماني في الفترة مابين عامي ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م - ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م ونلاحظ أن ثورات كثيرة قد وقعت، كما أن الشريف القائم لم يكن يف بتعهداته المالية لأمير عسير. ويظهر لنا أيضا حرص أمراء عسير على بقاء المخلاف السليماني تابعا لهم حتى لو كانت تبعية أسمية فقط. فهم عند حركة جديدة في المخلاف السليماني يتوجهون إليه ليهدموا ما تمّ بناؤه من حصون ثم ينصبون شريفا جديدا ويعودون أدراجهم بعد أن يطمأنوا أن الأوضاع قد هدأت واتجهت لصالحهم.

وينبغى أن نشير هنا إلى أن علاقة عسير بالمخلاف السليماني كانت علاقة الجار القوى بالضعيف، فدائما نرى أن الدول في جميع فترات التاريخ تهتم بأحوال جاراتها، لأن أمنها ورضاءها ينعكس على جيرانها، كما أن انتشار الفوضى فيها يتسرب إلى جارتها. وعسير لم تكسب دائما من المخلاف السليماني، ونادرا ما كانت المبالغ المالية تدفع لأمير عسير، وبالمقابل فإن العسيريين قضوا تلك السنين يدافعون عن سكان المخلاف السليماني، ولئن لم يرض بوجودهم الأشراف فإن غالبية سكان المخلاف السليماني كانوا يتطلعون دائما إلى أمير عسير للقضاء على الفوضى أو لطرد يام أو الأتراك العثمانيين. وكان العسيريون يسقطون قتلى بالمئات في المخلاف السليماني، حتى أننا نلاحظ أن ثلاثة من أمراء عسير كانت حوادث المخلاف السليماني مقدمة لوفاتهم. أولهم علي بن مجثل الذي قضى على بيلمز في سواحل اليمن، ثم عاد إلى عسير محمولا على الاكتاف ليلقى ربه، وذلك عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م. ثم عائض بن مرعي، الذي توجه للمخلاف السليماني للقضاء على العثمانيين وأثناء حصاره للحديدة انتشر مرض الحمى الصفراء بين رجاله فعلقت به العلة وتوفى اثر عودته إلى عسير.

ثم كانت نهاية محمد بن عائض بسبب مهاجمته للعثمانيين في المخـلاف السليماني وحصاره للحديدة مما دفع الدولة العثمانية إلى القضاء عليه.

ومما يؤكد لنا أن أمراء عسـير لم يكونـوا يتحركـون إلا برغبـة من بعض سكان المخلاف السليماني، رسالة موجهة من محمد بن عـائض إلى الشريف حيدر بن علي تتعلق بحل العديد من القضايا منهـا أن ابن عائض يطلب تنفيذ الشرع في بعض المحبوسين بتهمة القتل، لأن أهل القتيـل اشتكوا إليـه بأنـه لم ينفذ فيهم حكم الشـرع، ومما ورد في تلك الرسالة[1]: "وحال رقم الخط وصلنـا كتاب من أهـل الملحا يـذكرون أهل ضمد أعتدوا عليهم ولزموا منهم رجل في غير وجه، وأهـل الملحا غزوا بعد ذلـك ولزمـوا منهم رجل، وأنت عـارف أن منهم محابيس في صبيا لهم سنه في قتيل قتل من أهـل صبيا قتلوه في غـير وجه فنـطلبكم حكم الشـرع فيهم، ومن منع الشـرع فيلزم ولىّ أمـر المـانـع اكـراهـه منا ومنكم وأيضا أهـل صبيا وأهـل أبو عـريش يأخـذون بينهم وجهـة وما حدث بين الرعية فالأمر يكفي ولا يجب عليكم الرضا بذلك".

ونستنتج من الرسالة السابقة العلاقة الودية بين سكان المخلاف السليماني وبين أهل عسير، وأن أمير عسير كان يهتم بكل ما يحصل في المخلاف السليماني، وها هو يحثهم على تطبيق الشريعة الاسلامية حتى يتخلصـوا من خـلافـات الافـراد ومشـاكلهم. ودون شـك أن هنـاك علاقات ودية بين أهل عسير وبين سكان المخـلاف السليماني. كـما أن هنـاك علاقـات ودية عـلى مستـوى الأمـراء في البلدين، ولكن الـذي ركزت عليه المصادر التاريخيـة يتركـز على دور أمـراء عسير في حـوادث المخـلاف السليماني، وليس تـوجـه أمـير عسـير عـلى رأس قـواتـه إلى

(١) من محمد بن عائض إلى الشريف حيدر بن علي، مؤرخة في شهر رجب ١٢٨٣هـ. انظر محمد أحمد العقيلي، المصدر السابق، جـ ١، ص ٥٦٠.

المخلاف السليماني يعني أنه ليس بقصد الانتقـام من أحد، ولكنـه كان يجد نفسه مضطرا إلى القضاء على فتنة أودحـر عدو خـارجي. ولا أدل على ذلك من أننا لم نجد أن شريفـا واحدا أو أمـيرا من أمراء المخـلاف السليماني قد قتل على يد قوات عسيرية، بل كان دور العسيـريين هـو حفظ الأمن وفرض النظام، مع الاحتفاظ بسيطرة إسمية على المخلاف السليماني فقط.

الفصـــل الســابــع
الدولـة العثمانيـة وعسيـر

محتـــوياتــه

* الحياة السياسية في عسير بعد رحيل قوات محمد علي
* الاستراتيجية العثمانية في عسير بعد معاهدة لندن
* هجوم الأمير محمد بن عائض على الحديدة
* القضاء على إمارة عسير.

الدولة العثمانية وعسير

الحياة السياسية في عسير بعد رحيل قوات محمد علي:

عندما سلم إبراهيم باشا وإلى مصر في اليمن مدينة الحديدة التي كانت مركزا للادارة المصرية هناك إلى الحسين بن علي بن حيدر حاكم أبو عريش، أعلن الحسين اعترافه وتبعيته للسيادة العثمانية، كما تعهد في الوقت نفسه بأن يدفع سنويا للباب العالي مبلغا قدرة تسعون ألف ريال فرانسه[1]. وقد سارعت الدولة العثمانية إلى تأييد الحسين في حكم البلاد اليمنية التي تسلمها من قوات محمد علي، حتى يحفظ لها على أقل تقدير سيادتها الاسمية عليها إلى أن تحين الفرصة المناسبة لاخضاعها لسيطرتها الفعلية. وأرسل السلطان العثماني عبد المجيد تأييده للحسين عن طريق حاكم جدة وأمير مكة، مشترطا الخطبة للخليفة العثماني على منابر المساجد اليمنية، كما أطلق الباب العالي على الحسين لقب "حاكم اليمن حسين باشا" وذلك عام ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٣م حتى يطبعه بالطابع العثماني الذي يرمز إلى تبعيته للدولة[2].

---

(١) د. فاروق عثمان أباظة، عدن والسياسية البريطانية في البحر الأحمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ص ٢٧٢، ٢٧٣.

(٢) Bury G.W. Arabia lnfelix on The Turks in yemen, Macmillan and Co., london. 1915.p.14

ولم تستمر سيطرة الدولة العثمانية على تلك المناطق مجرد سيطرة إسمية فقط، فقد تطوّرت الاحداث لصالح الدولة العثمانية، وحدثت خلافات شديدة بين الشريف الحسين وبين كل من محمد بن يحيى في صنعاء وعائض بن مرعي في عسير وانتهت تلك الخلافات عندما قام الشريف الحسين بتسليم المخلاف السليماني والسواحل التابعة له للدولة العثمانية. بعد أن وصل إلى حالة سيئة من اليأس بسبب تنكر حلفائه ومحاولتهم البطش به[1]. وعندما حاولت الدولة العثمانية الاستيلاء على صنعاء لم تتمكن من ذلك بسبب ثورة القبائل وطردهم للحامية العثمانية منها، ولذا عاد العثمانيون إلى تهامة المخلاف السليماني، واكتفوا بالإقامة في الحديدة ومنطقة الساحل اليمنى القريبة من مراكزهم في الحجاز، بعيدين عن جبال اليمن الوعرة، لكثرة عدد رجالها وشجاتهم في الدفاع عن بلادهم. على أن تلك الحملة كانت تجربة مفيدة للعثمانيين، وتقييما لما يلزمهم من رجال وعتاد وظروف مناسبة لفرض سيطرتهم الفعلية على اليمن[2].

وقد حاول العثمانيون أثناء وجودهم في تهامة في الفترة الممتدة بين ١٢٦٥ ـ ١٣٨٩هـ/ ١٨٤٩ ـ١٨٧٢م أن يقنعوا إمام صنعاء بأعلان تبعيته للسلطان العثماني في مقابل مرتب سنوى يدفع له. غير أن ثمة عقبات كانت تحول دون عقد اتفاق بين العثمانيين وإمام صنعاء أهمها كراهية الإمام وأتباعة الزيديين للاتراك السنيين، كما أن العشائر اليمنية رغم اعترافها بتبعيتها للإمام، فإن كل عشيرة كانت تعتبر نفسها وحدة مستقلة قائمة بذاتها، مما جعل العثمانيين عاجزين

---

(١) انظر العلاقات بين عسير وبين المخلاف السليماني.

(٢) د. فاروق عثمان أباظة الحكم العثماني في اليمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ٤٧.

عن التأثير عليهم للانضواء تحت السيادة العثمانية[1].

وفي الوقت نفسه الذي كانت فيه الدولة العثمانية تسيطر على الحديدة وتطمح في بسط نفوذها على جبال اليمن، كان في عسير إمارة مستقلة عن الدولة العثمانية تمتد حدودها من الطائف شمالاً إلى (أبي عريش) جنوبا، ومع أن الدولة العثمانية كانت تريد السيطرة على هذه الإمارة، إلا أن قوة تلك الإمارة وصعوبة أرضها جعلها تكتفي بموطىء قدم على السواحل في الحديدة والقتفذة مع السيطرة على الأماكن المقدسة، دون محاولة الاستيلاء على عسير حتى تتهيىء الظروف المناسبة. ولذلك فقد حرص ولاة العثمانيين في الحجاز على الاحتفاظ بعلاقة وثيقة مع أمير عسير عائض بن مرعي عن طريق المراسلات وتبادل وجهات النظر، مع تذكيرهم لأمير عسير بأن الدولة العثمانية لا تحب اللجوء إلى القوة، وتتمنى أن يسود الهدوء والاستقرار كل المناطق في شبه الجزيرة العربية[2].

وفي الواقع أن الدولة العثمانية لم تكن تحتفظ بقوات كبيرة في عسير أو المخلاف السليماني بعد انسحاب قوات محمد علي من المنطقة، كما أن قوات الدولة العثمانية الموجودة في الحجاز لم تكن في وضع يسمح لها بمواجهة عائض بن مرعي، ولم يكن للدولة العثمانية أي وجود يذكر في عسير والمخلاف السليماني سوى الحامية التي ترابط في الحديدة، وعندما توجه الأمير عائض بن مرعي إلى المخلاف السليماني عام ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م لحل الخلاف الناشب بين أمراء (أبي عريش) بعدما استبيحت المدينة ورحل عنها معظم سكانها،

---

(١) د . فاروق عثمان أباظة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، ص ٢٧٩ .

(٢) الحسن بن أحمد اليمنى (عاكش)، الدر الثيمن في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين، تحقيق عبد الله بن حميد، دار الفكر، دمشق ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص ٣٢، ٣٣ .

حيث تمكن من إعادة الهدوء إلى مختلف مناطق المخلاف السليماني وحل الخلافات القائمة بين أمرائه، فأقبل عليه سكان المخلاف السليماني يقدمون له فروض الطاعة، ولم يبق له معارض في تلك المنطقة غير الحامية العثمانية الموجودة في الحديدة[1].

وعلى الرغم من لباقة عائض بن مرعي ومرونته في تعامله مع الدولة العثمانية إلا أنه كان يتحيّن الفرص للانقضاض على الحامية العثمانية وإخراجها من الحديدة وكانت الدولة العثمانية تنظر إلى عائض بن مرعي على أنه ثائر ضدها وخارج عن سلطتها، ولم تنظر بعين الاعتبار إلى تردد عائض بن مرعي في مهاجمة العثمانيين مرات عديدة لحرصه على عدم سفك دماء المسلمين في حرب تقوم بينه وبين الدولة العثمانية، التي كانت تمثل خلافة المسلمين ومعقد آمالهم[2].
وعندما شعر عائض بن مرعي ألا سبيل إلى التفاهم مع العثمانيين قرر القضاء على حاميتهم الموجودة في الحديدة، وبينما كان يحاصر الحديدة ويضيّق على حاميتهم الخناق، انتشر مرض غريب بين رجاله وتوفي بسببه في ليلة واحدة ما يزيد على ثلاثمائة من رجاله مما أضطرّة إلى فك الحصار عن الحديدة والعودة إلى عسير بمن بقي من رجاله[3]. وقد تحدث أيوب صبري عن ذلك الهجوم بقوله: " وكانوا (أي عسير) قد قاموا بهجوم على الحديدة كالجراد وبشكل لم يكن من السهل مقاومته في عهد كرد محمود باشا "، ولرد هذا الهجوم فقد حاولت حكومة الحديدة بشكل مستميت تدارك تلك المعركة بتهيئة أسباب الحرب،

---

(١) أيوب صبرى (لواء بحرى) مرآت الحرمين، المجلد الثالث (وهو باللغة التركية)، ط ١، القسطنطينية ١٣٠٦هـ، ص ١٦٧.

(٢) عاطف باشا (فريق متقاعد)، يمن تاريخي (باللغة التركية)، دار السعادة مطبعة منظومة افكار، رقم ٥٤، ١٣٢٦هـ، ص ١١٩.

(٣) أيوب صبرى، المصدر السابق، ص ١٦٧.

ولكن لما كان الدفاع ضد عائض غير ممكن فقد خرجت زمام الأمور من يد الحكومة.

وهناك خلاف في سبب الوباء الذي انتشر بين رجال عائض بن مرعي. حيث يذكر عاطف باشا[1] أن سبب ذلك الوباء هو انتشار الحمى الصفراء بين قوات عسير بينما يذكر العقيلي[2] أن السبب يعود إلى قيام محمود باشا بأصدار الأوامر إلى أعوانه بتلويث الآبار بميكروب الطاعون مما أدى إلى هلاك الكثير من قوات عائض بن مرعي بعد شربهم من تلك المياه. في حين يذكر أيوب[3] صبرى أن سبب هلاك قوات عسير هو تأثرهم من شدة الرياح التي كانت تهب آنذاك، ولكن من المستبعد أن يكون الهلاك بسبب هبوب الرياح والالهلك الكثير من سكان المخلاف السليماني كل سنة بسبب هبوب تلك الرياح.

ومهما يكن سبب الوباء الذي انتشر بين قوات عائض بن مرعي، فقد كان ذلك الوباء سببا لانسحاب عائض بن مرعي من المخلاف السليماني ورجوعه إلى عسير، حيث وافته المنية متأثرا بذلك الداء الذي انتشر بين جنده أثناء حصاره للحديدة[4]. ونستفيد من المصادر العثمانية أن العلاقة مع عسير لم تكن على مايرام، وأن الدولة العثمانية كانت متضايقة إلى حد كبير من تصرفات عائض ابن مرعي، بخاصة قيامه بالسيطرة على مناطق تابعة للدولة العثمانية، واخلاله بالأمن في بعض المناطق، وقيامه بحصار الحديدة مرات عديدة[5]، كل ذلك شكّل استفزازا حقيقيا للدولة العثمانية التي لم تكن في وضع يسمح لها بمواجهة تحديات عائض بن مرعي في تلك الظروف بالذات

---

(١) عاطف باشا، المصدر السابق، ص ١١٩.

(٢) محمد أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، جـ ١، طـ ٢، ص ٥٦٩.

(٣) أيوب صبرى، نفسه، ص ١٦٧.

(٤) الحسن بن أحمد اليمنى (عاكش)، المصدر السابق، ص ٣٤.

(٥) أيوب صبرى، نفسه، ص ١٦٦.

لبعد المسافة، ومناعة المناطق التي كان يسيطر عليها العسيريّون مع أمراء عسير حتى يحين الوقت المناسب.

الاستراتيجية العثمانية في عسير بعد معاهدة لندن:

من المسلم به أن العثمانيين قد ضاقوا ذرعا بتلك الإمارة العربية في عسير فاخذوا يخططون للقضاء عليها مبكراً منذ عهد محمد علي، ومع تكرار هذه المحاولات في عهد سعيد بن مسلط ثم في عهد علي بن مجثل ثم في عهد عائض بن مرعي، فلم تسفر محاولاتهم عن فوز يذكر. وعندما جاء عهد محمد بن عائض أخذوا في تدابير جديدة، فبدلا من المواجهة المباشرة أخذوا يدبرون المؤمرات ويبثون الدسائس، وبخاصة بين محمد بن عائض وبين امراء المخلاف السليماني، ويعدّ كل من والي الحديّدة وشريف مكة مسئولين عن تدبير تلك الدسائس والمؤامرات[١].

وكان من المفروض على محمد بن عائض أن يدرك عظم المخاطر التي تحيط به، وأن يحاول جاهداً عدم الاحتكاك بحاميات الدولة العثمانية الموجودة في موانىء وسواحل المخلاف السليماني كالحديدة وجازان. ولكن محمد بن عائض لم يراع هذه الناحية، بل قام أثناء وجوده في المخلاف السليماني عام ١٢٧٥ هـ / ١٨٥٨ م بالاستيلاء على جازان، وطرد الحامية العثمانية منها، ووضع قوة من رجاله تتمركز في قلعة جازان بدلاً من الحامية العثمانية[٢].

لم يطب للدولة العثمانية سقوط (جازان)، واعتبرتها بداية لتهديدات جديدة من العسيريين، ففى شهر شعبان عام ١٢٧٧هـ /

---

(١) محمد أحمد العقيلي، المصدر السابق، جـ ١، ص ٥٥٠.

(٢) الحسن بن أحمد اليمني (عاكش)، المصدر السابق، ص ٣٤.

١٨٦٠م، بعث الوالي العثماني على الحديدة سفينة حربية للاستيلاء على ميناء جازان فأسرع عامل محمد بن عائض على (أبي عريش) لصدّهم فهزم واضطر للعودة إلى (أبي عريش)، وعندما بلغ الأمير محمد بن عائض ذلك بعث فرقة من رجاله تمكنت من استرجاع جازان وإخراج الحامية العثمانية منها مرة أخرى[١].

ويشير أحد المصادر[٢] العثمانية إلى مشكلة جازان وأهميتها لدى الادارة العثمانية بقوله: «وفي بداية عام ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م قام أمير عسير محمد بن عائض بالهجوم على تهامة اليمن حبا في توسيع ملكه، وخلال هجماته على المناطق التابعة لقضاء لحية استولى على قلعة ومرفأ جازان وهدم ثلاثة عشر برجاً بالإضافة إلى المنازل والخانات التي كان قد أقامها الشرفاء ذوى الخيرات في الأزمنة القديمة في أبي عريش، إلا أن متصرف الحديدة خرج لملاقاته بمن معه من الجند، ولم يجرؤ المذكور على اللقاء بل أغار على الشريف علي بن محمد القابع في قريته «الزهراء» ولم يكن يتدخل في الاحداث التي تجرى وخرب منزله وعاد أدراجه إلى (أبي عريش) وبقيت قلعة جازان تحت تصرفه وسيطرته».

ومهما يكن من شيء فقد أدى الإصرار من محمد بن عائض على الاستيلاء على جازان والسيطرة على المخلاف السليماني وتهامة اليمن إلى اهتمام الدولة العثمانية بالأمر أشد اهتمام. وعلى الرغم من تودد محمد بن عائض للخديوية في مصر وتبادله الرسائل معها إلا أن ذلك لم يحل دون تعاون الخديوية مع الدولة العثمانية[٣]، حيث كانت الخديوية تنفذ أوامر السلطان العثماني، فقد اضطر الباب العالي إلى أن

---

(١) محمد أحمد العقيلي، المصدر السابق، ص ٥٧٩.

(٢) الفريق عاطف باشا، المصدر السابق، ص ١٢٠.

(٣) محفظة ١٩ بحربرا، الوثيقة رقم ١١٣، مؤرخة في ١٠ شعبان ١٢٧٨هـ، من محمد بن عائض إلى خديوي الاقطار المصرية، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

يلجأ إلى والي مصر إسماعيل للاستعانة به في إخماد ثورة العسيريين ضد العثمانيين في منطقة عسير وما يجاورها، فما كان من والي مصر إلا تلبية طلب السلطان العثماني[١].

وبناء على هذه الأحداث تحرّك من مصر إلى جدة ثلاثة طوابير مشاة وعدد كاف من المدافع تحت قيادة الميرالاى اسماعيل بك أحد أمراء مصر، وكانت القرارات التي اتخذت بشأن مهمة هذه القوات، أن ترسل هذه القوات إلى القنفذة وأن يستمر القتال حتى يتم الاستيلاء على ميناء جازان، وكانت تلك القرارات تحظى بتأييد السلطان العثماني نفسه[٢]. وعلى الرغم من توجه تلك القوات إلى جدة إلا أن مسألة مهاجمة العسيريين كانت لا تزال مجال أخذ ورد، حيث وصل كتاب إلى قائد القوات المصرية يأمره بالانتظار هذا نصه[٣]: «قد علمنا مما أوضحتموه في مكاتبتكم المؤرخة في ٩ صفر ١٢٨٢هـ الوارد من عدة أيام أنكم غادرتم مكة إلى جدة بسبب تقرر ارسال قوة عسكرية براً وبحراً على العسيريين فنبلغكم بأن الباب العالي ابلغنا لوجودنا في استانبول أن قراراً جديداً صدر بارجاء مسألة إرسال قوة عسكرية إلى حدود عسير في الوقت الحاضر، وعلى ذلك فإننا نأمركم بصرف النظر عن السفر والإقامة مع العساكر الموجودين معكم في جدة أو في مكة في الجهات التي يجود هواؤها».

ولم تمكث تلك القوات طويلا في الحجاز اذ سرعان ما وصلتها الأوامر بالتوجه إلى القنفذة في طريقها لملاقاة العسيريين، وبعث الجناب العالي إلى إسماعيل بك يطلب منه عدم الإقامة في القنفذة

---

(١) د. عبدالفتاح أبو علية، الدولة السعودية الثانية، ص ١٥٤.

(٢) عاطف باشا، المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٢٠.

(٣) محفظة سايرة، ترجمة الوثيقة بدون رقم، مؤرخة في ١٥ ربيع الأول ١٢٨٢هـ من الجناب العالي إلى صاحب العزة البك، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

ووجوب الانتقال إلى مكان صالح للجند إذا لم يتم التقدم إلى داخل عسير[1]. ويبدو أن الأمير محمد بن عائض لم ينو القيام بمواجهة مع تلك القوات مما دفع شريف مكة إلى عدم تصديق ما حدث وظن أن في الأمر خدعة، فبعث يطلب امدادات وقوات إضافية[2].

وعلى الرغم من إرسال الجناب العالي في مصر تلك القوات إلى الحجاز امتثالا لأمر الباب العالي، إلا أن وجودها كان بمثابة الضغط على أمير عسير حتى يرضخ لأوامر محمد بن عائض والتفاهم معه حول الخضوع للدولة العثمانية. فتذكر احدى الوثائق مايلي[3]:

«من المنتظر أن يكون يمني أحمد أفندي المنتدب من قبلنا للسفر إلى أمير عسير وملاقاته قد وصل إلى الأمير المذكور لحين وصول امرنا هذا والتقي به وعاد إليكم أو يكون على وشك العودة فنأمركم بالاستعلام من أحمد أفندى إذا كان الأمير قبل الافادات والتبليغات المبلغة إليه، فإذا كان فقد قبل ما عرضناه عليه فعليكم ألا تخفوا ذلك وتكتموه بل تبلغوه بلطف ورقة إلى اللواء صبري باشا وإلى والي الشريف، أما اذا كان الأمير لم يقبل ما عرضناه عليه فلا تذكروا لهما شيئاً من ذلك وأسرعوا إلى إعادة أحمد أفندي إلينا».

ولقد تحقق للحكومة المصرية ما كانت ترجوه بعدم الاشتباك مع أمير عسير، والوصول إلى حل المشكلة عن طريق التفاوض، وبذلك تقرر عودة الجنود المصريين إلى بلادهم. «فقد ذكرتم في مكاتبتكم

---

(١) محفظة سايرة، ترجمة الوثيقة بدون رقم، مؤرخة في ٦ ربيع الثاني ١٢٨٢هـ من الجناب العالي إلى إسماعيل بك، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) محفظة سايرة، ترجمة الوثيقة رقم ٩٣، مؤرخة في ١٣ ربيع الثاني ١٢٨٢هـ من الجناب العالي إلى إسماعيل بك، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٣) محفظة سايرة، الوثيقة بدون نمرة، مؤرخة في ١٩ جمادي الأولى ١٢٨٢هـ من الجناب العالي إلى إسماعيل صادق بك، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

الواردة أخيراً بتاريخ ٩ جمادى الثانية ١٢٨٢هـ في معرض الرد على بعض الأوامر الصادرة إليكم كيفية انتهاء مسألة عسير، وبسطتم فيها كيفية صدور قرار بعودتكم بالتالي إلى جدة فأحطنا علماً بكل ما أوضحتموه وشرحتموه[١]».

كما بعث خديوي الأقطار المصرية إلى محمد بن عائض رسالة وضح فيها مدى اعزازه وتقديره لمحمد بن عائض، وبيّن فيها أن سبب قرار الدولة العثمانية بمهاجمته هو ما قيل عن ابن عائض، من عدم طاعته للدولة العثمانية وميله إلى الاستقلال، وأنه وعده بمنحه لقب أمير الأمراء ان اثبت الطاعة للدولة العثمانية، حتى يقول في آخر الرسالة[٢]: «فكاتبت دار الخلافة العلية بما هو الواقع من عدم الخلاف واستملت لكم من أعطاف السلطة السنية اعطاف الألطاف وحررت إليكم ثانياً بالبشارة بحصول ما سبقت إليه الإشارة، والذي أوجب تأخر ما ذكر للأن عن ناديكم إنما هو تأثير ما قد قيل فيكم مما أوغر الصدور وأوغر سهل الأمور، فمازلت اكرر مراجعتي في إثبات حسن نياتكم وبراءة ساحتكم حتى تحقق لدى السلطنة ما أنتم عليه من حسن الحال، ووردت لنا من الباب العالي مكاتبة رسمية تعلن اتحافكم بتلك الرتبة البهية بعنوان الباشوية.. وقد بعثت إليكم ثانياً أحمد اليمني ليشافهكم بالسلام منا ويبلغكم بعض تفاصيل المودة الحقيقية عنا، والله يوفقنا للخير والسداد».

ونستنتج مما ورد في الرسالة السابقة حقيقتين هامتين:

---

(١) محفظة سايرة، ترجمة الوثيقة بدون رقم، مؤرخة في ١٠ جمادي الآخرة ١٢٨٢هـ من الجناب العالي إلى صاحب العزة، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) رسالة من خديوي الأقطار المصرية إلى محمد بن عائض، مؤرخة في أواخر شعبان ١٢٨٢هـ،

انظر أمين باشا فكري، كتاب الآثار الفكرية، ص ٦١، ٦٢، (بدون معلومات طبع).

الأولى: أن اصرار الدولة العثمانية على القضاء على إمارة محمد بن عائض في عسير إنما كان بسبب الوشاة والحسّاد، الذين كانوا يضخمون خطر هذه الإمارة الناشئة على الدولة العثمانية. وفي هذه الوثيقة وما قبلها من وثائق تلميحات إلى أشراف الحجاز ومدى حقدهم وكراهيتهم للعسيريين، حتى أن السفارات التي تبودلت بين الخديوية وبين محمد بن عائض كانت تتم بسرية تامة دون علم أشراف الحجاز.

الثانية: كانت الخديوية في مصر تحتفظ بعلاقة قوية مع أمير عسير، بدليل نجاح سفارتها لدى أمير عسير في اعترافه الاسمى بسلطة الدولة العثمانية، أضف إلى ذلك اصرار خديوى مصر على اعادة سفيره مرة ثانية بحجة السلام على ابن عائض ومشافهته بشأن المودة الحقيقية بينه وبين أمير عسير مما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن هناك أمراً سرياً كان يدور بين خديوي مصر وبين محمد بن عائض، وربما كان ذلك أكثر من مجرد السلام والتحية.

وكان تحرك الشريف عبدالله بن محمد بن عون على رأس القوات التي وصلته من مصر قد تزامن مع حركة تمرد قام بها رجال ألمع ضد الأمير محمد بن عائض، حيث وصل وفد من رجال ألمع إلى الشريف يشتكى من محمد بن عائض، فكان من شروط الشريف عند الصلح مع محمد بن عائض هو العفو عن رجال ألمع، وعدم معاقبتهم على اتصالهم بشريف مكة أثناء وجوده في القنفذة، ولم يكن أمام الأمير محمد بن عائض سوى العفو عن رجال ألمع، تنفيذاً للاتفاقية التي أبرمت بينه وبين الدولة العثمانية ممثلة بشريف مكة محمد بن عون[1].

(١) الحسن بن يحمد اليمني (عاكش)، الدر الثمين، ص ٦٠ ـ ٦١.

ويبدو أن رجال ألمع قد اصبحوا ورقة رابحة بيد العثمانيين، يلعبون بها في الوقت الذي يريدون فيه اثارة القلاقل داخل إمارة محمد بن عائض، فلم يحمل رجال ألمع عفو الأمير محمد بن عائض عنهم على القوة بل حملوه على ضعف الأمير وأنه لا يستطيع مواجهتهم، فحاولوا الاستقلال عن إمارة عسير ونصّبوا لهم إماما وثاروا لمصلحة العثمانيين وأشراف مكة، ولكن محمد بن عائض تمكن من القضاء على الثورة في مهدها، وقتل زعيمها واستعاد السيطرة الكاملة على عسير وأدّب كل من تعاون مع الثوّار[1].

ونتيجة لكثرة الاضطراب والدسائس التي كانت تحاك ضد محمد بن عائض من قبل العثمانيين وأشراف الحجاز والمخلاف السليماني، فقد اضطر على التنازل عن معظم المخلاف السليماني وساحل اليمن وسلّمها إلى الدولة العثمانية، وذلك بهدف تجنب نقمتها عليه[2].

وعلى الرغم من تمسك الأمير الحرفي بالاتفاقيات التي كانت قد تمت بينه وبين الدولة العثمانية، فان الشكاوى والوشايات ظلت تصل تباعاً إلى الباب العالي وإلى الخديوي في مصر تتهم محمد بن عائض بتعدى الحدود والخروج على طاعة الدولة العثمانية، فكتب إليه خديوي مصر رسالة مؤثرة ينصحه فيها بعدم الميل إلى الحرب والبقاء تحت طاعة الدولة العثمانية، ومما ورد في تلك الرسالة[3]:

---

(١) عبدالله بن علي بن مسفر، المصدر السابق، ص ١١٤ ـ ١١٥.

(٢) الحسن بن أحمد اليمني، المصدر السابق، ص ٦٠.

(٣) دفتر ٢٤٠ عابدين، صفحة ١٠٦، الوثيقة بدون رقم، بند المتفرقات، مدونة ما بين تاريخي ٣، ٧ محرم ١٢٨٤هـ، مرسلة من الخديوى إلى محمد بن عائض. دار الوثائق القومية بالقاهرة.

«فلما بلغنا في السالف تشبثكم ببعض تجهيزات عسكرية في جهات الحدود العسيرية راسلناكم في أوائل ذى القعدة الماضي بمكاتبة من جهتنا على يد أحمد بك معاون معيتنا نحذّركم من الميل إلى المنازعة وننصح لكم بالحذر عن الخروج من دائرة الطاعة والانقياد علماً بما يجلبه الخلاف من الشرور، وما يوجبه الشقاق من فساد الأمور بعد أن سكنت الفتن وهجعت المحن وانقطعت الإحن».

وكانت رسالة الخديوية السابقة مصحوبة ببعض الهدايا. وفيها تحذير للأمير محمد بن عائض من الاستمرار في استفزازه للدولة العثمانية «والذي أشير به عليكم وأنصح به إليكم أنكم إذا كنتم تخطيتم إلى محل خارج حدود صنجق العزيزية اليمانية على خلاف ماسبق عليه الاتفاق بينكم وبين إمارة مكة المكرمة وولاية الايالة الحجازية فتخلوا عنه وأخلوا جندكم منه وعودوا للطاعة والموادعة»[1]. وفي آخر الرسالة يشدد الخديوي على محمد بن عائض بأنه يجب عليه الالتزام بالعهود والمواثيق وإلا فإنه لن يحصل له إلا الندم «وانصح لكم ألّا تتبعوا الهوى وألّا تغتروا بما عندكم من القوى فإن عقب ذلك غير مأمون». وفي ذلك تأكيد على غضب الخديوية من محمد بن عائض، لأن الرسالة تتضمن عتابا، وفي بعض فقراتها تحذير وتهديد. ومن الجدير بالذكر أن الخديوية هي التي رعت الاتفاقية التي تمت بين أمير عسير محمد بن عائض وبين الدولة العثمانية، والتي انتهت بمنح محمد بن عائض لقب الباشوية، مقابل خضوعه اسميا للدولة العثمانية[2].

---

(١) الوثيقة السابقة.

(٢) محفظة سايرة، ترجمة الوثيقة بدون رقم، مؤرخة في ١٠ جمادى الآخرة، من الجناب العالي إلى صاحب العزة، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

وتوضح الرسالة السابقة أن هناك معلومات كثيرة مغلوطة أو مبالغ فيها وصلت إلى مصر وإلى الباب العالي بشأن تعدّى محمد بن عائض لحدوده ومهاجمته لأملاك الدولة العثمانية واستعداده للتوسع في المستقبل. ولكن تاريخ هذه الرسالة وهو أوائل عام ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م يتفق مع الثورة الكبيرة التي قام بها رجال ألمع على محمد بن عائض، أي أن أمير عسير لم يكن في وضع يسمح له بتوسيع رقعة إمارته مادامت هناك ثورة داخلية قامت ضده وإن كان حدث نقض للعهود وخروج على المواثيق فهو قيام العثمانيين وأتباعهم باشاعة الفوضى داخل إمارة محمد بن عائض، وعندما عمل على القضاء على الثورة التي قامت ضده اعتبر خارجاً على الدولة العثمانية. ولكون تلك الثورة فإني أعتقد أن ما بلغ الخديوية من توسع محمد بن عائض خلال هذه الفترة لا أساس له من الصحة، وإنما كانت اتهامات القصد منها تهيئة المناخ المناسب للهجوم على عسير والقضاء على تلك الإمارة العربية الناشئة، وهذا ما حدث خلال عام ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م.

وفي هذه الأثناء أحاط العثمانيون بإمارة عسير من الشمال والجنوب، وأخذوا يتحينون الفرصة المناسبة لسحق تلك الإمارة العربية، ومما ساعدهم على ذلك أن الأمير لم يكن في مرونة والده مما جعله يشغل نفسه بمحاربة العثمانيين في تهامة بصورة استفزتهم ودفعتهم إلى القضاء على إمارته[1]. واستمرت الشكايات تتوالى من اشراف أبو عريش ومن اشراف الحجاز لسبب ولغيره بهدف اثارة الدولة العثمانية على محمد بن عائض، وقد وجدت رسالة من محمد بن عائض إلى حيدر بن على أحد أشراف المخلاف السليماني، يلومه فيها ويعاتبه على بعثة بشكايته إلى الباشا لسبب تافه وهو أن هناك مبلغ من

---

(١) محمد أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، جـ ١، ص ٥٥٩.

المال لاحد رعايا أبي عريش لدى محمد بن عائض أخذها ديناً وتأخر في سدادها، ومما ورد في تلك الرسالة[1]: «من محمد بن عائض إلى جناب الأخ المحترم المكرم حيدر على سلمه الله. . وعن شأن كتاب الباشا فلا كان الواجب عليكم رفع الشكية إليه في شيء قد ابطأ، وثانياً ما بين الرعية أهم من دراهم على عقيلي، ولم نعلم شيء أخذ على رعية الباشا أو شكا علينا أحداً ذلك الوقت. . . وأما الباشا فنحن مجوبين عليه حيث والمكتب استعجل والآن نرسل جوابه إليكم ان شاء الله».

ويظهر لنا من الرسالة السابقة مدى تمسك محمد بن عائض بالاتفاقيات التي تمت بينه وبين الدولة العثمانية، وعدم تدخله في شئون أبي عريش وتأكيده على أنه ليس هناك مشكلة بينه وبين والي الحديدة، حيث ذكر أن الأمور ستحل وستوضح في الرسالة التي ستبعث إلى الباشا. كما ندرك من هذه الرسالة أن الاشراف قد شوهدا موقف محمد بن عائض من الدولة العثمانية. واختلقوا الاكاذيب لتأكيد خطورة محمد بن عائض على المناطق التابعة للدولة العثمانية في اليمن والحجاز، ليتمكنوا من الوقيعة بينه وبين العثمانيين حتى تم القضاء على إمارته. وفي الوقت نفسه الذي كانت تساق فيه الإتهامات إلى محمد بن عائض، كانت الاستعدادات جارية والحشود العثمانية قائمة على قدم وساق، ولم يكن يخفي على أمير عسير، ويظهر إنه أخذ في الاتصالات مع والى مكة، ومع باشا اليمن بغية تلطيف الجو وتهيئة المجال لاجراء مفاوضات مع الدولة العثمانية تبقى له ولو على إمارة عسير فقط، ولم نقف على تفاصيل تلك الاتصالات إلا أن صاحب

---

(١) رسالة خطية مرسلة من محمد بن محمد عائض إلى حيدر بن على، مؤرخة في رجب الحرام ١٢٨٣هـ، انظر محمد العقيلي، المصدر السابق، جـ ١، ص ٥٦٠.

الدر الثمين[1] يقول: «وفي يوم الخميس عاشر شوال سنة سبع وثمانين وألف وصل محمد بن بعقق[2] من اسماعيل باشا بما لم يطلع عليه من مكاتبات وكاتبه بمالا يعلم أنه أشرق عليه قريب أو بعيد».

ومع أن هناك من[3] يرجح أن الهدف من هذه المراسلات قيام الخديوي إسماعيل بالتوسط بين أمير عسير وبين الدولة العثمانية كما حدث عام ١٢٨٢هـ، إلا أن الوثائق[4] المصرية تشير إلى أن محمد بن عائض قد طلب من مصر مهندسين وفنيين لمدافعه.

هجوم الأمير محمد بن عائض على الحديدة:

يبدو أن الأمير محمد بن عائض أدرك أنه لن يستقيم له ما بقى العثمانيون ومن يساعدهم في المخلاف السليماني، لذا فقد قرر اخراجهم من المناطق التي ينزلون بها وجمع جنودا لذلك من عسير وقحطان وشهران وبنو شهر وغامد وزهران، وقرر تنفيذ ماعزم عليه وتوجه إلى المخلاف السليماني لإخراج العثمانيين من المنطقة نهائيا[5].

وفي الواقع أن ما قام به محمد بن عائض يعتبر مغامرة عسكرية خاطئة، لأنه كان في موقف صعب من ناحية التسليح فلا صديق ولا معين له إلا الله، لذا فقد اضطرّ إلى طلب المساعدة من الخديوية في

---

(١) مجلة العرب، جـ٧، ٨، س ١١ محرم وصفر ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، حسن بن أحمد عاكش، الدر الثمين (مخطوط)، ص ٥١٧.

(٢) ورد الاسم هكذا في النص، والمعروف أن اسم السفير بين الخديوية وأمير عسير أحمد أفندي اليمني، لعل صاحب الدر الثمين قصد هذا السفير واخطأ في اسمه.

(٣) محمد أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، جـ١، ص٥٦٠.

(٤) محفظة ١٩ بحر برا تركي، الوثيقة رقم ١٢٥، مؤرخة في شهر جمادى الأولى ١٢٨٧هـ، مرسلة من محمد بن عائض إلى الجناب العالي، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٥) عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١١٦.

مصر حتى تقدم له الفنيين الذين لهم دراية بالمدافع وتصليحها. ومما ورد في رسالة[1] بهذا الشأن: " حضرة فخامة الخديوي الأعظم لا زالت شمس اقباله في بروج الغد شارقة ونحور أعدائهم في دمائهم غارقة . . . وقد صدر منا كتابين قبل هذا. ونرسلهما من طرف وكيل القومبانية بجدّة، ولم ندر هل عاقها عائق فصدر من حمله من أتباعنا ليكون رد الجواب بيده إن شاء الله وقد أوصيناه بثلاث خصال يخبرنا به من رأيتم أحمد بيه اليمنى أو غيره ولم نشرح شيء في الكتاب لاجل الخطر مع كثره الحساد بمحبتكم والقرب منكم، وإذا رأي حضرة أفندينا إرسال واحد سباك لقلل المدافع خاصة وجميع مايليق بشغلها فهو لدينا من جزيل الإحسان وقوتنا لأفندينا كما علم الله أنا صادقين في ذلك والدهر مجرب ولاخير في قول بلا عمل ودمتم والسلام. "

وتعتبر هذه الرسالة وثيقة في غاية الأهمية لأنها تؤكد وجود تعاون سرى وخفى بين محمد بن عائض وبين الخديوية في مصر، لأن محمد بن عائض كان يعتمد على مصر في النواحي الفنية الخاصة بالأسلحة التي يمتلكها، وسواء استجابت الخديوية أم لم تستجب إلا أن محمد بن عائض كان واثقا من استجابتها ومن الواضح في هذه الرسالة أن محمد بن عائض لم يذكر إخلاصه للباب العالي وأنما ركزّ على إخلاصه للجناب العالي أي للخديوية في مصر، ووعد في رسالته بعمل قريب يؤكد به حسن إخلاصه، وأي عمل سيقوم به أمير عسير غير التوسع على حساب الدولة العثمانية؟ وكيف سيكون الأمر سارا للخديوية لو لم تكن راضية عن تحركات محمد بن عائض، بل ربما تكون محرضة له على تحدي الدولة العثمانية حتى تضعفهما سويا بدليل أنها دعمت الدولة العثمانية ضد عسير، حيث قامت بتموين الحملة العثمانية

(١) محفظة ١٩ بحر برا تركي، الوثيقة رقم ١٢٥، مؤرخة في شهر جمادى الأولى ١٢٨٧هـ، مرسلة من محمد بن عائض إلى الجناب العالي. دار الوثائق القومية بالقاهرة.

الموجهة للقضاء على إمارة عسير[1]، بهدف إثبات تبعيتها وتعاونها مع الدولة العثمانية. ولكنها في الوقت نفسه تتراسل سرا مع محمد بن عائض مما جعل موقف والي مصر محاطا بالكثير من الغموض.

ومهما يكن من شيء فقد كان هجوم محمد بن عائض على الحديدة مفاجأة كبيرة لكثير من المؤرخين فلم نجد لها تعليلا مقنعا لدى أي مؤرخ. واكتفوا بالاشارة إلى أن السبب هو ضيق محمد بن عائض بالعثمانيين وتواجدهم في المخلاف السليماني، ولكن عاطف[2] باشا يحاول أن يوجد دافعا استراتيجيا دفع محمد بن عائض إلى مهاجمة الحديدة، حيث يذكر أن السبب يكمن في تحريض بعض الأشخاص لمحمد بن عائض غزو الحديدة وإبعاد الأتراك منها واتخاذها عاصمة لدولته. وكان يهدف من هذه النصيحة الحاق الضرر بمحمد بن عائض، وذلك عن طريق ادخاله في مواجهة مع الدولة العثمانية، فكتب إليه يقول: " انك حاكم عسير جدا عن جد، وأنكم لتودون العمران للككم والرفاهية والسعادة لأهلكم وهذا يتأتى بربط الديار بميناء بحرى يكون معبرا للتجارة وتأتى الحديدة في الأهمية على البحر بعد جدة، والاستيلاء عليها ليس بالأمر الصعب وقد كان أمل والدك هو هذا الهدف ولكن عمره لم يمهله. . . . . "وقام لاحق الزيداني باقناع فايز غرم شيخ مشائخ بنى شهر الذي بدورة قام بتحريض الأمير وتشويقه ظنا منه أن تلك فرصة نادرة يجب استغلالها، مما دفع الأمير إلى غزو الحديدة[3].

---

(١) سجل ٢٤ عابدين تركي، الوثيقة رقم ١٢٧٣. شوقى عطا الله الجمل، الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الأحمر، القاهرة ١٩٥٩م ص ٤٣١.

(٢) الفريق عاطف باشا، المصدر السابق، جـ ١، ص ١٢٢.

(٣) لفريق عاطف باشا، المصدر السابق، ص ١٢٢.

كما يعيد المؤرخ الكبسى[1] سبب هجوم محمد بن عائض على الحديدة إلى حداثه سنة وجهله بعواقب الأمور ونظرا لأهمية ذلك النص الذي كتبه مؤرخ معاصر فانا نورده هنا[2]:

"ولما كانت الأمور هكذا نصب على الحال المعهود لا دولة في البلاد ولاتاب عن العباد إلا اماني وخيالات، حصلت الاسباب لوصول الدولة العلية والمملكة السلطانية باق، سولَت لامير قبائل عسير ودولتها الخطير محمد بن عائض مع حداثة سنة وغفلته عن عواقب الأمور أن ينهض إلى تهامة ويضمّها إلى مملكته ويخرج عنها اجناد السلطان وزيّن له هذا الفعل قرينه الشيطان . . . . وكان يظن أنه لن يقدر عليه، لما هو فيه من القوة القوية والحيول القريبة، والمعاقل التي تسامى النجوم النيرة، وكثر قبايله وطاعتهم له، وانقيادهم في مراده، وذبهم عن حوزته وجهاته".

وبعد دراستنا لمختلف الآراء التي وردت في هذا العدد نلاحظ أن مختلف الأسباب التي ذكرها المؤرخون هي أسباب صحيحة، فالمتتبع للاحداث يدرك مدى المضايقات التي يمارسها الولاة العثمانيون في الحجاز واليمن على أمير عسير مما جعله يضيق ذرعا بذلك، وعندما وجد أعداء محمد بن عائض الفرصة مواتية لتحريضه على الاستيلاء على الحديدة، وقد استعانوا في اقناعه بالكثير من أعوان بن عائض ومساعديه، ولما كان بن عائض صغير السن بالنسبه إلى اقرانه، فقد اندفع بسرعة واغتر بما لديه من قوة، وظن أن بإمكانه هزيمة الدولة العثمانية، فأقدم على تلك المغامرة العسكرية دون التفكير في العواقب

---

(١) محمد بن إسماعيل الكبسى، اللطايف السنية في أخبار الممالك اليمنية، (مخطوط) موجود بقسم المخطوطات جامعة الرياض، تحت رقم ٢٢٤٢ ص ١٥.

(٢) محمد بن إسماعيل الكبسى، المصدر السابق (مخطوط)، ص ٨١٥

الوخيمة التي قد تترتب على مواجهته للدولة العثمانية .

بعد أن أكمل محمد بن عائض استعداداته العسكرية لتنفيذ ماعزم عليه توجه بقواته إلى المخلاف السليماني، فقصد (أبي عريش) وقام بإخراج الحامية الموجودة في قلعتها واستولى عليها . ثم ضرب الحصار حول قلعة (جازان) حتى سقطت في يد قواته، ثم وصل إلى باجل[1] واستمال قبائلها وعلى رأسهم شيخهم ثم قام بحصار الحديدة على الفور وتمكن من اكمال ترتيباته واستعداداته خلال عدة أيام[2] . وعندما وصل خبر هذا الهجوم إلى الدولة العثمانية، أولت الأمر أقصى قدر من الاهتمام، وتم استدعاء جيش كامل للتنكيل بمحمد بن عائض وتأديبه، وكان استعداد ذلك الجيش كالآتى : سته عشر طابورا مشاة، وطابور مدفعية، وطابور من كتيبة المدفعية النظامية الاحتياطية أي فرقة احتياطية مكونة جند مدفعية، خمس ألايات اسندت قيادتها إلى الفريق رديف باشا ويعاونه اللواء أركان حرب أحمد مختار باشا، ويتولى رئاسة أركان هذا الجيش الأمير الاى حسين فوزى بك والقائمقام سليمان بك الذي كان من معلمى المدارس الحربية المقتدرين[3] .

أما الموقف حول مدينة الحديدة فكان الحصار لا يزال مستمرا وقد استطاعت قوات محمد بن عائض في البداية الاستيلاء على جزء من الحصون وسط المدينة، غير أن القوة التركية التي في داخل الحديدة

---

(١) بابجل : مدينة تقع بين صنعاء والحديدة وهي المركز الرئيسي لقبيلة القحراء .
انظر : أمين الريحاني، موك العرب، جـ ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠م، ص ١٩٧، ١٩٨ .

(٢) الفريق عاطف باشا، المصدر السابق، جـ ١، ص ١٢٢ .

(٣) الفريق عاطف باشا، نفسه، جـ ٢، مطبعه الشركة الطبيعية، استانبول ١٣٢٦هـ ص ٦، ٧ .

قد اجبرت العسيريين على التقهقر إلى الوراء ولجأ قسم منهم إلى الجانب الشرقى[1]. ولكى تصل قوة نجدة سريعة إلى قائد الطابورين الموجودين في الحديدة فقد تحرك حسين باشا قائد فرقة الحجاز من جدة بحرا، وفي معيته طابور مشاة وحوالى مائتين من الفرسان، وكذلك تحرك مختار باشا بحرا وتحت إمرته خمسة طوابير، وبعد وصول هذه النجدة التركية الضخمة قاموا بشن هجوم على محمد بن عائض ورجاله مما اضطره إلى التراجع والعودة إلى عسير[2]. وقد ارتكب جند عسير أثناء الأنسحاب بعض القسوة ضد السكان المحليين في تهامة والمخلاف السليماني مما أغضب عليه السكان المحليين[3]. ويرجع البعض تلك القسوة إلى محاولة السكان البطش بقوات عسير بعد الهزيمة طمعا في سلب أسلحتهم وأموالهم مما دفع هؤلاء العساكر المنهزمين إلى مواجهتهم بقسوة بالغة[4].

وعلى الرغم من وصول تلغراف يخبر بعدم أستيلاء محمد بن عائض على الحديدة إلا أن ذلك لم يمنع من استكمال الحملة وقيامها، حيث تحرّك رديف باشا في التاسع والعشرين من رمضان ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، واستكملت جميع القوات المعدة للسفر معه تحركها خلال عدة أيام ليصل إلى جدة ومنها إلى القنفذة التي جعلها مركزا لتحركات قواته الحربية التي ستشن على عسير. وقد انضمّ إليه أمير مكة الشريف عبد الله بن محمد بن عون والي جدة خورشيد باشا ومعهم مجموعة من الموالين للأتراك[5]. واجتمع الجميع في القنفذة يخططون للهجوم على

---

(١) عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١١٧.

(٢) الفريق عاطف باشا، المصدر السابق، جـ ٢ ص ٨.

(٣) محمد أحمد العقيلى، تاريخ المخلاف السليماني، جـ ١، ص ٥٤٧.

(٤) الحسن بن أحمد اليمنى (عاكش)، الدر الثمين، ص ٧٦.

(٥) الفريق عاطف باشا، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧، ٨.

عسير، وفي هذه الأثناء وصل اليهم شيخ حلى عمر بن عبد الله الكناني الـذي قدّم لهم المعلومـات النادرة الـلازمة عن هـذه المنطقـة، واستعد بتقـديم الجمال والبغـال اللازمـة للجيش[1]. وقد كـان انضمام هـذا الشيخ للقوات العثمانية ذا أثر فعّال في هزيمة العسيريين لمعرفته بالبلاد معـرفة تـامة، ممـا مكنه من تـوجيه الاتـراك إلى نقاط الضعف في بـلاد عسير ليستغلها رديف باشا ويتوجه عن طريقها.

أما موقف محمد بن عائض فأنه لم يصـل عسير بعـد رجوعـه من الحديدة حتى بدأ يعد العـدّة لمواجهـة الأتراك وجحـافلهم الجرّارة التي أصبحت عـلى مشارف إمـارته، وقـرّر العسيريـون في مجلس للشـورى رفض الانذار الذي وجهه رديف باشا، وأعلن أمير عسـير النفير العـام لمـواجهة جيـوش الأتراك، وقسم جيشـه إلى قسمين، القسم الـرئيسى يكون رأس عقبة شعـار والقسم الثاني يكـون بمضيق (دالج) الـواقعة شمال رجال ألمع[2].

بعـد أن اكتملت استعدادات رديف بـاشا بخـاصـة بعـد عـودة معـظم القوات المـوجودة في الحـديدة لـلانضمام لقـواتهم الموجـودة في القنفـذة. وبعد أن أدرك أن العسيـريين رفضـوا الانذار الـذي وجّهـه اليهم توجه بقواته إلى نواحى تهامة القريبة منه وهـزم قبائلهـا كل قبيلة على حدة، ولم يواجه أي مقاومة تـذكر في الاستيـلاء على أي مـوقع إلا عدم تمكنه من الوصول إليه، وبمجرد وصول قوات رديف بـاشا إلى أي موقع تلوذ القوات الموجودة فيه بالفرار[3].

---

(١) عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١٢٠.
(٢) هاشم سعيد النعمى، المصدر السابق، ص ٢١٢.
(٣) هاشم النعمى. نفسه، ص ٢١٢.

القضاء على إمارة عسير:

عندما أدرك الأمير محمد بن عائض أن الموقف أكثر تعقيداً مما كان يتصوّر وان عدوّه يملك قوة لا قبل له بمواجهتها، ارسل الشيخ فايز بن غرم إلى بارق لعقد الصلح مع رديف باشا، ولكن رديف باشا لم يقبل الصلح بل غدر بالرسول ووضعه في الاغلال وواصل تقدمه نحو عسير[1]. ويبدو أن رديف باشا قد استبد بالموقف تماماً ولم يقبل مساعدة الأشراف أو مشورتهم، مما دفع الشريف عبدالله بن محمد بن عون واخوته وأعوانه إلى ترك القنفذة والعودة إلى جدة على أقرب سفينة متوجهة إلى هناك[2].

ومع أن عاطف باشا لم يذكر أسباب عودة الشريف إلى مكة إلا اني أرجح أن السبب يعود إلى ما قام به رديف باشا من اعتقال لفايز بن غرم العسبلي، الذي هو في الوقت نفسه والد زوجة الأمير عبدالله بن محمد بن عون، وقد يكون الشريف عبدالله حاول التوسط لدى رديف باشا بهدف إخراج فايز العسبلي من الحبس فرفض رديف باشا تلك الوساطة مما جعله يغضب ويعود إلى مكة. إضافة إلى أن الشريف لم يكن يريد أن يتبع رديف باشا أسلوباً عنيفاً وقاسياً مع العسيريين، بخاصة بعد أن شاهد مدى قوة جيشه وما يملكه من أسلحة فتاكة، فربما اخذته الحمية على أخواله وانسابه ففضل الابتعاد لتبقى سمعته حسنة لدى العسيريين.

تقدمت قوات رديف باشا فاستولت على محايل وعلى الرغم من أنها لم تواجه مقاومة تذكر في محائل إلا أنها انتشرت بينها الأمراض

---

(١) عاطف باشا، المصدر السابق، جـ ٢، ص ١١.

(٢) عاطف باشا، نفسه، جـ ٢، ص ١١.

بسبب هواء تهامة ومياهها، فسقط ما يقرب من ربع عـدد جنود رديف باشا صرعى المرض والجفاف ولزمـوا الفراش في المستشفى العسكـري الذي أقيم هناك، ومع أن أكثرهم تماثل للشفـاء إلا أنهم بسبب وعورة الطرق وشدة الحر والمعاناة التي مروا بها تعرّضـوا للضياع والمـوت[١]. ومع كثرة الصعوبات التي واجهت تلكم القوات في محايل إلا أن رديف باشا قرر اتخاذها مركزاً رئيسياً يربط بين السراة وميناء حلى، وتم انشاء العنابر والمخازن اللازمة، كما نقلت المؤن والـذخائـر المهمة إلى حـلى، وأبقي طابور ونصف في محايل ووزع طـابور ونصف في حـلى، كما وزع طـابور ونصف عـلى المواقـع عـلى طـول الـطريق من حـلى إلى محـايـل لتأمينه[٢]. وإضافة إلى احتياطات الأمن السابقة فقد أراد رديف باشـا أن يثبت سـطوتـه وقـوتـه، فقبض عـلى بعض السكـان واتهمهم ببث الرعب بين الـرعاة واقتيـدوا إلى أحد المخـافر، وتم القصـاص بهم في محايل على مرأي من الناس[٣].

كـان رديف باشـا ينظم قـواته ويكمـل استعداداتـه في محايـل، ومحمد بن عائض يعسكر بقواته رأس عقبة تية، ظنا منه ان رديف باشا لن يجد طريقاً مناسباً لمدافعه وأثقالـه إلا تلك العقبة لسهـولتها بـالنسبة إلى العقبات الأخرى، ولكن عمـر بن عبدالله الكنـانى الخائن الـداهية طلب من رديف باشا أن يسلك طريق رجال ألمع وأن يصعد من عقبـة (الصماء)، ولم يكن العسيريون يرون أن رديف بـاشا بـامكانـه الصعود من هذه العقبة، حيث ظنوا أنه حتى لـو تم صعود قـوات رديف باشـا من تلك العقبة فلن يتمكنوا من حمل غير البنادق والقليل من الأحمال، وبعـد دراسة رديف بـاشا للمـوقف من مختلف جوانبـه، أدرك أنـه لـو

(١) عاطف باشا المصدر السابق، جـ ٢، ص ١١.

(٢) عاطف باشا، نفسه، جـ ٢، ص ١٢.

(٣) عاطف باشا، نفسه، جـ ٢، ص ١٢.

حاول الصعود من عقبة تية فيكـون عليه أن يصـطدم بقوات محمـد بن عائض المتمركزة هناك، ولذلك قرر أن يأخذ برأى عمرالكناني، ولكنه قام بايهـام محمد بن عـائض بأنـه سيهاجم عقبـة تيه، فـأرسل طـابوراً للاتجاه نحوتيه فقام محمد بن عائض بالاستعداد للمواجهة وعند المساء تـوجهت ستة طـوابير نحـو منطقـة رجال ألمـع دون علم أحـد[1]. ولم يحصـل أي مقاومـة في رجال ألمـع نظراً لخـلافهم مع محمـد بن عائض ورغبتهم في هزيمته فتفرّقوا بمجرد وصول قـوات رديف باشـا إلى مضيق دالج، دون خسائر، ولم تتعرض قوات رديف باشا إلا لبعض الكمائن من الحـاميات التـابعة لمحمـد بن عائض فقتـل نحو خمسـين رجلاً من قوات رديف باشا[2].

كـانت قوات رديف بـاشا أثنـاء مرورهـا في رجـال ألمـع تـطلق الاعيرة النارية في الهواء وتمشط المناطق التي تعتقد أنها قلاع وأبراج قـد يتخذها الأعداء وتبحث عن رجال ابن عائض فيها. وعند وصولها إلى الشعبين مركز رجال ألمع تظاهرت القوات باتجاهها جنوبـاً ناحيـة ريدة وذلـك للتمويـه، ثم غيّرت طـريقها فجـأة واتجهت شمالاً نحـو عقبـة الصـماء، وذلك بهـدف مفاجـأة محمد بن عـائض بالصعـود من عقبـة الصماء بينما كان لايزال يعسكـر في جهة تيـة وعندمـا وصل الجيش إلى أسفـل العقبة قبيـل المساء تم اختيـار الجنـد النشـطين والأقـويـاء مـع قادتهم، وانطلقوا بسرعة مذهلة حتى تمكنـوا من وضع مخـافر لهم عـلى رأس العقبة المذكـورة قبل طلوع الشمس، بينـما لحق بهم من تبقى من الجند والأحمال والاثقال في اليوم التـالي. ولم يتنبه العسيـريّون إلا حـين

---

(١) عاطف باشا، المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٣.

(٢) القاضي الحسين بن أحمـد العرش، بلوغ المـرام في شرح مسـك الختام في من تـولى ملك اليمن من ملك وأمـام، نشرة الأب انستـاس الكرمـلي، القـاهـرة، مـطبعـة البـرتيـرى ١٩٣٩م، ص ١٠٦ ـ ١٠٨.

سمعوا أصوات المدافع التي أطلقها جند رديف باشا ابتهاجاً بصعودهم إلى رأس العقبة بسلام[1].

وإذا كان لنا من ملاحظة على موقف محمد بن عائض فهو ضعف وسائل الاتصال بين مراكز قواته المرابطة في رجال ألمع وبين قواته الموجودة في السراة، مما جعله عاجزاً عن التعرف على اتجاه أعدائه ومدى استعدادهم ونوعية أسلحتهم. فتمكنوا من مفاجئته من المكان الذي لم يكن يتوقع قدومهم عن طريقه اطلاقاً. وأرى أن خطة محمد بن عائض كانت تقوم على توزيع قواته في المناطق التي يتوقع أن يكون الهجوم عن طريقها، بقصد الهاء المهاجمين حتى تأتي النجدات، لأنه كان يخشى أن يضع قواته كلها في رأس عقبة (الصمّاء) فيغيّر رديف باشا اتجاهه إلى عقبة تية أو قضى[2]. كما كان يخشى أن يكون الهجوم على المواقع الثلاثة في آن واحد، لأن قوات رديف باشا كانت كبيرة بدرجة تمكنه من توزيعها إلى ثلاثة جيوش أو أكثر. لذلك فقد قام محمد بن عائض بتوزيع القوات رأس (تية) و (قضى) و (الصماء)، وشحن القلاع والحصون بالمؤن والعتاد اللازم استعداداً للحصار المنتظر. كان يدرك أن الحصار سيقع لا محالة، وأن الهدف من المواجهة الأولية هو ارهاق الأعداء وتكبيدهم أكبر قدر ممكن من الخسائر، وكان أمله يتركز على الثبات فيالقلاع والحصون حتى ييأس المهاجمون وتنقص ذخيرتهم فيجبرهم على التراجع عن بلاده. ومما يؤكد لنا اعتماد محمد بن عائض على حصونه وقلاعه هو انسحابه من رأس عقبة (تية) إلى السقا مباشرة ليدافع عنها معتمداً على حصونها بدلاً من اعتماده على المواجهة المباشرة مع قوات رديف باشا رأس عقبة الصماء[3].

---

(١) عاطف باشا، المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٥ ـ ١٧.

(٢) قضى: هي عقبة تقع بين تية والصماء، وهي تابعة لقبلية ربيعة ورفيدة.

(٣) عبدالله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١٢٢.

والـواقع أن هنـاك سبباً جـوهريـاً جعل جنـد محمد بن عـائض عاجزين عن مواجهة جند رديف باشا، وهو الفارق الكبير في التسليـح والتـدريب فالبنـادق التي كانت مـع جيش محمد بن عـائض كانت من نوع قوال، أما البنادق التي كـانت في أيدى العثمـانيين فقـد كانت من نـوع مارتـين، ومسافـة الأولى خمسمائـة متر فقط، أمـا الثانيـة فتـزيـد مسافتها على ثمانمائة متر وهذا أعطى جند العثمـانيين تفـوقاً عـلى جند محمد بن عائض الضعيفى التسليح والتدريب[1].

عندما انسحب محمد بن عائض إلى السقا كان كلّ شيء على مـا يرام في عاصمتـه، فقد كـانت الحصون المنيعـة مليئة بـالرجـال والعتاد والطعام، وكانت حصون السقا في مواقع استراتيجيـة تمكن المتحصنين فيهـا من الحاق أفـدح الاضرار بـالقوات المهـاجمة، وممـا زاد من قـدرة قوات محمد بن عائض على الصمود، أنه أبقى ستة آلاف مقاتل خارج الحصون، وجعل مهمتهم تتركز على مهاجمة القوات العثمانية المتمركزة حول السقا[2]. وكاد النصر يحالف العسيـريين، نـظراً لغزارة النيـران التي واجهـوا بها القـوات العثمانيـة، ولتمركـزهـم في مواقـع حصُينة، وعندما انهارت معنويات العثمـانيين وارتفعت معنـويات العسيـريين، انطلقت قذيفـة من مدافـع العثمانيـين فاختـرقت جدار أهم حصـون السقـا ويسمى حصن مسمار، وكـانت الـذخيـرة في الـطابق الأسفـل فـاحترق الحصن بمن فيـه، فسقـطوا شهـداء في سبيـل الله دفـاعـاً عن بلادهم وأموالهم وأعراضهم[3].

وكان لهذه الفاجعة أكـبر الأثر في مـوقف محمد بن عـائض، لأن الحصن الـذي حدث فيـه الانفجار كـان يحوى خيـرة رجالـه وأفضـل

---

(١) عاطف باشا، المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٨، ١٩.

(٢) عاطف باشا، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٠، ٢١.

(٣) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٢١٤.

أسلحته وكميات كبيرة من الذخيرة[1]. كما أن الحادث كان ذا أثر سيء على نفسيات قوات ابن عائض، أي أن الموقف قد انقلب لصالح القوات العثمانية التي كانت قد واجهت مقاومة صلبة وعلى الرغم مما حل بقوات ابن عائض في السقا إلا أن معركة السقا لم تنته بعد هذا الانفجار الهائل، بل بقيت الحصون البقية صامدة واستمرت المعركة لمدة ستة أيام وانتهت بانسحاب محمد بن عائض على رأس قواته إلى الحفير[2]. ولم تكن الحفير سوى محطة عبور لقوات عسير، فقد لاحقها العثمانيون فيها فانحدرت إلى ريدة ذات الموقع الحصين في تهامة[3].

وعندما تحصن محمد بن عائض في ريدة، أدرك رديف باشا أن أمير عسير ينوى الصمود في هذا المعقل الحصين، ولذلك فقد ضرب عليه الحصار من جهة السراة، ثم انصرف إلى تثبيت سيطرته على ما استولى عليه من بلاده، كما أنه أدرك أن عاصمة عسير الثانية لم يتم الاستيلاء عليها، فرأى أن يسيطر على مدينة (أبها)، حتى يطئمن بأنه لن تصل لابن عائض نجدات عندما يشدد حصاره على ريدة، فتوجه على رأس أربعة طوابير إلى أبها فتمكن من السيطرة عليها بسهولة، مما يؤكد أن الحامية الموجودة فيها كانت ضعيفة[4].

وكان أكبر خطأ وقع فيه محمد بن عائض أنه حشر نفسه مع كل رجاله في قرية محصنة، وترك بلاد عسير بطولها وعرضها وجبالها غنيمة سهلة للقوات العثمانية ففي الوقت الذي أخذ فيه رديف باشا يثبت

---

(١) عاطف باشا، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢١.

(٢) الحفير: هي بلدة حصينة تقع على قمة جبل إلى الغرب من السقا، وبها عدد من حصون آل عائض.

ـ عبدالله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١٢٢.

(٣) أيوب صبري، المصدر السابق، ص ١٦٩.

(٤) عاطف باشا، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢١.

أركان حكمه على المناطق العسيرية قاطبة، كان محمد بن عـائض ومعه كبار رجال عسير وشجعانها محاصرين في ريدة مما دفع ضعاف النفـوس عـلى القدوم إلى رديف بـاشا مقـدمين فـروض الطاعـة والـولاء، دون خوف أو وجل، وكان على رأس هـذه الوفـود لاحق بن أحمد الـزيدانى السـاعد الأيمن لأمـراء عسير، حيث كـان قائـدا من قـواد عـائض بن مرعي، ثم حل مكانا رفيعـا في عهد محمـد بن عائض، ولكنـه عندمـا أدرك أن أمجاد محمد بن عائض قد ولت قلب له ظهر المجن، واتجـه إلى رديف باشا مستلما وعارضا خدماتـه عليه[١]. كـما وفد إلى رديف بـاشا أعداد كبيرة من القبائل التي تم الاستيلاء على بلادها مقـدمين فـروض الطاعة وقد ذكر منهم عاطف[٢] باشا خمس عشرة قبيلة.

عندما انتهى رديف باشا من تأمين مؤخرة جيشه، وثبت سيطرته على المناطق التي أخضعها لنفوذه التفت إلى محمد بن عائض المتمركز في ريدة، وحاول الضغط عليـه عسكريـا عن طريق قصف حصـون ريدة بمـدافعة، إلا أن قـوات محمد بن عـائض قـد ردت عـلى قصف رديف باشا بقصف مماثل لمواقعه المـطلة على ريـدة[٣]. عند ذلـك رأى رديف باشا أن يدخل في مفاوضات مـع محمد بن عـائض وذلك حتى يضعف همته عن المقاومة، فكلف لاحق بن أحمد الزيداني بالقيام بهـذه المهمة، وكاد ينصاع الأمير محمد بن عائض إلى الصلح إلا أنه أحسّ من رديف باشا عدم الوفـاء بالعهـود فأرسـل أخاه سعيـد بن عائض للتفـاهـم مع رديف باشا فكبله بالاغلال والقاه في السجن[٤] وهنا تـأزم الموقف بـين الطرفين، وعاودت قوات رديف بـاشا قصف ريـدة من السراة، ولكن

---

(١) هاشم النعمى، المصدر السابق، ص ٢١٤.

(٢) عاطف باشا، نفسه، ص ٢٣.

(٣) هاشم النعمى، المصدر السابق، ص ٢١٤.

(٤) عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١٢٤.

ذلـك لم يجد شيئـاً لأن المدافـع التي صعد بهـا رديف بـاشـا إلى السراة ليست من المـدافع الثقيلة، ونـظراً لمناعـة حصون ريـدة فقد كـان من المستحيل على هذه المدافـع احداث أي اضرار بـالحصون التي يتحصّن فيها محمد بن عائض ورجاله[١].

وبعد الدراسة والاستقصاء تأكد لرديف باشا أنه لابد من مدافع ذات مدى طويل ولما كانت تلك المدافع قد تركت في القنفذة، لذا قرر القادة العثمانيون بعد المشاورة احضار هـذه المدافـع إلى الشقيق، لأنها أقـرب ميناء إلى ريـدة، وتقـرر أن يكـون بـرفقتهـا أحمـد مختـار بـاشـا وبصحبته أربعة طوابير، ليتمكن من حصار ريدة من جهـة تهامـة[٢]. وتروى المصادر المحلية[٣] أن خلافا صوريا قد حـدث بين رديف بـاشا وأحمد مختار باشا، وذلك لخديعة آل عائض، حيث تـظاهر أحمـد مختار باشا أنه ترك عسير مغاضبـا لرديف بـاشا وأنـه سيتجه إلى اسـطنبول، ولكن الذي حدث أنّ مختـار باشـا توجـه إلى الشقيق عن طريق محـائل ليصطحب مدافعـه وأسلحته الحـديثة، ويفـاجىء العسيريـين وهم في غفلة من أمـرهم، فلم يشعروا إلا عنـدما أطبقت عليهم قـوات مختـار باشا من جهـة تهامـة ليقعوا بـين شقى رحا، فـرديف باشـا من السراة ومختار باشا من تهامة وبهذا أحكم الحصار على قـوات محمد بن عـائض المتحصنة في ريدة.

كـان وصول مختـار باشـا إلى ريدة من جهـة الغرب يمثـل بدايـة النهاية لمقاومة عسير، لأن حملة مختار باشا كانت تصطحب معها مدافـع

---

(١) عاطف باشا، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٣.

(٢) عاطف باشا، نفسه، ص ٢٣، ٢٤.

(٣) هاشم النعمى، نفسه، ص ٢١٥.

ـ عبدالله بن مسفر، نفسه، ص ١٢٤.

ـ محمـود شاكـر، شبه جزيرة العـرب ـ عسيـر ـ ط ٣، المكتب الإسلامي ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٢١٦.

لم تستخدمها من قبل ضد العسيريين، وعندما اقتربت قوات مختار باشا من حصون ريدة، وجهت مدافعها إلى بعض نقاط القلعة فأحدثت ثقوبا ودمارا في القلعة مما أربك محمد بن عائض نظرا لقوة هذه المدافع، وأراد أن يقف على حقيقتها فأرسل رسولا يحمل خطابا إلى أحمد مختار وتظاهر بطلب الصلح، حتى يكشف حالة المدافع، فما كان من أحمد مختار باشا الذي أدرك مرام الرسول إلا أن أطلعه على تلك المدافع، وأوضح له أنه لا مفر من التسليم[1].

وعلى الرغم من الشجاعة الفائقة التي أبداها العسيريون، إلا أن موقعهم قد أصبح سجنا لهم، لكون القوات العثمانية أحكمت الحصار عليهم من كل الجهات، فوزعت المخافر من كل الجهات ومنعت الدخول والخروج من ريده واليها. وقد استخدم العثمانيون مدافعهم بدرجة كبيرة لفتح ثغرات القلاع ونوعوا هجماتهم على تلك القلاع، فركزوا على كل حصن على حدة، وقد قابلهم العسيريون بمقاومة عنيفة حتى أن احدى المعارك حول أحد الحصون استخدمت فيها كل انواع الأسلحة، ووصل القتال إلى حد استعمال السلاح الأبيض إلى أن أجبروا القوات المهاجمة إلى الابتعاد. كما استعمل العسيريون القنابل اليدوية في تلك المعارك، بالإضافة إلى استخدام مدافع (أويوس) ضد القوات المهاجمة[2].

ومع أن معظم المصادر المحلية[3] تذكر أن الوهن قد تسرب إلى

(١) عاطف باشا، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٩.

(٢) عاطف باشا، نفسه، جـ ٢، ص ٣١، ٣٢.

(٣) هاشم النعمى، المصدر السابق، ص ٢١٦.

- عبدالله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١٢٥.
- محمود أحمد العقيلى، تاريخ المخلاف السليماني، جـ ١، ص ٥٤٩.
- محمود شاكر، المرجع السابق، ص ٢١٦.

قلوب رجال محمد بن عائض، مما دفع بعض الحصون إلى الاستسلام، إلا أن الوصف المفصل الذي قدمه لنا عاطف باشا ـ وكان ضابطا مشاركا في تلك المعارك ـ ، يؤكد لنا أن كل الرجال الذين كانوا مع محمد بن عائض قد قاتلوا قتال الأبطال، وأن كل الحصون قاوم أفرادها ببسالة وشجاعة، ولكن خطة العثمانيين كانت تقوم على عزل كل حصن عن بقية الحصون الأخرى عن طريق تضييق الخناق على القوات الموجودة فيه، مما جعلهم يتمكنون من السيطرة عليها كل حصن على حده[1].

أما عن المفاوضات التي دارت بشأن استسلام محمد بن عائض، فقد دارت في البداية عندما كان رديف باشا لا يزال في بارق، حيث بعث اليه محمد بن عائض فائز بن غرم العسبلى لطلب الصلح، ولكن رديف باشا رفض التفاوض ووضع رسول محمد بن عائض في الأغلال، وإلى تقدمه نحو عسير، معلنا أنه لا مفر من الاستيلاء عليها بالقوة[2]. ثم عندما استولت قوات رديف باشا على السقا مد محمد بن عائض يد الصلح، وبعث أخاه سعيد بن عائض إلى رديف باشا ولكن رديف باشا القاه في السجن[3]. وعندما اشتد الحصار على محمد بن عائض توسط شريف مكة لدى الباب العالى ليمنح محمد بن عائض عفوا مقابل استسلامه، ويقال أن السلطان العثماني قد أرسل فرمانا هذا نصه: "انك آمن بأمان الله ورسوله، وإني قد قبلت جميع مطلبك الذي عرضت علينا بواسطة الشريف محمد بن عون[4]. وما عليك إلا

(١) عاطف باشا، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٨ ـ ٣٥.

(٢) عاطف باشا، نفسه، جـ ٢، ص ١١.

(٣) هاشم النعمى، المصدر السابق، ص ٢١٤.

(٤) في الحقيقة أن الشريف القائم انذاك هو الشريف عبدالله بن محمد بن عون. لان محمد بن عون توفى عام ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م.

تسليم البلاد لرديف باشا، وأموالك وخيولك وجميع أملاكك مع الحصن لا تمسها عساكرنا بسوء، إلا إذا لم تتبع أمرنا هذا السلطاني.
"فلما اطلع محمد بن عائض عى منطوق الفرمان كتب لمختار باشا وكان محاصرا للقصر يقول فيه: "انني دخلت تحت طاعة السلطان حسب الفرمان[1].

ومهما قيل عن الفرمان الذي أعطاه السلطان العثماني لأمير عسير، فأن رديف باشا كان متشددا حيال أمير عسير، وكان هدفه الرئيسى هو إذلال محمد بن عائض بالدرجة الأولى، والدليل على ذلك ماذكره عاطف باشا[2] من أنه عندما اشتد الضغط على ريدة من الشرق والغرب، قام محمد بن عائض بإرسال أحد رجاله ويدعى عبد الوهاب، وهو من اصحاب النفوذ في قبيلة رجال ألمع، وأمره بطلب الصلح من رديف باشا، فرفض رديف باشا ذلك بحجة أن محمد بن عائض لم يقدم التأمينات الكافية للصلح معه، وما كان من رديف باشا إلا أن هب واقفا وقال[3]: "هيا اذهب إلى جوار محمد بن عائض وأخبره أن يأتي إلى هنا وحينئذ يمكن أن يعطى الأمان لوْ سلم نفسه، وإلا فانني سأطأ رأسه بقدمى".

ويبدو أن محمد بن عائض كان يريد الاستلام، لكنه كان يريد الاستسلام بشرف، وذلك ماكان يعارضه القائد المتغطرس رديف باشا، ولذلك فقد تكررت محاولة الصلح بين محمد بن عائض وبين مختار باشا هذه المرة، حيث طلب عبد الرحمن من مفرح ـ الذي كان قد تم أسره ـ أن يسمح له بكتابة خطاب إلى محمد بن عائض يدعوه

---

(١) عبد الواسع بن يحيى اليمني، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، ط ٢، مطبعة حجازي، القاهرة ١٣٦٦ هـ/ ١٩٤٧ م.
(٢) عاطف باشا، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٧.
(٣) عاطف باشا، نفسه، جـ٢، ص ٢٧.

إلى الاستسلام، ومع أن محمد بن عائض قد رفض الاستسلام في البداية، وسمح لأعوانه بالهرب بأنفسهم إن استطاعوا ذلك، واستمر صامدا مع مجموعة من اخوانه ورجاله الأوفياء، إلا أن رجاله رفضوا الهرب، ورضوا بالمصير الذي يلاقيه أميرهم، وعندما أدرك محمد بن عائض أن شجاعة الرجال لا تنفع إذا تكاثر الأعداء، قرر أن يستسلم لمختار باشا، القائد المحنك والحافظ للعهود، وفي شهر محرم عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م. بعد صلاة المغرب بحوالى ساعتين قدم محمد بن عائض مع عشرة من اتباعة إلى مقر قيادة أحمد مختار باشا وطلب الأمان على حياته وماله وسلم نفسه، وتم استلام قلاعه وحصونه وأسر كل من فيها من الرجال. كما نهب الأموال والأسلحة والذخائر والأرزاق[١].

وتختلف المصادر التاريخية في تحديد الطريقة التي قتل بها محمد بن عائض ومجموعة من رجاله. حيث أن رديف باشا كان هو القائد العام وقد حز في نفسه أن ينال أحمد مختار باشا شرف القاء القبض على محمد بن عائض، وكان يصر من البداية على وجوب استسلامه له دون قيد أوشرط، وعندما علم باستسلامه لمختار باشا على شروط تضمن سلامته وسلامة أمواله وحاشيته، نزل إلى تهامة لاستلام قلعة ريدة، وهنا تشير المصادر المحلية[٢] إلى أنه غضب عندما رأى محمد بن عائض جالسا إلى جانب أحمد مختار باشا، فأمر بقتله مع مجموعة من كبار رجالات عسير وشيوخها. وتضيف بعض المصادر[٣]

(١) عاطف باشا، المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٦، ٣٧.

(٢) هاشم النعمى، المصدر السابق، ص ٢١٥.

- عبدالله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١٢٦.
- محمود شاكر، المرجع السابق، ص ٢١٧.

(٣) عبدالله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١٢٦.

أن مختار باشا قال كلاما بالتركية يفهم منه أنه عازم على قتل محمد بن عائض، فسمعه سعد بن عائض وكان يعرف بعض الكلمات التركية، فطعنه بخنجر مسموم، مما أدى إلى وقوع معركة استشهد فيها محمد بن عائض ومجموعة كبيرة من اخوانه وبعض كبار عسير، وتم أسر من تبقى، وكانوا في حدود ستمائة رجل، وارسلوا جميعا إلى اسطنبول. أما رديف باشا فقد ظل متأثرا بجراحه، ونقل إلى ميناء الشقيق حيث توفى هناك.

أما المصادر[1] العثمانية فإنها تحاول أن تخلق حوادث لا يصدقها العقل حيث تذكر أن جنود ابن عائض الأسري كانوا يحملون معهم بعض البارود، وعندما اكتشفه العسكر العثمانيون قاموا بجمعه منهم ووضعهوه في زاوية واحدة ثم رموا فوقه بعض الحجارة فحدث انفجار هائل سقط بسببه أعداد كبيرة من الجنود بين قتيل وجريح. وتضيف هذه المصادر أن الأسرى حاولوا الهرب مستغلين هذا الفوضى الناجمة عن ذلك مما أدى إلى مقتل عدد منهم على يد العساكر المكلفين بحراستهم. وفي منتصف الليل حاول محمد بن عائض وبعض رجاله الهرب مما أدى إلى حدوث معركة قتل فيها عدد كبير من بينهم محمد بن عائض وعدد من أسرته ورجال دولته.

وأرى أن ما تقوله المصادر المحلية أقرب إلى الصحة ويعود ذلك إلى معلومات حصلت عليها من المصادر العثمانية التي تحاول أن تخفى الحقيقة التي تتمثل في اعطائهم العهود ونقضهم لها بكل بساطة وتلك المبررات التي اعتمدت عليها هي:

---

(١) عاطف باشا، المصدر السابق، ص ٣٧ ـ ٤٣.
ـ أيوب صبرى، المصدر السابق، ص ١٦٩.

١ ـ يذكر أيوب صبري[1] إنه بعد أن تم فتح عسير وصل رديف باشا بالجنود العثمانيين إلى إحدى قمم الجبال، وعند نزوله من إحدى هذه القمم سقط وجرحت أحدى ساقية «وبسبب الأجواء وصل به الأمر إلى استحالة سيره وتنقله بين المناطق، وكان لابد من تبديل مكانه وبناء على ذلك استدعى إلى دار السعادة وعين مكانة سعادة الغازي أحمد مختار باشا».

٢ ـ كما يذكر عاطف باشا[2] أن رديف باشا قد سقط اسير الفراش بعد ازدياد آلام قدمه،« وأخيراً اتضح أن المرض عبارة عن حمرة شديدة، وبعد أن ظل تحت تأثير الآلام والأوجاع لمدة سبعة وثلاثين يوماً في «سقا» اضطر إلى التحرك إلى الشقيق عن طريق ريدة، موكلا أحمد مختار باشا».

٣ ـ يذكر عاطف[3] باشا أن سليمان باشا توجه إلى عدن ليبعث تلغرافاً مباشراً بفتح ريدة ولكنه تلقى تأنيباً حيث قيل له: « إن الباشا بدون باشوية . . أنكم قتلتم رئيس العصاة الذي وقع في أيديكم أثناء الحرب . . وبناء على الاحتجاج الذي قوبلتم به فقد قمتم بدفن اجسادهم تحت روث الحيوانات وسكبتم فوقهم المفرقعات، اتنسون هذا؟ كيف فعلتم هذا ألا تخافون من الله؟» .

ومن خلال ما سبق يتأكد لنا بصورة لا تقبل الشك أن رديف باشا قد اصيب اصابة قاتلة الزمته الفراش حتي ينقل إلى الشقيق، ومن غير المعقول أن يكون سقوطه من على أحد الصخور سبباً في أن يبقى طريح الفراش كل هذه المدة كما أن الحمرة المذكورة في كتاب

(١) أيوب صبري، المصدر السابق، ص ١٦٩ .

(٢) عاطف باشا، المصدر السابق، ص ٤٤ .

(٣) عاطف باشا، المصدر السابق، ص ٤٢ .

عاطف باشا تجعلنا ندرك مدى الاختلاف في المصادر العثمانية مما يدل على اختلاق أسباب بعيدة عن الواقع. وهذا يجعلنا نرى صحة الآراء التي تقول ان رديف باشا قد طعن على يد سعد بن عائض وإنه نقل ليلاقي ربه في ميناء الشقيق. ثم ان التأنيب الذي ارسل لهم من الآستانة يدل على أن رديف باشا قد تورط بمحاولة القضاء على محمد بن عائض فلقى حتفه هو الآخر، ولكن المصادر العثمانية تخفى ذلك حتى لا تقلل من قيمة ذلك الانتصار.

ومهما يكن من شيء فإن القضاء على إمارة عسير كان قد تم بناء على أوامر من الباب العالي، ولم يصل رديف باشا إلى عسير متكبداً الصعاب والأهوال ليمنح محمد بن عائض ورجاله أوسمة الشجاعة، بل إنه وصل إلى عسير ليستأصل هذه الإمارة وإلى الأبد، لما ألحقته بالدولة العثمانية من متاعب وخسائر على يد عائض بن مرعي ثم محمد بن عائض. مما جعل الدولة العثمانية أمام أحد أمرين: إمّا التخلي عن اليمن وعسير وجزء من الحجاز، وإمّا التحرك بسرعة وقبل فوات الأوان للقضاء على نفوذ محمد بن عائض الذي أخذ يتّسع بشكل لا يمكن السكوت عليه وقد اختارت الدولة العثمانية الأمر الثاني وقررت القضاء على إمارة عسير بكل قوة وقسوة، حتى تمنع قيام أي إمارة فيها بعد أن تقوم بتهديد المناطق التابعة لها في الحجاز واليمن.

وقد قام رديف باشا منذ البداية باتخاذ أقسى الاجراءات وأشدها ضد العسيريين حيث ألقى كل من وقع في يده من أعوان محمد بن عائض في السجن ولكنه كان يعاملهم معاملة حسنة حتى يستدرج من بقى من شيوخ عسير إلى الاستسلام، وأكبر دليل على ذلك أنه كان يصطحب فايز بن غرم العسبلي معه في كل تحركاته، ثم عندما وصل إليه لاحق بن أحمد الزيداني أبقاه مع فايز بن غرم العسبلى، وهكذا

فعل مع كل من وقع في يده قبل سقوط ريدة، ولكنه لم يطلق سراحهم بل ظلوا تحت المراقبة(١).

وأما مصير الأسرى الذين كانوا في قلعة ريدة عندما استسلم محمد بن عائض، فقد قام أحمد مختار باشا بارسال موسى بك مع طابور من الجند إلى داخل القلعة لتسلمها وقد رافقها كل من سعيد(٢) بن عائض وسعيد بن مفرح(٣) لمباشرة عمليات التسليم، حتى لاتكون هناك فرصة لوقوع أي ضرر بالأسرى(٤). وقد تم القاء القبض على ثمانمائة أسير من الذين كانوا يدافعون عن حصون ريدة. وقد وضع كافة الأسرى الذين أخرجوا من ريدة في فناء مسجد مكشوف ومحاط بجدران ذات نوافذ في قرية ريدة، وقد وضعت حراسة مشددة أمام النوافذ والأبواب، وكلف نصف طابور بالمحافظة على الحراسة(٥).

وكان رديف باشا دقيقا في تتبع شيوخ عسير حيث كان أول سؤال وجهه لأحمد مختار باشا عندما قابله أن سأله عن عدد المشائخ الذين تم القاء القبض عليهم، فأخبره أحمد مختار باشا بأنه ألقى القبض على عشرة مشائخ فقط، وكان مع رديف باشا الشيخ عمر الكناني فأخبره أن عدد مشائخ عسير الموجودين في ريدة ثلاثة عشر شيخاً، فأمر رديف باشا بالبحث عن الباقين وقد عثر عليهم في حصن

---

(١) عاطف باشا، المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٣، ١٤.

(٢) كان قد تم القاء القبض على سعيد بن عائض عندما أرسله محمد بن عائض إلى رديف باشا للتفاوض معه، ولكن رديف باشا القاه في السجن مما أدى إلى توقف المفاوضات.

(٣) سعيد بن مفرح: هو ابن عم محمد بن عائض، وقد استسلم مع جميع آل مفرح عندما اشتد الحصار على حصن آل مفرح وتم تطويقه وقطع الاتصال بينهم وبين بقية الحصون.

(٤) عاطف باشا، نفسه، جـ ٢، ص٣٧.

(٥) عبدالله بن مصفر، المصدر السابق، ص ١٢٥.
- عاطف باشا، نفسه، جـ ٢، ص ٣٧.

آل مفرح، وهم كل من: شيخ بلسمر وشيخ بالحمر وأحد آل مفـرح. وهكـذا تمكن رديف باشـا من القاء القبض عـلى معظم شيـوخ عسـير المحاصرين في ريدة[1].

وكـان من أبرز الأسـرى الذين تم القـاء القبض عليهم، سعيد وعبـدالرحمن وأحمـد وعلى ويحى أبنـاء عـائض بن مـرعي، وسعـد بن محمد بن عائض وفاطمة بن سعد بن عائض[2]. بالإضافة إلى مجموعة من كبار عسير منهم: علي بن محي ومحمد بن لاحق وحسن بن عبـدالله وعـلي بن هـادي بن امسلمى وسعيـد بن محمـد بن عـلي بن مجثـل، وعلي بن طامي بن شعيب ومحمد بن عبدالوهاب المتحمى[3]. أما بقية كبـار عسير فقـد سقطوا قتـلى خلال المعـركة التي جـرت بين محمـد بن عائض ومن معه من جهة وبين رديف باشا وحـرسه من جهـة أخرى. وكـان ممن قتـل في تلك المعـركـة، محمـد بن عـائض وأخـواه سعـد وعبـدالله، وسليمان بن عبـدالوهـاب المتحمى، وراسي بن مغـرم بن ثابت الشهابي شيخ قبائل سنحان ودليم بن شائع شيخ قبائل قحطان، ومحمد بن سليم شيخ قبائل آل الصقـر، وزيد بن شغلوت ونـاصر بن كدم من مشائخ قحطان، وعبدالعزيز بن محمد الغامدي، وابن عيّاش الغامدي، وجمعان بن رقوش شيخ قبائـل زهران، ومبـارك بن فرحـان الدوسي، وغيرهم كثيرة ممن قتلوا غدراً وخيانة عـلى يد السفـاح رديف باشا[4].

---

(١) عاطف باشا، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٨.

(٢) محمود شاكر، المرجع السابق، ٢١٧.

(٣) عبدالله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١٢٦.
ـ هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٢١٦.

(٤) عبدالله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١٢٦.

ويذكر عاطف[1] باشا أنه تم اختيار اربعمائة من الأسرى الذين استسلموا في ريدة، وأرسلوا إلى الآستانة ويضيف أن الاختيار كان يتم بناء على صحة الأسير وسنه، حيث أطلق سراح الضعاف وكبار السن، بينما أبقى الشباب الأقوياء وقد بلغ عددهم أربعمائة أسير. ولكن المصادر[2] المحلية تؤكد أن عدد الأسرى الذين ارسلوا إلى الآستانة ستمائة أسير.

وكان من أبرز الأسرى الذين أرسلوا إلى الآستانة علامة عسير أحمد بن عبدالخالق الحفظى، الذي كان يعد من أبرز علماء زمانه[3]. كما تم إرسال بعض الأسرى الذين كان قد تم التغاضي عنهم لعدم مقاومتهم لقوات رديف باشا مثل: فايز بن غرم العسبلي ولاحق بن أحمد الزيداني، حيث أرسلوا مع أحمد بن عبدالخالق الحفظي على سفينة واحدة[4].

وقد وصف لنا الشيخ[5] أحمد بن عبدالخالق الحفظي طريقة ترحيلهم إلى استانبول، فذكر الموانىء التي مرّوا بها، إلى حين وقوفهم بين يدي السلطان العثماني. فقد كانت نقطة الانطلاق من ميناء الشقيق، وكان ذلك في شهر ربيع الأول عام ١٢٨٩هـ، ومرّوا في طريقهم ميناء القنفذة، ثم ميناء جدة، فأقاموا بها ليلتين ثم توجهوا حتى وصلوا إلى ميناء السويس بعد ثلاثة أيام، ثم مرّوا ببور سعيد.

---

(١) عاطف باشا، نفسه، جـ٢، ص ٤٢.
(٢) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٢١٦.
- عبدالله بن مسفر، نفسه، ص ١٢٥.
- محمود شاكر، المصدر السابق، ص ٢١٧.
(٣) محمد بن إبراهيم الحفظي، نفحات من عسير (ديوان شعر)، مطابع عسير، أبها ١٣٩٣هـ / ١٩٧٤م، ص ١٤٣.
(٤) عاطف باشا، المصدر السابق، جـ٢، ص ٤٦.
(٥) محمد بن إبراهيم الحفظي، المصدر السابق، ص ٢٥٢ - ١٥٥.

وواصلوا سيرهم حتى وصلوا إلى ميناء بيــروت، ومن هنـاك واصلوا رحلتهم حتى وصلوا إلى اسطنبول في الخامس من شهر ربيع الثاني عام ١٢٨٩هـ[١].

وقد مثلوا أمام السلطان العثمـاني عبدالعـزيز بن محمـود، حيث دافع عنهم الشيخ أحمـد بن عبدالخـالق الحفظي بـأن ارتجل كلمـة بين يدى السلطان العثماني شرح فيها موقفهم من الخلافـة العثمانيـة، وقد أوضح في خطبته أنهم مظلومون وأنهم لم يعارضوا الخليفة العثماني، ولم يخرجوا على جماعـة المسلمين حيث قـال: «ونحن ومن نمى علينا ووشى بنـا مجتمعون، وسنسـأل ويسألـون» ثم إنكم يوم القيـامـة عنـد ربكم تختصمـون «. . واذكر مـا أنزل الله». في شـأن حمايـة الأخيـار الـذين أخـرجوا من ديـارهم بغير حقّ إلا أن يقـولوا ربّنـا الله واسترسـل أحمد الحفـظي في خطبتـه تلك مهـاجمـاً من نقض العهـود والمـواثيق، ودعم أقواله بآيات من القرآن الكريم، وبأحاديث نبوية صحيحة، واشتكى للسلطان العثمـاني ماحـل بالعسيـريين من هتـك للمحارم، وتـرويـع للأطفال والنساء، وماقاسوه هم من تعب أثناء السفر في الـبر والبُحر. وطلب من الخليفة العثماني أن يتراجع عن تهديده لهم وأن يعفو عنهم، لأنهم حصلوا على الأمان وهم قبـل كل شيء من رعيّـة المسلمين حيث قال: «وتنبه أيها الخليفة أنا من اخوانك المسلمين ومن العـرب المؤمنين وقد صرنا من رعيته أتيناك بالأمان وللأمان فلا تقتل أحدنا ولا يهان منا أحـد فقد قـال النبي الكريم من أمن رجـلا على دمـه فـأنـا بـريء من القاتل» وقال: «من أمن رجلا عـلى دمه فقتله فـإنه يبعث يـوم القيامـة يحمل لواء غدره»[٢].

---

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي، المصدر السابق، ص ١٥٢ ـ ١٥٥.

(٢) عبدالله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١٢٦ ـ ١٢٨.

وقد تأثر الخليفة العثماني من الخطبة السابقة، وأدرك أن هناك قسوة كبيرة ارتكبت ضد العسيريين فقام بإصدار الأوامر برفع الأغلال عنهم وإطلاق سراحهم من السجن، وأنزلهم في القصور وأكرمهم إلا أنه شدد الحراسة وقوى الرقابة عليهم[1]. وبعد فترة قصيرة ثم نقلهم إلى (يانية)[2]، حيث أمضوا هناك خمس سنوات، واشتركوا خلالها في حرب البلقان عام ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م، حيث تم العفو عنهم فيما بعد وعادوا إلى عسير[3].

أما بالنسبة إلى الوضع في عسير في أعقاب سقوط ريدة، فقد كان وضعاً مأساوياً مؤثراً، فقد كانت تلك الإمارة العربية عزيزة مستقلة يحميها أبناؤها الأوفياء، واستمرت كذلك حتى تكالب عليها الأعداء، وأغروا صدور السلاطين العثمانيين على تلك الإمارة، فساقوا إليها قوات لم تعرف لها جزيرة العرب مثيلاً. واستمر القتال حتي سقطت عاصمة عسير وقلعتها الحصينة «ريدة». وسقط أمير عسير محمد بن عائض قتيلا على يد القوات العثمانية. وخربت ريدة حتى أصبحت أثراً بعد عين، كما خربت جميع القلاع والحصون الصالحة للمقاومة في منطقة عسير بأسرها. وأسر كل من كان في ريدة من رجال عسير. عدا القتلى الذين سقطوا خلال المعارك.

وعلى الرغم من كل صنوف القسوة والأذى التي لحقت بعسير فقد ظلت المقاومة لسنوات عديدة بعد سقوط ريدة، فعندما حاول العثمانيون الاحتفال بذلك النصر على عسير ظهر أحد أمراء آل عائض مرة أخرى في أبها، ثم توجه حتى استولى على السقا، كما تمكن من

---

(١) عبدالله بن مسفر، المصدر السابق، ١٢٩.

(٢) يانية: بلدة تركية سابقا، وتقع في البانيا حاليا.

- انظر: محمد بن إبراهيم الحفظي، المصدر السابق، ص ١٤٣.

(٣) محمد بن إبراهيم الحفظي، نفسه، ص ١٤٣.

قطع الاتصال بين القوات العثمانية في السراة وبين مراكزها في محائل والقنفذة عن طريق الاستيلاء على رؤوس العقبات المؤدية إلى تهامة وقد تمكن من ذلك، مما أوقع القوات العثمانية في حرج كبير[1].

كما ثارت معظم قبائل عسير، وبخاصة قبائل بلسمر وبلحمر وبني شهر وغامد وزهران ورجال ألمع، فقد ثارت هذه القبائل ثورة عامة، وقاومت القوات العثمانية في حرب شاملة، واشتبكت القوات العثمانية مع جميع القبائل[2]. وكانت الحرب سجالا بين الفريقين، ولكن المحصلة النهائية للحرب أن الدولة العثمانية قد احتفظت بقوات لها في بعض المراكز الرئيسية في عسير مثل: أبها والسقا والشعبين ومحائل ورغدان والنماص، بينما ظلت القبائل تسيطر على بقية أجزاء عسير.

وعلى العموم فقد كانت استراتيجة الدولة العثمانية تقوم على الاستيلاء على المراكز الرئيسية فقط، ولم تكن تهتم بشئون القبائل ومشاكلها، وإنما تركت كل السلطان في أيدي شيوخ القبائل[3]. وكان أكثر ما تركز عليه الدولة العثمانية هو جمع الضرائب من المواطنين وتأمين الاتصال بين مراكزها وبين السواحل للحصول على الامدادات اللازمة، مما أوقع البلاد في حالة من الجهل والفوضى لم تعرف لها المنطقة مثيلاً[4]. وكان لهذه الحالة آثاراً سلبية على ولاء القبائل وخضوعها للدولة العثمانية، فقد شعرت القبائل بأن المنطقة قد أصبحت في حالة من الضياع لغياب السلطة المركزية القوية، بينما كان

---

(١) انظر: عاطف باشا، المصدر السابق، ص ٤٨.
ـ محمود شاكر، المرجع السابق، ص ٢٢٠.
(٢) عاطف باشا، نفسه، جـ ٢، ص ٤٨، ٤٩.
(٣) محمود شاكر، نفسه، ص ٢١٩ ـ ٢٢٢.
(٤) أيوب صبرى، المصدر السابق، ص ١٧٠.

الـولاة العثمانيـون كـل همهم جمـع الضـرائب وبنـاء القـلاع وتـأديب القبائل، وقد أدى هذا أخيراً إلى خروج معظم قبائـل تهامـة عن سلطة الدولة العثمانية[1]، وعندما ظهر الادريسي في المنطقة سارعت القبائل إلى الاتصـال به والانضمـام إليه، بحثـاً عن الأمن والاستقرار، ولكن حركة الادريسي لم تزد الوضع إلا سوءاً وتعقيداً حيث استمرت البـلاد تتنازعها سلطتان: سلطة الادريسي في صبيا، وسلطة الدولة العثمـانية ممثلة بواليها على أبها وظل الوضـع كذلـك حتى خروج العثمـانيين من عسـير بعـد هــزيمتهم في الحـرب العــالميـة الأولى عــام ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م[2].



(١) عاطف باشا، نفسه، جـ ٢، ٤٩.
(٢) هاشم النعمي، المصدر السابق، ص ٢٢٢ ـ ٢٤٠.
ـ محمود شاكر، نفسه، ص ٢٣٧ ـ ٢٤٨.

الفصل الثامن

الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية في عسير

محتوياته

* تمهيد
* ملامح من الوضع الاجتماعي
* منازل أهل عسير وفن البناء فيها
* ملامح من الوضع الاقتصادي
* الحياة العلميّة

الفصل الثامن
عسير في ظل حكم آل عائض

تمهيد:

لم تسعفنا المصادر الموجودة بين أيدينا في معرفة الكثير عن الحياة العامة في عسير خلال حكم آل عائض، ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى عدم اهتمام تلك المصادر بحياة عامة الناس، ولا بطبيعة التركيبة الاجتماعية التي كانت قائمة، والحياة التعليمية والاقتصادية التي كانت سائدة في الإقليم، ومع ذلك فقد حاولت قدر إمكاني الاعتماد على أية إشارة ولو كانت عابرة عن أي من القضايا السابقة لنستدل بها على الحالة العامة في عسير خلال فترة الدراسة، كما أني استعنت ببعض المصادر التي أوردت معلومات عن بعض نواحى الحياة في عسير خلال السنوات القليلة السابقة لفترة الدراسة، واستعنت كذلك بالمصادر التي تحدثت عن الحياة العامة في عسير خلال السنوات اللاحقة لفترة الدراسة، اذ أن مثل هذه المعلومات تقدم للباحث خدمة علمية ممتازة، بخاصة اذا لم تحدث تغييرات سريعة في الموقف العام في الاقليم كله، وساعدنى في ذلك كون النظام القائم في الإقليم نظاماً، قبلياً، يتمسك السكان فيه لفترة طويلة بالعادات والتقاليد الموروثة، مما يجعل الصورة لا تتغير تغيراً كثيراً خلال عقد أو عقدين من الزمان.

ملامح من الوضع الاجتماعي:

من الملاحظ أنه يوجد في عسير كيان قبلي قوى يعتبر أساسا في التوزيع الاجتماعى وعاملا قويا من عوامل السيادة المحلية[١].
وأغلبية سكان عسير ينتشرون في وحدات استيطانية وقرى صغيرة متفاوتة الأحجام، ويتركزون بشكل كبير في الأودية وإلى جانب هذه القرى نمت بعض المدن متوسطة الحجم والأهمية مثل القنفذة، وخميس مشيط، وأبها، وصبيا. وإلى جانب هذه المدن هناك بعض القرى المركزية التي تتمركز فيها الأنشطة التجارية والصناعات اليدوية البسيطة[٢].

وتشير المراجع الأجنبية إلى وجود ما أسموه تمييز اجتماعي وسياسى قوى بين فلاحى الوديان الداخلية المنخفضة وسكان المناطق الأكثر ارتفاعا وبين سلسلة الجبال الرئيسية - أي عسير بمعنى الكلمة - وكذلك بين هذه الأخيرة وبين سكان منطقتى العقبة وتهامة[٣]. أي أن سكان سلسلة جبال السروات يفضلون على من سواهم.

ولكنى أرى أن التمييز الاجتماعى يمكن أن يكون بين الأسر داخل القبيلة الواحدة، فهناك الأسر القوية والعريقة في النسب، وهناك الأسر الضعيفة، أو التي تعتبر ذات نسب متواضع حسب عرف المجتمع القبلى. أما بالنسبة للقبائل فلاشك أن هناك قبائل قوية، ولكن هذا لا يقتصر على منطقة جغرافية دون الأخرى فكما أن هناك قبائل قوية في السراة. فإنه يوجد كذلك قبائل قوية في تهامة. أما

---

(١) عبد الفتاح أبو عليه (دكتور)، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، مطابع الاوفست، الرياض ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص ٨٦.

(٢) Geographical Sechion of the Naval Intelligence Division, Naval Staff, Admiralty, Ahand Book of Aeabia, vil. lp. 129.

(٣) Geographicall Section of Naval Intelligence Division, op. cit, p. 131

بالنسبة للتمييز السياسي فإنه لا يوجد هناك أي تمييز سوى أن أمير عسير كله كان من قبيلة بني مغيد، أما فيما عدا ذلك فإنّ شيوخ القبائل يتمتعون بسلطة قوية وكلمة مسموعة في قبائلهم.

وفي عسير توجد قبائل مستقرة تشكل أغلبية السكان، ويعود ذلك إلى أن الظروف الطبيعية السائدة كانت تسمح بالزراعة الكافية التي تجعل حياة التجوال أمرا غير ضروري، وعلى الرغم من ذلك فقد كان هناك عشيرة أو عشيرتان في كل قبيلة تمارس الرعي وذلك نظرا للأوضاع الطبيعية السائدة. وقد انعكس هذا على ازدياد عدد السكان في عسير نظرا لتحسن نوعية الغذاء ووفرته ولأن الظروف فيها أنسب لحمل النساء ونمو الأطفال[1].

ويذكر أحد المؤرخين[2] أن مجاعة انتشرت في عسير عام ١٣٥٢هـ/ ١٨٣٦م. وإذا دققنا النظر في هذه المجاعة وأسبابها، فسندرك أنها نتيجة للموقف الصعب الذي كانت تعيشه إمارة عسير في ذلك الوقت الذي فقدت فيه كل موانئها الساحلية ولم يبق لها منفذ على البحر، وتصف إحدى الوثائق هذه الحالة فتقول: "تلقيت أمركم الكريم الذي قلتم فيه: يؤخذ من الأخبار التي حملتها اليكم سفينة بخار (الباخرة) أنه استولى على مخا والحديدة ولزم لذلك إرسال قوة عسكرية لتتولى حمايتها والدفاع عنها، وبناء على ذلك أمرتم باستدعاء الآى قوى ونشط من الآلايات التي في بر الشام وإرساله إلى هناك[3].

---

(١) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، عسير قبل الحرب العالمية الأولى، العدد ٢٤، ص ١٧١.

(٢) عبد الله بن مسفر، أخبار عسير، ط ٢، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٩٨.

(٣) الوثيقة المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة ٢٥٠ عابدين، رقم، ٢٨٨، مؤرخة في ٢١ شوال ١٢٥٠هـ، مرسلة من إبراهيم باشا إلى صاحب الدولة.

وعلى الرغم من انتشار المجاعة في عسير في هذه السنوات إلا أن ذلـك لم يمنع عـائض بن مرعي أمـير عسـير آنـذاك من بنـاء الحصـون والقلاع والمساجد والمدارس لأن البلاد بحاجة إلى ذلك(١).

وقـد حدثت بعض الثـورات في عسير، خـلال حكم أسـرة آل عـائض، وكانت تلك الثـورات قد أدت إلى الإخلال بالأمن والنـظام داخل تلك القبائل الثائرة، وقد حرص أمراء آل عـائض على مـلاحقة تلك الثورات والقضاء عليها.

ولم يحدث أن تهاون أمراء المنطقة مع أي ثـورة لأن ذلك سيؤدى إلى إفلات زمام البلاد من أيديهم فيـما لو تسـاهلوا مع تلك الثـورات. وقد ساعد ذلك على استتباب الأمن والهدوء في كل منطقة عسير(٢).

وفي الـواقع أن أهـل عسير مهـما قامت هنـاك من فتن وثورات، فإنهم يحبون الانضباط والانقياد للأمير القائم، ولا يحبون الخـروج على ولى الأمر فيهم، مادام هناك حاكم يحرص على الأمن والنظام، ويطبق أحكام الشريعة الإسلامية بأمانة وعدالة.

ولا يـزال كبـار السن في عســير يـذكــرون بمنتهى المـرارة زمن الفوضى التي سادت في فترة الحكم العثماني فيقـولون إن الإنسـان كان لا ينام مطمئنا إلا وسلاحه في يده، ولا يـأمن على نفسـه أو مالـه لحظة واحدة. ويعود ذلك إلى عدم وجود سلطة محلية قـوية تؤدب العصـاة، فيصبح الإنسان مضطرا للدفاع عن نفسه حتى لو كان غير مقتنع بذلك ولا محب له. ولذلك فأن كل الذين عاصروا تلك الفوضى يدعون الله

---

(١) عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ٩٨.

(٢) الحسن بن أحمـد اليمنى، الدر الثمـين، حققـه عبـد الله بن حميـد، دار الفكـر بـدمشق ١٣٩٨هـ/ ص، ٢٨، ٣٩.

ـ محمد العقيلى، تاريخ المخلاف السليماني، جـ ١، طـ ٢، ص ٥٤٥.

أن يمكّن أولى الأمر من المحافظة على الأمن والنظام[1].

وتشير المصادر[2] التاريخية إلى بعض الكوارث التي تعرضت لها عسير ففى عام ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٣م اجتاح الجراد عسير وسبب أضرارا كثيرة بالمزروعات والأشجار الطبيعية والآبار، وفي عام ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م وقع قحط شديد في عموم منطقة عسير، ولم تفصّل المصادر الحديث عن ذلك القحط، ولكنها ذكرت أنه بعد فترة أنزل الله الغيث على عباده وزال ذلك القحط وتلك المجاعة. أضف إلى تلك الكوارث السابقة أن انتشر الطاعون[3] في عسير واستمر لمدة سبعة أعوام متتالية من عام ١٢٦٦ ـ ١٢٧٣هـ/ ١٨٤٩ ١٨٥٦م وتوفى بسببه خلق كثير منهم عائض بن مرعي نفسه.

وأرى أن هناك مبالغة كبيرة في استمرار وجود الطاعون في عسير لمدة سبع سنوات، بدليل ما ذكره حسن بن أحمد اليمنى صاحب كتاب الدر الثمين[4]، من أن عائض بن مرعي قد مرض بالطاعون أثناء حصارة للحديدة عام ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م وأنه سقط أعداد كبيرة من جنده بذلك المرض الذي انتشر فجأة بين الجنود والسكان. فلو أن الطاعون كان منتشرا قبل ذلك لما استطاع عائض أن يشن أي حرب على المخلاف السليماني أو على العثمانيين في الحديدة.

(١) حصلت على هذه المعلومات خلال مقابلتى لعدد من كبار السن في منطقة عسير، وهم ممن عاصروا عهد الفوضى أيام الحكم العثمانى لعسير.

(٢) هاشم النعمى، تاريخ عسير في الماضى والحاضر (بدون ت)، ص ٢٠١.

(٣) الطاعون: هو وباء فتاك معروف عند الجميع، ويقول كبار السن في عسير أن مرض الطاعون كان يقضى على من يصيبه في الغالب، وكانوا يقولون أنه لا يمرض إلا الذي يخاف من المرض، وأما الذين يعتقدون أنه لن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم فإنهم ينجون منه بأذن الله.

(٤) حسن بن أحمد اليمنى، الدر الثمين، ص ٣٣، ٣٤.

وإضافة إلى انتشار الطاعون في عسير والذي انتشر بين السكان في تهامة عسير عام ١٢٤٢هـ، فهلك بسببه خلق كثير من سكان تلك المناطق[١].

وبعد القاء نظرة شاملة على الحياة الاجتماعية في عسير خلال حكم آل عائض ندرك أن البلاد لم تسلم من المجاعات والكوارث الطبيعية المتنوعة، ولكن البلاد عاشت في أمن واستقرار، خلال حكم آل عائض بخاصة منذ جلاء قوات محمد علي عن جزيرة العرب فقد كان هناك اهتماماً كبيراً بالأمن، وتم القضاء على السرقات وقطع الطرق والتمرد، وكثيرا ما كان أمراء عسير يقومون على رأس الحملات التي تؤدب القبائل المتمردة، وهذا الاهتمام الشديد بالأمن مكن المواطنين من التفرغ لأعمالهم تاركين هم الدفاع عن أنفسهم وأموالهم للأمير القائم.

ومما يدل على أن هناك بعض الرخاء في عسير، هو أنه يقدر ما وجد في خزائن ابن عائض بستة وثلاثين صاعا من اللؤلؤ[٢] - ويرجح الأستاذ أبو داهش[٣] أن هذا الثراء كان مقصوراً على عدد محدود من ذوى الجاه أما سائر الناس فقد انحصرت حياتهم المعيشية والاجتماعية في الزراعة وتربية الماشية والصيد البحري.

---

(١) حسن بن أحمد اليمنى، عقود الدر في تراجم علماء القرن الثالث عشر، مخطوط، جامعة الملك سعود، قسم المخطوطات رقم ١٣٣٤، تاريخ النسخ ١٣٤٦هـ، ورقة ٤٤.

(٢) القاضي حسين بن أحمد العرشى، بلوغ المرام في شرح مسك الختام، في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام، نشره الأب انستاس الكرملى، مطبعة التبريزى، القاهرة ١٩٣٩م، ص ١٠٦.

(٣) عبد الله بن محمد أبو داهش: الأدب في جنوبى البلاد السعودية خلال القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية اللغة العربية جامعة الملك سعود)، ص ١٦.

وكـان من أسباب تـردى الحالـة الاقتصـاديـة تسلط المصـريـين والأتراك على أجزاء من تهامة عسير حيث تفشى خـلال حكمهم الجهل والفقـر والعصبية القبليـة وانهيـار مستـوى الأمن والمعيشـة ثم نشـوب حروب قبلية طاحنة يدل عليها ما أقيم من حصون ومعاقل حربية[1].

ولا يزال كبار السن يتحدثون عن مدى ما كان يعانيه الناس من السرقات للمواشى، وكذلك مداهمة المزارع ليلا وحصد محصـولها حتى قبـل أوانـه، وكـان يقـوم بـذلـك بعض العـاطلين والجـائعـين الـذين لا يجدون ما يسـد رمقهم فتكون وسيلتهم الـوحيدة هي الحصـول على لقمـة العيش بكل السبـل وإلّا هلكوا جـوعا. وكـانت الطريقـة المثلى لاسـترداد الحق أن يعمل صـاحب المال عـلى التعـرف عـلى السـارق، ويقوم باخبار أقاربه من ذوى الكلمة المسمـوعة، فيقـومون عـلى الفور بسد ما أخذه ذلك الجائع. وكان من الأمور الايجابية فيهم أن السـارق لا يستطيع أن يقسم بالله ظلما وأنما يعترف مباشرة إن كان هـو السارق ويقـوم هو وذويـة بسداد تلك السـرقة، ولا تحـدث أي مـواجهـة بـين السارق وصاحب المال، لأن مجرد معرفة السارق يعتبر ضماناً لـهُ بأنّـه سيحصل عل ماله كاملا[2].

العمارة في عسير وفن البناء فيها:

أما بالنسبة للعماره في منطقة عسير، فهى تختلف من منطقـة إلى أخرى، فنوع المناخ والبيئة الطبيعية يتحكمان في العمارة في أي منـطقة من المناطق. ففي تهامة كانت تبنى المسـاكن بخشب الأراك، ثم تغطى بحـزم الحشيش، كما تصهـر من الداخـل بروث البقـر، وتكلس بعـد

---

(١) عبد الله بن محمد أبو داهش، المراجع السابق، ص ١٦.

(٢) كـل المعلومات السـابقة حصلت عليهـا من بعض كبار السن في عسـير الذين عـاصـروا فترات المجاعات الشديدة التي كانت تمر بها المنطقة.

ذلك فتصبح قاسية كالحجارة، ثم تكسى بأصداف عـرق اللؤلؤ، وكان لكبار القوم عشتان إحداهما للرجال والأخـرى للنساء[١]. وتحيط بتلك المنازل أسوار من القصب والحشائش، أرضية المنـازل تصهر بـالطين، وهنـاك أماكن مخصصـة للطهى والنار. أمـا الأسرة فتنسـج من الحبال والسيور الجلدية[٢]، وهى تشبه الأسرة السودانية إلى حد كبير[٣]، ومما لا شك فيه أن هذا التشابه يدل على أن هناك اتصالا بين منـاطق عسير والسودان.

أمـا في منـطقـة العقبـة والجبـال فقـد بنيت المنـازل هنـا لتعيش طويلا، لأن الإنسان في تلك المنطقـة يعتبر المنـزل قلعته الحصينة[٤]. وتمتـاز المنازل في جبـال السروات بتـأثـير البيئـة الجبليـة حيث تتكـون طبقاتها من أثنتين وثلاث طبقات، وتبنى بالحجـر، وقد تبنى بـاللبن في أبها وقحطان وبيشه[٥].

ويسكن شيوخ القبائـل في منازل بنيت من الحجـارة ولكنّها غـير متنـاسقة في تـوزيعها الـداخلي. وفي بعض الأحيـان تتكـون من عـدة طوابق، وأبوابها صلبة ونوافذها مربعة وأقفالهـا خشبية. والسقـوف في معظم الأحيان مسطحة تحملهـا أعمدة تفـرش عليها فـروع الأشجار، ثم يعلوهـا طبقـة من الـطين، ويحيط بهـذه المنــازل أسـوار بنيت من الحجارة ويوجد النمط نفسه في منطقة شهـران وقحطان ولكن الـطابق

---

(١) جاكلين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب، خمسة قرون من المغامرة والعلم، تـرجمة قـدرى قلعجى، دار الكاتب العربى، بيروت (بدون تاريخ)، ٢٦٨، ٢٦٩.

(٢) في الحقيقة أن الاسرة المعروفة في تهامة تتكون قوامهـا من الأخشاب، أمـا سيورهـا فهى من سعف النخيل.

(٣) Geographical Section of the Naval Intelligence Division, *op. cit.*, p. 35

(٤) Geographical Section of the Naval Intelligence Division, *ibid*, p. 35

(٥) سيد الماحى: نجران الحديثة: (بدون)، ص ٧٨.

الثاني العلوى يبنى من الطين بدلا من الحجارة(١). ويلاحظ على سكان جبال السروات أن لهم عناية فائقة في بناء البيوت وتنظيمها وتحصينها(٢). وقد يعود ذلك إلى طبيعة المنطقة الجبلية، حيث البرودة الشديدة، وتوفر الحجار اللازمة والنشاط الذي يلازم السكان.

أما أثاث المنازل فبسيط، ولكنه نظيف ومنسق. ويتكون الفرش من الأبسطة المصنوعة من فروع النخل. أو من الفرو وهو من جلود الغنم. أما بالنسبة للمطابخ فإن البيوت الكبيرة تحتوى على مطابخ منفصلة ومجهزة(٣).

أما طريقة تناول الأكل فلا تختلف عن الطريقة السائدة في جميع مناطق الجزيرة العربية، وهي الجلوس على الأرض حول أطباق الأكل في شكل دائري مع استعمال الأيدي في الأكل. ولا تتوفر الإنارة باستعمال (الكاز) إلا في المنازل الكبيرة التي يملكها الأغنياء فقط(٤).

وكانت تستخدم الأوانى النحاسية التي تجلب من عدن ومكة المكرمة، وأما الأوانى الأخرى فهي تصنع محليا خاصة من الفخار(٥). إضافة إلى الأوانى الخشبية التي تصنع من الأخشاب المختلفة.

كما أعتنى أمراء عسير عناية كبيرة بعمران بلادهم. حيث قام الأمير عائض بن مرعي بإقامة عدد من المساجد في السقا وريدة وأبها.

---

(١) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، المقال السابق، العدد ٢٤، ص ١٧٢.

(٢) مجلة العرب، بلاد العرب في مذكرات سليمان شفيق باشا، مجلة، جـ ٩، ربيع أول ١٣٩١هـ، ص ٨٦٣.

(٣) Geographical Section of the Naval Intelligene Division, op. cit,r, 35

(٤) مجلة دراسات الخليج العربية، المقال نفسه، العدد ٢٤، ص ١٧٢.

(٥) Geographical Section of the Naval Intelligence Division, ibid, r35

كما أقام عدداً من المدارس، [١] بالإضافة إلى العناية الفائقة بالزراعة، فقد تم إصلاح عدة مناطق زراعية وزرعت بمختلف المزروعات، كما تم حفر ما يقرب من ثلاثين بئرا في منطقة القاع ببيشه[٢].

وتعد عسير من أكثر مناطق شبه الجزيرة العربية عناية ببناء القلاع والحصون الحربية، حيث انتشرت القلاع الحربية في كافة مناطق عسير. ولم تكن تخلو مدينة أو قرية كبيرة من قلعة أو قلاع محصنة مملوه بالزاد والعتاد والماء. ومما ساعد العسيريين على بناء تلك القلاع الحصينة توفر المواد اللازمة لذلك، من حجارة صالحة للبناء، وأخشاب قوية، حيث تستخدم للسقوف والأبواب والنوافذ[٣].

وقد حرص العسيريون على تحصين مناطق تعتبر استراتيجية ويعتبر الدفاع عنها مسألة ضرورية وحيويّة. حيث تم انشاء قلاع وحصون مشهورة في أبها مثل: حصن شدا المشهور والذي لا يزال قائما إلى اليوم[٤]. أما في السقا، فقد، أقيم فيها شبكة من الحصون تتكون من أبراج مراقبة على أطراف المدينة، وفي داخلها مجموعة من الحصون الكبيرة المشحونة بالرجال والعتاد والزاد[٥]. كما كان يحتفر في أسفل معظم الحصون بئرا لتوفير مياه الشرب لمن فيه[٦].

أما بالنسبة لقلعة ريدة الحصينة فتقع في تهامة جهة رجال ألمع ويحيط بها خمسة أبراج من الحجارة الصلبة، ويوجد بهذه الأبراج

---

(١) محمود شاكر، شبه جزيرة العرب ـ ١ ـ عسير، ط ٣، المكتب الاسلامي، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٢٠٣.
(٢) عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١١٦.
(٣) هاشم النعمى، المصدر السابق، ص ١٩١، ٢٠٢، ٢١٤.
(٤) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ٢٠٣.
(٥) عاطف باشا، يمن تاريخي (باللغة التربية)، جـ ٢، استانبول ١٣٢٦، ص ٢٠.
(٦) هاشم النعمى، نفسه، ٢٠٢، ٢١٤.

الخمسة فتحات للبنادق والمدافع الخفيفة التي تمكنهم من الدفاع عن القلعة، أما في الداخل فيوجد حصن كبير به خمسة أدوار وله فتحات صغيرة لاطلاق الرصاص منها. كما يوجد بها عنابر لتخزين المؤن. كما أوجدوا داخل القلعة مخازن لتخزين الحبوب وآبارا للمياه. ويدافع عن القلعة حوالى ستمائة نفر[1]. تسمى الأبراج التي تدافع عن القلعة بأسماء قبائل المنطقة المشهورة لأهداف سياسية[2].

ويعتبر ما سبق عبارة عن أمثلة قليلة عما كانت عليه عسير من عناية بالقلاع والحصون وقد استطاع العسيريون أن يصمدوا في هذه القلاع. وأن يهزموا معظم الحملات التي واجهتها عسير، ولم يتمكن من السيطرة على قلعة ريدة إلا القائد التركي رديف باشا عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م.

ملامح من الوضع الاقتصادي

تمهيـد:

يستطيع الباحث أن يؤكد أن كل مناشط الإنتاج موجودة في عسير. فهناك الزراعة التي تعتبر المهنة الرئيسية للسكان، وهناك التجارة التي يعمل فيها عدد غير قليل من سكان عسير. إضافة إلى الرعي الذي لا غنى عنه لأي مجتمع قبلى إضافة إلى العمل في الموانيء الكثيرة المنتشرة على طول سواحل عسير، وكذلك الصناعة التي تكاد عسير تكتفي فيها ذاتيا.

(١) عاطف باشا، المصدر السابق، جـ٢، ص ٣١.

(٢) هاشم النعمى، نفسه، ص ٢١٤.

وفي الواقع أن العلاقة بين البادية والريف لم تكن متوازية على الإطلاق بل كانت متداخلة ومتفاعلة. فلم تكن هناك مجتمعات زراعية لا ترعى الحيوان وإن اختلفت درجة التنقل بينها وبين الرعاة. كما أن كثيراً من التجمعات الرعوية كانت تمارس الزراعة موسما أوعدة مواسم، وإن تفاوتت مدة الاستقرار بينها وبين المجتمعات الزراعية. وكانت الأسواق تمثل مركز التفاعل بين مجتمعين. وإن احتفظ كل مجتمع بنظرته الخاصة للمجتمع الآخر[1].

تذكر المصادر أن عسير كانت تعيش حياة بدائية بسيطة قليلة التعقيد[2]. كما أن أهالي عسير كانوا يعانون من الجهل والبطالة، وذلك لعدم وجود وسائل للعمل، ولذلك فقد كان الولاة العثمانيون الذين تولوا تصريف أمور عسير يطالبون من الدولة العثمانية إيجاد وسائل للعمل لكل العاطلين في عسير عن طريق استخدامهم في الخدمات المختلفة لتأمين حياتهم ومعيشتهم اليومية[3].

ومع استبعاد أن تكون عسير تعيش في رخاء كبير خلال فترة حكم آل عائض. إلا أنه من المؤكد أن المصدر التركي السابق يبالغ في وصفه سوء الأحوال في عسير بهدف اقناع الدولة العثمانية بأن سبب الثورة يعود إلى البطالة المتفشية والفقر المنتشر في عسير.

---

(١) عمر الفاروق السيد رجب، دراسات في جغرافية المملكة، ط ١، دار الشروق جدة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص ١٠٩.

(٢) Geographica Section of the Naval Intelligence Division, *op.cit.*, p. 139.

(٣) عاطف باشا، يمن تاريخ (باللغة التركية، جـ ١، استانبول ١٣٢٦هـ، ص ١٥٠.

التجارة في عسير:

تذكر الوثائق[1] أن هناك سلعتين مهمتين كانتا تصدران من عسير: هما البن والجلود فكان البن يستورد من الحديدة ومخا وعدن وتعز، وكانت كمياته تشترى بواسطة الوالي التابع لمحمد علي في اليمن. وقد كتب ذلك الوالي إلى محمد علي يشكو من قلة الفرانسة لديه، ومن هنا لم يتمكن من شراء البن من مخا وعدن والحديدة وتعز، فاكتفى بشراء كميات قليلة من الحديدة.

ومع أن البن كان يستورد من مناطق لم تكن تابعة لعسير أثناء وجود قوات محمد علي في اليمن، إلا أن تلك المناطق سبق أن خضعت لعسير، وكذلك فقد خضعت لعسير في فترات لاحقة مما يعطي فكرة عن ازدهار البن في مواني عسير واليمن.

وكان البن القادم من عسير يرسل إلى القنفذة وبعد أن تؤخذ عليه الجمارك يرسل إلى جدة، وقد عمل هذا الترتيب بناء على اقتراح محافظ القنفذة وذلك بهدف المحافظة على حاصلات جمرك القنفذة. ومما ورد في الوثيقة[2] «قرار صادر من مجلس جدة بالموافقة على اقتراح محافظ مكّة الخاص بلزوم عدم إرسال البن الوارد من عسير إلى جدة مباشرة، وارساله بطريقه للمحافظة على حاصلات جمركها».

والجدير بالذكر أنّ القنفذة كانت في عام ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م خاضعة لقوات محمد على التي استطاعت الاستيلاء على السواحل دون

---

(١) محفظة ٢٦٤، عابدين، وثيقة رقم ٢٢، مؤرخة في ٦ محرم ١٢٠٤هـ، من إبراهيم توفيق إلى جانب محمد علي، محافظ أبحاث الحجاز.

(٢) دفتر ١٥٦ مجلس ملكي، مكاتبة ٢١٤، قرار صادر من مجلس جدة، مؤرخ في ١ ذى القعدة ١٢٥٣هـ، محافظ أبحاث الحجاز.

أن تتمكن من التوغل إلى داخل عسير التي ينتج فيها البن، مما يدل على أنه كان يسمح للمواطنين بتصدير منتجاتهم للمناطق التي تسيطر عليها قوات محمد علي، مع أن الحرب قائمة بين الفريقين.

أما بالنسبة للجلود فقد كانت تصدر كذلك عن طريق القنفذة إلى جدة، حيث كانت ترسل النقود اللازمة لشراء هذه الجلود وبعد ذلك يتم تحميلها وارسالها إلى جدة[1]. مما يدل على كثرة الثروة الحيوانية التي توجد في عسير بخاصة وأن الجلود السابقة الذكر مرسلة من القنفذة وحدها، ومن المعروف أن مناطق القنفذة تشتهر بتربية المواشي باختلاف أنواعها.

وكانت سواحل تهامة رافدا مهما من روافد العيش، وذلك لما في البحر من ثروة سمكية ولؤلو، واشتهر من تلك الموانىء ميناء جازان الذي تطور تطوراً ملحوظاً حيث كان يعج بحركة تجارية خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري العشرين الميلادي حيث كان يتم تبادل البضائع المستوردة بما يحمله الأهالي من منتجاتهم المحلية من حبوب وغيرها[2]. ويدلنا ازدهار هذا الميناء خلال هذه الفترة على أن الموانيء الأخرى كانت مزدهرة في الفترات السابقة مثل حلى والقنفذة والموسم ومخا والحديدة.

ومثلما كانت عسير تصدر سلعتين مهمتين فقد كانت بالمقابل تستورد سلعتين هامتين هما: الحبوب والأقمشة. فعلى الرغم من غنى منطقة عسير في الحبوب إلا إنه كان يرد إليها مقادير مختلفة من القمح

---

(١) دفتر ١٥٦ مجلس ملكي، مكاتبة ١٢٠، مؤرخة في ١١ ربيع الثاني ١٢٥٣هـ تقرير مرسل من محافظ جدة إلى محافظ القنفذة، محافظ أبحاث الحجاز.

(٢) أمين الريحاني، ملوك العرب، جـ ١، ط ٣، بيروت ١٩٥١م، ٣١٧.

من الهند ومسقط[1]، ولذلك فقد تم تكليف محافظي مخا والحديدة بأن يرسلا الدفاتر المبيّنة مقادير القمح الواردة إلى بنادرهما من جهات الهند ومسقط إلى مجلس جدة.

وأرى أن مرد عجز المنطقة في اكتفائها من الحبوب يعود إلى تواجد قوات محمد علي في عسير، والتي بدلا من أن تستورد الحبوب من مصر كانت تشتريها من السكان المحليين، في مواسم الإنتاج حتى تكون الحبوب رخيصة[2]. وعندما تحدث الأزمة يضطر الأهالي إلى شراء القمح من الهند وعمان.

وكانت عسير تعتمد على الاستيراد من الخارج للحصول على الأقمشة اللازمة. وكان مصدر الأقمشة الأساسي في البداية هو مصر، واستمر الوضع كذلك حتى عام ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م، ثم بدأت أنواع جديدة تغزو أسواق عسير. وأهم تلك الأنواع: دولايتي وأمريكانى. ويعتبر ورود هذين النوعين الجديدين من الثياب في مصلحة أهالي البلاد حيث تزايدت المنافسة، وأصبح هناك تخفيض في أسعار هذه الأقمشة، وذلك لأنه ثبت أن الواردين الجديدين كانا أحب إلى أهل عسير لكونهما أوفر طولاً وأكثر قبولاً للصبغ[3].

ومن هنا فقد أصبحت هناك مزاحمة للانتاج المصري من قماش البفتة، حيث علم إبراهيم توفيق محافظ الحديدة بأنه لا يمكن توزيع اثنى عشر ألف ثوب في بندر الحديدة وتوابعها، وهذا يدل على نقص الإقبال على الإنتاج المصري من ناحية، ومن ناحية أخري فإنه يدل

(١) دفتر ١٥٦ مجلس ملكي، مكاتبة ٢٢، قرار صادر من مجلس جدة في ٢١ محرم ١٢٥٣هـ، من مجلس جدة إلى محافظة مخا والحديدة، محافظ أبحاث الحجاز.

(٢) ترجمة الوثيقة رقم ٥٣، دفتر رقم ١٥٦، مجلس ملكي، صفحة ٨، مؤرخة في صفر ١٢٥٣هـ، تقرير من مجلس جدة. محافظة أبحاث الحجاز.

(٣) محفظة ٢٦٤ عابدين تركي، وثيقة نمرة ٢١٣ حمراء، مؤرخة في ١٤ شعبان ١٢٥٤هـ.

على حالة الفقر المتفشية بين الناس، فمن المعلوم أن مخا والحديدة هما ميناءين في منطقة عسير واليمن، ويأتي عن طريقهما كل البضائع المستوردة، فكيف لا يتم توزيع سوى هذه الأعداد القليلة من الأقمشة المصرية[1]؟.

واليك بيانا بالكشف الذي ورد في الوثيقة السابقة عن إجمالي الوارد لموانىء مخا والحديدة:

ولايتى

مقصود طاقة	خام طاقة	بركالة	مريكنى
٧٠٢	٢٢٠٦	طاقة	طاقة
٢٩٠٨		٤٢٢٢٣	٦٢١٠

المجموع العام ٩٣٤١[2]

وأعتقد أن الأعداد السابقة أعداد قليلة بالنسبة إلى منطقة مزدحمة بالسكان مثل عسير وشمال اليمن. وقد تكون هناك مصادر أخرى للألبسة. ولكن من المؤكد أن الجزء الرئيسى يأتي عن طريق الحديدةومخا لقربها من عسير ولاتصال تجار عسير بها، كما أن التبادل التجارى كان مستمراً بين عسير وبين الموانيء الساحلية التي تمكنت قوات محمد علي من السيطرة عليها لفترة من الزمن ولكن ليس لدينا ما

(١) الوثيقة السابقة رقم ٢١٣ حمراء.

(٢) من الجدير بالذكر أن الاحصائية السابقة هي للمقدار الوارد من الجهات الخارجية خلال الفترة من عام ١٢٥١هـ ـ ١٢٥٣هـ. ولم يشمل الكشف الإنتاج المصري وهو البفتة الذي أرادت مصر الاستمرار في توريده، ولكن المزاحمة جعلتها تقلص المقدار المورد إلى هناك خشية عدم إمكانية توزيعها في عسير واليمن.

يؤكد أن الحركة التجارية في هذين الميناءين قد استمرت بنفس النشاط بعد رحيل قوات محمد علي من المنطقة.

أما بالنسبة لوسائل المواصلات المستخدمة لنقل البضائع من السواحل إلى الداخل، فكان سكان عسير يعتمدون على الجمال بشكل رئيسي لنقل بضائعهم، وكان أصحاب الجمال يسيرون في قوافل مسلحة لحماية بضائعهم من قطاع الطرق الذين يظهرون في بعض المناطق الغير مأهولة، والتي لا تخضع لسيطرة قبيلة من القبائل القوية[1]. وكان يشتهر سكان رجال ألمع بنقل البضائع من السواحل والمتاجرة بها في الأقسام الداخلية من عسير، حتى أنهم احتكروا التجارة في معظم منطقة عسير، ويعود ذلك إلى موقعهم المتوسط بين السراة وتهامة، بالإضافة إلى قوتهم وشدة تنظيمهم مما مكنهم من كسب ثقة جميع القبائل وبالتالي فلم يتمكن أحد من مضايقتهم في تجارتهم[2].

الزراعة وتربية المواشي:

تعتبر منطقة عسير منطقة غنية زراعياً، وقد أدى توفير التربة والماء إلى اتجاه سكان عسير وجيزان إلى الزراعة الدائمة والإستقرار حول مزارعهم[3]. وتعتمد الزراعة في عسير على الأمطار الموسمية، التي تنحدر من التلال حيث تقام لها السدود، وتشق القنوات لتوصل المياه إلى الأراضي الزراعية المجاورة[4].

---

(١) حصلت على هذه المعلومات من بعض كبار السن في منطقة عسير.

(٢) Cornwallis, Sir Kinahan Aser before World War I, a hand book, Cambridge, England, p. 60.

(٣) عمر الفاروق السيد رجب، المرجع السابق، ص ١١١.

(٤) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، المقال السابق، العدد ٢٤، ص ١٧٣.

ويوجد موسمان للمحصولات الزراعية هما: محصول الربيع ومحصول الصيف، وأهم المحصولات الدخن والذرة والسمسم والقطن والخضروات والفواكه. وأكثر انتاجية تقع بين حلي والقنفذة ومخلاف اليمن. وفي الداخل يزرع السمسم والذرة على التلال والسهول الواسعة المرتفعة خلال الشتاء، على حين أن المحاصيل الصيفية هي القمح والشعير والعدس والبطاطس والبصل، وفي وادعة تزرع كميات كبيرة من كروم العنب التي تحوّل إلى زبيب يباع في شتى ربوع عسير. وفي منطقة بني مالك وأبها يزرع التين والعنب والخوخ والزيتون وهو من نوع رديء.

ويزرع البن في الجبال المنخفضة نسبياً مثل جبل عيس، وثربان، وهادا. وأثرب[1]. وتنمو كروم العنب في مناطق قليلة على الساحل مثل (برك)، إلا أن معظم الإنتاج الزراعي يوجد في وادى بيشه الخصيب، حيث تزرع كميات كبيرة من الليمون والبرتقال. وتعتبر عسير الداخلية أغنى من تهامة، وتشتهر سلسلة الجبال الرئيسية في الوسط والجنوب بانتظام الانتاج[2].

وإليك احصائية للإنتاج في سنة من السنوات وهو كالاتي: خمسمائة ألف فرق من الشعير، وكذلك خمسمائة ألف فرق من الذرة: وأربعمائة ألف فرق من البر، وأربعمائة ألف فرق من الدخان، وعشرة آلاف فرق من السمسم، وعشرين ألف صفيحة من السمن، وتسعة آلاف صفيحة من العسل[3].

---

(١) هاشم سعيد النعمي، المصدر السابق، ص ٣٠ ـ ٣٢.

(٢) Geographical Section of the Naval Intelligence Division, *op.cit.*, p. 130.

(٣) اخذت هذه المعلومات من مالية أبها لسنة من السنوات، وهي المقادير التي دفعت زكاتها فعلا. انظر هاشم النعمي، نفسه، ص ٣٣.

وإذا أمعنا النظر في الإنتاج الزراعي السالف الذكر أدركنا مدى غنى المنطقة زراعياً، مع العلم أن هناك مناطق كثيرة كانت تدخل في عسير أيام آل عائض لم يشملها الاحصاء السابق، مثل بيشة وبلاد غامد وزهران وشمران فهي مناطق لا تعتبر تابعة لعسير، إضافة إلى مناطق كثيرة من تهامة المخلاف السليماني. ومعنى هذا أن البلاد تعيش أحياناً في رخاء ورغد، بخاصة إذا هطلت الأمطار في عسير، لأن الإنتاج السابق لو تحقق فهو يكفي المنطقة بكاملها. ومما يجعل المعلومات السابقة صحيحة هو أن زكاتها دفعت فعلا فليس هناك مجال للتشكيك في صحة تلك البيانات. مع العلم أن البلاد. كانت ولازالت تستعمل الطريقة التقليدية في الزراعة، مما يجعل الظروف التي كانت سائدة وقت إعداد التقرير هى نفس الظروف التي كانت تعيشها عسير خلال الفترة الممتدة من ١٢٤٩ - ١٢٨٩هـ / ١٨٣٣ - ١٨٧٢م.

أما بالنسبة لتربية الماشية في إقليم عسير، فإنه بالرغم من أن أغلب السكان قرويون وأن نسبة البدو فيهم ضئيلة جداً إلا أنهم أهل عناية فائقة بتربية الماشية وقد اشتهرت هذه المقاطعة بتصدير قسم كبير من الأغنام والأبقار والإبل إلى الحجاز ونجد بصورة مستمرة. وقد بلغ احصاء الماشية في عسير خلال سنة من السنوات بالآتي:
حوالي مليون رأس من الضأن والماعز، وستون ألف رأس من البقر، وعشرون ألف رأس من الإبل[1]. وكل الاحصاءات السابقة مستقاة من كشوفات الزكاة السنوية بمالية أبها.

وأرى أن الاحصاءات السابقة تقل كثيراً عن الواقع في منطقة عسير. لأن هناك أعداداً كبيرة من الماشية تربي في مناطق عسير السهلية

---

(١) هاشم سعيد النعمي، المصدر السابق، ص ٣٣.

الغربية، حيث تنتشر قبائل بدوية كثيرة يملك الفرد فيها ألف رأس من أنواع الماشية بخاصة الضأن[1]. كذلك ينتشر في المناطق الشرقية من عسير في بلاد قحطان وشهران وبني شهر وبني عمر وغامد وزهران، عشائركثيرة من تلك القبائل وهم يملكون اعداداً كبيرة من الضأن والأغنام والإبل[2].

الصناعة:

نظراً لأن المجتمع العسيري مجتمع قبلي، تحكمه عادات قبلية متينة وقديمة فإنهم كانوا يحتقرون بعض الأعمال المهنية الشريفة والمفيدة للمجتمع بشكل عام. وكانوا يعتبرون من يمارس تلك الأعمال من طبقة متواضعة ولا يزوجون أو يتزوجون من تلك الطبقة، مما أدى بدوره إلى انحطاط مستوى الأعمال المهنية هناك بسبب قلة من يقوم بها من السكان، نظراً لعدم توافر المناخ الاجتماعى والاقتصادى المناسب لمن يقوم بهذه الأعمال، وأدى إلى ابتعاد أغلب الناس عنها.

وعلى الرغم من النظرة الاجتماعية الخاصة للصناعة في عسير، فقد وجدت هناك بعض الصناعات البسيطة، مثل صناعة بعض أنواع الملابس والمصنوعات الجلدية المختلفة، وصناعة الأبسطة والسلال والقبعات، وتنسج جميعها من فروع النخيل كما تصنع الخيام من أصواف الماعز والأغنام. بالإضافة إلى صناعة الأسلحة المعدنية من سيوف وسكاكين وجنابي[3]، وتصنع محلياً من الحديد الصلب الذي يجلب من عدن، كما تصنع الذخيرة البسيطة في عسير[4]، إلى جانب

---

(١) حصلت على هذه المعلومات من أهالي تلك المناطق السهلية الرعوية.

(٢) شرف بن عبدالمحسن البركاتي، المصدر السابق، ص ٨١ ـ ٨٣.

(٣) الجنابي: جمع جنبية، وهي سلاح يشبه السيف ولكنه أمتن منه، ويلبسه أهل عسير في وسط الجسم ويستعملونه بدلاً من السيوف.

(٤) Geographical Section of the Naval Intelligence Division, *op.cit.*, p. 135.

صناعة السروج وعدول الخرج والأحزمة الجلدية وغيرها بالإضافة إلى صناعة معظم الأواني المنزلية من الأخشاب المحلية في عسير[1].

العمـــلات:

أما عن النقود المتداولة في عسير وقتذاك، فلا يوجد ما يثبت أنواعها بالدقة المطلوبة. ولكن إحدى الوثائق[2] تذكر أنه كان يحوّل إلى أحمد باشا ثلاثة أنواع من العملات هي: الدبلن والجنورة والفرانسة. ونظراً لاختلاف قيمة هذه الأنواع الثلاثة، فقد حوّلت كلها إلى الفرانسة وعمل بها كشفاً لمعرفة نفقات أحمد باشا في الحجاز، ومما جاء في تلك الوثيقة[3]: «يأمر ولي النعم أن تحولوا مقادير الدبلن والجنورة والفرانسة التي أرسلت إلى دولة أحمد باشا سر عسكر الأقطار الحجازية منذ ذهابه إلى تلك الجهات إلى الفرانسة وتنظروا كم يبلغ ذلك فتعملوا به كشفا».

ولكون السكان يتعاملون بالفرانسة فقد كتب إبراهيم توفيق إلى الخديوية يشكو من قلة الفرانسة لديه، ويطلب مزيداً من النقود الفرانسة حتى يتمكن من شراء البن[4].

ومما يؤكد أن العملات المتداولة في عسير عام ١٢٥٤هـ / ١٨٤٨م كانت من فئة الفرانسة أبو طاقة، وقيمته عشرون قرشاً، هو أن إبراهيم توفيق قد كتب يطلب فئة ألف فرانسة من هذه النقود

---

(١) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، المقال السابق، العدد ٢٤، ص ١٧٢.

(٢) دفتر ٦٢ معية تركي، وثيقة رقم ٤٤٦، ورقة ٦٣، مؤرخة في ٢٨ شوال ١٢٥٠هـ مرسلة من المعية إلى البك خزينة دار. محافظة أبحاث الحجاز.

(٣) الوثيقة السابقة، رقم ٤٤٦.

(٤) محفظة رقم ٢٦٤ عابدين، وثيقة ٢٢، مؤرخة في ٦ محرم ١٢٥٤هـ. من إبراهيم توفيق إلى جناب محمد علي. محافظ أبحاث الحجاز.

لصرفها في ثمن الجمال ومصاريف أخرى[1]. وهذا يوضح أنه يتعامل مع الأهالي بهذه النقود لكونها الرائجة بينهم. ومما ورد في تلك الوثيقة: «من إبراهيم توفيق إلى وكيل الجهادية يطلب إرسال مئة ألف فرانسة من فئة أبو طاقة الذي بعشرين قرشاً، وذلك مصاريف العرضى في ثمن الجمال ومهمات وخلافة».

مع كون الفرانسة تعادل عشرين قرشاً، إلا أنه لاحظ أحمد باشا أنه لم يكن لها سعر ثابت في جبال السروات، فقد كان العرب في العلايا[2] وما جاورها من قرى يحسبون الفرانسة باثنى عشر قرشاً قديماً، وأربعة وعشرون قرشاً جديداً أي أنهم يعتبرون القرش القديم ضعفى القرش الحديث، ولم يكتفوا بهذا بل إنهم قد يعتبرون الريال الفرانسة بأكثر من أربعة وعشرين قرشاً جديداً. وعندما لاحظ أحمد باشا ذلك أدرك أنه إذا سمح للأهالي بالتلاعب في رفع قيمة الريال وحفضها حسب هواهم فإنه لن يصبح للفرانسة سعر معلوم، ولذلك فقد ألزمهم أن يكون لها سعر ثابت، وهو أربعة وعشرون قرشاً جديداً وإثنى عشر قرشاً قديماً. وعمم ذلك على قبائل شمران وبالقرن وبني عمرو، وحذرهم أن من يتعامل بغير هذا السعر عرضه للجزاء[3].
ومما ورد في تلك الوثيقة[4]: «لقد أعلمنا مجلس جدة بأن أهالى القرى التي هي في العلايا وما جاورها، لقد أخذت الفرانسة التي صرفت أجوراً للجمال ولمصروفات أخرى سبعة وعشرين قرشاً وأكثر، فكتب

(١) محفظة ٢٦٤ عابدين، صورة الوثيقة العربية رقم ٢٨ حمراء، مؤرخة في ٧ محرم ١٢٥٤هـ، مرسلة من إبراهيم توفيق إلى وكيل الجهادية.
(٢) العلايا: تسمى سبت العلايا وهى من أهم قرى قبيلة بلقرن في جال السروات.
(٣) محفظة رقم ٢٦٩ عابدين، ملخص الوثيقة رقم ١٦١ حمراء، عدد ١٥ مؤرخة في ١٣ جمادي الأخرة ١٢٥٥هـ.
(٤) الوثيقة السابقة، رقم ١٦١ حمراء.

لنا المجلس المذكور بموجب خلاصته أن تكون الفرانسة بسعرها الرائج وهو شيء واضح لأنّ القرش المصري القديم يأخذه العربي فيما بينهم بقرشين جديدين، والفرانسة باثنى عشر قرشاً قديماً وأربعة وعشرين قرشاً جديداً حتى بأكثر من ذلك وإذا سمحنا لهم بذلك فإن سعر الفرانسة يبقى غير معلوم . . الخ ».

وكانت العملة المتداولة في شتى ربوع عسير هي (الثلث أبو حوتة) Thilth Abu Hautah المصنوعة من النيكل، وقيمتها نصف قرش تركي[١]، وكان انتشار هذه العملة قبل الحرب العالمية الأولى، ومن المرجح أنها نفس العملة التي كانت متداولة زمن آل عائض، ويعود ذلك إلى أن القروش المستخدمة زمن آل عايض كانت القروش المصرية، ومادام سعر القرش الجديد نصف قيمة[٢] القرش القديم، فهو إذن ما يسمى بالثلث أبو حوته في المصادر الأخرى.

أما ريال ماريا تريزا، الذي كان يعرف محليا باسم ريال فرانسة، وقيمته اثنا عشر قرشا تركيا فقد استمر موجوداً حتى قيام الحرب العالمية. كما انتشرت فيها بعد العملة التركية، وتم التعامل بها في المناطق الواقعة حول أبها والقنفذة. ولكنها لم تكن مقبولة في المناطق الواقعة خارج السيطرة التركية عدا الليرة فإنها كانت تقبل بحذر شديد[٣].

---

(١) Geographical Section of the Naval Intelligene Division, *op. cit.*, p.136

(٢) نفس الوثيقة السابقة، رقم ١٦١ حمراء.

(٣) Geographical Section of the Naval Intelligene Division, *Ibid.*, p.137

ـ المؤتمر العالمي الأول للجنة العربية للدراسات العثمانية، عقد في تونس في الفترة من ٢٠ ـ ٢٦ يناير ١٩٨٤م، مقال للدكتور عبدالفتاح أبو علية النقود والموازين والمقاييس في سنجق الحسا في العهد العثماني ١٨٧١ ـ ١٩١٣م، ص ٨، ٩.

وكذلك كانت تنتشر العملة الإنجليزيـة والتى تعرف بـأبي خيال «Abu Khayyal» وهي أكثر قبولاً من العملة التـركية وقيمتـه تعادل ١٢٠ قرشاً تركياً. وفي منطقة تهامة تتداول عملة الآنا Ana سواء أكانت ذات وحدتين أو وحدة واحدة. وتعـرف هذه العملة بـوحدتيهـا «Two Anna «One Anna» أو أبو سراح «Abu Surah». أمـا الروبيـة فهي لا تتداول في منطقة عسير على أن المقايضة كـانت الوسيلة الـرئيسية للتبـادل في كثير من أنحاء عسير[1].

الأوزان والمكاييل والمقاييس:

لم يوجد في المصادر المتوفرة بين أيدينا ما يحدد لنـا نوعيـة الموازين والمكـاييل التي كـانت موجـودة في منطقـة عسير خـلال فتـرة حكم آل عايض. ولكن هناك مصـادر تتحدث عن مـوازين عسير ومكـاييلها في الفتـرة السابقـة للحرب العـالمية الأولى. ومن المستبعـد أن يكـون قـد حدث تغيير كبير في تلك الموازين والمكاييل خلال الفترة التي لا تتعـدى ثـلاثين عـاماً، وبخـاصة أن العملة لم تتغـير كثيـراً، كـما أن المكـاييـل الخشبية المذكورة قبل الحرب العالمية الأولى لا تزال معروفة إلى اليوم في منطقة عسير.

أما بالنسبة للمناطق العسيرية التي كانت خاضعـة للأتـراك قبل الحرب العالمية الأولى فقد أدخل فيها العثمـانيون نـظمهم المعروفـة من الأوزان والمكاييل أما في المناطق الجبلية فقد كانت الأواني المصنوعة من الخشب تستعمل لكيل المنتجات الجافة والحبوب على النحو التالي:

١ ـ المد يساوى ثلاث أقق.

٢ ـ الصاع يساوى أربعة أمداد.

٣ ـ الفـرق يسـاوي ثـلاث أصـواع، أو اثني عشر مـدا. وتستعمـل

---

(١) Geographical Section of the Naval Intelligene Division, *op. cit.*, p.137

الأواني التي تمثل نصف ثمن من الصاع في الكيل[1].

ويختلف النظام في تهامة على النحو التالي:

١ ـ الكيلة تساوي أربع أقق.

٢ ـ الصاع يساوي أربع كيلات.

٣ ـ الفرق يساوي ثلاثة أصواع[2].

ومن الجدير بالذكر أن الاعتماد على الكيل لم يكن بشكل ثابت، بل كان ذلك مقتصراً على الأسواق الكبيرة، أما فيما عدا ذلك فإنهم كانوا يعتمدون على القياس النظري والذي كان يعتمد على وضع السلع في أكوام، وتقديرها تقديراً نظرياً باستعمال العين المجردة، ومن ثم تقدير ثمنها[3].

وقد حاول المصدر نفسه[4] تحديد الوحدات القياسية للأرض كما هو الحال في بعض البلاد العربية، فذكر أن الأرض تقاس بالفدان الذي يعتبر أصغر من الفدان المصري. وأورد بعض التسميات المعروفة للقطع الزراعية في عسير مثل: فلق، وركيب، وزهب وركيبة.

وفي الواقع أن المزارع في عسير تتمتع بوضع خاص، حيث أن كل مزرعة منفصلة عن الأخرى بحدود من الحجارة والتراب،

---

(١) مجلة لغة العرب: عدد ٨، السنة الثالثة، ربيع الأول ١٣٣٢هـ/ شباط (فبراير) ١٩١٤م، ص ٣٩٥.

(٢) لاتزال هذه المكاييل موجودة إلى اليوم في عسير، ونفس الفرق الذي كان موجوداً بين مكاييل السراة وتهامة، لا يزال قائماً إلى اليوم، حيث تتفرق مكاييل تهامة، لأن المد يساوي ثلاث أقق في السراة، بينما يساوي أربع أقق في تهامة.

(٣) Geographical Section of the Naval Intelligene Division, *op. cit.*, p.138

(٤) Geographical Section of the Naval Intelligene Division, *Ibid.*, p.138

ولضمان عدم حصول اللبس في حدود المزارع فإنهم كانوا يحفرون إلى حوالي مترين داخل التربة ثم توضح حدود المزرعة، وذلك حتى يضمن عدم ضياع حدود المزرعة فيما لوحصلت سيول جارفة. أما التسميات السابقة التي أوردها فهي بحسب التقدير، فالجزء من المزرعة يسمى فلق، أما المزرعة المنفصلة فتسمى ركيب أو قطعة أو زهب، ومهما تفاوتت في الحجم فإن التسمية واحدة. أما قيمة المزرعة فإنها لا تكون بحجمها فقط بل يتدخل في ذلك عوامل منها جودة التربة لهذه المزرعة، والطرق التي تسقى بها، كل ذلك يحدد قيمتها. ويتم القياس بحسب التقدير الدقيق بالخطوة أو التلم[1] وعلى ضوئه يتم الاتفاق. ولكن من النادر أن يقدم شخص في عسير على بيع مزرعته لأنها تمثل مصدر رزقه الأساسي، ولا يحدث ذلك إلا في ظروف نادرة وقليلة للغاية، كأن تحدث مجاعة شديدة، أو أن يكون عليه دم فيجبر على التخلي عن مزرعته كدية للقتيل الذي قتله، وفيما عدا ذلك فإن بيع المزرعة يعتبر من العار الذي يلازم فاعله[2].

أما بالنسبة للوحدة الطولية للقياس، فقد استعمل السكان الذراع، والباع[3]، وكان يعتبر ذلك القياس شيئاً متعارف عليه في قياس الأقمشة المختلفة، كما كان السكان يستعملون قياساً معروفاً يسمونه هنداسة، ويبلغ طوله ٧٠ سم[4].

---

(١) التلم: هو موضع المحراث حيث يمكن حساب الأتلام التي في القطعة ومن ثم يقدر كم يبيع منها من الأتلام. وغالباً أن وضع المحراث يكون بطريقة مستقيمة ومنظمة إلى حد كبير.

(٢) حصلت على المعلومات من منطقة عسير، أثناء مقابلتي لعدد من ذوى الخبرة والمعرفة بالطرق المتبعة في قياس المزارع وتقييمها.

(٣) الباع: المقصود به القياس من الكتف الأيسر إلى آخر إبهام اليد اليمنى.

(٤) انظر: لوديمر، ج. ج. دليل الخليج، الجزء الثاني، طبعة جديدة معدلة ومنقحة أعدها قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر، ص ٨٥.

الحيـاة العلميــة :

ظل أهل عسير طوال تـاريخهم يهتمون بتعليم أبنـائهم، وكانـوا يسمـون المدرسـة (معلامـة)، وكان أغلب النـاس يحـرصـون عـلى أن يذهب أولادهم إلى المعلامـة وهم صغار السن. وكـانت الأدوات التي يستخـدمومهـا في الكتابـة عبارة عن ألـواح خشبية يكتب عليهـا. بينما الأقـلام عبارة عن أعـواد خشبية، والحـبر يسمى (السّق)[1]. وكان في كـل قريـة مدرسـة يتعلم فيها أبنـاء القريـة قراءة القـرآن وبعض أمور دينهم، إضـافة إلى تعليمهم القـراءة والكتابـة. وغـالبـا ينتهى التعليم بختم القرآن الكريم. وبعد أن يختم القرآن فإنه يعتبر قد أنهى تعليمـه في تلك المدرسة، ولا يستغرق ذلك أكثر من عام واحـد، يعود بعـدها الأبن إلى مساعدة والده في شئون الحياة المختلفة فهم لا يتخذون العلم إلا لمعرفة أمور دينهم وقراءة كتاب الله ومعرفة القراءة والكتابة ومبادىء الحساب، ثم يتجهون بعد ذلك إلى العمل ليؤمنوا لهم الحياة الكريمـة. وكان الطلاب يدفعون الأجور لمعلميهم، وتكون إما عينية أو نقـدية. ويـزداد الأجر كلما تقـدمت المـرحلة، وكـان من الـطريف عنـدهم أن الطالب عندمـا يصل إلى سـورة العنكبوت فـأنه يتعـين عليه أن يـذبح كبشاً شكراً لله على توفيقة له. فكانوا يقولون: (سورة العنكبوت فيهـا كبش يموت)[2].

وكـان هنـاك فئـة من النـاس لا يكتفـون بـالتعلم في المــدارس الأوليـة، بـل ينقلون بعـد ذلـك إلى مـدارس مشهـورة في عسـير مثـل

---

(١) السق: هو السواد الذي تسببه النيران التي توقد للطعام، وعادة ما تكون آثارها موجـودة في المطبخ آنذاك. فيستفاد من ذلك السود في جعله حبرا لأقلامهم.

(٢) كل المعلومات السابقة حصلت عليها من بعض كبار السن في المنطقة والجدير بالذكـر أن كل ما سجلته هو شيء معروف لدى أغلب سكان عسير، لأنهم لازالـوا يتناقلون أخبـار الماضي.

(رجـال) ليزدادوا علما وكـان هناك عـدد ممن رحلوا لـطلب العلم إلى اليمن، وبـالذات في زبيـد لتلقي العلم هناك، فـلا يعودون إلا وهم علماء لهم حق الفتـوى، حيث يتولـون التـدريس والـدعـوة إلى الله في بلادهم، كما يتولى عدد منهم القضاء[1].

وقـد اختلفت مذاهب أهـل عسـير ففى عسـير السـراة حنـابلة سلفيون، كانوا قد تعلموا مبادىء الـدعوة السلفيـة عندمـا انتشرت في المنطقة. أما سكان تهامة عسـير فأكثـرهم شافعيـون، ولهم صلة قويـة بالشوافع في البلاد اليمنية[2].

وكان أهل عسير أهل عقيدة صافية لم تتأثر بالمظاهر والزخارف، حيث خليت مساجدهم القديمة من الزخارف والرسوم. وكانت القبور خالية من القباب والبنايات[3].

ومن المساجد القـديمة في عسـير يوجـد مسجد طبب التـاريخي، وقد حوى مكانا للتدريس وآخر للمشاورات القبلية كـما كان في السقـا قرب أبها مسجد بنى عام ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م أما في تهامة فكان في أبـو عريش مسجد للشريف حمود أبو مسمار تعلوه ثمانى عشرة قبة[4].

وقد ظفرت عسير خلال هـذه الفترة بعـدد من الأمراء سـاعدوا على نشر العلم وتنشيط الفكر، فكان من أبرزهم الأمـير علي بن مجثـل

---

(١) محمد بن إبراهيم الحفظى، نفحات من عسير (ديوان شعـر)، ص ١٩، مطابـع عسير، أبها ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م.

(٢) عبد الله بن محمد أبو داهش، المرجع السابق، ص ٢١.

(٣) مجلة العرب، جـ ١٠، السنة الخامسة، ربيع الثاني ١٣٩١هـ، مذكرات سليمـان شفيق باشا "بلاد العرب ص ٩٠٩.

(٤) عبد الله بن محمد أبوداهش، المرجع السابق، ص ٢٢.

العسيري الذي جمع حوله عدداً كبيراً من العلماء[1]. وعندما تولى عائض بن مرعي إمارة عسير سار عل نهج سلفة، حيث قرب العلماء وجمع في مجلسة نخبة صالحة من علماء زمانه[2]. وكان الأمير عائض يحضر حلقات لقراءة صحيح البخاري ومعه جمع كبير من علماء المسلمين[3].

وكان من أبرز مظاهر التعليم في عهد عائض بن مرعي إنه حينما قدم سحمان بن مصلح بن حمدان الخثعمى إلى أبها في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادى، قام بتدريس أبناء الأمير عائض بن مرعي، وعدداً كبيراً من أبناء أهالى أبها وقراها[4].

وقد شهدت عسير في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجرى نشاطا فكريا ملحوظا اذ وصل إلى عسير عدد من المؤلفات الأدبية والدينية، وكان هناك عدد قليل من النساء المتعلمات، ورغم اجادتهن، إلا أن تعليم الفتاة لم يكن شائعا في عسير بل أنه كان من الحالات النادرة[5]. وقد كان هناك عدد من الأسر العلمية المشهورة في عسير عموما في بلحمر وبلسمر وبني شهر وبالقرن وخثعم وبيشه وفي غامد وزهران[6].

---

(١) مجلة العرب، جـ ١١، ١٢، السنة التاسعة، جمادى الأولى والثانية ١٣٩٥، مقال بقلم، عبد الله بن حميد، دور أمراء عسير في نشر الدعوة السلفية، ص ٨٦٤.

(٢) هاشم النعمى، المصدر السابق، ص ٢٠١.

(٣) محمد محمد زبارة، ائمة اليمن بالقرن الرابع عشر اللهجرة، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٦هـ، ص ٢٢٥.

(٤) صالح بن سليمان بن سحمان وعبد الرحمن بن عبد العزيز، مجموع النفائس العشرية والغرائب الشهية، مطبعة دار البيان، مصر ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ص ٣١، ٣٢.

(٥) عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ١٠٥، ١٣٠.

(٦) عبد الله بن محمد أبو داهش، نفسه، ص ٦٩، ٧٠.

ومما سبق يتضح لنا أن التعليم لم يكن مقصورا على قرية رجال، وأن هناك أسراً علمية عريقة موزعة على قبائل عسير عامة، ولكن الشهرة كانت لأسرة آل الحفظى نظرا لا تصالهم المستمر باليمن وكثرة العلماء منهم.

وكان العلماء في اليمن وعسير يتبادلون النصح والمشورة ويطلب بعضهم المساعدة من الآخر، فها هو القاضي محمد بن عبد الله الزواك الحديدي يكتب قصيدة إلى القاضي محمد بن صالح بن إبراهيم الفقية بالنماص، ويطلب فيها أن يساهم محمد بن صالح بجهده لإعادة كتبه التي نهبها جيش محمد بن عائض عندما غزا الحديدة عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م حيث قال في مطلعها[١].

إلى الفاضل الفذ النبيل بن صالح	حليف التقى في نسكه لم يزاحم
فقل لبنى شهر مقالة مشفق	عليهم ولا تختشي ملامة لائم
علام حبستم كتبنا بدياركم	ولم تختشوا من موبقات المآثم

تأسيس المدارس في عسير :

انتشرت المدارس في عسير على يد امرائها وعلمائها في السراة وتهامة فقد أنشأ الأمير عائض بن مرعي مدرسة في عسير عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م، وكانت تدرس بها علوم القرآن والتفسير ومبادىء الفقه والتوحيد[٢]. كما أسس الشيخ أحمد بن عبد القادر الحفظى وأبناه محمد وإبراهيم مدرستين برجال ألمع في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجرى، فكانت إحداهما في قرية (عثالف[٣])،

(١) محمد محمد زبارة، المصدر السابق، ص ١٤٥ .

(٢) هاشم النعمى، المصدر السابق، ص ١٩١ .

(٣) قرية صغيرة في رجال ألمع، وبها معظم أسرة آل الحفظى .

وكان ممن درس في هذه المدرسة الشيخ عبد الخالق بن إبراهيم الحفظى ١٢٢١ - ١٢٨٤هـ/ ١٨٠٦ - ١٨٦٧م وأبناه أحمد بن عبدالخالق الحفظى ١٢٥٠ - ١٣١٧هـ/ ١٨٣٤ - ١٨٩٩م، والحسن بن عبدالخالق الحفظى وكانت قبلة لطلاب العلم يفدون إليها من أبها ورجال الحجر وغامد وزهران، أما المدرسة الثانية فكانت بقرية رجال[١]. وقد قام عائض بن مرعي بإرسال مجموعة من رجال عسير لتلقى العلم على يد علماء آل الحفظى في رجال[٢].

ومن مجهودات المواطنين في عسير في أنشاء المدارس، أن محمد بن سعد بن سلطان افتتح مدرسة في قرية آل امسعلى، ويقال أنه تخرج في هذا الكتّاب أكثر من عشرين دفعه[٣].

وقد شهدت عسير السراة حلقات للتدريس، إذ شهد مسجد طبب عدداً من آل الحفظى، الذين قاموا بالتدريس في هذا المسجد خلال القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى وبالإضافة إلى ذلك فقد رتبت في عهد آل عائض في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجرى حلقات لتدريس علوم الشريعة في مساجد أبها والسقا وريدة، ومما ساعد على ذلك عطف الأمير محمد بن عائض على العلماء وطلبة العلم[٤].

وكان كثير من المشائخ في بلاد عسير يمنحون إجازات علمية، فقد قام الشيخ علي بن صالح الغامدي بمنح الإجازات العلمية للدارسين في حلقته العلمية بغامد، ولا زالت إحدى الوثائق موجودة

(١) عبد الله بن محمد ابو داهش، المرجع السابق، ص ٨ط.
(٢) عبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ٩٨.
(٣) مجلة البلاد، العدد ٥٢، تاريخ ١٢ صفر ١٣٩٣هـ، سعيد أحمد الأسرى لقاء طريف مع أكبر معمّر في المملكة، ص ٤٩.
(٤) عبد الله بن مسفر، نفسه، ١٧٩، ١٨٠.

وهي عبارة عن إجازة علمية من هذا الشيخ لأحد الدارسين وهو أحمد بن محمد الجداوى من خثعم[1].

وقد عد الدكتور عبد الله أبو داهش[2] نحو عشرين كتابا مشهورا في قرى عسير السراة وحدها، اعتمد في احصائها على ثقات من كبار السن الذين عاصروا هذه الكتاتيب أو روى لهم ما كان في تلك الكتاتيب. كما كان يوجد في عسير تهامة أضعاف هذا العدد.

ولم يكن ماذكره سوى أمثلة بسيطة تدلنا على مدى ازدهار التعليم في عسير خلال القرن الثالث عشر الهجرى. ومن المتعارف عليه أنها لا تخلو قرية أو مجموعة من القرى الصغيرة من معلامة لتعليم أولادهم مبادى القراءة والكتابة وقراءة القرآن الكريم، خاصة وأن كل قرية كان فيها مسجد وذلك المسجد هو مكان التعليم في الغالب. وعموما فقد كان التعليم منتشرا في تهامة أكثر من السراة، وكان معظم العلماء من أهل تهامة من آل الحفظي في رجال ألمع، أو من المخلاف السليماني، وذلك لقرب هذه المناطق من اليمن الذي كان قبلة لطلاب العلم.

وقد قامت في مدينة رجال نهضة علمية كبيرة كان روّادها آل الحفظي الذين انتفع بعلمهم خلق كثير من عسير، ومن أشهر علمائهم أحمد بن عبد القادر الحفظي، الذين قضى عمره يدرّس ويفتى في مسجد بلدة رجال ألمع، والذي كان من أشهر علماء الجزيرة العربية في وقته[3].

---

(1) عبد الله بن محمد أبو داهش، المرجع السابق، ص ٢٧.

(2) عبد الله بن محمد أبو داهش، نفسه، ص ٢٥ - ٣٣.

(3) محمد بن ابراهيم الحفظي، نفحات من عسير، ص ٢٣، مطابع عسير، أبها، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

كما أشتهر من علماء آل الحفظي إبراهيم بن أحمد الزمزمى الحفظي (١١٩٩ ـ ١٢٥٧ هـ) الذي تولى التدريس في مدينة رجال ألمع . وعبد الخالق بن إبراهيم الحفظي ، الذي تعلم على يد محمد بن هادي ومحمد بن يحيى الضمدى حتى حصل على الإجازة منهما، ثم تفرغ بعد ذلك للتدريس ، والإفادة قبل أن يرحل لطلب العلم[١] .

وكان للعلماء مكانة بارزة عند أمراء عسير، ولا سيما علماء آل الحفظى ، حيث شبههم بعضهم بآل الشيخ بالنسبة لآل سعود[٢] . ولا أدل على تلك المكانة ذلك العهد الذي أرسله الأمير محمد بن عائض أمير عسير عام ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م إلى الشيخ أحمد الحفظى ، ومما قال فيه[٣]: " مشهد كريم شيخنا العلاقة أحمد الحفظى أن له علينا عهد الله وميثاقة في قبول شفاعته وكفاية جميع أتباعه وإخوانه وأقاربه وطلبة العلم عندهم ، ولا يخرص[٤] بلادهم عامل، اكراما لمقام العلم الشريف يكون هذا معلوما عند عمالنا ومشائخ القبائل، وأكابر من تحت أمرنا وأصاغرهم، وإن أمرنا تبع الشرع الشريف، وكلام الحفظى وشفاعته مقبولة في الرقاب والأموال، وعلينا بذلك عهد الله والسلام" .

---

(١) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر في تراجم علماء القرن الثالث عشر، ص ٥٩، ٦٨ ، جامعة الرياض، المكتبة المركزية، قسم المخطوطات، رقم، ١٣٣٤ ، تاريخ النسخ ١٣٤٦هـ.

(٢) مجلة العرب، جـ ١١ ، ١٢ ، السنة التاسعة، جمادى الأولى والثانية، ١٣٩٥هـ، عبد الله بن حميد، المقال السابق، ص ٨٦٤.

(٣) وثيقة خطية من محمد بن عائض إلى أحمد بن عبد القادر الحفظي ، أوردها الأستاذ عبد الله بن محمد أبو داهش، المرجع السابق، ص ٦٦ . وهي محفوظة عند عبد الرحمن بن سليمان الحفظي ، أبها.

(٤) يخرص: أي يقدر ويحسب، والمقصود ألا يأتيهم من يقدر الزكاة الواجبة عليهم في مزارعهم.

ولست أجد ما يبرر تصرّف الأمير محمد بن عـائض من الناحيـة الدينية، ولكنى أرى أن عمله هذا سياسيا أكثر منـه دينيا، وهـدفه هـو أرضاء علماء آل الحفظي لأن سكـوتهم يؤدى بالتـالى إلى سكوت عـامة الناس. وكان الأجـدر بأمـير عسير أن يـأخذ الـزكاة الـواجبة عـلى آل الحفظي كما يـأخذهـا على كـافة رعيتـه. وإن ثبت صدق هـذه الوثيقـة وعدم تزييفها فإن أمـير عسير كـان يتخذ ارضـاء العلماء وسيلة لتسكين عامة شعبه، ومن المعروف أن آل الحفظي يملكون أرض زراعية واسعة وخصبة، أي أنهم لم يكونوا بحاجة ماسة إلى ذلك الإعفـاء الذي جـاء محاباة لهم دون سائر الرعية[1].

وكـان علماء عسـير عـلى اتصـال دائم بعلماء مصر وحضر مـوت واندونيسيا والهنـد والحرمـين الشريفـين واليمن والمخلاف السليمـاني، وكـانـوا يستقبلون العلماء الـوافـدين عليهم من مختلف آفـاق العـالم الإسـلامي[2]. وكان علماء رجـال ألمع يؤلفـون في علوم الدين واللغـة العربية، ويتبادلون مختلف المكاتبات مع علماء المخلاف السليماني[3].

ولم تقتصر الـرحـلات لـطلب العلم عـلى علماء تهـامـة بـل أن طـلاب العلم في عسير السـراة قد رحلوا بـالعشرات لـطلب العلم، وكان أعظم اتجـاههم إلى اليمن، وعادوا يحملون الإجازات العلمية، وقـد أحصى الأستاذ أبـو داهش[4] عددا كبـير منهم من مختلف قبـائـل عسـير رحلوا في طلب العلم، ولم يقتصر الأمـر عـلى اليمن بـل شمـل الحجـاز ومصر حيث رحـل بعضهم إلى الجـامـع الأزهـر لتحصيـل العلم.

---

(١) الجميع في بلاد رجال ألمع يعرف أن آل الحفظي يملكون أراض زراعية خصبة وواسعة.

(٢) إبراهيم بن زيد العابدين الحفظي، نفحات من شعر عسير، ص ١٤، ١٧، ١٨.

(٣) انـظر محمدمحمـد زيارة، نيـل الـوطـر من تـراجم رجـال اليمن في القـرن الثـالث عشر الهجرى، جـ ١، القاهرة ١٣٤٨، ص ١٢٦.

(٤) عبد الله بن محمد أبو داهش، المرجع السابق، ص ٤٣، ٤٤.

ولا شك أن رحيل هذه الأعداد الكبيرة لطلب العلم يـدل على أن هنـاك هتمامـا كبيـرا بـطلب العلم. ولا شـك أنـه سيكـون لهؤلاء المهـاجرين أثـر كبير بعـد عودتهم إلى بـلادهم، حيث سينشرون العلم والمعـرفة في أوطـانهم وبـين أهلهم وذويهم، وفي الـواقـع أن هجـرتهم ستمكنهم من الانقطاع للعلم أكثر بكثير من البقاء في أوطانهم.

وبالإضافة إلى الجهود السـابقة التي بـذلها علماء عسـير في تعلم العلم وتعليمـه، فقد حـرصوا عـلى اقتناء الكتب النـافعة لهم في العلم والقضاء. وكان لدى كل عالم من آل الحفظي مكتبة خاصة به، يجمـع فيها الكتب التي يمكن الحصول عليها، حتى تكون في متناول أيديهم في الوقت المناسب[1].

كذلك وجد في عسير السراة عدد كبـير من المكتبات الخـاصة في معـظم قبائـل عسير، من أبهـا حتى بلاد غـامـد وزهـران، فهي مليئـة بـالكتب الدينيـة واللغويـة القـديمـة، إضـافـة إلى مكتبـات المخـلاف السليماني التي كانت مزدهرة ازدهارا كبيرا يفـوق أي منطقـة أخرى في عسير[2].

ومما أثار تلك المناقشات وجعلها تستمر هو ظهور الدعوة السلفية حيث قـام محمد بن أحمـد الحفظي بكتـابة رسـالة إلى قـاضي المخلاف السليماني البهكلي وسـائر علماء المخـلاف السليماني، يحثهم فيهـا على اتبـاع الدعـوة السلفيـة. فـرد عليـه بعض علماء المخـلاف السليمـاني بقصائد مماثلة، مما أدى إلى تنشيط الحياة الفكرية في عسير[3].

---

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي، المصدر السابق، ص ٢.

(٢) عبدالله بن محمد إبراهيم أبو داهش، نفسه، ص ٧٢ ـ ٧٦.

(٣) محمد محمد زبارة، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن، جـ ٢، القاهرة، ١٣٤٨هـ، ص ١٢٦.

وكان علماء رجال ألمع يحرصون على الاطلاع على النشاط الفكرى في البلدان المجاورة، ومن العلماء الذين بذلوا نشاطا في هذا المجال الشيخ عبد الخالق بن إبراهيم الحفظي، وكذلك إبراهيم بن أحمد الحفظي والشيخ الحسن بن عاكش الصمدى[1].

ومما يؤكد لنا قوة النشاط العلمي المنتشر في عسير الرسالة التي أجاب فيها الشيخ أحمد بن عبد القادر الحفظى على رسالة من أحد سكان حلى، فأجاب عليه في قصيدة نظمية[2].

وكان في عسير من العلماء الأفاضل الذين يقدم لهم العلماء من الخارج للدراسة على أيديهم ومن أولئك العلامة أحمد بن عبد القادر الحفظي الذي أخذ عنه القاضي أحمد بن عبد الله الضمدى واستجار منه[3]. وكان العلامة أحمد بن عبد القادر قد رحل إلى زبيد لطلب العلم وأخذ عن عدد كبير من علماء اليمن حتى عاد إلى بلاده عالما يقصده طلبة العلم من كل مكان[4].

ولم يقتصر دور علماء عسير على جمع الكتب فحسب، بل كانت هناك حركة ايجابية للتأليف، ومنها ما كان على يد أسرة آل الحفظى، مثل مؤلفات العلامة أحمد بن عبد القادر الحفظي، ومؤلفات محمد بن أحمد الحفظي، تلك المؤلفات التي تدل على تبحّر هذين العالمين في مختلف العلوم الشرعية واللغوية، إضافة إلى مؤلفات إبراهيم بن

---

(١) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر (مخطوط) ٢٥، ٦٨.

(٢) رسالة محفوظة في قسم المحفوظات، جامعة الملك سعود، أجاب فيها أحمد بن عبد القادر الحفظى على رسالة من عبده بن هادي أبو هاني، برقم ٣٣١٢/ ٣م.

(٣) محمد زبارة، نيل الوطر، جـ ١، ص ١٣٦.

(٤) محمد زبارة، نيل الوطر، جـ ١، ١٢٦.

أحمد بن عبد القادر الحفظي، وعبد الرحمن محمد أحمد الحفظى وغيرهم كثير[1].

وكذلك هناك مؤلفات لعدد كبير من علماء عسير آنذاك مثل عبد الهادي بن محمد بن عبد الهادي البكري، الذي ألف تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد، وكذلك مؤلفات لأحمد بن أبي بكر الزميلي[2].

ومما جعل التأليف آنذاك ذا قيمة، أنه يأتي أحيانا بدافع من ظروف الحياة الفكرية والاجتماعية، فاذا رأوا قضية تستحق العناية والتحقيق سعوا في دارستها والبحث فيها، كما فعل عبدالله بن محمد خديش المتوفى سنة ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٨م، الذي ألف رسالة في حكم الوقف بيّن فيه الاختلافات التي نشأت حول تلك المسألة[3].

ومما سبق يتضح لنا المستوى الذي وصل اليه العلم والتعليم في عسير خلال فترة الدراسة ومدى انتشار المدارس والكتاتيب والمكتبات في مدن عسير وقراها. ومساهمة علماء عسير في حل مشكلات مجتمعهم، مدى نشاطهم الملحوظ على مستوى التأليف والاتصال بعلماء العالم الاسلامي، والأخذ والعطاء في مجال العلم والمعرفة، ولعمرى إنّه لمستوى طيب، لاسيما بعد معرفة الظروف السياسية والاقتصادية التي كانت تمر بها عسير خلال تلك الفترة من تاريخها الحديث.

---

(١) مجلة العرب، جـ٣، السنة الثامنة، رمضان ١٣٩٣هـ، مقال بقلم عبد الرحمن بن إبراهيم الحفظى، مؤلفات آل الحفظى، ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

(٢) عبد الله بن محمد أبو داهش، المرجع السابق، ص ٨٦.

(٣) عبد الله بن محمد أبو داهش، نفسه، ص ٨٦.

وفي الواقع أن هنـاك مؤلفات تعـد بالمئـات لعدد كبـير من علماء عسير، ولكونـه لا يوجـد مجال لـذكرهـا هنا فـإنا سنحيـل الباحث إلى المـراجع التي تحـدثت عن تلك المؤلفات التي تـدل دلالة واضحـة على انتقـال علماء عسير من مـرحلة الحفظ والـدراسـة إلى مـرحلة التـأليف والتجـديـد في مختلف العلوم التي درسـوهـا وهي في الغـالب من علوم الدين والفقه واللغة العربية[1].

---

(١) المزيد من التفاصيل انظر:

- محمد بن إبراهيم الحفظي، المصدر السـابق، ص ٢٤، ٤٥، ١١٦، ١٢٥، ١٣٤، ١٤٤.

عبد الله بن محمد أبو داهش، نفسه، ص ٨٦.

الخاتمــــة

وبعــد. . . فلقـد كــانت عسير خــلال فتـرة الــدراسـة من ١٢٤٩ ـ ١٢٨٩هـ / ١٨٣٣ ـ ١٨٧٢م عـبــارة عن إمــارة مـستـقلة استقـلالا تامـاً. وتعتبر هـذه الإمارة العـربية إحـدى المستجدات التي بـرزت إلى الوجـود بعد القضـاء على الـدولة السعـودية الأولى، حيث كـانت عسير من أشـد أجزاء الـدولة السعـوديـة تفـانيـا في الـذود عن استقلالها. وعندما تقدم محمد علي ليقضي على الـدولة السعـودية كـان مهتماً بالقضاء على إمارة عسير التابعة للدولة السعودية، بهدف قطع أي مساعدة منتظرة منهم للسعوديين بعد ذلك.

وكان العسيريون قد تعلموا من السعوديـين أن الجهاد والإقبـال على الموت بنفس راضية من مقومات البقاء، ولـذلك فـإنهم لم يخضعوا ولم يستكينوا للقوات الغازية، وظل العسيريـون يقاتلون إلى أن تمكنـوا من الاستقلال عن سيطرة قوات محمد علي عام ١٢٣٨هـ / ١٨٢٣م. وظلت عســير كـذلــك حتى بـدايــة حكم عـائض بن مــرعي عـام ١٢٤٩هـ /١٨٣٣م، حيث واجهت مـوجات من الهجمـات المتواليـة من قبـل قوات محمـد علي إلى أن تم انسحـابها من شبـه الجزيـرة عـام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م.

وبعد أن تم جلاء قوات محمد علي عن المنطقة كلها تمكن العسيريون من الاتحاد تحت حكم عائض بن مرعي، ذلك الأمير الذي كانت له مواقف حازمة في وجه قوات محمد علي. ولا شك أن العسيريين كانوا قد أحسوا بفوائد الاتحاد تحت إمارة مركزية قوية أثناء قيام الدولة السعودية الأولى، ولذلك فإن أمير عسير لم يجد أي صعوبة في بسط نفوذه على منطقة عسير بأكملها، بل وذهب أبعد من ذلك فاستولى على مناطق تابعة للحجاز وعلى مناطق تابعة لأشراف المخلاف السليماني وللدولة العثمانية.

ومن خلال دراستي السابقة وجدت أن أقليم عسير يحوى من الثروات الطبيعية من زراعية وحيوانية ما يجعله من أغنى مناطق الجزيرة العربية، بالإضافة إلى اكتضاضه بالسكان، وتمتعه بنظام قبلي قوى ومتماسك يربي الفرد على طاعة قبيلته والذود عن حمى أرضه مهما كلفه ذلك، وقبل ذلك سكان هذا الأقليم متمسكون بتعاليم الإسلام الخالدة منذ ظهور الإسلام، ولذلك فقد كان تأييدهم للدعوة السلفية قد تم بسرعة كبيرة.

وعندما جاء أمراء آل عائض أعلنوا أن هدفهم هو التمسك بالإسلام، وتطبيق الشريعة الإسلامية، مما جعل قبائل المنطقة يؤيدون قيام هذه الإمارة التي توحّد قبائلهم، وتضمن لهم حياة آمنه مطمئنة.

ومع أن أمراء عسير كانوا دائماً على رأس قبائلهم في أي مواجهة إلا أن قبائل عسير كانت تتمتع باستقلال داخلي شبه كامل، وكانت قبائل عسير تلبي دعوة أميرها عند النفير العام. ولكن تلك الإمارة لم ترقى إلى مستوى الدولة السعودية في سيطرة أمرائها على القبائل وبسطهم للنظام فيها. فقد لاحظت من خلال دراستي أن انسجام قبائل عسير لم يكن كافياً، فكان لكل قبيلة طموحات وأهواء قد لا تتفق مع سياسة الأمير القائم. ولقد عانى أمراء عسير من هذا

الوضع كثيراً، حتى أن معظم قبائل عسير كانت تتفاوض مع أي جهة أجنبية دون علم أميرها، والأمثلة على ذلك كثيرة، وهذا يؤكد لنا أن مفهوم الدولة لم يكن راسخاً لدى بعض هذه القبائل، حتى أن الأمير القائم كان يجد نفسه وحيداً مع مجموعة من رجاله بينما يتفرق عنه معظم قبائل عسير، عندما يواجه موقفاً عصيباً.

وبالنسبة لتنظيم الأمير لشئون إمارته فقد كان تنظيماً بدائياً ضعيفاً، حتى أني لم أجد ما يثبت أن أي من أمراء عسير قام باصلاحات ذات بال، ولكن مجرد القدرة على جمع الزكاة وتجميع رجال القبائل عند أي غزو يعتبر إنجازاً هاماً في مفهوم ذلك العصر.

ومهما يكن من شيء فقد ظلت إمارة عسير مستقلة خلال فترة الدراسة، واستطاع الأميران عائض بن مرعى ومحمد بن عائض من المحافظة عليها مستقلة عن الدولة العثمانية، وقدم رجال عسير الكثير من التضحيات في سبيل الدفاع عن بلادهم. وكانت تلك الإمارة قد بلغت شأناً كبيراً من استعداد رجالها للقتال، حيث انتشرت الأسلحة بين القبائل وأصبح كل أفراد القبائل مسلحين، بينما أقام أمراء عسير التحصينات العسكرية المتمثلة في القلاع والحصون، وامتلكوا عدداً لا بأس به من قطع المدفعية والذخائر اللازمة. وقد شجعهم ذلك على تحدي قوات محمد على في بداية حكم عائض بن مرعي، بالإضافة إلى تحديهم للدولة العثمانية خلال حكم عائض بن مرعي ثم خلال حكم محمد بن عائض، مما جعل الدولة العثمانية توجه قواتها للقضاء على إمارة عسير والسيطرة على تلك المنطقة الهامة عام ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م.

في رأيي فإن إمارة عسير كانت امتداداً للدولة السعودية الأولى لأن قبائل المنطقة كانوا قد وجدوا في الحكم السعودي لهم الأمن

والإستقـرار، مما جعلهم يعملون عـلى استمراراً النـظام والإستقرار في بلادهم تحت إمارة تحكم الشريعة الإسـلامية، ولقـد ظل أمـراء عسير يرسلون الهدايا والغنائم إلى الـدرعية حتى تم القضـاء على إمـارة عسير على يد الدولة العثمانية.

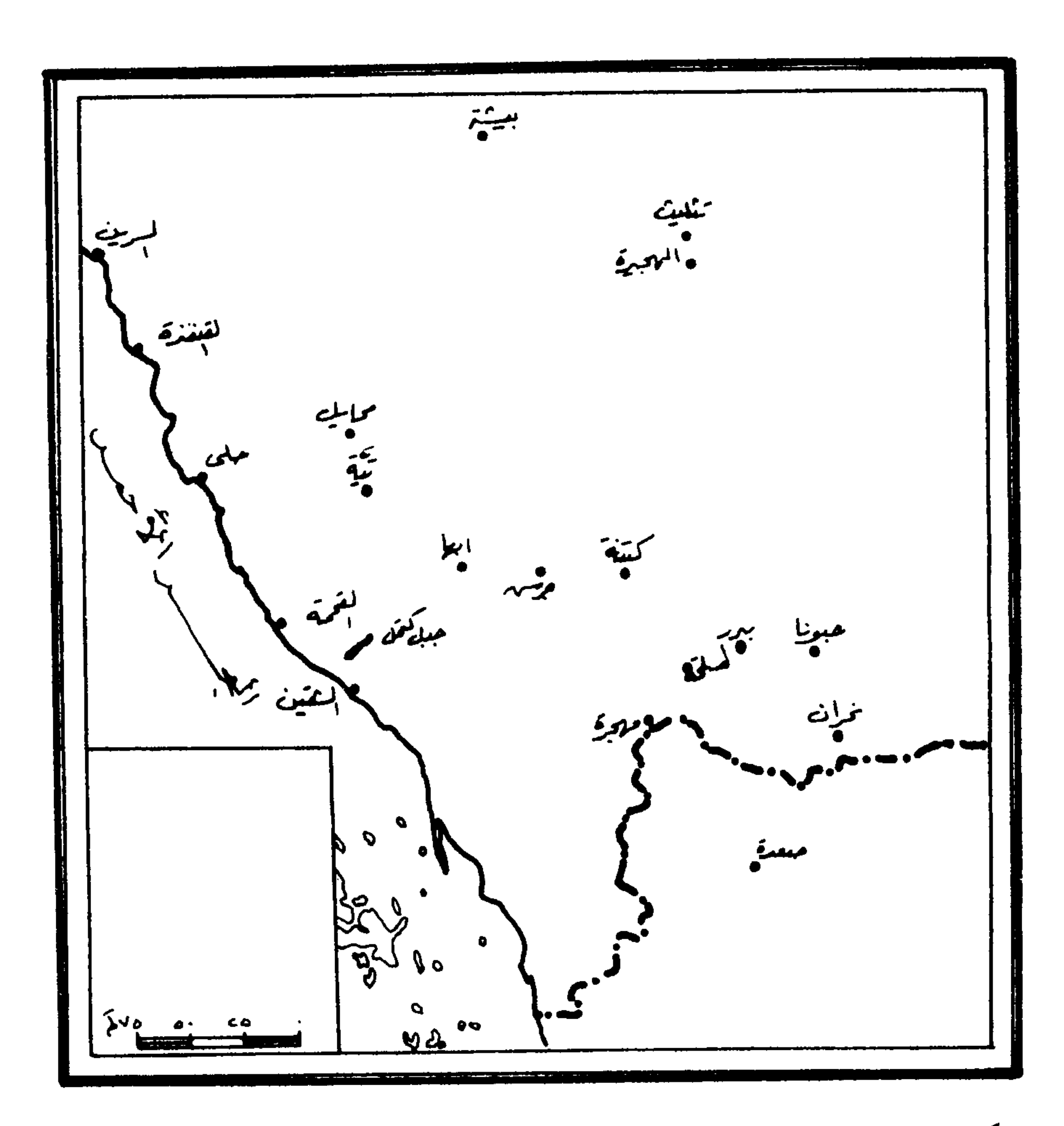
كـما أرى أن عسير لم تكن غـير جزء مكمـل للدولـة السعـوديـة الثانية، ودون شك أن الدولـة العثمانيـة ما كـانت لتسمح لأمـير عسير بـالإنضمام إلى الأمـير فيصل بن تـركي لأن ذلـك سيؤدي إلى تشكيـل خطورة على نفوذ الدولة العثمانية في الأماكن المقدسة.

ولذلك فقد ظلت عسير مستقلة عن الـدولة السعـودية الثـانية، رغم إتحاد الأهداف والتـوجهات، ولكن التعـاطف بين الإمـارتين قـد ظهر في أكثر من مناسبة حيث كان أمراء عسير يؤكدون تمسكهم بعلاقة مميزة تربطهم بأمرائهم السابقين في نجد.

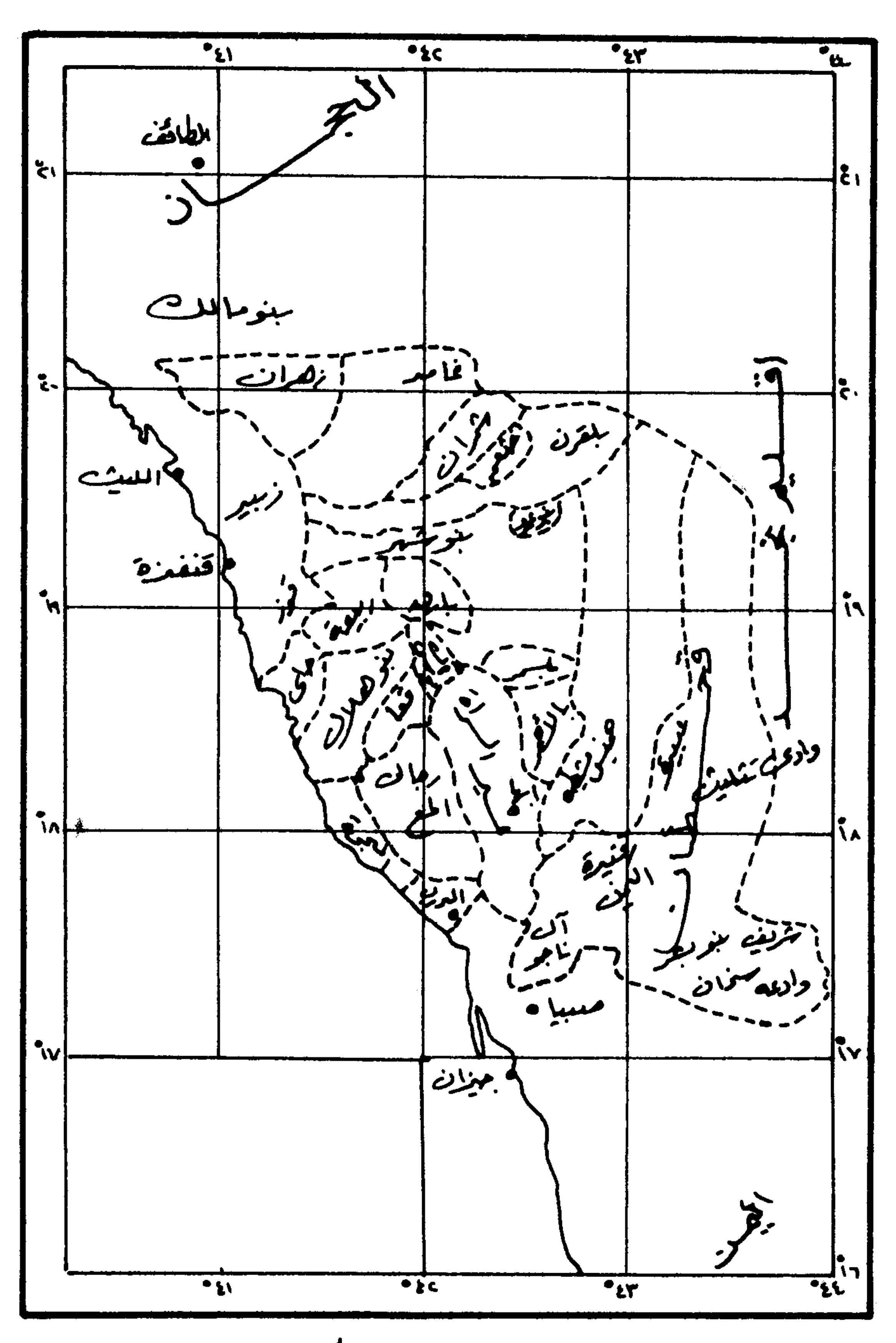
وفي الختام فإني أسـأل الله أن أكون قـد وفقت في تقديم دراسـة نافعة تكون بداية لسلسلة من الدراسـات الأكثر جـودة وموضـوعية في مختلف الميـادين حتى نعرض مـاضي بلادنـا وحاضـرها، ونلم بمختلف جوانب حياة الأمس، تلك الحياة التي عاشهـا اجدادنـا وواجهوا فيهـا مصيرهم معتمدين على إمكانياتهم الذاتيـة دون الخضوع لأحـد إلا الله وحده. وما التوفيق إلا من الله وحده.



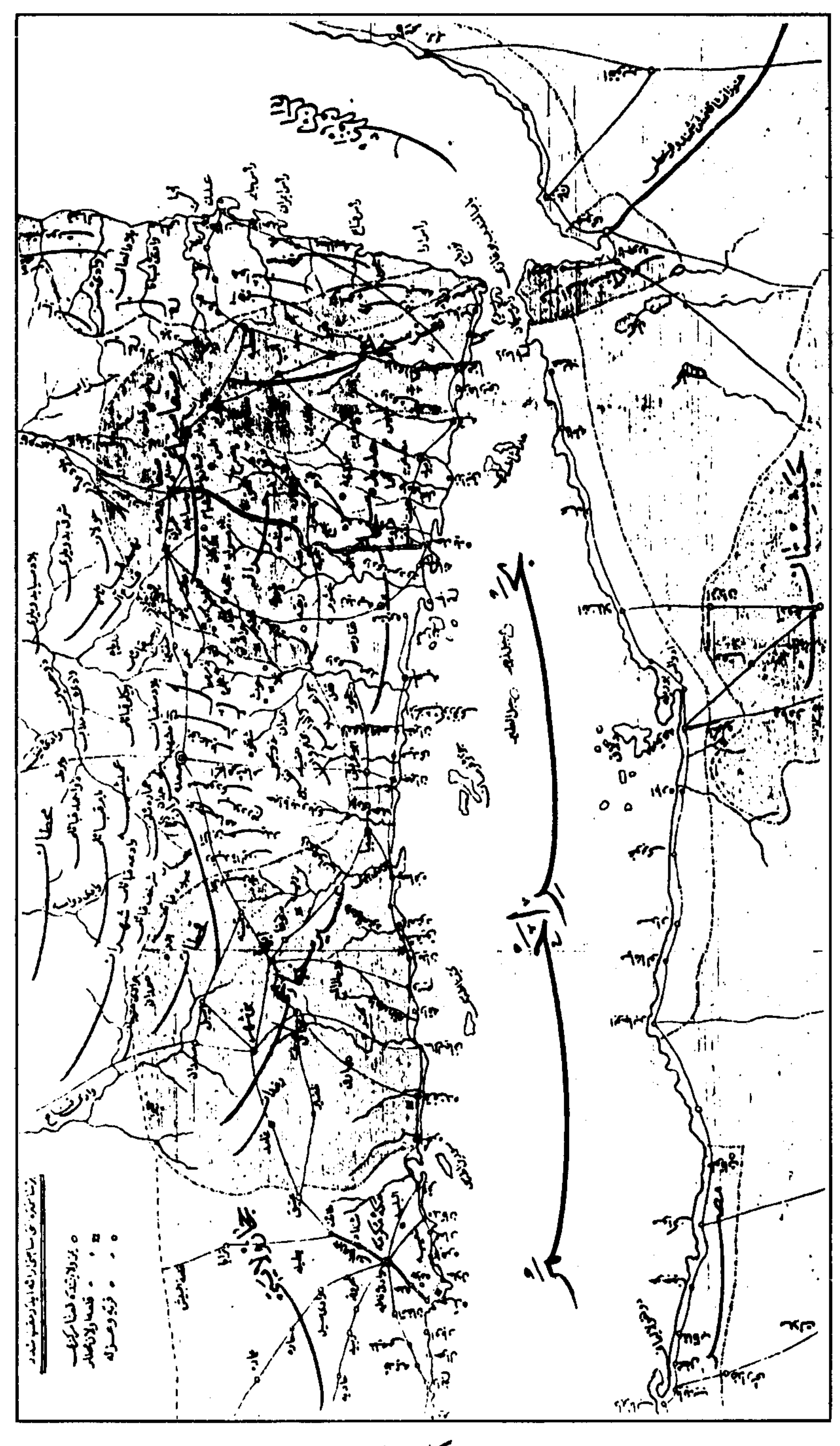
شكل (١) خريطة تاريخية توضح أقسام جزيرة العرب في مؤلفات الجغرافيين المسلمين



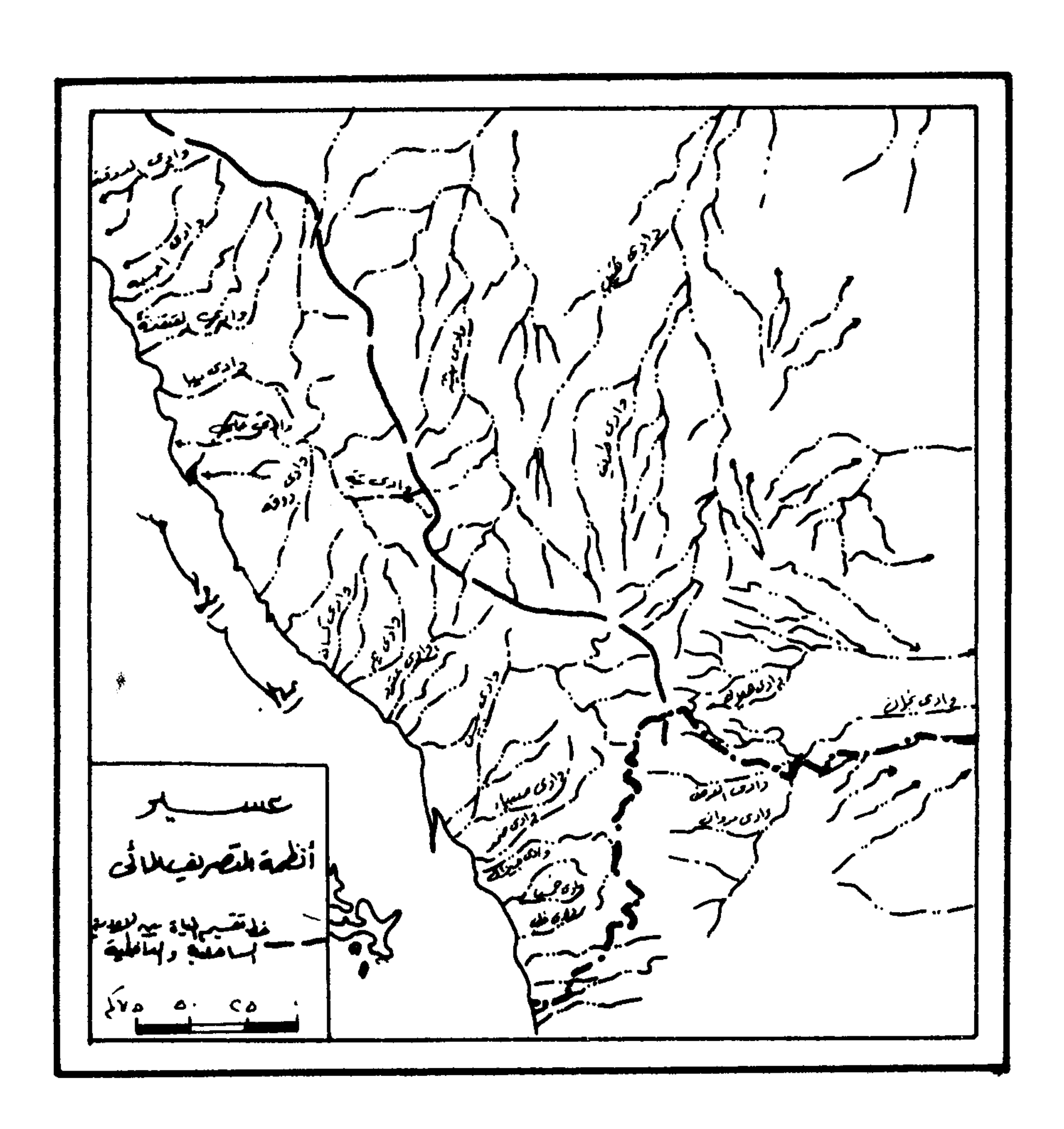
شكل (٢) خريطة توضيحية لبعض المواضع التي ورد ذكرها في مؤلفات بعض الجغرافيين المسلمين



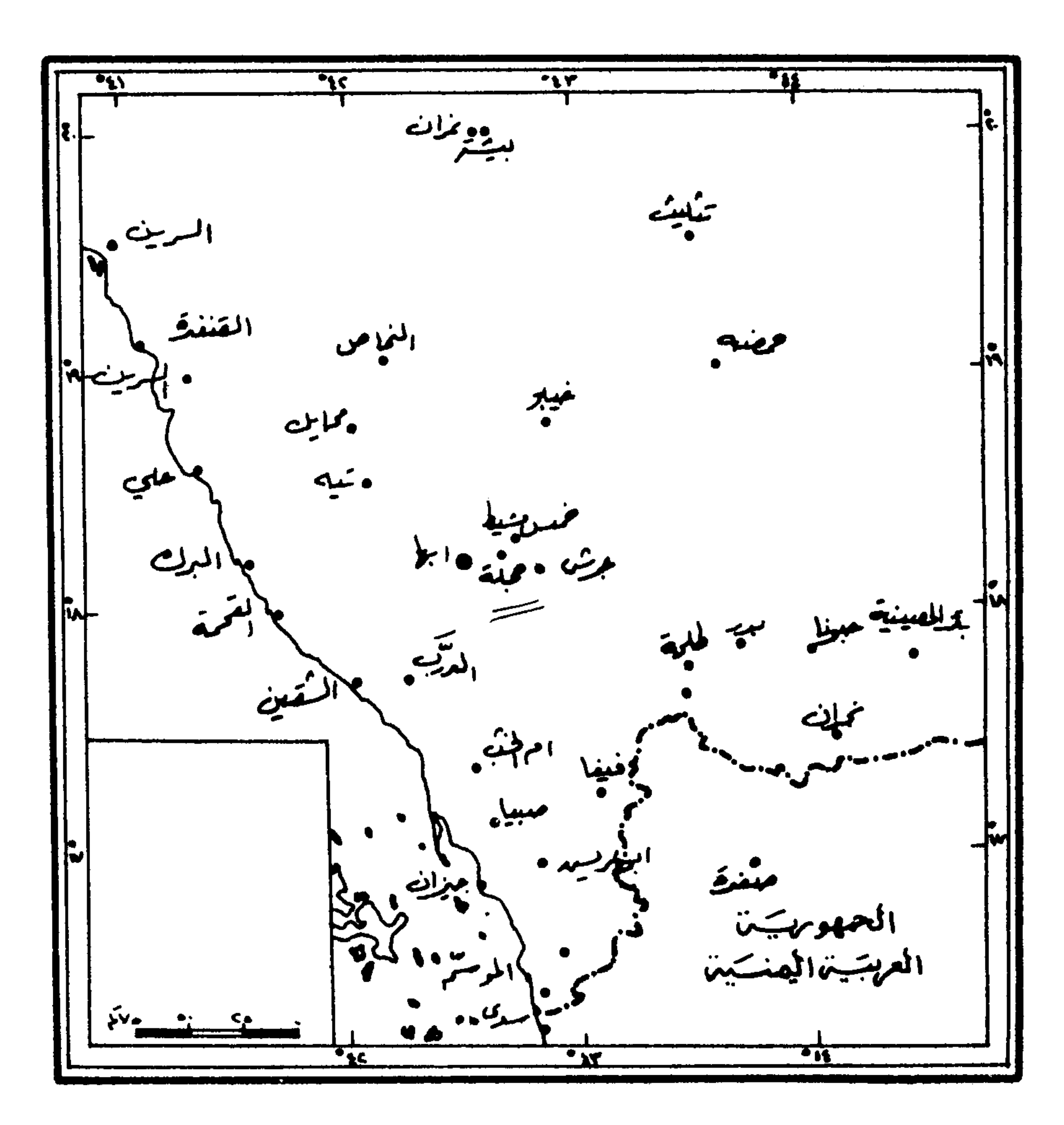
شكل (٣) إقليم عسير خريطة توضيحية لقبائل عسير أُخذت عن كتاب : Handbook of Asir India office No. T21500



شكل (٤)



شكل (٥) أوردت هذه الخريطة لأوضح التجمعات السكانية في عسير ، بخاصة على ضفاف الأودية الرئيسية .



شكل (٦) خارطة توضيحية لأهم المراكز الحضرية والموانى في عسير

ملاحـــق خاصـــة بالوثائـــق

ملحق رقم ١
دار الوثائق القومية بالقاهرة

محفظة رقم ١٢٧/٦ بحربرا، صورة أصلية، بدون تاريخ، من سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل إلى الشريف محمد بن عون.

بسم الله الرحمن الرحيم

«من سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل إلى الجناب العالي، والمآب الغالي فرع الشجرة الزكية الشريف المحترم المكرم الهمام محمد بن عون سلمه الله وعافاه آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد لا يخفاك وصول محمد بن مرزن وربعه من عندكم ورأينا أن نعجل بأجوبات خطوطهم مع الولد أحمد بن فضيل وعلى أن الصلح تم فلما وصلوا صدرنا الأجوبات معه وثلاث من الخيل حصانين تنصاً الباشة ونبت الغبية تنصاك، وحققنا لكم جميع مالدينا بيده، وتقدمنا إلى الشريف عبدالمعين وبلغنا أنه لزم المهرة التي تنصاك عنده، والله أعلم ما هو الذي أنكر منهم ابن فضيل فوصلنا جواب وهو في الحجاز بيننا وبينك، فإن كان الصلح استتم ماراح عليه الربع فعرفونا، وإن كنتم خالفتم عنه فعرفونا، وأن كنتم خالفتم عنه فعرفونا والنقابقا وأنت عارف أحدنا وخطرتنا ولا معنا ركان إلا بالله ثم بك وبالذي بيننا وبينك، وأما الصلح الذي وصلوا به الربع فقد تمناه لأجل أنهم صاروا خطرتنا فلم نحب أن نقطع لهم ساق ـ حبنا نعرفك ـ، كذلك

لابـد أن سـع في بـلادنـا خـطوط[1] من الـلامسلمي[2] وغـيرهم من الأشراف الشنـابرة، وكـذلك الـوزير جمعـه إلى أناس لا يـدفعـون ولا ينفعـون ومن لم ينفع نفسـه لم ينفع غـيره، وأظهروا أن الجنـود والجرود مقبلة تهامة وسراة وأن هـذا الصلح خديعـة منكم ومن الباشـا، وهذا أمـر لا ينبغي والله لا يهدي كيـد الخائنـين هذا وسلم لنـا عـلى الـولـد الشريف عبد الله بن محمد والشريف زيد بن سليم ومن لديك والولـد الشريف علي ومحمد ومن لدينا يسلمـون عليكم والسلام. الـواثق بالله السعيد بن مسلط.

(١) أن سـع في بلادنـا: هكـذا وردت في الـوثيقـة، ولكن يفهم منهـا أن هنـاك مـراسـلات للاشخاص المذكورين تثبت عدم التزام الشريف محمد بن عون بالعهود المبرمة.

(٢) الـلامسلمين: هنـاك اسـرة مشهـورة في رجـال ألمـع تعـرف بـ (آل أمسلمي) وأرى إنـه يقصد آل أمسلمى ولكنه أخطاء في كتابة الإسم.

ملحق رقم (٢)
دار الوثائق القومية بالقاهرة

محفظة رقم ٩ بحربرا، ترجمة الوثيقة رقم ٨٧، مؤرخة ١١ شعبان ١٢٤٠هـ من رستم إلى حضرة صاحب الدولة والمرحمة ولى نعمتي بلا منة سيدي:

«معروض عبدكم لمقام محط الآمال ولي النعم هو أنه في منال مكاتبة صاحب الرأفة الباشا نجلكم العربية العبارة الواردة لعبدكم هذا من القنفذة بتاريخ ٢٥ رجب، الشريف أنه قد عين حسن آغا الاريتود وإبراهيم آغا من بيكباشى العساكر الجهادية، وحسين بك طوزاه من عساكر السواري، والشريف محمد بن عون في معية سليم آغا قائمقام الميرالاى وأنهم غادروا القنفذة وأرسلوا إلى جهة بني شهر، وأنه عندما يصل إلى القنفذة خبر وصولهم إلى المحلِ المذكور سنقوم نحن أيضاً متوكلين على الله بالعساكر السوارى براً وترتيب العسكر المشاة بحراً إلى العسير ورجال ألمع عن طريق الحجاز. وقال الباشا المشار إليه في هذه التواريخ حضر من مشائخ عسير شيخ بني مالك سلطان بن دراع وسلطان بن عبده ومحمد بن زعبان بن سعيد بن مسلط وجميع كبراء عسير وطلبوا منا العهد والأمان، وتفرق الأشقياء الذين مع علي بن مجثل وغدوا اليوم شيء جزئي، ومن الجلى إن شاء الله تعالى وبنفوذ ولي النعم أن يكون إنهاء هذه المصلحة ميسر بالخير، وقد بادرت بالإفادة وفقاً لمكاتبة الباشا المشار إليه».

رستم

ملــحق رقم (٣)
دار الوثائق القومية بالقاهــرة

محفظة رقم ١٠ بحربرا، ترجمة الوثيقة نمرة ٦٨، مؤرخة في ٩ ربيع الآخر ١٢٤١هـ
من مجهول إلى ولى النعــم

«سيدى ولى نعمتى، نعرض إلى أعتاب ولىّ النعم أن المحلات التي حكم الشريف علي بن حيدر أمير أبو عريش لم تقبل الحكام المرسولين من طرف الشريف ولذلك سلط عربان يام على عربان المحلات المذكورة بقصد تأديبهم كما أن علي بن مجثل[1] كان ينوى إرسال أخيه سعيد إلى طرف الشريف مع عدد قليل من عربان عسير لكى يؤلف بين الشريف وبين عربان تلك المحلات، وحيث أن علي بن مجثل وجد هذا الترتيب بقلة عقله وأنه عندما تأمل وتفكر في أن عاقبته توجب له الندامة، فإنه أسرع بعرض ذلك على صاحب الرأفة ولدكم الباشا وأرسل إثنين من رجاله بصورة مخصوصة، وعليه فإنّ ولدكم المذكور عندما اطلع على الكيفية لم يعجبه ذهاب سعيد المذكور بهذه الصفه وقد قال للرجلين اللذين حضرا ليس لعلي وسعيد أن يقوما بمثل هذا العمل الغير مناسب فاليقعدا في مكانهما ثم حررت الورقة

---

(١) في الحقيقة أن أمير عسير آنذاك هو سعيد بن مسلط، وكان علي بن مجثل ساعده الأيمن، حيث تولى بعده إمارة عسير، وهذا يدل على جهل كاتب هذه الرسالة باحوال عسير، حتى أنه لايعرف أمير عسير آنذاك.

اللازمة المحتوية عـلى الأمر بمنـع إرسال سعيـد المذكـور إلى تلك الجهة وصـرف الرجلين المـذكورين هـذا وقد تجـاسرت عـلى تقديم عـريضة العبودية هذه» .

من مجهــول

ملحق رقم (٤)
دار الوثائق القومية بالقاهرة

دفتر ٥٣ معية تركي، الوثيقة رقم ٤٨٨ صفحة ٧٧، مؤرخة في ٢٢ جمادي الثانية ١٢٤٩هـ.

من الجناب العالى إلى بغوض بك

«بناء على الفتح المبين والنصر الجليل اللذين وفق اليهما سفننا المنصورة المرسلة على المخالفين الموجودين في موانىء اليمن، حيث تمزّق جمع المخالفين شذر مذر فلم يبق لهم على وجه البحر أثر وحصل الاستيلاء على سفائنهم، فقد اقتضى الحال استئصال شأفتهم أيضا من القرى ومن أجل ذلك سنرسل ذا النجابة ولدنا أحمد باشا ناظر الجهادية إلى تلك الجهات، فعليه يلزم إعداد نحو أربعين ألف فرانسة فإذا علمت ذلك بإذن الله تعالى أرنى همتك وشطارتك يابغوض بالحصول سريعا على أربعين ألف فرانسة محسوبة من أصل ثمن قطننا الذي سنبيعه إلى تجار الاسكندرية، وبقدر ماتسرع بارسالها لطرفنا يكون سرورنا كثيراً والسلام».

ملـحق رقم (٥)
دار الوثائـق القوميـة بالقاهـرة

محفـظة رقم ٢٦١ عابـدين، تـرجمـة الـوثيقـة رقم ٣٤١، مؤرخـة في ١٢٥٣هـ

من أحمد باشا إلى الجناب العالـي

«سيدى حضرة صاحب العاطفة السنى الشيم: يظهر أن عائض الشقى مازال يتردد بين غامد وعقيق نافثا سموم الاغواء والافساد بـين الأعراب، على نحو ماكتبنا لكم غير مـرة، ولما كـان واجبنا العسكـرى يحتم علينا الاطلاع على أحوال الثائرين، كنا قد أرسلنا جواسيسنـا إلى جهـة عقيق، فقد عـاد اليوم هؤلاء منهـا وأخبروا بـأن الشقى المذكـور لا قبل له بمحاربة القوة العسكرية التي خصصناها بالحجـاز، وتهامـة، كما أخبروا بأنه لم يجد في نفسه جـرأة للزحف على الجيش المـرتب الذي قام إلى بسلة والذي لم نغتر في تموينـه ولا للالتقـاء بهم. ولم يجرو أيضـا على الثبات في موضع حتى يسار اليه ولـذلك رجـع القهقرى من جهـة غامد ومن القرية المسماة عقيق خائبا مخذولا وهذا ماجعلنا نؤخر إرسال المدافع الثلاثة المجلوبة من مكة وكـان مقررا إرسـالها اليـوم إلى بسلة، هذا وقد كتب الينا الشريف محمـد أبو شـرين يخبر بـأنه تـرك محمد بن مفرح الشقى مل ألف ثائر من الغرب في جهات غـامد ولكن الأخبـار التي أتى بهـا جواسيسنـا أصح من خبـره، ومـع ذلـك أخـرجنـا اليـوم جـواسيس يـوثق بهم لتحقيق هـذا الخـبر ومبلغــه من الصحـة، وانى سأقصد بعد الآن بكرمـه تعالى إلى جهـة غامـد وسأقف لا محـالة عـلى حقيقـة الأمـر من بيـانـات جـواسيسنـا الــذين سيقـدمــون من تلك الجهات».

ملحق رقم (٦)
دار الوثائق القومية بالقاهرة

محفظة ٢٦١ عابدين، الوثيقة رقم ٣٩٩، مؤرخة في ٥ ذى القعدة ١٢٥٣هـ،
من أحمد شكرى إلى حضرة صاحب الدولة

«لقد تلقيت أمراً بإرسال أورطة من العساكر السودانية إلى خورشيد باشا وسوق ما تبقى من هذه العساكر إلى اليمن رأسا، وقد أرسلها بتاريخ ١١ شعبان ١٢٥٣هـ . . . وبما أن الشريف حسين بن الشريف قد أنبأ سر عسكر اليمن أن أشقياء العسير ويام قد اتفقوا فيما بينهم على الاعتداء على سواحل اليمن وأنهم أوشكوا أن يزحفوا عليها فقد طلب السر عسكر المومأ اليه في خطابه المؤرخ في ٧ شوال ١٢٥٣ أن نمده بفريق من العساكر، وقد أخطرنا بدورنا شرين بك بوجوب قيامه إلى القنفذة حتى إذا ما اتضح له أن أشقياء عسير زحفوا على سواحل اليمن، أنزل العساكر إلى المراكب المعدة بمرفأ القنفذة وقام بهم إلى ميناء جازان رأسا وسار من هناك إلى أبو عريش وأخطر سر عسكر تلك الجهة بقدومه أن عساكر الجهادية الموجودة القنفذة ١٣٦٦ نفرا وبعد تنزيل الموجود منهم بالمأموريات والمستشفى تبقى أكثر من ألف عسكرى جميعهم أشداء أقوياء نأمل عرض الأمر على أعتاب الجناب العالى».

من الطائف **أحمد شكرى**

ملــحق رقم (٧)
دار الوثائـق القوميـة بالقاهــرة

محفظة رقم ٢٦١ عابدين، ترجمة الوثيقـة رقم ٢٤١، مؤرخة في سنـة ١٢٥٣هـ

سيدى حضرة صاحب العاطفة السنى الشيم[(١)]

«يظهر أن عـائض الشقى ما زال يتـردد بين غـامد وعقيق نـافثا سموم الاغواء والافساد بين الأعراب على نحو ما كتبنا اليكم غير مرة، ولما كان واجبنا العسكري يحتم علينا الإطلاع على أحوال الثائرين كنـا قد أرسلنا جواسيسنا إلى جهة عقيق، فقد عاد اليوم هؤلاء منها وأخبرو بأن الشقى المذكور لا قبل له بمحاربة القوة العسكرى التي خصصناهـا بالحجازز وتهامة، كـما أخبروا بـأنه لم يجـد في نفسه جـرأة للزحف على الجيش المرتب الذي قام إلى بسلة والذي لم نفتر في تموينـه ولا للالتقـاء بهم، ولم يجرؤ أيضا على الثبات في موضع حتى يسار اليه ولذلك رجـع القهقرى من جهة غامد ومن القرية المسماة عقيق خائبا مخذولا، وهـذا ماجعلنا نؤخر إرسال المـدافع الثـلاثة الجلوبـة من مكة، وكـان مقرراً إرسالها اليوم إلى بسلة. هذا وقـد كتب الينا الشـريف محمد أبـو شرين يخبر بأنه ترك محمد بن مفرح الشقى مع ألف ثائر من العرب في جهات غامد، ولكن الخبر الذي أتى به جواسيسنا أصح من خبره، ومع ذلـك

---

(١) لم يرد اسم كاتب هذه الرسالة، ولكن من المرجع أن يكون أحمد باشا لأنـه القائـد الذي تولى مسالة عسير، ومما يؤكد ذلك نمط الرسـائل التي كـان يوجههـا أحمد بـاشا إلى محمـد علي، فيذكر في المقدمة إلى حضرة صاحب العاطفة.

أخرجنا اليوم جواسيس يوثق بهم لتحقيق هذا الخبر ومبلغه من الصحة وأني سأقصد بعد الآن بكرمة تعالى إلى جهة غامد وسأقف لا محالة على حقيقة الأمر من بيانات جواسيسنا الذين سيقدمون من تلك الجهات».

ملـــحق رقم (٨)
دار الوثائـق القوميــة بالقاهـــرة

محفظة ٢٦٢ عابدين، الوثيقـة رقـم ٥٤ حمراء، مؤرخـة في ٢٢ جمادي الأولى ١٢٥٣هـ، من أحمـد باشـا إلى حضرة صـاحب العـاطفـة سنى الشيم سلطاني.

«وصلنى اليـوم تقـريـر من إسمـاعيـل بـك يتضمن انهزامـه في الحوطة والحلوة وعودته إلى الرياض، وما يعانيـه من الضيق من ناحيـة المؤونة والنقود ويطلب فيه موافاته بالآى وأربعمائة خيـّال، ولئن كانت الحالة تستوجب تسيير الآى وعدد كاف من الخيالة إلى الرياض ألا أننى على نحو ما جاء في الخطاب الذي أرسلته لحضرتكم بتاريخ ١٣ جمادى الأولى ١٢٥٣هـ، قد استقدمت الألايـات السودانيـة والألاى السابـع وأوفدتهم إلى تهامـة واليمن لملاقـاة الشقى عائض فيـها إذا اعتدى عـلى تلك الجهـات . . . . هذا مـا لما كنـا قد طلبنـا قبلا من عـربان عتيبـه لاستخدامها عند قيامنا إلى العسير فإن هذه الجمال سترد قـريبا ونسـيّر هذه العساكر إلى الرياض مع الشريف منصور».

ملـــحق رقم (٩)
دار الوثائــق القوميــة بالقاهـــرة

محفظة ٢٦١ عابدين، ترجمة الوثيقة باللغة التركية، مرافقة لصورة سليمان بك المؤرخة في ٢٣ جمادى الآخرة ١٢٥٣هـ، المقدمة بشرح محمد أمين بك المؤرخ غرة رجب ١٢٥٣هـ مؤرخة في ٢٧ جمادى الآخرة ١٢٥٣هـ.

من أحمد شكرى إلى خورشيد باشا

«لقد طالما عقدنا النية على أن نستقدم من الألايات التي في امرتكم ألا يا نرسل بدله من قبلنا إلى نجد، ولكن حال دون ذلك أن الشقى عائض مشى يومئذ إلى الحجاز مستميلا قبائل غامد وزهران ومدخلا اياهم في زمرة أتباعه وأشياعه، حتى أنه أخذ من ديارهم خمسة عشر ألفا جاء بهم على العقيق حيث كتب الرسائل إليّ بقوم وشلاوة قائلا لهم: هل لكم من الانحياز الينا، ومستهويا إياهم بما أبداه من شتى أساليب الخداع، على أن هؤلاء ماكادوا يعلمون بأن الجيش السابق ارساله إلى بسل سينهض للمسير على العقيق حتى التزموا جانبنا معرضين عن عائض.

وبينا نحن منهمكون في تدعيم مركزنا الحربي في الحجاز وتهامة، بنقل العساكر والمهمات إلى بسل ماضون في التأهب للمشى إلى عائض، إذا بجواسيسنا قد أخبرونا بأن هذا الشقى قد تبيّن عظم التهلكة التي قد يلقى بنفسه اليها سواء بمسارعته إلى المجيء للقائنا أو بتوقفه لانتظار زحفنا عليه فلم يلبث أن غادر غامد والعقيق مرتدا القهقرى».

ملحق رقم (١٠)
دار الوثائق القومية بالقاهرة

محفظة ٢٦٣ عابدين، وثيقة رقم ٢٢ حمراء، مؤرخة في ٢٩ ذى الحجة ١٢٥٣هـ
من أحمد باشا إلى حضرة صاحب الدولة

«حضرة صاحب الدولة . . . . لقد ذكرت في غير هذا الخطاب أننى سأنهى موضوع النكال (الغرامة) وأحيط دولتكم علما بالنتيجة، لقد تأخر قدوم بطن من بطون قبيلة دوس ألا أنهم قدموا علينا أخيرا، وقد كلفناهم في البداية أن يدفعوا غرامة قدرها ١٤ ألف فرانسة ولكنهم لم يستطيعوا ألا على ١٢ ألف فرانسة، فوافقنا نظرا لوجود تحريض لهم من عسير وخوفا من أن تستمر المقاومة مما يجبرنا على البقاء ثلاثة أشهر أخرى على الأقل . . . وحبق قد تحقق لدينا أن الشقى عايضا قد أوفد الخبيث محمد بن مفرح إلى بنى شهر، وكان الخبيث الآخر المدعو بن دهمان الذي كان يقيم قبلا برتبة بجهة رغدان من أعمال العسير قد بارح رغدان على أثر وصول الجيش المنصور إلى المرحلة المسماة (كضامة بهر)، وأتى شمران ونزل في جهة محاذية لحدود غامد، كما وصله الشيخان نوية وابن ضبعان إلى البيشة ونزلا فيها . . . وحيث أن هؤلاء اناس من أقارب الشقى عائض وسوف لاينقطعون عن التحريض، والاغواء الذميم ونظرا لأن قبيلة زهران قد توقفت عن الخضوع وعمدت إلى الخدع حتى زحف الجيش عليها، فقد رأينا بالنسبة لهذه الظروف أننا لو كلفناهم أكثر من ذلك لوجب الأمر أن نرابط في قراهم مدة ثلاثة أشهر على الأقل في حين أنه ليس

من المناسب والحالة هذه توجيه الجيش على قرى غـامد حتى نتفـرغ إلى معالجة الأمـور التي بسطنـاها آنفـا (أي شئون عسـير) . . . فما لم يتم أخذ عصاة العسير ويؤدبوا جديًا فأنه لمن المتعذر تحصيل الغـرامات التي نفـرضهـا عـلى العـربـان الأخـرى . . . . ولمـا كـان الألاى الحـادي والعشـرين يجلب من البجيلة إلى الجهـة التي نـرابط فيهـا وقـد وزعت الجمال المطلوبة لقيامه على قبليتى مالك وبنى عمـرو حيث أننا في حـال وصول هذا الألاى سننقل مقرنا إلى جهات قرى غامـد حيث نشرع اذ ذاك في اتخاذ التدابـير اللازمـة ضد عصـاة العسير، فقـد رأينا أن هـذا ليس وقت فرض الغرامة عليهم فالمـرجو عـرض ذلك عـلى أعتاب ولى النعم» .

من زهران | المرسل
أحمد باشا

ملـــحق رقم (١١)
دار الوثائــق القوميــة بالقاهـــرة

محفظة ٢٦٣ عابدين، الوثيقة الحمراء رقم ١٢٣، ص ٣، مؤرخـة في ٦ ربيع الأول ١٢٥٣هـ، مرسلة من أحمد باشا إلى صاحب الدولـة

«إنّ أمر إدخال قبيلتي غامد وزهران في الطاعـة قد حـزّ في نفس الشقى عارض على نحو ماأنبأنا دولتكم قبلا، وقد اتصل بنا أن الشقى الآنف الذكر قد عمد إلى قبائل عسير وبالأحمر بالأسمر وبنى شهر وبنى عمرو وشمران وبالقرن ورجال ألمع وشهـران ومحايـل، فأثـارها وجمـع رجالها حوله وزحف بهم علينـا، فأقمنـا على أثـر ذلك الاستحكـامات والمتـاريس حول المكـان الذي ينـزل فيه الجيش مـراعـاة لـلاحتيـاط، واتخذنا الأسباب والوسائل التي من شأنها إرجاع الشقى من حيث أتى. وفي يوم الثلاثـاء الموافق ٦ صفـر الخير الحـالي وصل هـذا الشقى ونزل بمجموعة خلف الجبل الكبير القائم تجاه معسكر الجيش، ولئن كان من اللازم اذ ذاك أن نسير عليـه ألا أنه بـالنظر لـوجود قبيلة زهـران خلف الجيش، وحيث أن هذه القبيلة لا يعتمد عليها فأننـا لم نر من الـواجب أن نفعـل ذلك، ولـذا فقد عمـدنا في مقـابل ذلـك إلى إدخال أورطـة الألاى السـابع الثـلاث إلى القريـة المسماة دفـير الكـائنـة في النـاحيـة الشمـالية من معسكـر الجيش، وقـوينـا النقـاط الأخـرى بـالعسـاكـر واستعـددنا للقتـال، وفي نحو السـاعة الثـانية من يـوم السبت المبـارك الموافق ١٠ الشهر الحالى انحدر الأشقياء من الجبل الذي كانوا يرمـون من وراء ذلك إلى الاستيلاء على القرية التي سلفت الاشارة اليها. على أن العساكر عملا بتعليماتنا لم يطلقـوا عليها نـار في بادىء الأمـر، وما

أن بلغوا في تقدمهم مرمي الرصاص حتى بادرهم حسن بـك الميرالاي السابع بإطـلاق النار، وشرع في مهاجمتهم، وفي أثناء ذلك كان فـريق الأشيقاء الذي هاجم القرية الآنفة الذكر قدمنى بالإنكسار وارتداد على عقبـه، وحينئذ هـاجم خورشيـد بـك الميـرالاى التـاسـع عشر فريق الاشقيـاء الذي زحف عـلى القريـة القائمـة إلى يسار البـرج والمتاريس الكـائنة تجـاه وسط الجيش، حيث يوجـد الميرالاى حسن بـك فانقلب على هذا الفريق وهزمـه، وسارت في نفس الـوقت أورطتان من الألاى الحـادي والعشـرين عـلى الفـريق الـذي هـاجم جنـاح الجيش الأيمن فشتتـاه، كما انقض الخيّـالية عـلى الأعداء من محـاذاة البرج القـائم إلى يسار الألاى السابع، وبذلـك أرغم الأعداء عـلى أن يولـوا الأدبار من كـل ناحيـة دفعة واحـدة، وراحت العساكـر تتعقبهم وتـطاردهم حتى رأس الجبل الذي شرعوا في زحفهم منه، ومن هناك ساقوهم إلى مكان تجمعهم حيث استولت العساكـر على خيـامهم ومؤنتهم وجميع مـا كان لديهم هناك، وتشتت جمع الأعداء وسار كل فـريق في جهة بفضـل الله تعالى، أما الشقى عائض فقد ركب في جماعة من خيـاّلية وولى الأدبـار المنكودة . . . وقد قطع الطريق على عربان قبيلة رجال ألمع وقبض على العدد المبين آنفا من رجالها واستولى عـلى ما كـان بأيـديهم من السلاح والجنبيّات».

ملحق رقم (١٢)
دار الوثائق القومية بالقاهرة

محفظة ٢٦٣ عابدين، الوثيقة بالقلم الأحمر رقم ٦٧ مكرر، مؤرخة في ٢٣ رجب ١٢٥٤هـ من أحمد شكرى باشا إلى المعية السنية:

«سيدي حضرة صاحب الدولة . . . لقد حكيت في كتابى المرسل بتاريخ ٢١ من جمادى الآخرة ١٢٥٤ هـ جاءنا مشايخ قبيلة ألمع للمفاوضة في رجالهم المحبوسين وما دار بيننا وبينهم من الأسئلة والأجوبة، وكيف أنهم وعدونا أن يلحقونا بموضع قوز إلا أن مشائخ رجال ألمع لم يوفوا بوعدهم.

ومع أننا علمنا أن ليس لهم غرض سوى القيل والقال، فقد استمهلنا نفر من رجال ألمع مدة عشرة أيام إلى خمسة عشر يوما فأوفدوا اليهم مندوبين وأرسلوا معهم كتبا، وقد كنت كتبت في كتابى المحرر في ١٤ من جماد الأولى ١٢٥٤هـ، أننا سنخلى سبيل سجنائهم إذا انتهى الأمر إلى نتيجة توافق غرضنا المنشود وأننا لنرى أرسال أولئك الأسرى إلى مصر إذا سلكوا مسلك التعليل والتسويف، وصرحنا مايوجب ذلك في كتابى المحرر في ذلك التاريخ. وبما أننا قلنا لهم عندما كلمناهم

هامش:
سيدي إذا أرسل الأسرى إلى جدة فإني آمل أن رجال ألمع سيقتنعون أنهم سيرسلون إلى مصر شيئا فشيئا ويلجأون إلى الخضوع، ولئن تألفنا رجال ألمع لهان أمر (عائض) و (ريدة) بعون الله تعالى، لذلك ساجتهد في إدخالهم في الطاعة بسهولة».

"لئن اطعتمونا وانتهى الأمر مطابقا للشروط التي سنتخذها معكم لنخلين سبيل أسراكم ولئن لم ننته إلى نتيجة لنرسلهم إلى مصر".
فسنضع الأسرى المذكورين في قوارب ونرسلهم إلى جدة، أما مخلصكم فيقيم الآن مع الألاى الحادي والعشرين بالموضع الذي يقال له (القاع) الواقع من القنفذة على مسافة ساعة ونصفها، والرجاء أن ترفعوا إلى أعتاب ولى النعم أن الأمن السائد في هذه الديار، ولم يحدث شيء يستحق الاخبار والاشعار سوى ماذكرت.

الخاتم
أحمد شكري

ملـــحق رقم (١٣)
دار الوثائـق القوميــة بالقاهـــرة

محفظة ٢٦٤ عابدين تركي، الوثيقة رقم ٢١٣ حمراء، مؤرخة في ١٤ شعبان ١٢٥٤هـ، من الباشا سر عسكر اليمن إلى صاحب الدولة:

«كنت قـدمت إلى دولتكم كتابـا ذكرت فيـه المقدار الـذي يمكن بيعه بهذه الديار في مـدة سنة واحـدة من ثوب البفتـة الذي أرسـل مع قواس تركي عينتـه من القماش الـذي نسج بـالقاهـرة عملا بـالارادة وأوضحت الأمر فيه . . . فكتبت إلى محـافظ مخا أسـأله هـل يمكن بيع أثني عشر ألف ثـوب من البفتة في السنـة بالأثمـان التي قررهـا التجـار عندما يوجد القماش الأمريكاني وقماش دولايتى الواردين إلى بندر مخـا منـذ سنــة ١٢٥١ ـ ١٢٥٣هـ، لأرسله إلى دولتكم فـتــرفعــون إلى الأعتاب، وأن يرسل قطعتين مصبوغتين من القماش المنسوج بالقاهرة والقماش الامريكاني. فأجابنى المحافظ المـذكور بـأنه سـأل تجار ذلـك البنـدر والخبراء فقـالوا أنـه لا يمكن بيع اثنى عشر ألف ثـوب من ذلك القمـاش إذا ورد قمـاش بكثـرة من الجهتـين المـذكـورتـين فضـلا عن احتمال تخفيضهم الأثمان التي قررتموهـا من قبل، وأخبـروه أن قماش الأمريكاني ودولايتى أحب إلى أهل هذه البلاد لكونهما أوفر طولا وأكـثر قبـولا للصبغ، وقـد أرسل كشفـا عن المقدار الـوارد منـه من الجهتـين المذكورتـين منذ سنـة ١٢٥١هـ لغايـة ١٢٥٣هـ وقطعتـين مصبوغتـين إحداهما من منسـوج القاهـرة والأخرى من قمـاش دولايتى نموذجـا، فأرسلنا كل ذلك إلى دولتكم طيـا. فأرجـو أن تخبرونى بـوصول ذلـك وتخبرونى ما قر عليه الرأي في هذا الشأن».

ملــــحق رقم (١٤)
دار الوثائـق القوميـــة بالقاهــــرة

محفظة ١٨ بحربـرا تركى، الـوثيقة رقم ٥٧، مؤرخـة في ١٢٥٥هـ، من الشيخ محمد الدوسرى أبو نقطة إلى الجناب العالـى:

«حضرة سيدى وأميري صاحب الدولة والعناية والرحمة الـزائدة ولى النعم كثـير اللطف والكرم . . . وقـد تجاسـرت بتقديم عـريضتى هذه متابعا بها اخلاصي وصدق عبـوديتى وتجرئـا بها عـلى طلب كسوتى وسنويتى المرتبة لها من احسان الجليل مع التزامي بتجاوز حدى، ولكن ليس لى ملجأ غير باب سيدى مآب الرحمة مظهـرا شكرى عـلى احسان ولىّ النعم الغـالى الشأن الـذي صـرت مـظهـرا لـه من غـير أن أكـون مستحقا له، وأن الداعي لعريضتى هذه المقدمة بساحـة أبهته العميمـة المراحم التي استرحم بها اعطاء السنوية والكسـوة المرتبـة، وأنه وصـل للعبـد الحقير المـرتب المحسوب لسنـة ثلاث وخمسـين وقدرة ثـلاثمائـة فرانسة مع الكسوة بالمقام، والآن أطلب منه أن يصدر أمره وارادته إلى المأمورين بصرف سنويتى المعلومة المقدار على الوجة المقنن مع الكسـوة عن سنـة ٥٤هـ، وأن يشملنى بعنايتـه ورعايتـه فيأمـر بصرف سنـويتى وكسوتى عن سنة ١٢٥٥هـ برأيه الصـائب وفكره الثـاقب كما هـولائق بهممـه السنية وإعـطائهـا لـوكيله في المحـروسـة الشيـخ عبـد المحسن الدرعية ومن أجل هذا قدمت عريضتى والأمـر بهذا الخصـوص وبكل حال لحضرة ولىّ النعم والكـــرم».

الداعي
الشيخ محمد الدوسرى أبي نقطة
المقيم بمكــة

ملـــحق رقم (١٥)
دار الوثائـق القوميــة بالقاهـــرة

محفـظة ٢٦٦ عابـدين تركى، الـوثيقة رقم ٥ أصليـة، ١٩٢ حمـراء، العلاية في ١٤ ربيع الأول ١٢٥٥هـ،
من أحمد باشا سر عسكر الحجاز إلى حسين باشا باشمعاون الخديوي

«سيدى حضرة صاحب الدولـة والشيم الحميدة. لقـا أمرنـا في الأمر السامي الصادر في ٢ من صفر ١٢٥٥هـ بأن نسحب المدافع على الريدة التي هي مأوى الشقى عايض هابطين بها من فوق الجبـل، وقد يمكن ذلك بعد أن نسوق الجنود إلى الإمام فنسخر المـوضع المـطلوب، ولا يصعب ـ كما جاء في الأمر المشار اليه ـ أن ننقل المدافع على الجمال تـارة وبجهد العتـالين أو الجنـود أو بقوة النقـود نظرا لاختـلاف أحوال الأرض وهذا أمر معترف بهذه، إلا أن نقل المدافـع بالجمـال أو بجرّهـا بجهود العتالين وانزالها من فوق الجبل لا يكون إلا بـوجود حبـال متينة

هامش ١ : «إنّ طريق نزول المدافع من الجبل إلى الريدة لوعر جـداً فقد حـدث من الصخور هوه وحدور وغير ذلك من المواقع في بعض مـواضعه، فلن يمكن نقلهـا أبدا بـواسطة الجمـال وإنما بالجـر والحمل ولـذلك يجب أن يكـون المهندس الـذي سيأتى مـاهرا وحـاذقا في مهنتـه. ولا ريب أن المدافع التي ستنزل إلى ريدة لا تضرها إذا كـانت من عيار خمسـة أو ستة لـرصانـة الريدة كما جاء في الأمر السامي، ولذلك سننزل آخذين معنا مدفع أبوس م عيار ١٤، وثلاثـة مدافع أبوس من عيار ٧، ومدفعا من عيار ٥، ويحتاج نقلها إلى الآت لثقلها وضخامتها، وقد جاء في الأمر أن مجلس الجهـادية قـد تشاور في انـزال المدافـع إلى الريـدة، غير أنهم لما كانـوا يجهلونها رأي الجنـاب العالي أنهم لم يصيبـوا فيما كتبـوه، فإن اسمـاعيل حكمـدار نجد سـابقا وسليم بك الحجازي وسليم بك الطويل أحد أمراء الآلايات وحسن بـك من أمراء الآلايـات الفرسان. وقد رأوا هذا المكان ومنهم من نزل اليه فلو سئلوا لقصوا عليكم درجة وعورة الجبل ولأرشدوكم إلى طريقة انزال المدافع منه»

وخشب وغير ذلك من الآلآت التي يحتاج اليها، فالمرجو أن تبلغوا الأعتاب السامية حاجة الجيش لذلك ولمهندس قدير اذ أن الجنود الذين بالحجاز لعلى سفر وإنتقال مستمرين».

هامش ٢ : «يا أخي نعلمكم أن خمسة المدافع من عيار ١٤، ٧، ٥، التي ذكر في هامش كتابنا موجودة لدينا. والمرفق ملخص الأصل وقد جاءت فيه هذه العبارة إفادة نمرة ٦ في ٧ من جمادى الأولى ١٢٥٥هـ، كتب اليه أن المهندس سيرسل وكذلك الآلات اللازمة إذا جمع سر عسكر نجد العدد الكافي من الجمال واجتمعت الذخيرة الكافية في شونة جدة فآن أوان الزحف على عايض» أ. هـ .

ملـــحق رقم (١٦)
دار الوثائـق القوميـــة بالقاهـــرة

محفظة ٢٦٩ عابدين، الوثيقة رقم ٦ أصلية، ١٥٥ حمـراء، مؤرخة في ٨ صفـر ١٢٥٦هـ، من محمـد أمـين وكيـل محـافظ مكـة إلى صـاحب الدولــة

«إن أحمد باشا كان قد جمع من أربعة آلاف إلى خمسة آلاف حتى يواجه بهم الشقى عندما ينزل لأبو عريش، ولكنه جـاء طامي وأكـد له أن عايض لم يذهب إلى اليمن وإنمـا أرسل محمـد بن مفرح رئيسـا على فصيلة من الرجال ما بين ثلاثة آلاف وخمسمـائة إلى أربعـة آلاف ثائـر إلى أطراف أبي عريش، وأنه تحقق كون الشريف حسين هـو واخوتـه يجمعـون العرب ليقـاومـوا بهم وأن الشـريف يحى بن أبي طـالب هـو وبضعة من العرب في حالة تحصـين وأن بعض الاشراف الـذين هم في أطراف اليمن هم مع العسكر المذكورين، فبناء على هذا التقير يلزم أن يكون العسكر في احتياط تام ولذلك لم يعد لازما إرسال عسكر كثـير، فلا يرسـل السفن التي كان طلب تخصيصهـا وإرسالهـا فاعلمنـا محافظ جدة بما هو الواقع، وأكدنا عليه أن يرسل سفينـة نجاب ليلحق السفن التي ذهب ويستردها. وعرضنا على الباشا المشار اليـه مافعلنـا هذا وأن الألاي الثـالث عشر المذكـور إذا صعد إلى مينـاء جازان فـإنّ الشريف الحسين سيترك جمع العرب الذي أخذ يجمعهم ويبقى وحده تاركا سوء تدبيره وهذا ما يلزم ملاحظته»

وكيل محافظ مكــة
محمــد أميـن

ملـــحق رقم (١٧)
دار الوثائـق القوميـة بالقاهـــرة

"محفظة ٢٦٩ عابدين، الوثيقـة رقم ٢٠ أصلية، ١٣٢ حمـراء، ورقة ٣، نمرة ٩، مؤرخة في ١٦ صفر ١٢٥٦هـ، من أحمد باشا إلى الجناب العالي، بشأن الصلح مع عايض".

«بنـاء عـلى الإرادة المؤرخـة في ١٣ ذى الحجـة ١٢٥٥هـ، لقـد ذهبنا إلى معسكر الجيش وأرسلنا مافيه من جبة خانة ومهمات بأجمعهـا إلى القنفـذة ورأي العـرب من ذلــك أن العسكـر الــذي في القنفـذة سيذهب إلى مصر فتوقفوا عن إعطاء الجمال فعلمنا لهم أنواع الترهيب حتى عرفوا أني سأذهب بالعسـاكر الكثيـرة إلى اليمن وأني لا أرجع عن عائض مالم أضيق عليه فلانت شـرتهم. وبهذه الصـورة أرعبت العرب من جهة وخدعتها أيضا من جهة أخرى. ونقلت الجبة خانـه والمهمات والعسكـر إلى تهامـة وأرسلت المهمات المـذكورة إلى القنفـذة، وبعثت بالعسكر إلى المبنى وبعد يوم أو يـومين سـأذهب بهم إلى القنفذة وحيث أن مناخ (هواء) القنفذة يضر بالعسكر، فإني من الواضح أن إرسالهم إلى جـدة سيكون أوفق وأصلح ولكن بـذهاب العسكـر إلى جدة فـإن عايضا يفسد أهل الحجاز فيميلون اليه، فإذا كانت الارادة تـوافق على عقد الصلح معه فأني سأكتب خفية لأحد المشـائخ ليـذهب ويتحسّس أحواله ويقيم درجة ميله إلى اصلح ورغبته به، وحينئذ نكتب له خطابا ملونا نخدعـه به نحـو شهرين . . . وحـاصل القـول نرجـو أن نعرف مـا هي الإرادة بخصوص ذهـاب العسكر إلى جـدة وعقد الصلح مـع عايض وأن تعرفوننا سريعا وهذا ما نطلبه».

ملـــــحق رقم (١٨)
دار الوثائـق القوميـة بالقاهـــرة

محفظة ٢٧٠ عابـدين، ترجمـة الوثيقـة نمرة ٧١ حمـراء، مؤرخة في ١٩ ربيع الأول ١٢٥٦هـ، نمرة ١٤، من مصـطفى توفيق محـافظ ينبع إلى باشمعاون الخديوى:-

«حضـرة صاحب الـدولة والأبهـة مـولاى ولى النعم . . . كـان البكبـاشي مصطفى أغـا أكبر ضبـاط الجنود الـذين كانـوا محمولـين في السفن التي ذكـرناهـا في العريضـة رقم ١٣، المكتوبـة في ١٩ من ربيع الأول ١٢٥٦هـ، وقـد سألنـا عن أخبار تلك الـديار فقـال: إنه كـان خلال هذه الفتن بأبي عريش مع عدد قليـل من الجنود وأنهم استـأمنوا الشريف حسين إذا أغار أشقياء عسير على أبو عريش بـاتفاق منهم مـع الشـريف المذكـور فلم يؤمنهم، وأن ابن مفرح كبـير العسيريـين الذين أغاروا على ابن عـريش أمنهم وأطلق سراحهم والمغـاربة الـذين كانـوا معهم، وأنه قال للمغاربة الذين معه : تعالوا نصـبر ونثبت ههنا أيـاماً فلم ينفعهم نصحه بل أن طائفة المغـاربة هم الـذين ذهبوا أنفسهم إلى أهل عسير واستأمنوهم، وأن الشريـف الذي تنعم أباؤه وأجداده بنعمة ولي النعم لم يجب التماس الجنود إذ استأمنوه مع أن أشقياء عسير الذين هم عـدونا من سنـين عديـدة أجـابـوا طلبهم وآمنـوهم وسمحـوا لهم بتخلية البلد الذي هم فيه وذهابهم حيث شاءوا، وأنهم لما آمنهم عسير وأذنوا لهم خرجوا من حيث كانوا حتى أتو ينبع، وكان يحكي البكباشي المشار إليه حكايته متعجباً.

ملحق رقم (١٩)

دار الوثائق القومية بالقاهرة

محفظة رقم ٢٦٩ عابدين، الوثيقة رقم ١٢٣ حمراء، ١٩ أصلية، مؤرخة في ٥ ربيع ثاني ١٢٥٦هـ، من أحمد شكري إلى صاحب الدولة:

«لقد كتب لنا محافظ القنفذة أنه علم من انهاء الجاسوس الذي أرسله لتجسس أحوال الشقى عايض أن الشقى المذكور دعا عنده مشائخ القبائل الذين معه، ونبه عليهم أن يكونوا حاضرين تحت الطلب لليوم المعلوم الذي يريد أن يثور به، وأنه أعد غلالاً تكفي لمدة شهرين، ولكنه لما سمع أنّنا قمنا بالعسكر إلى غامد وزهران فترت عزيمته وركدت همته، ومع ذلك نبه على العرب أن يكونوا حاضرين ومنتظرين للأخبار التي ترد من الأطراف، فبعثنا نحن من طرفنا جواسيس موثوق بهم إلى تلك الجهات ليأتون بما يسمعونه وعندما يعودون سنعرف منهم ما عليه عايض الشقى. وبما أنه حصل في أطراف بيشة شيء من اختلال الأحوال بافساد على الصعيدى ومنيس وتعرضوا بالشر للفرسان الموجودين في القلعة، فقد أرسلنا على وجه الاعانة لهم مئة فارس، وأرسلنا أيضاً في هذه المرة للمحافظة على القلعة الموجودة في بيشة سليمان أغا وجماعته من رؤساء المشاة ليقيموا فيها وسنرسل مقداراً آخر من المشاة والفرسان. وجاء عندنا عدة من مشائخ بيشة الذين يفهمون الكلام مثل مضر بن غشان وابن شكبان وركبان بن أكلب وتحدثوا إلينا، وقد صار القاء القبض على حسين بن شهران وابن باخروش وجمعان بن راشد بن رقوش وعبدالعزيز

الغامدي ومحسن بن جعال وما أشبههم من المفسدين في زهران وغامد، وأودعناهم السجن وسنرسلهم اليوم أو غداً وهم تحت الحفظ إلى مصر. وكنا طلبنا ثلاثمائة جمل بأجرتها من أكلب وسننقل ونرسل إلى بيشة ما يلزم لعسكر البيادة المار ذكرهم من ميرة وغيرها لبضعة أشهر، وان أحوال البلاد اليوم هادئة وساكنة بظل ولي النعمة، فالمرجو منكم عرض ما ذكرناه على أعتاب ولي النعمة».

من الباحة

المرسل
أحمد شكري

ملحق رقم (٢٠)

دار الوثائق القومية بالقاهرة

محفظة رقم ٢٦٩ عابدين، الوثيقة رقم ٣٠٨ حمراء، ٧١ أصلية، مؤرخة في ١٩ رمضان ١٢٥٦هـ، من الشريف محمد بن عون إلى صاحب الدولة:

«كنا عرضنا في عريضتنا المؤرخة في ١٩ شعبان ١٢٥٦هـ، رقم ٢٨، إلى اعتاب ولي النعمة أن مسألة عسير قد اقترنت بالتسهيل والتيسير وأن الكلام بقى على ورود الشروط التي نطلبها من عايض بن مرعى، وأن نهاية حدود البلاد التي هي بيد أحمد باشا وتحت حكمه هي بلقرن وشمران وبيشة وحلى، وقد جاءت الشروط المطلوبة من عايض (أي التي يطلبها عايض) وفيها يقول: أنه يطلب أن يبقى في يده الجهات التي هي في يده في هذا الطرف كما كانت عليه من قبل هذا وإنه ـ ولله الحمد والمنة ـ فإن الأمن مستتب في جميع الأقطار الحجازية كما يريد حضرة الخديوي ليس يوجد محل يخاف منه أو يحذر، وإني قد بيّنت في العريضة المؤرخة في ١٩ شعبان ١٢٥٦هـ أنهم كانوا يريدون الهجوم على الجيش (أي عايض ومن معه) المنصور، ولكنه بذهاب عبدكم نحوهم لم يطيقوا أن يفعلوا ما نووه فبدل ابن مفرح قراره بالفرار. ثم بصرف النظر عن البلاد التي هي تحت إدارة أحمد باشا الموما إليه وبحكمه فإن من الممكن والسهل ببركة توجه حضرة الخديوي نحونا بعنايته يمكننا أن نستولى على جهات كثيرة، ولكن سبب كون العسكر الجهاديين مع حضرة الباشا الموما إليه في حالة سفر، وعبدكم إنما موجود معه خمسمائة وكسور من الباشوزدق (غير

المنظم)، فإذا قمنا لأخذ بلاد غير ما هو موجود بـأيدينـا من القدم فـإن ذلـك يكون سببـاً لابطال الشرط وقلة العسكر الـذين هم في معيتي، وضيق الوقت وعدم مسـاعدة الـوقت والحال لمـا تقتضيه المصلحـة كل ذلك يكون مانعاً، فإذا اتصل بعلمكم السامي هذا الذي نعرضـه فإنّ والارادة لحضرة من له الأمر»

المرسل

الشريف محمد بن عون

ملحق رقم (٢١)

دار الوثائق القومية بالقاهرة

محفظة ١٩ بحربرا تركي، الوثيقة رقم ١٢٥، شهر جماد الأولى ١٢٨٧هـ من محمد بن عائض إلى الجناب بالعالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم انا نرفع إليك أكف الضراعة والابتهال ونتوسل إليك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تديم عزك السرمدى ونصرك المؤيد إلى حضرة حامي حمى الأقطار المصرية ومشيد بنيانه أركان الممالك اليوسفية بآرائه الثاقبة، حضرة فخامة الخديوي الأعظم لا زالت شمس إقباله في بروج السعد شارقة ونحور اعدائهم في دمائهم غارقة. وبعد المنهي إلى الحضرة التي هي محط حال الآمال الداعي المخلص لم يزل مشتاق إلى مكاتبتكم وسائلا عن عافيتكم التي هي غاية المقصود من الرب المعبود، وقد صدر منا كتابين قبل هذا ونرسلهما من طريق وكيل القومبانية بجدة ولم ندرى هل عاقها فصدر من حمله من أتباعنا ليكون رد الجواب بيده إن شاء الله، وقد أوصيناه بثلاث خصال بها يخبرنا بها من رأيتم أحمد بيه اليمني أو غيره، ولم نشرح شيء في الكتاب لأجل الخطر مع كثرة الحساد بمحبتكم والقرب منكم، وإذا رأى حضرة أفندينا إرسال واحد سباك لقلل المدافع خاصة وجميع ما يليق بشغلها لهو لدينا من جزيل الإحسان وقوتنا لا فندينا كما علم الله انا صادقين في ذلك، والدهر مجرب ولا خير في قول بل عمل، ودمتم كما دمتم والسلام».

ختم
لله الملك الحق
ومحمد عبده

الداعي المخلص محسوبكم
محمد بن عائض

مصـــادر البحـــث

ـ الوثائـــق :

* الوثائق المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة وهي :
  - ـ محافظ الحجاز.
  - ـ محافظ بحربرا .
  - ـ الأوامر الكريمة الصادرة عن ديوان الخديوية في مصر.
  - ـ بند متفرقات .

وقـد اعتمـدت عـلى هـذه الـوثـائق اعتمــاداً كبيـراً من سنــة ١٢٣٨ ـ ١٢٨٧ هـ، وقـد أشـرت إلى أرقـام تلك الـوثـائق والمحـافظ الموجودة بها وتواريخها وأسماء مرسليها في هوامش البحث .

* الـوثائق المحفـوظة بـأرشيف مجلس الـوزراء بتـركيـا، وقـد اعتمدت على عدد منها وتتعلق بـالعلاقـة بين ولايـة الحجاز وبين عسير خلال الفترة من ١٢٦٧ ـ ١٢٧٤ هـ.

* بعض الـوثائق المنشـورة في عدد من المؤلفـات : وهي عبـارة عن مراسلات امراء عسير مـع عدد من أمـراء شبه الجـزيرة العـربية، وهي وثـائق منشورة، ولكن الفـائدة منهـا كـانت كبيـرة خاصـة فيها يتعلق بعـلاقة عسـير بأشـراف المخـلاف السليماني والحجاز.

المخطوطات:

- بدر الدين محمد بن إسماعيل الكبسى، اللطائف السنية في اخبار الممالك اليمنية، مخطوط بجامعة الملك سعود، المكتبة المركزية، قسم المخطوطات، رقم ٢٢٤٢.
- أحمد بن عبدالقادر الحفظي، سئوال أجاب عنه ابن عبدالقادر، مخطوط محفوظ بجامعة الملك سعود، المكتبة المركزية، قسم المخطوطات، رقم ٣/٣٣١٢م، كتابته في القرن الثالث عشر الهجري.
- الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدر في تراجم علماء القرن الثالث عشر الهجرى جامعة الملك سعود، المكتبة المركزية، قسم المخطوطات، رقم ١٣٣٤، تاريخ النسخ ١٣٤٦هـ.
- عبدالرحمن بن يحمد البهلكي، نفح العود في سيرة أيام الشريف حمود، مكتوب بالآلة الكاتبة، دارة الملك عبدالعزيز، قسم المخطوطات، رقم ٦١.
- مقبل الذكير، تاريخ نجد، مخطوط مصور محفوظ بمعمل قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية.

المصادر والمراجع العربية

- إبراهيم بن صالح بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات الأعيان وأنسابهم، وبناء بعض البلدان (من ٧٠٠ إلى ١٣٤٠هـ)، ط١، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام هارون، مطبعة السنة المحمدية، مصر ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.
- أبي العباس أحمد القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط١، القاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.
- أبي القاسم عبيدالله بن عبدالله المعروف بابن خرداذبة، المسالك والممالك مكتبة المتنبي، بغداد (بدون تاريخ).
- أبي القاسم محمد بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت (بدون تاريخ).
- أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، منشورات دار اليمامة، الرياض ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

كتاب الإكليل، جـ١، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

كتاب الإكليل، جـ١٠، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م.
- أبي محمد علي بن أحمد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام هارون، دار المعارف، مصر ١٣٨٢هـ/١٩١٢م.

- أحمد حسين شرف الدين، دراسات في أنساب قبائل اليمن، ط٢، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- أحمد زيني دحلان، تاريخ الدولة الإسلامية بالجداول المرضية، المطبعة البهيّة، القاهرة ١٣٠٦هـ.
- أحمد السباعي، تاريخ مكة، مطابع دار الكتاب العربي، مصر ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م.
- أحمد علي، آل سعود، مكة المكرمة ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.
- أحمد فضل بن عبدالمحسن العبدلي، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٥١هـ/١٩٣٢م.

- أمين الريحاني:
- تاريخ نجد الحديث وملحقاته، الطبعة الأولى، المطبعة العلمية، بيروت ١٩٢٨م.
- ملوك العرب، جـ١، ط٣، بيروت ١٩٥١م.
- أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية الأولى، ثلاثة أجزاء، دار الكتاب العربي، طبعة أولى، بيروت (بدون تاريخ).
- توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري (١٩٠٨ - ١٩١٤م)، رسالة من مطبوعات معهد الدراسات العالية، القاهرة ١٩٦٩م.
- د. جاد طه، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، دار الفكر العربي ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
- جاكلين بيرين، اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدري قلعجي، دار الكاتب العربي، بيروت (بدون تاريخ).
- جان جاك بيربي، جزيرة العرب، تعريب نجدة هاجر وسعيد الغز، ط١، منشورات المكتب التجاري للطباعة، بيروت ١٩٦٠م.
- جورج انطونيوس، يقظة العرب، ترجمة د. ناصر الدين الأسد،

دار إحسان عباس، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت (بدون تاريخ).
- حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ط٥، مطبعة لجنة التأليف القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
- حسن بن أحمد اليمني (عاكش)، الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين محمد بن عائض، تحقيق عبدالله بن حميد، دار الفكر، دمشق ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- حسين بن أحمد العرشي، بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وامام، نشره الأب أنستاس الكرملي، طبع في مطبعة البرتيري، القاهرة ١٣٥٩هـ/ ١٩٣٩م.
- حمد بن إبراهيم الحقيل، كنز الأنساب ومجمع الآداب، ط٧، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

حمد الجاسر:
- في سراة غامد وزهران، دار اليمامة للطباعة والنشر، الرياض ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، القسم الأول، ط١، الرياض، ١٣٩٧هـ/ ١٩٥٤م.
- معجم قبائل المملكة العربية السعودية، القسم الثاني، ط١، الرياض، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- الذهبي شمس الدين أبو عبدالله محمد بن حمد بن عثمان، العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد، دائرة المطبوعات والنشر الكويت ١٩٦٠ ـ ١٩٦٦م.
- الأمير سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، قدم له الأستاذ محمد العبودى، ط١، مطبعة الرياض ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.
- سنت جون فلبي، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب،

ترجمة عمـر الديـراوي، منشورات المكتبـة الأهلية، بيـروت (بدون تاريخ).
- د. سليمـان بن محمد بن غنـام، قراءة جـديدة لسيـاسة محمـد علي التوسعية، ط١، تهامة للنشر والتوزيع جدة ١٤٠٠هـ/١٩٨١م.
- سيد الماحي، نجران الحديثة، (بدون معلومات نشر).
د. سيد رجب حراز، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، معهـد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٠م.
- شرف بن عبدالمحسن البركاتي، الرحلة اليمانيـة، الطبعـة الثانيـة، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت (بدون تاريخ).
- شـوقي عطاالله الجمـل، الوثـائق التاريخيـة لسياسـة مصر في البحـر الأحمر، القاهر ١٩٥٩م.
- صالح بن سليمان بن سحمان وعبدالرحمن بن عبـدالعزيـز، مجموع النفـائس الشعريـة والضرائب الشهيـة، مـطبعـة دار البيـان، مصر ١٩٧١م.
- صفى الدين عبدالمؤمن بن عبـدالحق البغدادي، مـراصد الإطـلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، حققه محمد علي اليحياوي، دار المعـرفة للطباعة، بيروت ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.
- صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العـربية السعـودية في مـاضيها وحاضرهـا جـ١، ط١، منشورات دار مكتبـة الحياة بيـروت (بدون تاريخ).
- د. عبـدالحميـد البـطريق، من تـاريـخ اليمن الحـديث (١٥١٧ - ١٨٤٠م)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٦٩م.
- الشيـخ عبدالـرحمن الجبـرتي، تـاريـخ عجـائب الآثـار في التـراجم والأخبار، جـ٣، دار الفارس، بيروت (بدون تاريخ).

عبدالرحمن الرافعي:
- عبدالرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ثلاثة أجزاء، مطبعة النهضة، القاهرة ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م.
- عبدالرحمن الرافعي، عصر محمد علي، ط٣، مكتبة النهضة، القاهرة ١٩٥١م.
- عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، مشاهير علماء نجد وغيرهم، الطبعة الأولى، دار اليمامة للطباعة والنشر، الرياض ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
- عبدالرحمن العبيد، قبيلة العوازم، بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، وهي مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام في عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى وقتنا الحاضر، الجزء السابع، مطبعة أم القري، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.

د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم:
- الدولة السعودية الأولى، الجزء اول، الطبعة الثالثة، دار الكُتاب الجامعى، القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- محمد علي وشبه الجزيرة العربية، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجامعي، القاهرة ١٩٨١م.

د. عبدالفتاح أبو علية:
- الدولة السعودية الثانية، الطبعة الثانية، مؤسسة الأنوار، الرياض ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز، نال جائزة الملك فيصل الأولى في مسابقة دارة الملك عبدالعزيز، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

- عبدالله الجرافي، المقتطف من تاريخ اليمن، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.
- عبدالله خورشيد البري، القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، دار الكاتب العربي، القاهرة ١٩٦٧م.
- عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، حققه مصطفى السقا، الجزء الأول، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.
- عبدالله بن علي بن مسفر، أخبار عسير، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- عبدالله بن قيس الغامدي، الشعر في عسير، ط٢، مكتبة دار الفتح، دمشق ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- عبدالواسع بن يحيى اليمني، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، الطبعة الثانية، مطبعة حجازي، القاهرة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.
- عثمان بن بشر النجدي الحنبلي، عنوان المجد في تاريخ نجد، جزءان، مكتبة الرياض الحديثة (بدون تاريخ).
- علي بن صالح الزهراني: بلاد غامد وزهران، ط١، منشورات دار اليمامة الرياض ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

عمر رضا كحالة:

- جغرافية شبه جزيرة العرب، دمشق ١٩٤٤م.
- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ثلاثة أجزاء، المطبعة الهاشمية، دمشق ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

عمر غرامة العمروى:

- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، بلاد الحجر، الجزء

الثالث، الطبعة الأولى، دار اليمامة للطباعة والنشر، الرياض ١٣٩٧هـ.
- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، بلاد الحجر، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، دار اليمامة للطباعة والنشر، الرياض ١٣٩٧هـ.

عمر الفاروق السيد رجب:
- الحجاز المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، دار الشروق، جدة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، دار الشروق جدة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

د. فاروق عثمان أباظة:
- الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ - ١٩١٨م، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- سياسة بريطانيا في عسير أثناء الحرب العالمية الأولى، الكويت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، القاهرة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
- فؤاد حمزة، في بلاد عسير، الطبعة الثانية، الرياض ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- لوديمر، ج، ج، دليل الخليج، القسم الجغرافي، الجزء الأول والثاني، طبعة جديدة معدلة ومنقحة أعدها قسم الترجمة بمكتبة صاحب السمو أمير دولة قطر.
- محمد بن إبراهيم زين العابدين الحفظي، نفحات من عسير (ديوان شعر من قصائد أسلاف آل الحفظي، نسقه وأخرجه للطبع عبدالرحمن بن إبراهيم زين العابدين الحفظي، مطابع عسير، أبها ١٣٩٣هـ/١٩٧٤م.

- محمد أبو العلا، اقليم عسير، مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٦م.
- محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي ويقال له البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثانية، ليدن ١٩٠٩م.

محمد أحمد عيسى العقيلي:
- تاريخ المخلاف السليماني، جزءان، الطبعة الثانية، منشورات دار اليمامة، الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، مقاطعة جازان، الطبعة الثانية منشورات دار اليمامة، الرياض ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- محمد أمين البغدادي، سبائك الذهب في أنساب العرب، طبع في الآستانة، (بدون تاريخ).
- محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن الأحسائي، تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء في القديم والجديد، أشرف على طبعه وعلّق عليه حمد الجاسر، القسم الأول، الطبعة الأولى، الرياض ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م.
- محمد عمر رفيع في ربوع عسير، دار العهد الجديد للطباعة، القاهرة، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م.
- محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق الدكتور إحسان حقى، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية، الطبعة الثانية، المطبعة الجمالية القاهرة ١٣٢٩هـ.

محمد محمد زبارة:
- أئمة اليمن في القرن الرابع عشر للهجرة، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٧٦هـ.

- نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر الهجري، الجزء الأول، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤٨هـ.
- نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر الهجري، الجزء الثاني، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٥٠هـ.
- محمد بن محمد بن عبدالله الادريسى، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الإقليم الثاني، الجزء الخامس (بدون تاريخ).
- محمد مسفر الزهراني، بلاد زهران في ماضيها وحاضرها، الطبعة الأولى، مكة المكرمة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
- محمد بن يحيى الحداد، تاريخ اليمن، الطبعة الثالثة، دار الهنا للطباعة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.
- محمود شاكر، شبه جزيرة العرب ـ عسير، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي دمشق ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- محمود شكري الألوسي، تاريخ نجد، حققه محمد بهجت الأثرى، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٣٤هـ / ١٩٢٤م.
- د. محمد طه، جغرافية شبه جزيرة العرب، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، مؤسسة سجل العرب ١٩٧٥م.
- مؤلف مجهول، كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، تحقيق وتعليق الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ، المطبعة الأهلية للأوفست، الرياض (بدون تاريخ).
- هارولد، يعقوب ك، سى، أي، عدن وجنوب اليمن في ملوك العرب، ترجمة أحمد المضواحى، ط ١، دار النهضة، القاهرة ١٩٦٧م.
- هاشم سعيد النعمي، تاريخ عسير في الماضى والحاضر، الجزء الأول والثاني والثالث، (بدون معلومات طبع).
- يحيى إبراهيم الألمعي، رحلات في عسير، الجزء الأول، مطابع دار الاصفهاني جدة (بدون تاريخ).

المعاجم ودوائر المعارف:

- أحمد عطية الله، دائرة المعارف الحديثة موسوعة عامة في العلوم والآداب والفنون، المجلد الأول، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ١٩٧٥م.
- محمد فريد وجدى، دائرة معارف القرن العشرين، جـ ٥، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٧١م.
- محمد مرتضي الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مصطفى حجازي، الكويت، وزارة الإعلام ١٩٧٧م.

رسائل جامعية:

- عبدالله محمد أبو داهش : الأدب في جنوبي البلاد السعودية خلال القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، (رسالة ماجستير مقدمة لقسم اللغة العربية جامعة الملك سعود).

الدوريات والجرائد:

- مجلة كليـة الآداب، جـامعـة الاسكنـدريـة، المجلدان السـادس والسابع، ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣م، مقـال عبدالمحسن الحسيني، بعنـوان «الأقسام الجغرافية لجزيرة العرب».
- مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندريـة، المجلد التاسـع ١٩٥٥م، القسم الثاني مقال بقلم د. محمد محمود السروجي، بعنوان «سياسة مصر العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ثـورة العسير (١٨٦٤ ـ ١٨٦٦).
- مجلة العـرب: مجلة تصدر عن دار اليمـامة للبحث والتـرجمة والنشر بالرياض، وقد اعتمدت على عدة أعداد هي:
  - الأعـداد من ربيـع الأول ١٣٩١هـ إلى ربيـع الثـاني ١٣٩٣هـ، وهي الأعداد التي نشرت فيها مذكرات سليمان شفيق باشا.
- الجـزء الثـالث، السنـة الثـامنـة، رمضـان ١٣٩٣هـ، مقـال بقلم عبـدالرحمن بن إبـراهيم الحفظي بعنـوان (مؤلفـات آل الحفظي)، ص ٢٣٦.
- الجـزء السـابـع والثـامن، السنـة الحـاديـة عشـرة، محـرم وصفـر ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧، حسن بن أحمد عاكش (مخطوط) بعنوان الـدر الثمين.
- الجزء الحادي عشر والثاني عشر، من السنة التاسعة جمـاد أول وجماد ثـاني ١٣٩٥هـ، مقال بقلم عبـدالله بن حميـد، بعنـوان «دور امـراء عسير في نشر الدعوة السلفية.
- المجلة التـاريخية المغـربيـة، العـدد من ٢٩ ـ ٣٠، السنـة العـاشـرة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، مقـال بقلم محمد بن عبـدالله آل زلفـة، دور

عسـير في أحداث الحجـاز في الفترة مـا بـين ١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م ـ ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م.
- مجلة دراسات الخليج والجزيرة العـربية، العـدد الرابـع والعشرون، السنـة السادسـة، ذو القعدة ١٤٠٠هـ / اكتـوبر ١٩٨٠م، «عسـير قبل الحرب العالمية الأولى، تأليف سير كنـاهان كـورنوليس» عـرض وتحليل د. أحمد عبدالرحيم مصطفى، ص ١٦٩.
- مجلة الدارة، السنة الثالثة، العـدد الثالث، شـوال ١٣٩٧هـ، مقال بقلم السيد أحمد مرسى عباس، بعنوان «حقائق جـديدة عن حـرب الدرعية» وهل اشترك فيها الجنود المصريون حقاً.
- المؤتمر العالمي الأول للجنـة العربيـة للدراسات العثمـانية، عقـد في تـونس في الفتـرة من ٢٠ ـ ٢٦ ينـايـر ١٩٨٤م، مقـال بقلم د. عبدالفتاح أبو علية، بعنـوان «النقود والمـوازين والمكاييـل في سنجق الحسا في العهد العثماني ١٨٧١ ـ ١٩١٣م.
- دراسات تاريـخ الجزيـرة العربيـة، الكتاب الأول، مصـادر تاريـخ الجزيرة العربية، الجزء الثاني، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، مطابع جامعة الرياض.
- د. عبـدالحميـد البـطريق، أشـراف الحجـاز في الـوثـائق المصـريـة (١٢٢٨هـ ـ ١٢٥٦هـ)، ص ٢٤٠.
- د. صالح العمرو، تقاريـر القناصـل البريـطانيين في جـدة كمصدر لتاريخ عرب الجزيرة العربية، ص ٢٢٣.
- مجلة لغة العرب، عدد ٨، السنة الثـالثة، ربيـع الأول ١٣٣٢هـ / شباط فبراير ١٩١٤م، ص ٣٩٥.
- جـريدة الجـزيرة، العـدد ٣٩٠٩، في ٢٢ شعبان ١٤٠٣هـ، مقـال بقلم محمد الوعيل، بعنوان «حـديث وذكريـات مع عبـدالعزيـز بن مشيط».

المصادر والمراجع الأجنبية :

أولاً : المصادر التركية :

- بحرية ميرلو الرندن أيوب صبري ، مرآة الحرمين (باللغة التركيـة) ، المجلد الثالث، طبع بمطبعة البحرية، القسطينية ١٣٠٦هـ .
- أركان حرب فريقلكنون متقاعد عاطف باشا :

* يمن تـاريخي ، مطبعـة منظومـة أفكـار، رقم ٥٤ ، دار السعـادة ١٣٢٦هـ (باللغة التركية) .
* يمن تاريخي ، الجزء الثاني ، مطبعة الشركة الطبيعيـة ، استانبـول ١٣٢٦هـ (باللغة التركية) .

ثانياً: المصادر والمراجع الإنجليزية:

— Arab Bureau, handbook of Asir, Cairo 1916, (India Office, No. T 21500).
— Admiralty, Hydrographic Office, the Red Sea and Gulf of Aden, London 1892.
— Ali Bey, Travels of Ali Bey, 2 Vols., London 1816.
— Bunker, P.G., the South-West border lands of the Rub, Al Khali, Geographical Journal, Vol. 119, Dec. 1953.
— Burkhat, Travels in Arabia, 2 Vols., London 1829.
— Bury, G.W., Arabia Infelix or the Turks in Yemen, Macmillan and Co., London 1915.
— Cornwallis, Sir Kinahan, Asir before World War I, A handbook, Cambridge, England.
— Geographical Section of Navel Intelligence, Division, Navel Staff, Admiraltu, A handbook of Arabia, Vol. I.
— Hogarth, David George: Arabia, First, Ed. Clarndon Press, Oxford 1922.
— D.O. History of Arabian Frontiers, London 1954.
— Lipsky, George, Saudi Arabia, Its People Its Society, Its Culture, Hraf Press, New York 1959.
— Marston, T.E., Britain's Imperial in Red Sea Area, 1800-1868, Connectioncut U.S.A.
— Philby, H. St. J: Arabia Highlands, New York 1952.
D.O. Saudi Arabia, First Edition, LondoN 1955.
— Playfir, R.L. History of Arabia Felix or Yemen Selections, from the Records of the Bombay Series No. XLIX Government Central Press, London 1959.
— Tamisier Maurice, Voyage on Arabie Sejour Dams le Hedjaz - Campagne, d, Assir par desessart, Paris 1840.
— Twitchell, K. Water Resources of Saudia Arabia, Geographical Review, Vol. 39, July 1944.
— Thesigar Walter, A jowney through the Tihama, the Asir and the High Mountains, the Geographical Journal, Vol. 110, April 1948.

الفهـــرس

رقم الصفحة

طبع بشركة العبيكان للطباعة والنشر ــ الهاتف : ٤٩٨٣٣٩٢ ــ الرياض

إصدارات نادي أبها الأدبي

عدد	الكتــــــاب	المؤلـــف	الموضـــوع
١	لمحات عن تاريخ عسير القديم	د . سيد أحمد يونس	تاريخ
٢	النحو قانون اللغة وميزان تقويمها	د.محمود فجال بن يوسف	دراسة
٣	ابن هشام وكتابه مغني اللبيب	د.عبد الرحمن علي سليمان	دراسة
٤	وصف الحيوان في الشعر الهذلي	د.إسماعيل داود محمد النتشه	دراسة
٥	صحيفة بشر بن المعتمر	د . علي علي مصطفى صبح	دراسة
٦	جناية الشعر الحر	أحمد فرج عقيلان	دراسة
٧	باقة البنفسج	د . عبد الهادي حرب	ديوان شعر
٨	وحي وقلب وألحان	عبد السلام هاشم حافظ	ديوان شعر
٩	النبات في عسير	محمد حسن غريب الألمعي	دراسة
١٠	هل هناك أزمة في الأدب ؟	د . محمد عبده يماني	دراسة
١١	الأدب العالمي والعالمية في الأدب	علوي طه الصافي	دراسة
١٢	قراءة في سجل القصة السعودية	سباعي عثمان	دراسة
١٣	الإدارة والمواطن	عبد الرحمن محمد السدحان	دراسة
١٤	شعاع الراحلين	عبد الرحمن إبراهيم زين العابدين الحفظي	ديوان شعر
١٥	فلتشرق من جديد	طاهر عوض سلام	رواية طويلة
١٦	أبها في التاريخ والأدب	علي أحمد عمر عسيري	دراسة
١٧	قصائد من الجبل	مجموعة من الشباب	ديوان شعر
١٨	التبرج والحجاب في ضوء الكتاب والسنة	زهرة أحمد الألمعي	دراسة
١٩	الطب النبوي والطب القديم	د . محمد بشير حقي	دراسة
٢٠	آراء في السحر	أحمد ثابت عسيري	دراسة
٢١	شهادة للبيع	محمد عبد الله الحميد	مجموعة قصصية
٢٢	دراسة في المسرح والمسرحية	إبراهيم محمد أبو عجمية	دراسة
٢٣	الجاحظ بين مؤلفاته	سلمان عابد الندوي	دراسة
٢٤	قراءات في شعر الشيخ سليمان بن سحمان	د . إبراهيم محمد الزيد	دراسة
٢٥	سوق عكاظ في التاريخ	محمد أحمد العقيلي	دراسة
٢٦	الحديث النبوي في النحو العربي	د . محمود فجال يوسف	دراسة
٢٧	لحظة يا حلم	محمد عبد الرحمن الحفظي	ديوان شعر
٢٨	زمن العشق الصاخب	حسن محمد النعمي	مجموعة قصصية
٢٩	حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	محمد أحمد العقيلي	دراسة
٣٠	مذكرات سليمان شفيق باشا	محمد أحمد العقيلي	دراسة
٣١	نزيف المشاعر	أحمد عبد الله بيهان	ديوان شعر
٣٢	في عروض الشعر العربي	د . محمد عبد المجيد الطويل	دراسة
٣٣	النهج الإبداعي للآمدي الناقد	د.عبد الحميد محمد العبيسي	دراسة
٣٤	خراف الأيام	الأستاذ راشد الحمدان	مقالات
٣٥	الجغرافيا الزراعية لمنطقة عسير	أحمد محمد حيدر	دراسة
٣٦	الحياة الفكرية والأدبية في جنوب البلاد السعودية	د . عبد الله أبو داهش	دراسة
٣٧	الخليفة عمر بن عبد العزيز والشعر	د . عبد الحميد المعيني	دراسة
٣٨	آخر ما جاء في التأويل القروي	حسن محمد النعمي	مجموعة قصصية
٣٩	محطات أمل للشباب	د . عبد اللطيف فرج	دراسة
٤٠	عسير من ١٢٤٩هـ ـ ١٢٨٩هـ	علي أحمد عيسى عسيري	دراسة
٤١	السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربي	د . محمود فجال يوسف	دراسة

